امرهم مع علمنا به وحفظنا له إن ذلك ان الاحاطة به واثباته فى اللوح او
الحكم بينكم على الله يسير لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء
ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة تدل على عبادته وما ليس لهم به علم
حصل لهم من ضرورة العقل واستدلاله وما للظالمين وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم
من نصير يقرر مذهبهم ويدفع العذاب عنهم واذا تتلى عليهم ايانتا من القرآن بينات
واضحات الدلالة على العقايد الحقة والاحكام الالهية تعرف فى وجوه الذين كفروا
المنكر الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لايات ما سمعوا من الوعيد تقليدا وهذا منتهى الجهالة
والاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر بكادون يسطون
بالذين يتلون عليهم يثبون ويبطشون بهم قل افانبئكم بشر من ذلكم من غيظكم
على التالين وسطوتكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم
النار اى هو النار كانه جواب سائل قال ما هو ويجوز ان يكون مبتداء خبره وعدها
الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فيكون الجملة
استينافا كما اذا رفعت خبرا او حالا منها وبئس المصير النار يا ايها الناس ضرب
مثل بين لكم حال مستغربة اوقصة رافعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل اى
مثل فى استحقاق العبادة فاستمعوا له للمثل اولشانه استماع تدبر وتفكر ان الذين
تدعون من دون الله يعنى الاصنام وقراء يعقوب بالياء وقرئ به مثنيا للمفعول
والراجع الى الموصول محذوف على الاولين لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على خلقه مع
صغره لان لن بما فيها من تاكيد النفى دالة على مناقاة ما بين المنفى والمنفى عنه والذباب
من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذباب ولو اجتمعوا له بجواب المقدر فى موضع حال
جئ بها للمبالغة اى لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا
منفردين وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه جعلهم غاية التجهيل
بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها تمثيل هى اعجز
الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى
على مقاومة هذا الاقل الاذل ويعجز عن ذبة عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه عنها
قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى
فياكله ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده او الذباب وطلب ما يسلب
من الطيب والصنم يطلب منه الذباب السلب والصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ
منه ما سلبه فلو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات ما قدروا الله حق قدره
ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة

إن الله لقوى على خلق الممكنات باسرهم عزيز لا يغلبه شئ والهتهم التى
يدعونها عجزة عن اقلها مقهورة من اذلها الله يصطفى من الملائكة رسلا
يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحى ومن الناس يدعون سائرهم الى الحق
ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته فى الالوهية ونفى ان يشاركه
غيره فى صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء
بهم الى عبادة الله سبحانه وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات
تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات
الله وبخو ذلك ان الله سميع بصير مدرك للاشياء كلها يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم عالم بوقايعها ومتروقها والى الله ترجع الامور واليه مرجع الامور
كلها لانه مالكها بالذات لا يسال عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسئلون يا ايها الذين
امنوا اركعوا واسجدوا فى صلوتكم امرهم بها لانهم ما كانوا يفعلونها اول الاسلام او صلوا
وعبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له سجدا واعبدوا ربكم
بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح فيما يأتون ويذرون كوافل
الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اى افعلوا هذه كلها وانتم راجون
الفلاح غير متيقنين له واثقين على اعمالكم والاية اية سجدة عندنا الظاهر ما فيها من الامر
بالسجود ولقوله عليه السلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأهما
وجاهدوا فى الله حق جهاده فى سبيله ومن اجله اعلاء دينه الظاهرة كالهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس
وعنه ع انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده
اى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو
حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه محتقن بالله من حيث انه مفعول لوجه الله
ومن اجله هو اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على ان المقتضى
للجهاد والداعى اليه وفى قوله وما جعل عليكم فى الدين من حرج اى ضيق
بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم فى تركه
او الى الرخصة فى اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله ع اذا امرتكم
بشئ فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص
لهم فى المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات والاروش والديات
فى حقوق العباد ملة ابيكم ابراهيم منتصبة على المصدر لفعل دل عليه مضمون
ما قبلها بحذف المضاف اى وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء والاختصاص
وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله وهو كالاب لامته من حيث ان سبب حياتهم

الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الاخرة اولان اكثر العرب كانوا من ذريته
فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل من قبل القرآن فى الكتب المتقدمة
وفى هذا وفى القرآن والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم
مسلمين فى القرآن وان لم يكن منه كان لسبب تسمية من قبل فى قوله ومن ذريتنا
امة مسلمة لك وقيل وفى هذا تقديره وفى هذا بيان تسمية اياكم المسلمين
ليكون الرسول يوما القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على
قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى
وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة
فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف واعتصموا
بالله وثقوا به فى مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو
مولاكم ناصركم ومتولى اموركم فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل له
فى الولاية والنصر بل لا مولى ولا نصير سواه فى الحقيقة عن ابى عليه
السلام من قراء سورة الحج اعطى من الاجر بحجة بحجها وعمرة اعتمر بها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى

سورة المؤمنون مائة وثمانية عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون قد فاز وا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما
ان لعل فيه ويدل على ثباته اذا دخل الماضى ولذلك تقرب من الحال ولما كان المؤمنون
متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقراء ورش عن نافع قد افلح
بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ قد افلحوا على لغة اكلونى البراغيث
او على الابهام والتفسير وافلح اجتراء بالضمة عن الواو وافلح على البناء للمفعول
الذين هم فى صلاتهم خاشعون خائفون عن الله متذللون له ملزمون ابصارهم
مساجدهم روى انه ع كان يصلى رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره
نحو مسجده وانه راى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلبه لهذا لخشعت
جوارحه والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول وفعل معرضون ما
شغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء
الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض
مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا
فان اصله ان يكون فى غير عرضه وكذلك قوله والذين هم للزكوة
فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلوة ليدل على انهم بلغوا

بلغوا الغاية فى القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب
المروة اجتنابه والزكوة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل الحدث لا المحل
الذى هو موقعه او الثانى على تقدير مضاف والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظون من قولك
احفظ على عنان فرسى وحال اى حفظوها فى كافة الاحوال الا فى حال التزوج او التسرى
وانما قال ما اجراء للمالبك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شايع فيه وافرد ذلك
بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اسنى الملاهى الى النفس
واعظمها خطرا فانهم غير ملومين الغير لما فظون اولما دل عليه الاستثناء اى
فانهم يبذلونها لازواجهم واما ئهم فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك
المستثنى فاولئك هم العادون الكاملون فى العداوة والذين هم لامانا تهم
وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون قائمون
بحفظها او اصلاحها وقراء ابن كثير هنا وفى المعارج لامانتهم على الافراد لان الجنس
او لانها فى الاصل مصدر والذين هم على صلواتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها
فى اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما للصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة
والكسائى وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع فى الصلوة غير المحافظة
عليها وفى التصدير بالاوصاف وختمها بامر الصلوة تعظيم لشانها اولئك الجامعون
لهذه الصفات هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون
الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وهى مستعارة
لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون
من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانزع خلق لكل انسان منزلا فى الجنة
ومنزلا فى النار هم فيها خالدون انث الضمير لانه اسم للجنة او لطبقتها الاعلى ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من خلاصة سلت من بين الكدر من طين متعلق
بمحذوف لانه صفة لسلالة ومن بيانية او بمعنى سلالة لانه فى معنى مسلولة فتكون
ابتدائية كالاولى والانسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين او الجنس فانهم خلقوا
من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة
نطفته ثم جعلناه نسله فحذف المضاف نطفة بان خلقناه منها او ثم
جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تاويل الجوهر او المسلول او الماء فى قرار
مكين مستقر حصين يعنى الرحم وهو فى الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة
كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا النطفة علقة بان خلقنا النطفة البيضاء علقة حمراء

فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها نطفة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها
فكسونا العظام لحما ما يقي من المضغة او ثم انبتنا عليها ما يصل اليها واختلاف
العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقراء ابن
عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما
وجمع الاخر ثم انشأناه خلقا اخر هو صورة البدن او الروح او القوى ونفخة
فيه او المجموع وفصلا بين الخلقين من التفاوت واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة
فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق اخر فتبارك الله فتعالى
شانه في قدرته وحكمته احسن الخالقين المقدرين تقديرا فحذف التمييز لدلالة
الخالقين عليه ثم انكم بعد ذلك لميتون لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك
ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ثم انكم يوم القيمة
تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سموات
لانها طروق بعضها فوق بعض مطارقة النعل بالنعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة
اولانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك
المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات غافلين مهملين امرها بل
نحفظها عن الزوال والاختلال وندبرها حتى تبلغ منتهى ما قدرها من الكمال
حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية وانزلنا من السماء ماء بقدر
بتقدير تكثير نفعه وقيل منزه او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فاسكناه فجعلناه
ثابتا مستقرا في الارض وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد بحيث
يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على ازالته وفي تكرير ذهابا بناء الكثرة
طرقه ومبالغة في الايعاد به فلذلك جعل ابلغ قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا
فمن ياتيكم بماء معين فانشانا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها
في الجنات فواكه كثيرة تفكهون بها ومنها من الجنات ثمارها وزروعها تاكلون
تغذيا او ترزقون وتحملون معاشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته ويجوز ان يكون
الضمير آن للنخل والاعناب اي لكم في عينها انواع من الفواكه الرطب والعنب والزيت
والعصير والدبس وغير ذلك وطعام ياكلونه وشجرة عطف على جنات وقرئ بالرفع على
الابتداء اي ومما انشانا لكم به شجرة تخرج من طور سيناء جبل موسى بين مصر وايلة وقيل
بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو امان يكون الطور للجبل وسيناء البقعة
اضيف اليها او المركب منها علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث
على تاويل البقعة لالتقاء الساكنين كقراءة من قرا بالمد وهو الرفعة او بالقصر

او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السنين اذ لا فعلاء بالفتح التانيث مخلاف
سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كحمراء لا فعلال
اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن اي تنبت ملتبسا بالدهن
ومستصحبا له ويجوز ان يكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد
وقراءة ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقوله
زهير رايت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير
تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتمرا بالدهن
وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان وصبغ للاكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه
عطف احد وصفي الشئ على الاخر اي تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به
ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للايتدام وقرئ وصباغ
كدباغ في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون بحالها وتستدلون بها
نسقيكم مما في بطونها من الالبان او من العلف فان اللبن يتكون منه فمن
للتبعيض او للابتداء ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها واصوافها وشعورها
ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها وعليها وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه
كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك
فانها سفن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فيكون الضمير
فيه كالضمير في حولها حق برذهن وعلى الفلك تحملون في البر والبحر ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى اخر القصص مسوق لبيان كفران الناس
ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما ما قبلهم من زوالها ما لكم من اله غيره
استيناف لتعليل الامر بالعبادة وقراءة الكسائي غيره بالجر على اللفظ افلا تتقون
افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة
غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها فقال الملاء الاشراف الذين كفروا من قومه
لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم وسودكم
ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا ما سمعنا بهذا في ابائنا
الاولين يعنون نوحا اي ما سمعنا به انه نبي او ما كلمهم به من الحث على عبادة الله تعالى
وما به اله غيره اي من دعوى النبوة وذلك اما من فرط عنادهم او لانهم كانوا في فترة
متطاولة ان هو الا رجل به جنة اي جنون ولاجله يقول ذلك فتربصوا به
فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعدما ايس من ايمانهم رب
انصرني باهلاكهم او بالجازما اوعدتهم من العذاب بما كذبون بدل تكذيبهم

ايّاى اوبسببه فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا بحفظنا نحفظه ان
تخطئ فيه اويفسد عليك مفسد وَوَحْيِنَا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فَإِذَا جَاءَ
أَمْرُنَا بالركوب اونزول العذاب وَفَارَ التَّنُّورُ روى انه قيل لنوح اذا فار الماء
من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امراته فركب ومحله
فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وقيل عين وردت من الشام وفيه
وجوه اخر ذكرتها فى هود فَاسْلُكْ فِيهَا فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره
قال الله تع ما سلككم فى سقر مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ من كل امتى الذكر والانثى واحد
مزدوجين وقراء حفص من كل بالتنوين اى من كل نوع زوجين واثنين تاكيد وَأَهْلَكَ
واهلك بيتك او ومن امن معك إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ اى القول من الله
باهلاكه لكفره وانما جئ بعلى لان السابق ضار كما جئ باللام حيث كان نافعا فى
قوله تع ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا بالدعاء لهم
بالانجاء إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ لامحالة لظلمهم بالاشراك والمعاصى ومن هذا شانه لايشفع
له ولايشفع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله فَإِذَا اسْتَوَيْتَ
أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ كقوله
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي فى السفينة
اوفى الارض مُنزَلًا مُبَارَكًا يتسبب لمزيد الخير فى الدارين وقرئ منزلا بمعنى انزالا
اوموضع انزال وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة
فيه وتوسلا الى الاجابة وانما افرد بالامر والمعلق بان يستوى هو ومن معه اظهارا لفضله
واشعارا بان فى دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم ان فى ذلك فيما فعل بنوح
وقومه لَآيَاتٍ ليستدل بها ويعتبر ولو الاستبصار والاعتبار وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ
لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم اوممتحنين عبادنا بهذه الايات وان هى المخففة واللام هى
الفارقة ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ هم عاد وثمود فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ هود
او صالح وانما جعل القرآن موضع الارسال ليدل على انه لم ياتهم من مكان غير مكانهم وانما
اوحى اليه وهو بين اظهرهم أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ تفسير لارسلنا اى قلنا
لهم على لسان الرسول ان اعبدوا الله أَفَلَا تَتَّقُونَ عذاب الله وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ
كَفَرُوا لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف كلام قوم نوح حيث استوفيت
فعلى تقدير سوال وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب وبعاده الى الحياة
الثانية بالبعث وَأَتْرَفْنَاهُمْ ونعمناهم فى الحيوة الدنيا بكثرة الاولاد والاموال ما هَٰذَا
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ فى الصفة والحال يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ تقرير للمماثلة

ثلة وما اخبرية والعائد الى الثانى منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة
ما قبله عليه وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ فيما ياثركم إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ
حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قالوا لهم من قومهم
أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا مجردة عن اللحوم والاعصاب
أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ من الاجداث اومن العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول
اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره اوانكم مخرجون مبتداء خبره الظرف المقدم او
فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اى انكم اخراجكم اذا متم اوانكم اذا متم
وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثانى عليه لا ان يكون الظرف
لان اسم جثة هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ بعد التصديق او الصحة لِمَا تُوعَدُونَ اوبعد ما توعدون
واللام للبيان كما فى هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد
قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتداء خبره لما توعدون وقرئ بالفتح
منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين
وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا اصله ان
الحيوة الا حيوتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاول لدلالة الثانية عليها عذرا عن التكرير
واشعارا بان تعينها معزز عن التصريح بها كقوله هى النفس ما حملتها تتحمل ومعنى الحياة
الاولى الحيوة لان إن نافية دخلت على هى التى فى معنى الحيوة الدالة على الجنس فكانت مثل
لا التى تنفى ما بعدها نفى الجنس نَمُوتُ ونحيى يموت بعضنا ويولد بعض وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ
بعد الموت إِنْ هُوَ مَا هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فيما يدعيه من ارساله له وفيما
يعدنا من البعث وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ بمصدقين قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عليهم وانتقم
لهم بِمَا كَذَّبُونِ بسبب تكذيبهم اياى قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عن زمان قليل وما زائدة صلة
لتوكيد معنى القلة اونكرة موصوفة لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ على التكذيب اذ عاينوا العذاب
فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا
واستدل به على ان القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذى لادافع له اوبالعدل
من الله كقولك فلان يقتفى بالحق اوبالوعد الصدق فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً شبههم
فى دمارهم بغثاء السيل وهو جميل كقول العرب سال به الوادى لمن هلك فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وبعدا من المصادر التى
تنصب بافعال لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعى عليه بالبعد ووضع الظاهر
موضع ضميرهم للتعليل ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ يعنى قوم صالح ولوط
وشعيب وغيرهم مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا الوقت الذى حدد لهلاكها ومن مزيدة لاستغراق

وما يستأخرون الاجل ثم ارسلنا رسلنا تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج ويقور والالف للتانيث لان الرسل جماعة وقراء ابو عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواتر وقع حالا كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجى الى المرسل اليهم لان الارسال الذى هو مبداء الامر منه والمجئ الذى هو منتهاه اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا فى الاهلاك وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهى ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا بالايات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها ام المعجزات وانها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها وتلقفها ما افكه السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شعبة وشجة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد بها المعجزات وبالايات الحجج فانها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبى عليه السلام الى فرعون وملائه فاستكبروا عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا نفى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه فى حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبهة المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة فى الحقيقة وفساده يظهر للمستبصرين بادنى تامل فان النفوس البشرية وان تشاركت فى اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيها وكما ترى فى باب القصائد اغبياء لا يعود عليهم التفكر يمكن ان يكون فى طرف الزيادة اعساء عن التفكر والتعلم فى اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهى اليه علمهم واليه اشار بقوله ما انتم الا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد وقومهما يعنى بنى اسرائيل لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق فى بحر قلزم ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة لعلهم لعل بنى اسرائيل لا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التوراة نزلت بعد اغراقهم يهتدون الى المعارف والاحكام وجعلنا ابن مريم وامه اية بولادتها اياه من غير مسيس فالاية امر واحد مضاف اليهما او جعلنا ابن مريم اية بان تكلم فى المهد وظهر منه معجزات اخر وامه اية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها واوينا هما الى ربوة

ربوة ارض بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربا وقراء ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنها يستقرون فيها لاجلها ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد فى الشئ او الماعون وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ما آواها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان يا ايها الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا فى ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به فى زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا ويكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية فى رفض الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ابوائهما الى الربوة لتقتديا بالرسل فى تناول ما رزقا وقيل النداء له ولقط الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل الحلال الصالح القوام فالحلال ما يعصى الله فيه والصالح ما لا يعصى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم انى بما تعملون عليم فاجازيكم عليه وان هذه اى ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون وقراء ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستيناف امتكم امة واحدة ملتكم ملة واحدة اى متحدة فى العقايد واصول الشرايع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد والعبادة ونصب امة على الحال وانا ربكم فاتقون فى شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا امرهم بينهم فتقطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير لما دل عليه الامة من ارباب لها او لها زبرا قطعا جمع زبور الذى بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو مال من امرهما او من الوار او مفعول ثان لتقطعوا فانه يتضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبر الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل ورسل كل حزب من المتحزبين بما لديهم من الدين فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق فذرهم فى غمرتهم فى جهالتهم شبهها بالماء الذى يغمر القامة لانهم يغمرون فيها او لاعبون بها وقرئ فى غمراتهم حتى حين الموت او القتل او يموتوا ايحسبون انما نمدهم به ان ما نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاب عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم

ان ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم في الخيرات والراجع محذوف والمعنى ايحسبون
ان الذى نمدهم به نسارع به لهم فما فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهايم
لا فطنة لهم ولا شعور ليتاملوا فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة
فى الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون
فيهما ضمير الممدّ به ويسارع مبنيًا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم
من خوف عذابه مشفقون حذرون والذين هم بايات ربهم المنصوبة
والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون شركًا
جليًا ولا خفيًا والذين يؤتون ما اتوا يعطون ما اعطوه من الصدقات
وقرئ ياتون ما اتوا اى يفعلون ما فعلوا من الطاعات وقلوبهم وجلة
خائفة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللايق فيواخذ به انهم الى
ربهم راجعون لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى
عليهم اولئك يسارعون فى الخيرات يرغبون فى الطاعات اشد الرغبة
فيبادرونها او يسارعون فى نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال
بالمبادرة اليها كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتًا لهم ما نفى
عن اضدادهم وهم لها سابقون لاجلها فاعلون السبق او سابقون
الناس الى الطاعة او الثواب او الجنة او سابقون بها اعينا لونها قبل الاخرة
حيث عجلت لهم فى الدنيا كقوله هم لها عاملون ولا نكلف نفسًا الا وسعها
قدر طاقتها يريد به التحريض على وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس
ولدينا كتاب يعنى اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق بالصدق
ولا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة العقاب
او نقصان الثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة فى غمرة فى غفلة غامرة لها
من هذا من هذا الذى وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة ولهم اعمال خبيثة
من دون ذلك متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك هم لها
عاملون معتادون فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب يعنى
القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم الرسول فقال اللهم اشدد وطاتك
على مضر واجعل عليهم سنين كسنى يوسف فمحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف
والعظام المحترقة اذا هم يجارون فاجؤا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط
والجملة مبتداء بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب لا تجاروا اليوم فانه مقدر بالقول
اى فيقال لهم لا تجاروا انكم منا لا تنصرون تعليل للنهى اى لا تجاروا فانا لا ننفعكم

لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا او لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد
كانت اياتى تتلى عليكم يعنى القرآن فكنتم على اعقابكم تنكصون
تعرضون مدبرين عما سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع
فقهقرى مستكبرين به الضمير للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم
بانهم قوامه اغنت عن سبق ذكره اولان استكبارهم على المسلمين حدث
بسبب استماعه او بقوله سامرًا اى يسمرون بذكر القرآن والطعن فيه
وهو فى الاصل مصدر جار على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ سمرًا جمع سامر
تهجرون من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اى تعرضون عن القرآن
او تهذون فى شانه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثانى قراءة نافع تهجرون
من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة افلم يدبروا القول اى القرآن
ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله ام جاءهم ما لم
يات اباءهم الاولين من الرسول والكتاب او من الامن من عذاب الله
فلم يخافوا كما خاف اباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فامنوا به وبكتبه
ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة والصدق وحسن
الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء فهم
له منكرون دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار
الشئ قطعًا او ظنًا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص
او بحث عما يدل عليه افقى ما يمكن فلم يوجد ام يقولون به جنة فلا
يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم وابقاهم نظرًا بل جاءهم بالحق
واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه
وانما قيد الحكم بالاكثر لان كان منهم من ترك الايمان استنكافًا من توبيخ
قومه او لقلة فطنته وعدم فكرته لا لكراهة للحق ولو اتبع الحق اهواءهم
بان كان فى الواقع الهة شتى لفسدت السموات والارض ومن فيهن كما
سبق تقريره فى قوله تع لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق
اهواءهم وانقلب باطلًا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى او لو اتبع الحق الذى جاء به
محمد اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيمة واهلك العالم من فوق عضبه او
اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يستهزاء به من الشرك والمعاصى لخرج عن الالوهية
ولم يقدر ان يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم
بالكتاب الذى هو ذكرهم اى وعظهم او وصيتهم او الذكر الذى تمنوه بقولهم

لوان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه
ام تسئلهم قيل انه تسبيم قوله ام به جنة خرجا اجرا على اداء الرسالة فخراج ربك رزقه
في الدنيا واوثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن اعطائهم والخرج
بازاء الداخل يقال لكل ما تخرجه المتميز ذلك والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه
استعارة بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به من عطاء الله اياه وقرأ ابن
عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين تقرير
لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم تتهدى العقول السليمة على استقامته
لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه الزمهم المحجة وازاح العلة في هذه الآيات
بان حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق
وقلة الفطنة وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط عن الصراط السوي
لناكبون لعادلون عنه فان خوف الاخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه
ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط ليجوا لتبتوا والليجاج التمادي في الشيء
في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين
يعمهون عن الهدى روي انهم لما طوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله
وقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف
والابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر فما
استكانوا لربهم وما يتضرعون بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان
استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت
فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو اشتهاد على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم بابا
ذا عذاب شديد يعني الجوع فانه اشد من القتل والاسر اذا هم فيه مبلسون
متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك اعتادهم ليستعطفك وهو الذي انشأ لكم
السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الايات والافئدة لتتفكروا بها
ولتستدلوا بها المعنى ذلك من المنافع الدينية والدنيوية قليلا ما تشكرون
لتشكرونها شكرا قليلا لان القلة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجلها والاذعان
لما تخبها من غير اشراك وما صلة للتاكيد وهو الذي ذراكم في الارض خلقكم وبثكم
فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي
ويميت وله اختلاف الليل والنهار ومختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون ذلك
لنسبته الى الشمس حقيقة او ولاءه وقضائه تعاقبهما او تفاضل احدهما وازديادا لآخر
افلا تعقلون بالنظر والتامل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث

البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا اي
كفار مكة مثل ما قال الاولون اباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا
وعظاما ائنا لمبعوثون استبعادا ولم يتاملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا لقد
وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة
لانه يستعمل الا فيما يتلهى به كالاجيب والاضاحيك وقيل جمع سطر سطر قل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا
لوطوحها لتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح والزاما لما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره
ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح قاضطرهم
بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها قل اي بعد ما قالوه افلا تذكرون فتعلموا ان من قطر
الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان بناء الخلق ليس اهون من اعادته
وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم فانها
اعظم من ذلك سيقولون لله قراءة ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على ما
يقتضيه لفظ سوال قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا
قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شيء ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه
وهو يجير يغيث من يشاء ويحميه ولا يجار عليه ولا يغاث احد ولا يمنع وتقديمه
على المضمر من معنى النصرة ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون فمن اين
يخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق
من التوحيد والوعد بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله
من ولد لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه في الالوهية اذا
لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف للدلالة
ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به
وامتاز ملكه عن الآخرين ولظهر بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن
بيده وحده ملكوت كل شيء والاذعان باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان
على استناد جميع الممكنات الى واجب الوجود سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك
لما سبق من الدليل على فساده عالم الغيب والشهادة مبتدا محذوف وقد جره ابن
كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل اخر على نفي الشريك بناء
على توافقهم في انه المنفرد بذلك ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفا قل
رب اما تريني ان كان لابد من ان ترينيه لان ما والنون للتاكيد ما يوعدون من العذاب
في الدنيا والاخرة رب فلا تجعلني في القوم الظالمين قرينا لهم في العذاب وهو اما

لهضم النفس ولان سوء الخلة قد يحيق بمن وراءهم كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انتزع اخير بنيته ان له فى امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامرهم بهذا الدعاء وتكريرا للنداء وتصديرا كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تفزيع وجوار واما على ان نرينك ما نعدهم لقادرون لكنا نؤخر علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد راه وهو قتل بدر او فتح مكة ادفع بالتى هى احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان فى مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن فى الدين وقيل هى كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنى السيئة لما فيه من التنبيه على التفضيل نحن اعلم بما يصفون بما يصفونك او بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم وكل الينا امرهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرايض شبه حثهم الناس عن المعاصى بهمز الراضة على المشى والجمع للمرات او التنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون فيحوا حولى فى شئ من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن وملول الاجل لانها احرى الاحوال ان يخاف عليه حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتاكيد الاعصاء بالاستعاذة بالله عن الشيطان ان ينزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون قال مختسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر رب ارجعون ردون الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعنى كما قيل فى قفا وانظرا لعلى اعمل صالحا فيما تركت فى الايمان الذى تركته اى لعلى اتى بالايمان واعمل فيه وقيل فى المال او فى الدنيا وعنه عليه السلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا ارجعك الى الدنيا فيقول دار الهموم والاحزان بل قدمونا الى الله تع واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعادها انها كلمة يعنى قوله رب ارجعون الخ والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلى عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حيوة تكون فى الاخرة فاذا نفخ فى الصور لقيام الساعة والقرة بفتح الواو وبكسر الصاد يؤيدان الصور ايضا جمع الصورة فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحسرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه

من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون ولا يسال بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهولا ينا قض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار فمن ثقلت موازينه موزونات عقايده واعماله اى ومن كانت له عقايد واعمال صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والدرجات ومن خفت موازينه ومن لم يكن له وزن وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها فى جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن اياتى تتلى عليكم على اضمار القول اى يقال لهم الم تكن اياتى فكنتم بها تكذبون تاثيث وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقراهما حمزة والكسائى شقاوتنا وتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة وكانوا قوما ضالين عن الحق ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا الى التكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسؤا فيها اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سوال من خساء الكلب اذا زجرته فخساء ولا تكلمون فى رفع العذاب اولا تكلمون رأسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فجابوا حق القول منى فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فجابوا ذلكم بانه اذا دعى الله وحده فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فجابوا انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا اخرنا فجابوا اولم تكونوا فقولون الفا اخرجنا نعمل صالحا فجابوا اولم نعمركم فيقولون الفا ربنا ارجعون فجابوا اخسؤا فيها فما لا يكون لهم الا زفير لهم وشهيق وعواء انه ان الشان وقرئ بالفتح اى لانه كان فريق من عبادى يعنى المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزوا وقراء نافع وحمزة والكسائى بضم السين وهما مصدرا سخر زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزؤ والمضموم من التسخرة بمعنى الانقياد والعبودية حتى انسوكم ذكرى من فرط تشاغلكم بالاستهزاء فلم تخافون فى اوليائى وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم انى جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم انهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مرادهم محصورين به

ثانى مفعول لجزيتهم وقراء حمزة والكسائى بالكسر استيناف فقال اى الله او الملك المأمور بسؤالهم وقراءة ابن كثير وحمزة والكسائى على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل النار كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ احياءً وامواتًا فى القبور عَدَدَ سِنِينَ تمييز لكم قالوا لَبِثْنا يَوْمًا او بَعْضَ يَوْمٍ استقصارا لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم فى النار اولانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار اولانها منقضية والمنقضى فى حكم المعدوم فاسأل العادّين الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اى الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعادين اى القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون قال وفى قراءة الكوفيين قل إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ تصديق لهم فى مقالتهم أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثًا توبيخ لهم على تعاطيهم ما يؤدى الى ذلك وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اى لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنعبدنا ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ معطوف على أَنَّما خَلَقْناكُمْ او عبثا وقراءة حمزة والكسائى ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الذى يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفى حال دون حال لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فان ما عداه عبيد رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ الذى يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم او لنسبة الى الكرام الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهًا آخَرَ بعبده لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ صفة اخرى لالها لازمة له فان الباطل لا برهان له جئ بها للتاكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك فَإِنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ فهو مجاز له مقدار ما يستحقه إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل والخبر حسابه عدم الفلاح بناء السورة بتصدير فلاح المؤمنين وختمها بنفى الفلاح عن الكافرين فامر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ عن النبى عليه السلام من قراء سورة المؤمنين ابشرت الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه انه قال لقد انزلت على عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قراء قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى زيادة فى اولها واخرها من كنوز الجنة من عمل بثلث ايات من اولها واتعظ باربع من اخرها افتدبخا وافلح

سورة النور ستون وقادر بحاية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ سُورَةٌ اى هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة أَنْزَلْناها صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل او دونك ونحوه وَفَرَضْناها وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة ما فرض فيها او المفروض عليهم او للمبالغة فى ايجابها وَأَنْزَلْنا فِيها آياتٍ بَيِّناتٍ واضحات الدلالة لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي اى فيما فرضنا او انزلنا حكمها وهو الجلد ويجوز ان يرتفعا بالابتداء والخبر فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ والفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذى وقرئا بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة للامر والزان بلا ياء وانما قدم الزانية لان الزنا فى الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يختص بمن ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن هو الرجم وذاد الشافعى تغريب المرة سنة لقوله ع البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس فى الآية ما يدفعه ليلتئم احدهما الآخر نسخا مقبولا او مردودا وله فى العبد ثلثة اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة فى نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود لرجمه ع يهوديين ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذى يقتص له من المسلم وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ فى طاعته واقامته حده فتعطلوه او تسامحوا فيه ولذلك قال ع لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقراء ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فان الايمان يقتضى الجد فى طاعة الله والاجتهاد فى اقامة احكامه وهو من باب التهييج وَلْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ زيادة فى التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر ما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول كل شئ من الطوف واقلها ثلثة وقيل واحد واثنان والمراد جمع يحصل به التشهير الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلَّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلَّا زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ اذ الغالب ان الميال الى الزنا لا يرغب فى نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب النفرة والافتراق وكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان او مشرك لكن المراد بيان احوال الرغبة فيهن لان الآية نزلت فى ضعفة المهاجرين لما عزموا ان يتزوجوا بغايا بكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزانى وحرم ذلك على المؤمنين

لانه تشبيه بالفساق وتعرض للتهمة وتستتبع لسوء المقالة والطعن فى النسب وغير ذلك
من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفى بمعنى النهى وقد قرئ
والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب والذى وردفيه او منسوخ بقوله وانكحوا
الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه عليه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح
واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطئ فيؤول الى نهى الزانى عن الزنا
الآبزانية والزانية اى يزنى بها الآزان وهو فاسد والذين يرمون المحصنات
يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوف بالاحصان وذكرهن عقيب الزوانى واعتبار اربعة
شهداء بقوله ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف
بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان
هنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين
الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة او لان قذف النساء اغلب
واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا تقبل شهادة زوج المقذوفة
خلافا لابى حنيفة ولكن ضربه احف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك
نقص عدده ولا تقبلوا لهم شهادة اى شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم
فى القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابى حنيفة لان الامر بالجلد
والنهى عن القبول سببان فى وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان
عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد اسوء مما بعده ابدا ما لم يتب وعند ابى حنيفة
الى اخر عمره واولئك هم الفاسقون المحكوم بفسقهم الا الذين تابوا
من بعد ذلك عن القذف واصلحوا اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام
للحد او الاستحلال عن المقذوف والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء
الشرط لهذا الامر ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام
له او الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهى ومحله الجر
على البدل من هم فى لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه غير موجب وقيل
منقطع متصل بما بعده فان الله غفور رحيم علة للاستثناء والذين يرمون
ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم نزلت فى هلال بن امية رمى
على فراشه وانفسهم بدل من شهداء اوصفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة
احدهم اربع شهادات فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم واربع
نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائى وحفص على انه خبر شهادات بالله
متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين اى

فيما رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسرت وعلق العامل عنه باللام
تاكيدا والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
فى الرمى وقراء نافع ويعقوب بالتخفيف فى الموضعين هذا لعان الرجل وحكم سقوط
حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه السلام
المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابى حنيفة ونفى الولد ان
تعرض له فيه وبثبوت حد الزنا على المراة لقوله ويدرؤ عنها العذاب اى الحد
ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به والخامسة ان
غضب الله عليها ان كان من الصادقين فى ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها
الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقراء نافع ان غضب الله
ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم
اى لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ان الذين جاؤا بالافك بالغ ما يكون من الكذب
من الافك وهو الصرف لانه مؤفك عن وجهه والمراد ما افك به على عايشة رض
وذلك انه ع استصحبها فى بعض الغزوات فاذن ليلة فى القفول بالرحيل فمشت
لقضاء حاجة فرجعت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع
فرجعت لتلتمسه فظن الذى كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله على مطيتها
وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد به احدا فجلست كى يرجع اليها منشدا وكان
صفوان بن المعطل السلمى قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها
فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به عصبة منكم
جماعة منكم وهى من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن
ابى وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم
وهى خبر ان وقوله لا تحسبوه شرا لكم مستانف والخطاب للرسول وابى بكر
وعايشة وصفوان والهاء للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم
وظهور كرامتكم على الله بانزال ثمانى عشرة آية فى براءتكم وتعظيم شانكم وتهويل
الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم
لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه محتقبا به والذى تولى كبره تعظم وقراءة يعقوب
بالضم وهو لغة فيه منهم من الخائضين وهو ابن ابى فانه بداء به واذاعه عداوة
لرسول الله او هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذى بمعنى الذين
له عذاب عظيم فى الاخرة او فى الدنيا بان جلد واوضار ابن ابى مطرودا مشهورا بالنفاق
وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح معكوف البصر لولا هلا اذ سمعتموه ظن

المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله
ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة فى التوبيخ
واشعارا بان الايمان يقتضى ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب
الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف
لانه متنزل منزلة من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع فى غيره
وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التخصيص على ان لا يخلوا باوله وقالوا هذا
افك مبين كما يقول المبتهت المطلع على الحال لولا جاؤا عليه باربعة شهداء
فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون من جملة المقول
تقديرا لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه فكذب عند الله اى فى حكمه ولذلك
رتب الحد عليه ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والاخرة لولا هذا
لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى ولولا فضل الله عليكم فى الدنيا بانواع النعم
التى من جملتها الامهال للتوبة ورحمته فى الاخرة بالعفو والمغفرة المقتضيان لكم
لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه خضتم فيه عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم والحد
اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه بالسنتكم يأخذه بعضكم من بعض بالتلوك
يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقنونه من لقيه
اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتاء
لقونه من الالق والوتق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه
اى تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اى وتقولون كلاما مختصا بالافواه
بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به فى قلوبكم كقوله يقولون بافواههم
ما ليس فى قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله عظيم فى الوزر
واستجرار العذاب فهذه ثلثة اياء مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقى الافك
بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ولولا اذ
سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا ما ينبغى وما يصح لنا سبحانك هذا بهتان
يجوز ان يكون الاشارة الى القول المخصوص وان يكون الى نوعه فان قذف احاد الناس محرم شرعا
فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله بهتان عظيم يتعجب ممن يقدم
ذلك واصله انه يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تع من ان يصعب عليه مثله يذكر فاستعمل
لكل متعجب او تنزيه لله من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها تنفير عنه ويخل بمقصود
الزواج مخلا كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله يعظكم الله لعظمة المبهوت عليه
فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها ان تعودوا لمثله كراهة ان تعودوا

تعودوا او فى ان تعودوا ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فان الايمان يمنع
عنه وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الايات الدلالة على الشرايع ومحاسن الاداب
لتتعظوا وتتادبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم فى تدابيره ولا يجوز الكشحنة
على بنيته ولا تقريره عليها ان الذين يحبون يريدون ان تشيع ان تنتشر الفاحشة
فى الذين امنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والاخرة بالحد والتعزير ان عزر ذلك والله
يعلم ما فى الضمائر وانتم لا تعلمون فعاقبوا فى الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله
سبحانه وتعالى يعاقب على ما وقع فى القلوب من حب الاشاعة ولولا فضل الله عليكم
ورحمته تكرير للمنة بترك العاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة وكذا عطف
قوله وان الله رؤف رحيم على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو
مستغنى عنه بذكره مرة يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان
باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر
بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهى عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر
ما انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية للذنوب
وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم من احد ابدا آخر الدهر
ولكن الله يزكى من يشاء يحمله على التوبة وقبولها والله سميع لمقالهم عليم
بنياتهم ولا يأتل ولا يحلف افتعال من الالية او لا يقصر من الالو ويؤيده الاولى
انه قرئ ولا يتأل وانه نزل فى ابى بكر وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن
خالته وكان من فقراء المهاجرين اولوا الفضل منكم فى الدين والسعة فى المال
وفيه دليل على فضل ابى بكر وشرفه ان يؤتوا على ان لا يؤتوا او فى ان يؤتوا وقرئ
بالتاء على الالتفات اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله صفات
لموصوف واحد اى ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها
فيكون ابلغ فى تعليل المقصود وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض عنه الا تحبون
ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم
مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روى انه لما قرأها على ابى بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح
نفقته ان الذين يرمون المحصنات العفايف الغافلات مما قذفن به المؤمنات
بالله ورسوله استباحة لعرضهن وطعنا فى الرسول والمؤمنين كان ابى لعنوا فى الدنيا
والاخرة لما طعنوا فيهن ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف
ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبى عليه السلام ولذلك قال ابن عباس رض
لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل فى افك عايشة رضى الله

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ ظرف لما فى لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ
حمزة والكسائى بالياء للتقدم والفصل اَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ يقترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم او بظهور اثاره عليها وفى
ذلك مزيد تهويل للعذاب يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ جزاءهم المستحق وَيَعْلَمُونَ
لمعاينتهم الامر اَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه
فى ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق المبين اى المعادله
الظاهر عدله ومن كان هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم لامحالة اَلْخَبِيثَاتُ
لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ
اى الخبائث يتزوجن الخبثاء وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل
على قوله اولئك اى اهل بيت النبى عليه السلام او الرسول وعايشة وصفوان مُبَرَّءُونَ
مِمَّا يَقُولُونَ اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم تقرّ عليه وقيل الخبيثات والطيبات
من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير فى يقولون للافكين اى مبرّؤن مما يقولون
فيهم او للخبيثين والخبيثات اى مبرّؤن من يقولوا مثل قولهم لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ
يعنى الجنة ولقد برّاء الله اربعةً باربعةٍ براء يوسف عم بشاهد من اهلها وموسى
من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعايشة بهذه
الآيات مع المبالغات وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول واعلاء منزلته يا اَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ التى تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا
لا يدخلان الا باذن حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا تستأذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام
من آنس الشئ اذا ابصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد
دخوله او يؤذن له اومن الاستيناس الذى هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن
مستوحش خائف ان لا يؤذن فاذا اذن استأنس او تعرّفوا اهل هذا اسناد من الانس
وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا بان تقولوا السلام عليكم لادخل وعنه عم التسليم ان يقول
السلام عليكم اءدخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ اى
الاستيذان او التسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على هيئة الجاهلية كان الرجل
منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع
امرأته فى لحاف وروى ان رجلا قال للنبى عم استأذن على امى قال نعم قال انها ليس لها خادم
غيرى استأذن كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال لا فاستأذن لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
متعلق بمحذوف اى نزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تتذكروا او تعلموا بما هو اصلح لكم
فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا يأذن لكم فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ حتى يأتى من يأذن لكم

لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس
عادة مع ان التصرف فى ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حَرَقٌ
او غَرَقٌ او كان فيه منكر ونحوها وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ولا تلجوا
هُوَ أَزْكَى لَكُمْ الرجوع اطهر لكم عما لا يخلوا الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة
وترك المروّة او انفع لدينكم ودنياكم وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ فيعلم ما تؤثرون
وما تذرون فما خوطبتم به فيجازيكم عليه لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا
غَيْرَ مَسْكُونَةٍ كالربط والخانات والحوانيت فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ استمتاع لكم كالاكنان
من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم
السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ
وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على عورات قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ
اى ما يكون بحرم محترم وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان
المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل
حفظ الفروج ههنا خاصة سترها ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ انفع لهم واطهر لما فيه من البعد
على الريبة إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمالهم
سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه فى كل حركة
وسكون وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ فلا ينظرن الى ما يحل لهن النظر
اليه من الرجال وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ بالتستر والتحفظ عن الزنا وتقديم الغضّ لان
النظر يريد الزنا وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ كالحلى والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها
لمن لا يحل ان تبدى له إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان
فى سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف وما يقع المحاسن المخلقية
والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا
فى الصلوة لا فى النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شئ منها
الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ سترا لاعناقهن
وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ
فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره او
آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ
أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ لكثرة مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما فى الطبايع من النفرة
عن مماسة القرايب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر
الاعمام والاخوال لانهم فى معنى الاخوان اولان الاخوط ان يستترن عنهم حذرا

ان يصفوهن لابنائهن او بنائهن يعني المؤمنات فان الكافرات لا يتحرجن وصفهن
للرجال او النساء كلهن والعلماء في ذلك خلاف او ما ملكت ايمانهن
يعم الاماء والعبيد لما روي انه ع اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا
قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال ع انه ليس
عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبي
او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي اولي الحاجة الى النساء وهم شيوخ الهم
والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس
لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقراء ابن عامر وابو بكر غير بالنصب
على الحال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور
بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل
جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما
يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث
ميلا في الرجال وهو ابلغ من النهي عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت
وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون اذ لا يكاد يخلو احدكم من تفريط ستما في الكف
عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلون في الجاهلية فانه واجب بالاسلام لكن
يجب التنبيه عليه والعزم على الكف كلما يتذكر لعلكم تفلحون بسعادة الدارين
وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم لما نهى عما عسى
ان يفضي الى التساهل المخل بالنسب المقتضي للالفة وحسن التربية ومزيد
الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه امر بالنكاح
الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية
والمملوك وذلك عند طلبهما واشعار بان المرأة والعبد لا يستبدان به
اذ لو استبدا لما وجب على الولي والمولى وايامى مقلوب ايايم كبنا مجموع
وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا او ثيبا قال فان تنكحي انكح وان تتايمي
وان كنت افتى منكم ايايم وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم
والاهتمام بشانهم اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه
ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رد لما عسى يمنع من النكاح والمعنى
لا يمنعن فقر الخاطب والمخطوبة من المناكحة فان في فضل الله غنية عن المال
فانه غاد ورائح او وعد من الله بالاغناء كقوله ع اطلبوا الغنى في هذه الاية
لكن مشروطة بالمشية لقوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله

من فضله ان شاء والله واسع ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا تتناهى قدرته
عليم يبسط الرزق ويقدر على ما يقتضيه حكمته وليستعفف
الذين وليجتهد في العفة وقمع الشهوة لا يجدون نكاحا اسبابه ويجوز
ان يراد بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان التمكن منه حتى يغنيهم الله
من فضله فيجدوا ما يتزوجون به والذين يبتغون الكتاب المكاتبة
وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب
على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه قما يكتب لتاجيله من الكتب
بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض فما ملكت
ايمانكم عبدا كان او امة والموصول بصلته مبتدا خبره فكاتبوهم او
مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب
عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها
واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق
لا يعم مع ان التعجيز عن الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند
المحل ان علمتم فيهم خيرا امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد
روي مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظ لفظا ومعنى
وهو شرط الامر فلا يلزم من عدم عدم الجواز وآتوهم من مال الله الذي
آتاكم امر للموالي كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من اموالهم وفي معناه حط
شيء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفي اقل ما يتمول وعن علي رض
يحط الربع وعن ابن عباس رض الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد
ان يؤدوا او يعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم
سهمهم من الزكوة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا يأخذه صدقة كالداين
والمشتري ويدل عليه قوله ع في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا
هدية ولا تكرهوا فتياتكم امائكم على البغاء على الزنا كما كان لعبد الله بن ابي
ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله
فنزلت ان اردن تحصنا تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل
شرطا للنهي لم يلزم من عدم جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي بامتناع
المنهي عنه وايثار ان على اذا لانه اراد ان التحصن من الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا
عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن
او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود رض من بعد اكراههن

بهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة اثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه
لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص
ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات يعني الايات التي بينت في هذه السورة او
فيها الاحكام والحدود وقراء ابن عامر وحمزة والكسائي بالكسر لانها اوضحت
نصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين او لانها
بينت الاحكام والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ومثلا من امثال من قبلكم
اي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة فانها كقصة يوسف ومريم
وموعظة للمتقين يعني ما وعظ به في تلك الايات وتخصيص المتقين لانهم
المنتفعون بها وقيل المراد بالايات القرآن والصفات المذكورة صفات الله نور
السموات والارض والنور في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها
سائر المبصرات كالكيفية الفايضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما
وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تع الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم اي بمعنى
ذو كرم او على تجوز واما بمعنى منور السموات والارض وقد قرئ به فانه تع نورها
بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار وبالملائكة والانبياء او مدبرها من قولهم
للرئيس الفايق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور او موجدها فان
النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور وهو موجود كما ان اصل الخفاء هو العدم
والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه او الذي به تدرك او يدرك اهلها
من حيث انه نور يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها له في توقف الادراك
عليه تم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات
والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل
تم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهي اذا من سبب يفيضها عليها
وهو الله سبحانه وتع ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك سموا انوارا
ويقرب منه قول ابن عباس رض هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما
لدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالها على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات
البشرية عليها وعلى المتعلق بها والمدلول لها مثل نوره صفة نوره العجيبة الشان
واضافته الى ضميره سبحانه وتع دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كمشكاة
كصفة مشكاة وهي الكوة في الغير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل
المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح
في زجاجة في قنديل من الزجاج الزجاجة كانها كوكب دري معنى مشتق كالزهرة

كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه
او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلب همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على
الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي دري كشنب وقد قرئ به مقلوبا يوقد من شجرة
مباركة زيتونة اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان
رؤيت ذيالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة تزايد الزيتونة عنها
فخيم لشانها وقراءة نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة
والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد
بمعنى تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب لا شرقية ولا غربية
تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة
او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون نضيجة وزيتها اصفى واللانابتة في شرق المعمورة
وغربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون واللا في مضحى تشرق
الشمس عليها دائما فتحرقها او في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث
لا خير في شجرة ولا بنان في مقناة ولا خير فيها في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار اي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه نور على نور نور
متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط
المشكاة لاشعته وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الاول ان تمثيل الهدى الذي دل عليه
الايات المبينات في مبدء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او
تشبيه الهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وحيلاتهم بالمصباح وانما
ولما لكان في المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه بما وفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل
لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المبتدء منها من مصاها
ويؤيده قراءة ابي مثل نور المؤمن او تمثيل ما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس
المترتبة التي ينوط بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس
الخمس والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى
شاءت والعاملة التي تدرك الحقايق الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات
لتستفتح بها علم ما لم تعلم والقوة القدسية التي تتجلى بها لوايح الغيب واسرار الكونين
المختصة بالانبياء والاولياء المعينة بقوله تع ولكن جعلناه نورا نهدي به
من نشاء بالاشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكوة والزجاجة والمصباح
والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكوة لانها محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لانها
مواردها واضائتها بالمعقولات لادبا الذات والخيالية كالزجاجة فانها تقبل صور المدركات

من الجوانب وضبطها الى الانوار العقلية واناراتها بما يشتمل عليها من المعقولات
والعاقلة كالمصباح لاضائتها بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والمفكرة
بالشجرة المباركة لتأديتها الى ثمرات لانهاية لها والزيتونة المثمرة بالزيت الذى
هو مادة المصباح التى لاتكون شرقية ولاغربية لتجردها عن اللواحق الجسمية
اولوعها بين الصور والمعانى متصرفة فى القبلتين منتفعة من الجانبين والقوة
القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضئ بالمعارف من غير تفكر ولا
تعليم اوتمثيل للقوة العقلية فى سراياتها بذلك فانها فى بدأ امرها خالية عن العلوم
مستعدة لقبولها كالمشكوة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساساتها الجزئية
بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة فى نفسها قابلة للانوار
وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد والشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت
وان كان بقوة قدسية فكالذى يكاد زيتها يضئ لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل
بملك الوحى والالهام الذى مثله النار من حيث ان العقول تستضئ عنها فاذا
حصلت له العلوم بحيث تتمكن من استحضارها كان نورا على نور يهدى الله لنوره
اى لهذا النور الثاقب من يشاء فان الاستبداد بمشية لاغنية اذ بها تمامها
ويضرب الله الامثال للناس ادناء للمفعول من المحسوس توضيحا وبيانا والله بكل
شئ عليم معقولا كان اومحسوسا ظاهرا كان اوخفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها
ولمن لم يكترث بها فى بيوت متعلق بما قبله اى كمشكوة فى بيوت او توقد فى بيوت
فيكون تفسيرا للممثل به بما يكون تحقيرا ومبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم
اوتمثيلا لصلاة المؤمنين اوابدانهم بالمساجد ولاينافى جمع البيوت وحدة المشكوة اذ المراد
بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولاكثرة اوبما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد
لايذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله اومحذوف مثل سبحوا فى بيوت والمراد بها
المساجد لانها الصفة تلايها وقيل المساجد الثلثة والتكرير للتعظيم اذن الله ان
ترفع بالبناء او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة فى العلم
والمباحثة فى احكامه يسبح له فيها بالغدو والاصال ينزهونه اويصلون له فيها بالغدوات
والعشيات والغدو مصدر الملحق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالاصال وهو جمع اصيل
وقرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل وقراء ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح على
اسناده الى احد الظرف الثلثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالبناء مكسورا
لتأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى الاوقات الغدو رجال لاتلهيهم تجارة
لاتشغلهم معاملة رابحة ولابيع عن ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص

التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة اوبافراد ما هو اتم من قسمى التجارة فان الربح
يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى وقيل المراد بالتجارة الشرى فانها اصلها ومبداءها
وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال بحر فى كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار
واقام الصلوة عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال
كقوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا وايتاء الزكوة ما يجب اخراجه من المال
للمستحقين يخافون يوما مع ما هم عليه من الذكر والطاعة تتقلب فيه القلوب
والابصار تضطرب وتتغير من الهول اوتتقلب احوالها فتفقه القلوب مالم تكن تفقه
وتبصر الابصار مالم تكن تبصر وتتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار
من اى ناحية تؤتى وتوتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بيسبح اولا تلهيهم اويخافون
احسن ما عملوا احسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة ويزيدهم من فضله اشيئا
لم يعدهم على اعمالهم ولم يخطر ببالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير للزيادة
وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشية وسعة الاحسان والذين كفروا اعمالهم
كسراب بقيعة والذين حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التى يحسبونها صالحة نافعة
عند الله يجدونها لاغنية مخيبة فى العاقبة كالسراب وهو ما يرى فى الفلاة من لمعان
الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اى يجرى والقيعة بمعنى القاع وهو
الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات فى دية يحسبه
الظمآن ماء اى العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر فى شدة الخيبة عند
مسيس الحاجة حتى اذا جاءه جاء ما توهمه ماء اوموضعه لم يجده شيئا تمام التمثيل
ووجد الله عنده عقابه اوزبانيته اووجده محاسبا اياه فوفاه حسابه
استعراضا اومجازاة والله سريع الحساب لايشغله حساب عن حساب روى
انها نزلت فى عتبة بن ربيعة بن امية بن عبد فى الجاهلية والتمس الدين فلما جاء
الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغنية
لاتنفعها كالسراب ولكونها غالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر
والامواج والتنخا او للتسويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة
فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات فى الدنيا وكالسراب فى الاخرة
فى بحر لجى عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشاه يغشى البحر موج من
فوقه موج اى امواج متزادفة متراكمة من فوقه من فوق الموج الثانى سحاب
غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر بعضها فوق بعض وقراء ابن
كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى اوباضافة السحاب اليها اذا خرج يده وهى

اقرب مايرى اليه لم يكد يراها لم يقرب ان يراها كقوله اذا اعتبر الناشئ المحتبين لم يكد رسيس الهوى من جب مية يبرح والقمار الواقع فى البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا ومن لم يقدر له الهداية لم يوفقه لاسبابها فما له من نور خلق الموفق الذى له نور على نور الم تر الم تعلم علما يشبه المشاهدة فى اليقين والوثاقة بالموحى والاستدلال ان الله يسبح له من فى السموات والارض ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء والملائكة والثقلان بما يدل عليه من قال اودلالة حال والطير على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهرة ولذلك قيدها بقوله صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقف فى الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره كل كل واحد مما ذكر اوكل من قد علم صلاته وتسبيحه اى قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا اوطبعا لقوله والله عليم بما يفعلون اوعلم كل على تشبيه حاله فى الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة فى اسباب معيشتها لا يكاد يهتدى اليه العقلاء ولله ملك السموات والارض فانه الخالق لها ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب والى الله المصير مرجع الجميع الم تر ان الله يزجى سحابا يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ثم يؤلف بينه بان يكون فزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال فى جبل وقرئ من خلله ويُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ من الغمام وكل ما علاك فهو سماء من جبال من قطع عظام تشبه الجبال فى عظمها او جموها فيها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان يكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما فى الارض جبال من حجر وليس فى العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم يحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى

الى الاجزاء النجارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء برد امفرطا فينقض وينعقد سحابا وينزل منه المطر والثلج وكل ذلك لابد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء والضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال فى السين وبرقه بفتح الراء وهو جمع برقة وهى المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع يذهب بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث ان توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الاخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك ان فى ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولى الابصار لدلالته على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيته وتنزيهه عن الحاجة وما يفضى اليها لمن يرجع الى بصره والله خلق كل دابة حيوان يدب على الارض وقراء حمزة والكسائى خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادتها او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للاكثر منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق فمنهم من يمشى على بطنه كالحية وانما سمى الزحف مشيا على الاستعارة للمشاكلة ومنهم من يمشى على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشى على اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ما اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرق فى القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبايع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيته ان الله على كل شئ قدير فيفعل ما يشاء لقد انزلنا آيات مبينات للحقايق بانواع الدلائل والله يهدى من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول نزلت فى بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الكعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبى عليه السلام وقيل مغيرة بن وائل خاصم عليا فى ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول ثم

وَاَطَعْنَا اى واطعنا لما دعينا اليه ثُمَّ يَتَوَلّٰى بالامتناع عن قبول حكمه فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ
ذٰلِكَ بعد قولهم هذا وَمَا اُولٰٓئِكَ بِالْمُؤْمِنِيْنَ اشارة الى القائلين باسرهم فيكون
اعلامًا من الله بان جميعهم وان امنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق
منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين
الذين عرفهم وهم المخلصون فى الايمان والثابتون عليه وَاِذَا دُعُوْٓا اِلَى اللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ اى ليحكم النبى عليه السلام فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه
وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه فى الحقيقة حكم الله اِذَا فَرِيْقٌ
مِّنْهُمْ مُّعْرِضُوْنَ فاذا جاء فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم
بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه وَاِنْ يَّكُنْ لَّهُمُ الْحَقُّ اى الحكم
لا عليهم يَاْتُوْٓا اِلَيْهِ مُذْعِنِيْنَ منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والصلة ليأتوا
اولمذعنين وتقديمه للاختصاص اَفِيْ قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ كفر اَوِ ارْتَابُوْٓا وسل الى الظلم ام
ارتابوا بان رأوا منك تهمة فزال ثقتهم ويقينهم بك اَمْ يَخَافُوْنَ ان يحيف
اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُوْلُهٗ فى الحكمة بَلْ اُولٰٓئِكَ هُمُ الظّٰلِمُوْنَ اضراب عن القسمين
الآخرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم
او فى الحاكم والثانى اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان
منصب النبوة وفرط امانته يمنعه فيتعين الاول وظلمهم بتم خلل عقيدتهم
وميل نفوسهم الى الحيف والفضل لنفوذ ذلك عن عزهم وتيمم المدعو الى حكمه اِنَّمَا
كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِيْنَ اِذَا دُعُوْٓا اِلَى اللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ اَنْ يَّقُوْلُوْا سَمِعْنَا
وَاَطَعْنَا وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ على عادته تع فى اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على
ما ينبغى بعد انكاره لما لا ينبغى وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده
الى ضمير مصدر على معنى ليفعل الحكم وَمَنْ يُّطِعِ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ فيما يأمرانه او
فى الفرائض والسنن وَيَخْشَ اللّٰهَ على ما صدر عنه من الذنوب وَيَتَّقْهِ
فيما بقى من عمره وقراء يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو عمرو وابو بكر بسكون
الهاء وحفص بسكون القاف فنشبه بكتف وخفف فَاُولٰٓئِكَ هُمُ
الْفَآئِزُوْنَ بالنعيم المقيم وَاَقْسَمُوْا بِاللّٰهِ جَهْدَ اَيْمَانِهِمْ انكار للامتناع عن
حكمه لَئِنْ اَمَرْتَهُمْ بالخروج عن ديارهم واموالهم لَيَخْرُجُنَّ جواب لاقسموا على
المكاية قُلْ لَّا تُقْسِمُوْا على الكذب طَاعَةٌ مَّعْرُوْفَةٌ اى المطلوب منكم معروفة لا
اليمين الطاعة النفاقية المنكرة او طاعة معروفة امثل منها ولتكن طاعة وقرئت
بالنصب على اطيعوا طاعة اِنَّ اللّٰهَ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ فلا يخفى عليه سرائركم قُلْ

قُلْ اَطِيْعُوا اللّٰهَ وَاَطِيْعُوا الرَّسُوْلَ امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة
فى تبكيتهم فَاِنْ تَوَلَّوْا فانما عليه عَلٰى مُحَمَّدٍ مَّا حُمِّلَ من التبليغ وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِّلْتُمْ
من الامتثال وَاِنْ تُطِيْعُوْهُ فى حكمه تَهْتَدُوْا الى الحق وَمَا عَلَى الرَّسُوْلِ اِلَّا
الْبَلٰغُ الْمُبِيْنُ التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادى وانما بقى ما حملتم فان ادّيتم
فلكم وان تولّيتم فعليكم وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ
خطاب الرسول والامة اوله ولمن معه ومن بالبيّا لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْاَرْضِ
ليجعلنهم خلفاء متصرفين فى الارض تصرف الملوك فى مماليكهم وهو جواب قسم
مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم والوعد فى تحققه ينزل منزلة
القسم كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ يعنى بنى اسرائيل استخلفهم فى مصر والشام
بعد الجبابرة وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِيْنَهُمُ الَّذِى ارْتَضٰى لَهُمْ وهو الاسلام بالتقوية
والتثبيت وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ من الاعداء اَمْنًا منهم وكان رسول الله
واصحابه بمكة ثلاث عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة فكانوا يصبحون
فى السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم
بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار على الغيب على ما هو به
وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع
وقيل الخوف من العدا والامن منه فى الآخرة يَعْبُدُوْنَنِىْ حال من الذين
لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استيناف بيّا المقتضى للاستخلاف والامن
لَا يُشْرِكُوْنَ بِىْ شَيْئًا حال من الواو اى يعبدونى غير مشركين وَمَنْ كَفَرَ ومن ارتد
او كفر هذه النعمة بَعْدَ ذٰلِكَ بعد الوعد وحصول الخلافة فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْفٰسِقُوْنَ
الكاملون فى فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيا او كفروا بتلك
النعمة العظيمة وَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ وَاَطِيْعُوا الرَّسُوْلَ فى سائر ما
امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المأمور به
فيكون تكريرا للامر بطاعة الرسول للتاكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هى فيه
بقوله لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ كما علق به الهدى لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مُعْجِزِيْنَ فِى الْاَرْضِ
ولا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفى الارض صلة معجزين
او ولا تحسبن الكفار فى الارض احدا معجزا لله فيكون فى الارض مفعوليه اولا تحسبنهم
معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين كشئ واحد فاكتفى بذكر اثنين
عن الثالث وقراء ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالاول فى الاحتمالات وَمَاْوٰىهُمُ النَّارُ
عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا اليسوا معجزين وماويهم النار

لان المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز وليس المصير الماوى
الذى يصيرون اليه يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم
رجوع الى تتمة الاحكام السابقة بعد الفراغ عن الاهتمام الدالة على وجوب الطاعة
فيما سلف من الاحكام وغيره والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به
حظر الرجال والنساء عليهم الرجال لما روى ان غلام اسماء بنت ابى مرثد دخل
عليها فى وقت كريهة فنزلت وقيل ارسل رسول الله مدلج بن عمرو الانصارى
وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عن ثوبه
فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى اباءنا وابناءنا واخذ منا ان لا يدخلوا
بهذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبى فوجده وقد انزلت
عليه هذه الآية والذين لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان الذين لم يبلغوا
من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله ثلث مرات فى اليوم
والليلة مرة من قبل صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب
النوم ولبس اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلث مرات او الرفع خبرا لمحذوف
اى هى من قبل وحين تضعون ثيابكم اى ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة
بيان للحين ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف
بالفراش ثلث عورات لكم اى هى ثلث اوقات يختل فيها ستركم ويجوز
ان يكون مبتداء وخبره ما بعده واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان
ورجل اعور وقراء حمزة والكسائى وابو بكر بالنصب بدلا من ثلاث مرات
ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات فى ترك الاستيذان
وليس فيه ما ينافى اية الاستيذان فينسخها لانه فى الصبيان ومماليك
المدخولات عليه وتلك فى الاحرار البالغين طوافون عليكم اى هم
طوافون استغنينا بذينا العذر المرخص فى ترك الاستئذان وهو المخالطة
وكثرة المداخلة وفيه دليل على تقليل الاحكام وكذا فى الفرق بين الاوقات
الثلث وعينها بانها عورات بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض
او يطوف بعضكم على بعض كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم
الآيات اى الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما يشرع لكم واذا
بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم
الذين بلغوا من قبلهم فى الاوقات كلها واستدل به من اوجب استيذان
العبد البالغ على سيده وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قدوة

قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم
كرره تاكيدا ومبالغة فى الامر بالاستيذان والقواعد من النساء العجائز التى
قعدن عن الحيض والحمل اللاتى لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه لكبرهن فليس
عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اى الثياب الظاهرة كالجلباب والقناع فيه لان اللام
فى القواعد بمعنى اللاتى او لوصفها بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة ما امرن
باخفائه فى قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف فى اظهار ما يخفى
من قولهم سفينة بارحة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها
محيطا بسوادها كلها لا يعيب منه شئ الا انه حض بكشف المرأة زينتها ومحاسنها
للرجال وان يستعففن خير لهن من الوضع لانه بعيد من التهمة والله سميع
لمقالهن للرجال عليم بمقصودهن ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج
ولا على المريض حرج نفى لما كانوا يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم
اواكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو
وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك من طيبة قلب ومن اجابة من يدعوهم
الى بيوت اباءهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكون كلا عليهم وهذا انما
يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة او كان فى اول الاسلام بنحو قوله
لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الطعام وقيل نفى للحرج عنهم فى القعود
عن الجهاد وهو لا يلايم ما قبله وما بعده ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم
من البيوت التى فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد
كبيته لقوله انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان
ولده من كسبه او بيوت اباءكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت
اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم
او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت ايديكم وتتصرفون من ضيعة او ماشية
وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ
مفتاحه او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط فى اموالهم واسر به
وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن
او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم او كان فى اول الاسلام فنسخ
فلا احتجاج للحنفية به على ان لا قطع بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح ان تاكلوا
جميعا او اشتاتا مجتمعين او متفرقين فنزلت فى بنى ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون
ان ياكل وحده او فى قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا معه او فى قوم تحرجوا

عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطعام فى القرابة والتهمة فاذا دخلتم بيوتا
من هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها الذين منكم دينا وقرابة تحية
من عند الله ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها
طلب الحيوة وهى من عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم مباركة
طيبة تطيب بها نفس المسلم وعن ابن زيد انه عليه السلام قال يا بنى اذا لقيت
احدا من امتى فسلم عليه يطل عمرك فاذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك
وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاولين كذلك يبين الله لكم الايات
كرره ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختمة به وفصل الاولين بما هو المقتضى
لذلك وهنا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اى الحق والخير فى الامور
انما المؤمنون اى الكاملون فى الايمان الذين امنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم
واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة فى الامور
ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا حتى يستاذنوه يستاذنك
رسول الله فيأذن لهم واعتباره فى كمال الايمان لانه كالمصداق الصحته والمميز
للمخلص فيه عن المنافق فانه يديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم فى الذهاب
عن مجلس رسول الله بغير اذنه ولذلك اعاد مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ان
الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فانه يفيد ان المستاذن
مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك فاذا استاذنوك لبعض شانهم
ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر فاذن لمن شئت منهم
تفويض للامر الى راى الرسول واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة الى رايه ومن
منع ذلك قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدقه وكان المعنى فاذن لمن علمت
ان له عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان ولو لعذر قصور ولانه
لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات العباد رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا
فى جواز الاعراض والمساهلة فى الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة
والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه
ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبى الله ويا رسول الله مع
التوقير والتواضع وخفض الصوت ولا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فاذنا
بسخطه فان دعاءه موجب ولا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده
اخرى فان دعاءه مستجاب قد يعلم الله الذين يتسللون منكم يتسللون قليلا قليلا من

من الجماعة ونظيره تسلل بتدريج وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض
حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ
بالفتح فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون
سمتا خلاف سمته وعن التضمين معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين
من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان
المخالف عنه والضمير لله فان الامر له فى الحقيقة او للرسول فانه المقصود
بالذكر ان تصيبهم فتنة محنة فى الدنيا او يصيبهم عذاب اليم فى الاخرة
واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد
العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على حسنه المشروط بقيام المقتضى له وذلك
يستلزم الوجوب الا ان لله ما فى السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه
ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد
علمه بقد لتاكيد الوعيد ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون اليه
للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات فينبئهم بما
عملوا من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه والله بكل شئ عليم
لا يخفى عليه خافية عن التهدم من قرأ سورة النور اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل من ءامن منه ومن لم يؤمن

سورة الفرقان مكية وهى سبع وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذى نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة
وهى كثرة الخير او تزايد على كل شئ ويقال عنه فى صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى
الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير اولدلالته على تعاليه وقيل
دام برؤك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل
الا لله تع والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمى به القرآن لفصله بين
الحق والباطل بتقريره او الحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض فى الانزال
وقرئ على عباده وهم رسول الله وامته كقوله لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان
الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ليكون العبد والفرقان للعالمين للجن والانس نذيرا
منذرا او نذيرا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها القوة دليلها
اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذى له ملك السموات والارض بدل من الاول
او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم النصارى ولم يكن له شريك فى الملك
كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا وفى ما يقوم مقامه ويقاومه فيه تم بنه على ما يليق

عليه فقال وخلق كل شئ احدثه احداثا مراعا فيه التقدير حسب ارادته كخلق الانسان
من موادّ مخصوصة وصور واشكال معيّنة فقدّره تقديرا ففدره وهيّاه لما اراد
منه الخصايص والافعال كهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط
الصّنايع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة المغيرة ذلك او فقدره للبقاء الى اجل
مسمّى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد
كل شئ فقدّره فى ايجاده حتى لا يكون متفاوتا واتخذوا من دونه الهة لما تضمن
الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ فى الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا
وهم يخلقون لان عبدتهم يحجرونهم ويصورونهم ولا يملكون ولا يستطيعون
لانفسهم ضرّا دفع ضرّ ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا
نشورا ولا يملكون اماتة احد واحياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فمعزل
عن الالوهية لمرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب
ان يكون قادرا على البعث والجزاء وقال الذين كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف
عن وجهه افتراه اختلقه واعانه عليه قوم اخرون اى اليهود فانهم يلقونه
اليه اخبار الامم وهو يعبّر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق فى قوله
تع انما يعلمه بشر فقد جاءوا ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلفا متلقفا من اليهود
وزورا بنسبة ما هو برئ منه اليه والى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعدّيان تعديته
وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون اكتتبها كتبها لنفسه او استكتبها املى
على البناء للمفعول لانه امّى واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار
اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبنى الفعل للضمير فاستتر فيه فهى تملى عليه بكرة واصيلا
ليحفظها فانه امّى لا يقدر ان يكرر من الكتاب او ليكتب قل انزله الذى يعلم السر
فى السموات والارض لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمن اخبارا عن مغيبات
مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا علام الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين
انه كان غفورا رحيما فلذلك لا يعجل فى عقوبتكم العظام ما تقولون مع كمال قدرته عليها
واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبّا وقالوا مال هذا الرسول مالهذا الذى يزعم الرسالة
وفيه استهانة وتهكم يأكل الطعام كما تأكل ويمشى فى الاسواق لطلب المعاش كما نمشى
والمعنى ان صحّ دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك وقصور نظرهم على المحسوسات
فانّ تميّز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله
تع قل انما انا بشر مثلكم يوحى الىّ انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك فيكون معه
نذيرا لنعلم صدقه بتصديق الملك او يلقى اليه كنز فيستظهر به ويستغنى عن تحصيل المعاش

المعاش او يكون له جنة يأكل منها هذا بسبيل التنزل اى لم يلق اليه كنز فلا
اقل ان يكون له بستان كالدهاقين والمياسير فيتعيّش بريعه وقرأ حمزة
والكسائى بالنون وقال الظالمون وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا
عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون ما تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فغلب
على عقله وقيل اذا سحر وهو الرئة اى بشرا مثلكا انظر كيف ضربوا لك
الامثال اى قالوا فيك الاقوال الشاذة واختلفوا لك الاحوال النادرة
فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواصّ النبىّ والمميّز بينه وبين المتنبّى فخبطوا
خبط عشواء فلا يستطيعون سبيلا الى القدح فى نبوتك او الى الرشد والهدى
تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك مما قالوه ولكن اخّره الى الاخرة
لانه خير وابقى جنات تجرى من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا
عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان
ماضيا جاز فى جوابه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول
لا غائب مالى ولا حرم ويجوز ان يكون استينافا بوعد ما يكون له فى الاخرة
وقرئ بالنصب على ان جواب بالواو بل كذبوا بالساعة فقدرت انظارهم على الحطام
الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هى بالمال وطعنوا فيك بفقرك او فلذلك كذبوك
لانا نجعلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يليقون الى هذا الجواب ويصدقونك
بما وعدالله لك فى الاخرة او فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه واعتدنا
لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاستعار وقيل اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار
المكان اذا رأتهم واذا كانت بمرأى منهم كقوله لا تترا اى نارها اى لا تتقارب بحيث
يكون احديهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتنابز لانه بمعنى النار وجهنم من مكان بعيد
هو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبيه صوت
غليانها بصوت المتغيظ وزفيره وهو ما يسمع من جوفه هذا واردة الحيوة لما لم تكن مشروطة
عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حيوة فترى وتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها
فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا فى مكان ومنها بيان لما تقدم فضما
حالا ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف
الله الجنة بان عرضها السموات والارض مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل
دعوا هنالك فى ذلك المكان ثبورا هلاكا اى يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون يا ثبوراه
تعال فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اى يقال لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا
لان عذابكم انواع كثيرة وكل نوع منها بثور لشدته او لانه يتجدد لقوله تع كلما نضجت جلودهم

بدلنا هم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب اولانه لاينقطع فهو فى كل وقت بنور قل اذلك
خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل
والتزيد للتقريع مع التهكم او الى الكفر والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة
الى الخلد للمدح او الدلالة على خلودها والتمييز عن جنان الدنيا كانت لهم فى علم الله
او اللوح اولانه ما وعده الله فى تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا
ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد
بالمتقين من يتقى الكفر والتكذيب لانهم فى مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤن ماشاؤه
من النعيم ولعله يقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر انه لا يدرك
شيئا والكامل بالمشتهى وفيه تنبيه على ان كل المرادات لاتحصل الا فى الجنة خالدين حال
من احد ضميريهم كان على ربك وعدا مسئولا الضمير فى كان لما يشاؤن والوعد الموعود اى كان
ذلك موعودا حقيقا بان يسئل ويطلب او مسئولا سأله الناس فى دعائهم ربنا وآتنا ما
وعدتنا على رسلك والملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم وما
فى على من معنى الوجوب لامتناع الخلف فى وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق
الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز ويوم نحشرهم للجزاء وقرئ بالنون
والتاء وقرئ يحشر على البناء للمفعول ويحشر بالياء وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه
استعمل ما فى الآلات وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شئ يرى ولا يعرفها ولانه اريد به الوصف
كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخلق الملائكة
وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب والاصنام ينطقها الله او ينكلم بلسان المال كما قيل
فى كلام الابنى والارجل فيقول اى للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون
ءانتم اضللتم عبادى هؤلاء امهم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد
الصحيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله اضللتم ام ضلوا فغير النظم لما فى حرف
الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولى للفعل دونه لانه لاشبهة فيه والالما توجه
العتاب وقد سهلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك تنجيا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة وانبياء
معصومون او جمادات لاتقدر على شئ او اشعارا بانهم المرسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف
يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها لله عن الانداد ما كان ينبغى لنا ينبغ لنا ان نتخذ
من دونك من اولياء للعصمة او عدم القدرة فكيف بغيرنا ان ندعو غيرنا ان يتولانا
دونك وقرئ نتخذ بالبناء للمفعول من اتخذ الذى له مفعولا ان لقوله تع واتخذ الله ابرهيم
خليلا ومفعوله الثانى من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول لمزيدة لتاكيد النفى ولكن
متعتهم وآباءهم بانواع النعم فاستغرقوا فى الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك

عن ذكرك او التذكر لآلائك والتدبر فى ايانك وهو نسبة الضلال اليهم من حيث انه يكسبهم
واسناده الى الله فضل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا يتهضم حجة علينا
للمعتزلة وكانوا فى قضائك قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه
الواحد والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام
على مذهب القول فقد كذبكم المعبودون بما تقولون فى قولكم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا
والباء بمعنى فى او مع المجرور بدل من المضمر وعن ابن كثير بالياء اى كذبوكم بقولهم سبحانك
ماكان ينبغى لنا فما يستطيعون اى المعبودون وقراء حفص بالتاء على خطاب العابدين
صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه لينصرف اى يحتال ولا نصرا
فينصركم عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا هى النار
والشرط وان عم كل من كفر وفسق لكنه فى اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم
وفاقا وهو التوبة والاحتراز بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق اى الا
رسلا انهم فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه كقوله
وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفى فيها بالضمير وهو جواب
لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق وقرئ يمشون اى
يمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة ابتلاء
من ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم
بالعداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله على ما قالوه بعد نقضه وفيه
دليل على القضاء والقدر اتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض
فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله لنبلوكم ايكم احسن عملا او حث عليهم التصبر
على ما افتتنوا به وكان ربك بصيرا لمن يصبر او بالثواب فيما يبتلى به وقال
الذين لا يرجون لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر
على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشئ ومنه الرؤية فانه الوصول الى المرئى
والمراد به الوصول المجازى ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول لولا هلا انزل
علينا الملائكة فتخبرنا بصدق محمد ص وقيل ليكونوا رسلا الينا او نرى ربنا
فيأمرنا بتصديقه واتباعه لقد استكبروا فى انفسهم اى فى شانها حتى اراد والها
ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله فى الكمل اوقاتها او ما يكون هو اعظم
من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد فى الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا
المعجزات القاهرة واعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما اشتدت دونه مطامع

النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفى الاستيناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة جسّاس ابا بنانبها كليبا غلت ناب كليب بوائها يوم يرون الملائكة ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب باذكر ويدل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين بتبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفى البشرى لعامة المجرمين ح نفى البشرى بالعفو وعند الشفاعة فى وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم لتسجيل على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول اى يقول الكفرة ح هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم وهى تما كانوا يقولون عند لقاء عدو او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة والبشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غيرانه لما اختص بموضع مخصوص غير كفعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصف بمحجورا للتاكيد كقولهم موت مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اى وعمدنا الى ما عملوا فى كفرهم من مكارم يقرى الضيف وصلة الرحم واعانة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم سلطانهم ففدم الاسباب بهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء غبار يرى فى شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهو الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط فى حقارته وعدم نفعه تم بالمنثور منه فى انتثاره بحيث لا يمكن نظمه او تقرقر بخواطرهم التى كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله تع كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يستقر فيه فى اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا مكانا يؤوى اليه للاستراحة بالاكل والتمتع بهن يجوز له من مكان القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك غالبا اذ لا نوم فى الجنة وفى احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التخاييل والزين فيحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمان والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترفين فى الدنيا روى انه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك فيقيل اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار ويوم تشقق السماء واصله تتشقق فحذف التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام

الغمام المذكور فى قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلا فى ذلك الغمام وهو الغمام بصحايف اعمال العباد وقراءة ابن كثير ونزّل وقرئ ونزلت وانزل ونزل الملائكة ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متاخر او صفة والخبر يومئذ او للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات من الغيظ والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابى معيط كان يكثر مجالسة النبى عليه السلام فدعا الى ضيافته فابى ان ياكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابى بن خلف صديقه فعاتبه فقال صبات فقال لا ولكن انى ان ياكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فتشهدت له والشهادة ليست فى نفسى فقال لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطا قفاه وتبزق فى وجهه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصارى وقال يا محمد انى من العبيبته قال الى النار ولعن ابيا باحد فى المبارزة ورجع الى مكة ومات يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب بى طرق الضلالة يا ويلتى وقرئ بالياء على الاصل ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا يعنى من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس لقد اضلنى عن الذكر عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة بعد اذ جاءنى وتمكنت منه وكان الشيطان يعنى الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالفة الرسول او كل من تشيطن من جن وانس للانسان خذولا يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فيقول من الحذلان وقال الرسول محمد يومئذ او فى الدنيا بثاء الى الله تع يا رب ان قومى قريشا اتخذوا هذا القرآن مهجورا بان تركوه وصدوا عنه وعن الايمان وعنه ع من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه او هجروا والغوا فيه اذ سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصلها مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالهجر والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله قومهم عجل الله لهم العذاب وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل

على انه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع وكفى بربك هاديا الى الطريق فهم
ونصيرا لك عليهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن اى انزل عليه كخبر يعنى
لئلا يناقض قوله جملة واحدة دفعة واحدة كالكتب الثلاثة وهو اعتراض لاطائل
تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او مفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار
اليه بقوله كذلك لنثبت به فؤادك اى كذلك انزلناه مفرقا لنقوى بتفريقه فؤادك
على حفظه وفهمه لان حاله مخالف لحال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا وكانوا
يكتبون فلو ألقى اليه جملة يعسر حفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى
الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب الوقايع يوجب مزيد بصيرة وعون في المعنى
ولانه اذا انزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه
ولانه اذا انزل به جبرئيل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ
ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك
صفة مصدر محذوف والاشارة الى ما نزل له مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا
نزل عليه القرآن جملة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه
فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف
ورتلناه ترتيلا وقرأناه عليك شيئا بعد شئ على تؤدة وتمهل في عشرين سنة
او ثلث وعشرين واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها ولا يأتونك بمثل
بسؤال عجيب كاشف عن البطلان ويريدون به القدح في نبوتك الا جئناك بالحق
الدامغ له في جوابه واحسن تفسيرا وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم
اولا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال
ما يحوجك في حكمتنا وما احسن كشفا لما بعثت له الذين يحشرون على وجوههم
الى جهنم اى مقلوبين او مسحوبين اليها او معلقة قلوبهم بالاسفل متوجهة
وجوههم اليها وعنه ع يحشر الناس يوم القيمة على ثلاثة اصناف صنف على الدواب
وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو دم منكوس او مرفوع او مبتداء خبره
اولئك شر مكانا واضل سبيلا والمفضل عليه هو الرسول على طريقة قوله
قل اؤنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل
حاملهم على هذه الاسئلة تحقير مكانه بتضليل سبيله ولا يعلمون ما لهم ليعلموا انهم
شر مكانا واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة ولقد آتينا موسى
الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة ولانه في

ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لان المشاركين في الامر متوازران عليه فقلنا
اذهبا الى القوم الذين كذبوا يعني فرعون وقومه بآياتنا فدمرناهم تدميرا اي
فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاختصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود
منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسول واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار
الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة
وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب
واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان
وجعلناهم وجعلنا اغراقهم وقصتهم للناس اية عبرة واعتدنا للظالمين
عذابا اليما يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع الضمير تظليما لهم
وعادا وثمود عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى وعدنا الظالمين
وقرئ وثمود على تاويل القبيلة واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الاصنام
فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البئر الغير المطوية فانهارت
فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس القرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث
اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا
النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم بطير عظيم كان فيها من كل
لون وسموم عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ بالتاء
والخاء وقال بعضهم بالياء والجيم والاول اصح او دمخ وتنقض على صبيانهم
فتخطفهم اذا عموزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها
الصاعقة فتواثبوا فقتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اى ودسوه
في بئر وقرونا واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل
مائة وعشرون بين ذلك اشارة الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا
ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا
فلما امروا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتنا تفتيتا ومنه التبر
لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني
بتبرنا لانه فارغ ولقد اتوا يعني قريشا مرارا في متاجرهم الى الشام على القرية
التي امطرت مطر السوء يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة
افلم يكونوا يرونها في اسفارهم ومرورهم فيتعظون بما يرون فيها من اثار عذاب الله
بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك
لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم اولا يأملون نشورا كما يائله المؤمنون

طمعًا فى الثواب اولا يخافون على اللغة التهامية واذا راوك ان يتخذونك
الا هزوًا ما يتخذونك الا موضع هزوٍ او مهزوًا به اهذا الذى بعث الله رسولا
محكى بعد قولٍ مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا فى معرض
التسليم بجعله صلةً وهم على غاية الانكار لتهكمهم واستهزائهم ولولاه لقالوا له
اهذا الذى زعمت انه بعثه الله رسولا ان كاد انه كاد ليضلنا عن الهتنا ليصرفنا
عن عبادتها بفرط اجتهاده فى الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق الى الذهن
من انها حجج ومعجزات لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا
فى مثله تقييد للحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وسوف يعلمون حين يرون
العذاب من اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفى ما يلزمه ويكون
الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم ارايت من اتخذ
الهه هواه بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا وانما قدم
المفعول الثانى للعناية به افانت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصى
وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثانى للانكار ام تحسب بل اتحسب
ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فيجدى لهم الايات والنذر فتثنيهم وتطبع على ايمانهم
وهو اشد مذمة مما قبله حتى حوّل بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم
من آمن ومنهم من عقل الحق وكابروا استكبارًا وخوفًا على الرياسة ان هم الا كالانعام
فى عدم انتفاعهم بفرع الآيات اذ انهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل و
المعجزات بل هم اضل سبيلا من الانعام لانها تنقاد من يتعهدها وتميز من يحسن اليها
ممن يسئ اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا
يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذى هو اعظم المنافع ولا
يتقون العقاب الذى هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا لم تكتسب شرا ولم تعتقد
باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لا تضر بأحد وجهالة هؤلاء تؤدى
الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة عن طلب الكمال فلا تقصير منها ولا اثم
وهؤلاء مقصرون مستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم الم تر الى ربك الم تنظر الى صنعه
كيف مد الظل كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بان
المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة مدوّنه وتصرفه على الوجه النافع باسباب
ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئى فكيف بالمحسوس منه او الم تبينه
علمك الى ربك كيف مد الظل فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة
الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به

به الجنة فقال وظل ممدود ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص
من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا
فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت
الا بسبب حركتها ثم قبضناه الينا اى ازلناه بايقاع الشعاع موقعة لما عبر
عن ازالته بالمد بمعنى النشر عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذى هو فى معنى اللف
قبضا يسيرا قليلا حسبما يرتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به
ما لا يخفى من منافع الخلق وتم فى الموضعين لتفاضل الامور ولتفاضل عبادي
اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بين الشمس بلا تنير ودحا الارض تحتها فالقت عليها ظلها
ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليها دليلا اى مسلطا عليه مستتبعا
اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليلا لطريق من تهديه بتفاوت تحركها ويتحول
بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى ان ينتهى غاية نقصانه او قبضا
سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها وهو الذى
جعل لكم الليل لباسا ستره ظلامه باللباس فى ستره والنوم سباتا راحة للابدان
بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا كقوله تع وهو الذى يتوفيكم بالليل لانه
قطع الحيوة ومنه المسبوت للميت وجعل النهار نشورا ذا نشور اى انتشار ينتشر فيه
الناس للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات ويكون اشارة الى ان النوم واليقظة
نظيران للموت والنشور وعن ثمن ع يا بنى كما تنام فتوفظ كذلك تموت وتنشر وهو
الذى ارسل الرياح وقراء ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس بشرا ناشرات للتخاجمع لنشور
وقراء ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائى به وبفتح النون على انه مصدر وصف به
وعاصم بشرا جمع نشور بمعنى مبشر بين يدى رحمته يعنى قدام المطر وانزلنا من السماء
ماء طهورا مطهرا لقوله تع ليطهركم وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضؤ
ويوقد به قال ع التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسله
سبعا احديهن بالتراب وقيل بليغا فى الطهارة وقول ان غلب فى المعنيين لكنه قد
جاء للمفعول كالصبوب والمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعارا بالعلة
وتتميما للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع فمما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيها
على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغى ان يتطهروا بها فبواطنهم بذلك اولى لنحيى به بلدة ميتا
بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة فى معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة
فاجرى مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما وانا سى كثيرا يعنى اهل البوادى الذين
يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسى وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى

يقيمون بقرب الانهار والمنابع فيهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السما
وسائر الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يقوتها الشرب غالبا مع ان مساق هذه
الآيات كما هو للدلالات على عظيم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام فتية
الانسان وعامة منافعهم وغلبة معاشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها
على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحيوتها وتعيشها وقرئ
لنسقيه وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا وانا سى بحذف الياء
وهو جمع انسى او انسان كظربى فى ظربان على ان اصله اناسين فقلبت
النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن
وسائر الكتب او المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وقت
المتفاوتة من وابل وطل وغيرها وعن ابن عباس رض ما من عام اقل مطرا
من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية او فى
الانهار والمنابع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة وذلك
يقتضى ان يشكروه او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم فابى اكثر الناس الا كفورا
الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او بجحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا
ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله
والانواء وسايط واماراتٍ يجعله تع ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا نبيا
ينذرها فيخفف عليك عباء النبوة لكن قهرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما
لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدعوة
واظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين
وجاهدهم به بالقرآن او بترك طاعتهم الذى يدل عليه فلا تطع والمعنى
انهم يجتهدون فى ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد فى مخالفتهم وازالة باطلهم
جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف
ولان مخالفتهم او معاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم اولانه جهاد
مع الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى وهو الذى مرج البحرين خلاهما متجاورين
متلاصقين بحيث لا يمتاز احدهما من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات
قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح
على فعل ولعل اصله ماح فخفف كبرد فى بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا
من قدرته وحجرا محجورا ومتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله
المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كجبلة تدخل البحر ولسعته فيجرى فى خلاله

خلاله فواسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر
الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فيكون القدرة فى الفصل واختلاف
الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت
فى الكيفية وهو الذى خلق من الماء بشرا يعنى الذى خمر به طينة آدم او جعله جزأ من مادة
البشر ليجتمع وينسلس ويقبل الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة فجعله نسبا
وصهرا اى ذوى نسب وذوات صهر اى اناثا يصاهرهن كقوله تع وجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث
خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين
متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توامين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله
ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعنى الاصنام او كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق
يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك
والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هيتا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به
اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك
الا مبشرا ونذيرا للمؤمنين والكافرين قل ما اسئلكم عليه على تبليغ الرسالة
الذى يدل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ
الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فهو رد ذلك
بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه قلعا كليا بشبهة الطمع وانهالا
لغاية الشفقة حيث اعتد بانتفاعك نفسك بالتقرب للثواب والتخلص عن العقاب اجرا
وافيا مرضيا به مقصودا عليه واشعارا بان طاعاتهم تعود عليه بالثواب من حيث
انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا
وتوكل على الحى الذى لا يموت فى استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه
الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع توكل
عليهم وسبح بحمده ونزه عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا المزيد
الانعام بالشكر على سوابقه وكفى به بذنوب عباده بما ظهر منها وما بطن خبيرا
مطلعا فلا عليك ان امنوا او كفروا الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة
ايام ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا
بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتانى
فى الامر فانه مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره فى كل مراد خلق الاشياء على تؤدة
وتدرج الرحمن خبر الذى ان جعلته مبتدا ولمحذوف ان جعلته صفة للحى او بدل

من المستكن فى استوى وقرئ بالجر صفة للحى فسئل به خبيرا فسئل عما ذكر من الخلق
والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تع او جبريل او من وجده من الكتب
المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير فى به للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله
فسئل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجئ ما يرادفه فى كتبهم وعلى هذا يجوز
ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما تعدى بعن لتضمنه معنى
التفتيش تعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا واذا قيل
لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا يطلقونه على الله اولانهم
ظنوا ان اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اى للذى تأمرنا يعنى تأمرنا
بسجوده اولا نعرف لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وهو قراءة حمزة
والكسائى وقراءة الباقون يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اى الامر
بسجود الرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذى جعل فى السماء بروجا يعنى البروج
الاثنى عشر سميت به وهى القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها
واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا يعنى الشمس لقوله وجعل الشمس
سراجا وقرئ سرجا وهى الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ
قمرا اى ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب
وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة اى ذوى خلفة يخلف كل منهما الآخر بان
يقوم مقامه فيما ينبغى ان يعمل فيه او بان يعتقبا لقوله واختلاف الليل والنهار وهو
للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان يتذكر ان يتذكر الآء الله ويتفكر
فى صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم العباد او اراد شكورا
ان يشكر الله على ما فيه من النعم اوليكونا وقتين للذاكرين والشاكرين من فاته ورده
فى احدهما يتداركه فى الآخر وقراء حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا
ووافقه الكسائى فيه وعباد الرحمن مبتداء خبره اولئك يجزون الغرفة او الذين
يمشون على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل ولانهم الراسخون فى عبادته
على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين او مشيا هينا مصدر وصف به
والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما سلما
منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء
والاثم ولا ينافيه آية القتال لنسخه فان المراد هو الاعتناء عن السفهاء وتركه
مقابلتهم فى الكلام والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما فى الصلوة وتخصيص البيتوتة
لان العبادة بالليل احمز والبعد من الرياء وتأخير القيام للروى وهو جمع قائم او مصدر

اوصدر اجرى مجراه والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان
غراما لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق
واجتهادهم فى عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله فى صرفه عنهم لعدم
اعتدادهم باعمالهم وثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما
اى بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به
تربط الجملة باسم ان او احزنت وفيها ضمير اسمان ومستقرا حال او تمييز
والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتمل الحكاية والابتداء من الله
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حدا لكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق
الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق فى المحارم والتقتير منع الواجب وقراء الكوفيون
ونافع وابن عامر بضم الياء من اقتر يقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد وكان بين
ذلك قواما وسطا وعدلا يسمى به لاستقامة الطرفين كما يسمى سواء لاستوائهما وقرئ
بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز
ان يكون الخبر وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبنى لاضافته الى غير متمكن
وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشئ عن نفسه والذين لا يدعون
مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله اى حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق
متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفى عن امهات المعاصى بعدما اثبت لهم
اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك
وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه الوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك
يلق اثاما جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء وقرئ يلق اثاما اى شدايد يقال يوم ذو ايام اى صعب
يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لانه فى معناه كقوله متى تأتنا تلمم بنا
فى ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقراء ابو بكر بالرفع على الاستيناف والحال
وكذلك ويخلد فيه مهانا وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد
وحذف الالف فيضعف وابو عمرو ويخلد على البناء للمفعول مخففا وقرئ مضعفا ونضعف
العذاب ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر وتخليده فيه قوله الا من تاب
وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق
معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية فى النفس
بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب
ثوابا وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات ومن تاب
عن المعاصى بتركها والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصى ودخل

في الطاعة فانه يتوب الى الله يرجع الى الله بذلك متابا مرضيا عند الله ماجيا
للعفو محتملا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي يحب التوابين ويصطنع بهم
او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تهديد بعد تخصيص والذين
لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان
مشاهدة الباطل شركة فيه واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح مروا كراما
معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاعراض
عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا
بايات ربهم بالوعظ والقرآة لم يخروا عليها صما وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين
لها ولا مبصرين لما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين باذان واعية
مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني
زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليه باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا
من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن
اذا شاهد كمال اهله في طاعة الله سرتهم قلبه وقرتهم عينه للخبر من مساءتهم له في الدين
وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقولك رايت منك اسدا وقرا
حمزة وابو عمرو والكسائي وابو بكر وذريتنا وتنكيرا لاعين لارادة تنكير القرة
تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا
للمتقين اماما يقتدون بنا في امر الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده
لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله
او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق
كلمتهم وقيل جمع امام كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم معتقدين لهم
اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع لقوله تع
وهم في الغرفات امنون وللقرآة بها وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بسببه
على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها
تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم
او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبعية دائمة وسلامة من كل آفة وقرا حمزة
والكسائي وابو بكر يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت
مستقرا ومقاما مقابل لسات مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما يعبؤا بكم ربي
ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعبأ بكم لولا دعاؤكم لولا عبادتكم
فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل ما

معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها
النصب على المصدر كانه قيل اي عباء يعبأ بكم فقد كذبتم بما اخبركم به حيث خالفتموه
وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كتب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد
كذب الكافرون اي الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد
في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما يكون جزاء التكذيب
لازما يحيق بكم لا محالة اوائره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من
غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد فيلزم بدر
وانه لو زم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت
عن النبي عليه السلام من قرئ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن
بان الساعة اتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير حساب

سورة الشعراء مائتان وسبع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم قواه حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة
ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهرونه حمزة لانه
في الاصل منفصل عما بعده تلك ايات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته
والاشارة الى السورة او القران على ما مر في اول البقرة لعلك باخع
نفسك قاتل نفسك واصل البخع ان تبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستطيل في القفا
وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اي
اشفق على نفسك ان تقتلها الا ان يكونوا مؤمنين لثلاثة يؤمنوا وخيفة ان
لا يؤمنوا ان نشا ننزل عليهم من السماء اية دلالة ملجئة الى الايمان اولية
قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين منقادين واصله فظلوا لها
خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله
وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها
الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ
خاضعة فظلت عطف على ننزل عطف واكن على فاصدق لانه لو قيل
انزلنا بدله صح وما ياتيهم من ذكر موعظة او طائفة من القرآن
من الرحمن وجيه الى ابنية محذوف مجددا انزاله لتكرير التذكر وتنويع
التقرير الا كانوا عنه معرضين الا جذوا اعراضا عنه واضرارا
على ما كانوا عليه فقد كذبوا اي بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا

فى تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزآء به المخبر به عنهم ضمنا فى قوله فسيأتيهم
اى اذا مستهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة انباء ما كانوا به يستهزؤن
من انه كان حقا او باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم قدره او يكذب
فيستخف امره اولم يروا الى الارض اولم ينظروا الى عجايبها كم انبتنا فيها
من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى
وههنا يحتمل ان يكون مقيدة لما تضمنه الدلالة على القدرة وان يكون مبينة
منبهة على انه ما من نبت الا وله فايدة اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج
وكم للكثرة انّ فى ذلك ان فى انبات تلك الانسان او فى كل واحد الآية
على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة وما كان اكثرهم
مؤمنين فى علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات العظام
وانّ ربك لهو العزيز الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم
حيث امهلهم والعزيز فى انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن واذ
نادى ربك موسى مقدرا ذكر او ظرف لما بعده ان ائت اى ائت او
بان ائت القوم الظالمين بالكفر واستعباد بنى اسرائيل وذبح اولادهم
قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم
للعلم بان فرعون كان اولى بذلك الا يتقون استيناف اتبعه ارساله
اليهم للانذار بتعجيبه من افراطهم فى الظلم واجترائهم عليه وقرئ
بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا
حج اجروا مجرى الحاضرين فى كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه
اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره
وتامل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون
بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا قال رب انى اخاف ان يكذبون
ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فارسل الى هرون دتب استدعاء
ضم اخيه اليه واشراكه فى الامر على الامور الثلاثة خوف التكذيب
وضيق القلب نفعا لا عنه وازدياد الحبسة فى اللسان بانقباض الروح
الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست
الحاجة الى معين يقوى قلبه وينوب منابه متى يعتريه حبسة حتى
لا يختل دعوته ميتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا فى تلقى الامر
بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عدد فيه وقرا يعقوب

بعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبوا فيكون من جملة ما اخاف
عنه ولهم على ذنب اى معه ذنب فحذف المضاف واوسمى باسمه والمراد
قتل القبطى وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة فى
مواضع فاخاف ان يقتلون به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا
وانما هو استدفاع البلية المتوقعة كما ان ذلك استمداد واستظهار
فى امر الدعوة وقوله قال كلا فاذهبا بآياتنا اجابة يا موسى عما تظن
فاذهب والذى طلبته انا معكم يعنى موسى وهرون وفرعون
مستمعون سامعون لما يجرى بينكما وبينه فاظهر كما عليه مثل نفسه
بمن حضر فجادله فوعد استماعا لما يجرى بينهم وترقيا لامداد الاولياء
منهم مبالغة فى الوعد بالاعانة ولذلك يجتزون بالاستماع الذى
هو بمعنى الاصغاء للمتمع الذى هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو
خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العلمين
او فرسولا الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة
قال لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ولذلك ثنى
تارة واوفد اخرى او لاد تحاهما للاخوة او لوحدة المرسل والمرسل به
او لانه اراه كل واحد منا ان ارسل معنا بنى اسرائيل اى ارسل متضمن الرسول
معنى الارسال المتضمن بمعنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنى الى الشام قال
اى فرعون لموسى بعد ما اتياه فقالا له ذلك الم نربك فينا فى منازلنا
وليدا طفلا سمى به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث
فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله
ثلثين ثم بقى بعد الغرق خمسين وفعلت فعلتك التى فعلت يعنى قتل القبطى
ونجه به مغتما اياه بعد ما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها
كانت قتلة بالوكز وانت من الكافرين بنعمتى حتى عمدت الى قتل خواصى ومن
يكفرها الان فانه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التاءين
ويجوز ان يكون حكما مبتدا عليه بانه من الكافرين بالهيته او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة
او من الذين كانوا يكفرون فى دينهم قال فعلتها اذا وانا من الضالين
من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه او من المخطئين
لانه لم يتعمد قتله او الذاهبين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التاديب والتنبيه
من قوله ان نفتل اجديهما ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى

مِنَ الْمُرْسَلِينَ ردّا ولا بذلك اوبخه به فدحاه فى بنوته ثم كرّ ما عدّه عليه من النعمة
ولم يصرح لانه كان صدقا غير فادح فى دعواه بل بنية على انه كان فى الحقيقة
نقمة لكونه مسببا عنها فقال وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ اى
وتلك التربية نعمة تمنها علىّ بها ظاهرا وهى فى الحقيقة تعبيدك بنى اسرائيل
وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب فى وقوعى اليك وحصولى فى تربيتك
وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اى اوتلك نعمة تمنها علىّ وهى ان عبدت
ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة او النصب بنزع
الخافض والتاء او النصب بفعل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت
عطف بيانها والمعنى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها علىّ وانما وحد الخطاب
فى تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت بنفسه وحدها والخوف والفرار
منه ومن ملائه قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ لما سمع جواب ما طعن
فيه ورأى انه لم يرعو بذلك شرع فى الاعتراض على دعواه فجاؤا
بالاستفسار عن حقيقته المرسل قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
عرفه باظهر خواصه واثاره لما امتنع تعريف الاواد الابذكر التواتر
والافعال واليه اشار بقوله إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ اى ان كنتم مؤمنين
الاشياء بحققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها
وتغيّر احوالها فلها مبدأ واجب للذاته وذلك المبدأ لابد وان يكون مبدأ
لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس لها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب
واستغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن
تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل او برسم
انه رب السموات وهى واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية او غير
معلوم افتقادها الى موقت قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ عدولا الى
ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله وبينك فى افتقاده الى مصوّر حكم ويكون
اقرب الى الناظر واوضح عند التأمل قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ
إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ استهانه عن شىء ومجيبنى عن اخر وسماه رسولا على السخرية
قال رب المشرق والمغرب وما بينهما تشاهدون كل يوم ان ياتى بالشمس
من المشرق ويحركها على مدار غير هذا اليوم الذى قبله حتى يبلغها الى المغرب
على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ان كان
لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لانهم اولا تمادى شدة شكيمتهم

مِنَ الْمَسْخُوطِينَ عدولا من المحاجة الى التهديد بعد الانقطاع وهكذا يدق
المعاند المجموح واستدل به على ادعائه الالوهية وانكاره للصانع وان فجأته
بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبية لغيره ولعله كان دهريا اعتقد ان
من ملك قطرا او تولى امره بقوة طالعه استحق العبادة من اهله واللائم فى المسخوطين
للعهد اى ممن عرفت حالهم فى سجونى فانه كان يطرحهم فى هوة عميقة حتى
تموتوا ولذلك جعل ابلغ من لا سجننك قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ اى افعل
ذلك ولو جئتك بشىء مبين صدق دعواى بعنى المعجزة فانها الجامعة
بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعى بنوته
قالوا والحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ
فى ان لك بينة اى فى دعواك فان مدعى النبوة لابد له من حجة فَأَلْقَى
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت
الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ
روى ان فرعون لما رأى الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده قال فما
فيها فادخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار وسيد
الافق قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ مستقر من حوله فهو ظرف وقع موقع الحال إِنَّ
هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ فايق فى علم السحر يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ
بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ سهره سلطان المعجز حتى حطه عن دعوى الربوبية الى
مؤامرة القوم واستمدادهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن
ظهوره واستيلائه على ملكه قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ اخرّ امرهما وقل لجنتها
وابعث فى المدائن حاشرين شرطا يحشرون السحرة يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ
يفضلون عليه فى هذا الفن واما لها ابن عامر وابو عمر والكسائى وقرئ
بكل ساحر جَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ لما وقت به من ساعات يوم معين
وهو وقت الضحى يوم الزينة وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ فيه استبطاء لهم
فى الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تابط شرا هل انت باعث دينار
لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق اى ابعث احدهما الينا سريعا لَعَلَّنَا
نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ لعلنا نتبعهم فى دينهم ان غلبوا والترجى
باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلى ان لا يتبعوا موسى
لان يتبعوا السحرة فساق الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم

لم يتبعوا موسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين
قال نعم وانكم اذا لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عند زيادة
عليه ان غلبوا فاذن على ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر
وهما لغتان قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اى بعد ما قالوا له
اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه
بل الاذن فى تقديم ما هم فاعلوه لامحالة وتسلية به الى اظهار الحق فالقوا
حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون افتسموا بعزته على
ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم فى انفسهم واتيانهم بما قصى ما يمكن ان
يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف تتبلع وقرأ حفص
تلقف بالتخفيف ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم
وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم نسمية
للمأ مبالغة فالقى السحرة ساجدين لعلمهم بان مثله لا يتأتى بالسحر
وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئا لا حقيقة له وان
السحر فى كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم
لما راوه لم يتمالكوا انفسهم وكانهم اخذوا فطرحوا على وجوههم وانما
القاهم بما خولهم من التوفيق قالوا امنا برب العالمين بدل من القى
بدل الاشتمال او حال باضمار قد رب موسى وهرون ابدل للتوضيح
ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما قال
امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فعلمكم شيئا
دون شئ ولذلك غلبكم او فاد عكم ذلك وتواطاتم عليه وادبه الملبس
على قومه بكلا يعتقدوا انهم امنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائى
وابو بكر وروح آمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وقوله
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان له
قالوا لاضير لاضرر علينا فى ذلك انا الى ربنا منقلبون بما توعدنا
فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله او بسبب
من اسباب الموت وقتلك ايانا نفعها وارجاها انا نطمع ان يغفر لنا ربنا
خطايانا ان كنا لان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون او من
اهل المشهد والجملة فى المعنى تعليل ثان لنفى الضير او تعليل للعلة
المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة

بالخاتمة او على طريقه المدلل بامره ان احسنت اليك فاحسن بحتى واوحينا
الى موسى ان اسر بعبادى وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق
ويظهر لهم الايات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع ان اسر
بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان اسر من السير انكم متبعون
يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اى اسر بهم حتى اذا اتبعكم
مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر ويكونوا
على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل
فرعون فى المدائن حاشرين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون
على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى
جنوده اذ روى انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة
القليلة ومنها ثوب شرذم لما بلى وتقطع وقليلون باعتبار اتهم اسباط كل سبط
منهم قليل وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حذرون
وانا لجميع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم فى الامور اشارة اولا الى
عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعوا اليه من فرط عداوتهم
ووجوب فى شانهم حثا عليه او اعتذارا بذلك الى اهل المدائن كيلا
يظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ان عامر والكوفيون حاذرون ولا ولى
للثبات والثانى للتجدد وقيل الحاذر المودى فى السلاح وهو ايضا من الحذر
لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حاذرون بالذال اى اقوياء قال الحب الصبى
السوء من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر اوتاوا السلاح فان
ذلك يوجب حداده فى اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا داعية الخروج
بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم
يعنى المنازل الحسنة والمجالس البهية كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجنا
فهو مصدر امثل ذلك المقام الذى كان لهم على انه صفة مقام او الامر
كذلك فيكون خبر المحذوف واورثناها بنى اسرائيل فاتبعوهم
وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين فى وقت شروق الشمس فلما تراءا
الجمعان تقاربا بحيث راى كل منهما الاخر وقرئ قراءت الفئتان قال اصحاب
موسى انا لمدركون لملحقون وقرئ لمدركون من ادرك الشئ اذا تتابع
ففنى اى لمتتابعون فى الهلاك على ايديهم قال كلا لن يدركوكم
فان الله تعالى وعدكم الخلاص ان معى ربى بالحفظ والنصر

سيهدين طريق النجاة منهم روى ان مؤمن آل فرعون كان بين يدى موسى فقال
اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلى اومر بما
اصنع فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق
اى فضرب فانفلق وصار اثنى عشر فرقا بينها مالك فكان كل فرق كالطود
العظيم كالجبل المنيف الثابت فى تقر فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب
وازلفنا وقربنا ثمة الاخرين فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم
وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا
ثم اغرقنا الاخرين باطباقه عليهم ان فى ذلك لاية واية وما كان اكثرهم
مؤمنين وما تبينته عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها احد ممن بقى فى مصر من القبط
وبنو اسرائيل بعد ما نجاسا لوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم
باوليائه واتل عليهم على مشركى العرب نبا ابرهيم اذ قال لابيه وقومه
ما تعبدون سالهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة قالوا نعبد اصناما
فنظل لها عاكفين فاطالوا جوابهم وشرح حالهم معه بتجابه وافتخارا ونظل منها
بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم يسمعون
دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة اذ تدعون عليه وقرئ
يسمعونكم اى يسمعونكم للجواب عن دعائكم وبحيثه مضارعا مع اذ على حكاية
الحال الماضية استحضارا لها او ينفعونكم على عبادتكم لها او يضرون لمن
اعرض عنها قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اضربوا عن ان يكون لهم
سمع او يوقع منهم ضر او نفع والتجوا الى التقليد قال افرايتم ما كنتم
تعبدون انتم وابآؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة ولا
ينقلب به الباطل حقا فانهم اى هذه الالهة التى تعبدونها عدو لى يريد انهم
اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة
عدوه او ان الغرض لعبادتهم اعداء اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر
فى نفسه تعريضا لهم فانه انفع فى النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة
بدا بها نفسه ليكون ادعى الى القبول واراد بالعدو لانه فى الاصل
مصدر او بمعنى النسب الا رب العالمين استثناء منقطع او متصل على ان الضمير
لمعبوديهم وكانوا من اباتهم من عبد الله الذى خلقنى فهو يهدين فانه يهدى
كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال والذى قدر فهدى هداية

هداية مدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب النافع ودفع
المضار مبدأها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث
من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذايذها والفاء للسببية ان
جعل الموصول مبتدأ وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف
النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله والذى هو يطعمنى ويسقين
على الاول مبتدأ محذوف للجزد لالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير
الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء
الحكم واذا مرضت فهو يشفين عطف على يطعمنى ويسقين لانه من روادفهما
من حيث ان الصحة والاغلب يتبعان المأكول والمشروب وانما ينسب المرض
اليه لان مقصوده تهديد المنعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت
من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه وانما الضرر فى مقدماته وهى المرض
ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التى هى يستحق دونها
الحيوة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبلية ولان المرض فى غالب الامر
انما يحدث بتفريط من الانسان فى مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط
والاركان من التنافى والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعهما
والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدر العزيز الحكيم والذى
يميتنى ثم يحيين فى الاخرة والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين
ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصى ويكونوا
على حذر وطلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر منه
من الصغاير وجعل الخطيئة على كلمة الشك انى شقيم لفعله كبيرهم
وقوله هى اختى ضعيف لانها معارض وليس خطايا رب هب لى حكما كاملا
فى العلم والعمل استعقبه خلافه الحق ورياسة الخلق والحقنى بالصالحين
ووفقنى للكمال فى العمل لانتظم به فى عداد الكاملين فى الصلاح الذين
لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغير واجعل لى لسان صدق فى الاخرين
جاها وحسن صيت فى الدنيا بقى اثره الى يوم الدين ولذلك ما من امة الا وهم
يحبون له منون عليه اوصادقا من ذريتى بجدا اصل دينى يدعو الناس
على ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم واجعلنى من
ورثة جنت النعيم فى الاخرة وقدر معنى الوراثة فيها واغفر لابى
بالهداية والتوفيق الى الايمان انه كان من الضالين طريق الحق

وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود
ولذلك وعده به اولانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار ولا تخزني
بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص مرتبتي عن مرتبة بعض الورثا او بتعذيبي
لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدي او بيعنه في عداد
الضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم لا ينفعان
احدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر افانة او
ينفعان الا مال من هذا شانه وبنو حيث انفق ماله في سبيل البر وارشد
بنيه الى الحق وحثهم على الخير وفضيلهم ان يكونوا عباد الله مطيعين
شفعاله يوم القيمة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون الا
ينفع غنى الا غناء وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من اتى الله
بقلب سليم تنفعه وازلفت الجنة للمتقين بحيث يرونها من الموقف فيتجون
بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين فيرونها مكشوفة ويتحسرون
على انهم المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد وقيل
لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله اين الهتكم التي تزعمون انهم
شفعاوكم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينصرون بدفعه عن انفسهم
لانهم والهتهم يدخلون النار كما قال فكبكبوا فيها هم والغاوون اى
الالهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كان من الوى في
النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها وجنود ابليس متبعوه من
عصاة الثقلين او شياطينه اجمعون تاكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره
ما بعده او للضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المستقل وما يعود اليه في قوله
قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين على ان الله تعالى
ينطق الاصنام فيحاسبهم العبده ويريد بالخطاب في قوله اذ نسويكم برب العالمين
اى في استحقاق العبادة ويجوز ان يكون الضمير للعبدة كما في قالوا والخطاب
للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم في مبدا ضلالهم
معترفون باتهما كم في الضلالة مستحرون عليها وما اضلنا الا المجرمون
فما لنا من شافعين من الملائكة والانبياء كما للمسلمين ولا صديق
حميم اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا
من شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا في
مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحد الصديق

الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسعى
اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق على الجمع كالعدو ولانه في الاصل
مصدر كالحنين والصهيل فلو ان لنا كرة تمنى الرجعة واقيم فيه لوقوع
ليت لنا وفيتها في معنى التقدير وشرط حذف جوابه فنكون من المؤمنين
جواب التمني او عطف على كرة اى لو ان لنا او نكر فنكون ان في ذلك
مما ذكر من قصة ابرهيم لاية لمحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها
ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتامل فيها للغزاوة
علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلايلها
وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم
وتصوير الامر في نفسه والمخاوف الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا
وايقاظا لهم ليكون او عي لهم الى الاستماع والقبول وما كان اكثرهم
اكثر قومه مؤمنين وان ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام الرحيم
بالامهال لكي يومنوا هم او واحد من ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مرتثة
ولذلك نصغر على قوته وقدم الكلام في تكذيبهم المرسلين اذ قال لهم
اخوهم نوح لما كان منهم الا تتقون الله فتركوا عبادة غيره اني لكم
رسول امين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به
من التوحيد والطاعة لله وما اسئلكم عليه على ما انا عليه من الدعاء والنصح
من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كرره للتاكيد والتنبيه
على دلالة كل واحد من امانته وحرم طمعه لوجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف
اذا اجتمعا وقرا نافع وابن عامر وابو عمر وحفص بفتح الياء في اجري في الكلمات
الخمس قالوا اونومن لك واتبعك الارذلون الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على
الصحة وقرا يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال
وهذا من سخافة عقلهم وقصور راياهم على المطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المملين
فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه ودليلا على بطلانه واشاروا
بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك
قال وما علمي بما كانوا يعملون انهم عملوه اخلوصا او طمعا في طمعه وما على الا اعتبار
الظاهر ان حسابهم الا على ربي ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع
عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وما انا
بطارد المؤمنين جوابا لما اوهموه من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم

عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله إن انا الا نذير مبين كالعلة له
اى ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصى سواء كانوا
اغزاء او اذلا فكيف يليق بى طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او على
الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح فلا وجه لان اطردهم لاسترضائكم
قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين
او المضروبين بالحجارة قال رب ان قومى كذبون اظهارا لما يدعوا
عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم واستخفافهم عليه فافتح بينى وبينهم
فتحا فاحكم بينى وبينهم من الفتاحة ونجنى ومن معى من المؤمنين من ضررهم
او شؤم عليهم فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون المملو ثم
اغرقنا بعد انجائه الباقين من قومه إن فى ذلك لاية شاعت وقوعت
رت وما كان اكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت
عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة وهو فى الاصل اسم ابيهم إذ قال
لهم اخوهم هود الا تتقون إنى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر إن اجرى الا على رب العالمين تصدير القصص
بهاد لالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة
فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء متفقين على
ذلك وان اختلفوا فى بعض المقاربع مبرئين عن المطاعم الدنيئة والاعراض
الدنيوية اتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع ومنه ربع الارض
لارتفاعها اية علما للمادة تعبثون ببنيانها اذ كانوا يهتدون بالنجوم
فى اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج للحمام او منيانا يجتمعون اليها
للعبث بمن يمر عليهم او قصورا يفتخرون بها وتتخذون مصانع ماخذ الماء
وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون فتحكمون ببنيانها
واذا بطشتم بطشتم جبارين مستطيلين غاشمين بلا رأفة ولا قصد
تاديب ونظر فى العاقبة فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون
فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذى امدكم بما تعلمون كرره مرتبا
على امداد الله تعالى اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تقليده وتنبيها على الوعد
عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم
كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالاذكار فى الاتقون
مبالغة فى الايقاظ والحث على التقوى فقال امدكم بانعام وبنين وجنات

وعيون ثم اوعدهم فقال إنى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم فى الدنيا
والاخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا او
عظت ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوى عما نحن عليه وتغيير شق
النفى عما يقتضيه المقابلة للمبالغة فى قلة اعتدادهم بوعظه إن هذا الا خلق
الاولين ما هذا الذى جئتنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا الا
خلقهم نحيى ونميت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وعاصم وابن عامر
وحمزة خلق بضمتين اى ما هذا الذى جئت به الا عادة الاولين كانوا
يلفقون مثله او ما هذا الذى نحن عليه من الدين الا خلق الاولين
وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذى نحن عليه من الحيوة والموت
الا عادة قديمة لم نزل الناس عليها وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه
فكذبوه فاهلكناهم بسبب التكذيب إن فى ذلك لاية وما كان
اكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين
إذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون إنى لكم رسول امين فاتقوا الله
واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر إن اجرى الا على رب العالمين
اتتركون فيما ههنا امنين انكارلان يتركوا كذلك او تذكير
بالنعمة فى تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم آمنين ثم فسر بقوله
فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف لين للطف التمر
اولان النخل انثى وطلع اناث النخل وهو الطف ما يطلع منها كنصل السيف فى
جوفه شماريخ القنوا ومندل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على
سائر الاشجار النخات اولان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال
بيوتا فارهين بطرين اوحاذقين من الفراهة وهى النشاط فان الحاذق
يعمل بنشاط وطيب قلب وقوى فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون
ولا تطيعوا امر المسرفين اسند الطاعة التى هى انقياد الامر لامتثال الامر
او نسب حكم الامر الى امره مجازا الذين يفسدون فى الارض وصف
موضح لاشرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون دلالة على خلوص
فسادهم قالوا انما انت من المسحرين الذين سحروا حتى غلب على عقولهم او من
ذوى السحر وهى الرئة اى من الاناسى فيكون ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له
فات بآية إن كنت من الصادقين فى دعواك قال هذه ناقة اى
بعدما اخرجه الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب نصيب من الماء

كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم
فانتصروا على شربكم ولا تزاحموها على شربها ولا تمتوها بسوء كضرب وعقر
فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من
تعظيم العذاب فحقروها اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم
ولذلك اخذوا جميعا فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا من حلول العذاب
لا ندما اوعند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم فاخذهم العذاب اى العذاب
الموعد ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء
بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا
عن مثله ببركة من امن منهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم
اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران
من العالمين اى اتاتون من بين من عداكم من العالمين الذكران
لاشتراككم فيه غيركم اوتاتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم
وغلبة الاناث فيهم كانهن فذا عورتكم فالمراد بالعالمين على الاول
كل من ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل اسمتاعكم
من ازواجكم لبيان ما اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو المباح
منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنائهم ايضا بل انتم قوم عادون
متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون
في المعاصي وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان
لارتكابكم هذه الجريمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه اوعن نهينا او
تقبيح امرنا لتكونن من المخرجين من المنفيين من بين اظهرنا
ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال قال اني
لعملكم من القالين من المبغضين غاية البغض لا اشد على الانكار
عليه بالابعاد وهو ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال لد لالة على انه متعدد
في ذكرهم مشهور من جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون اى من شؤمه
وعذابه فنجيناه واهله اجمعين اهل بيته والمتبعين له على دينه
باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم الا عجوزا هي امراته لوطا
في الغابرين مقدرة في الباقين في العذاب اذا اصابها حجر

حجر في الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت
ممن بقي في القرية فانها لم تخرج مع لوط ثم دمرنا الاخرين اهلكناهم
وامطرنا عليهم مطرا قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم
فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يفتح وقوع المضاف اليه فاعل
ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة
المرسلين الايكة غيضة ينبت بها الشجر يريد غيضة بقرب مدين يسكنها
طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم ولذلك قال
اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف
وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وقرئ كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي اسم بلدهم
وانما كتبت ههنا وفي ص بغير الف اتباعا للفظ اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف
وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان المسوى وهو ان كان عربيا وان كان
من القسط فعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقراحمزة والكسائي وحفص
بكسر القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا شيئا من حقوقهم
ولا تعثوا في الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق
واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين وذوي الجبلة الاولين يعني
من تقدمهم من الخلايق قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر
مثلنا انوا بالواو والدلالة على انه جامع بين وصفين متنافيين للرسالة مبالغة
في تكذيبه وان نظنك لمن الكاذبين في دعواك فاسقط علينا كسفا
من السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد
وقراحفص بفتح السين ان كنت من الصادقين في دعواك قال
ربي اعلم بما تعملون وبعذابه منزل عليكم ما اوجبه لكم عليه في وقته المقدر
له لا محالة فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا بان
سلط عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم فاظلتهم السحابة فاجتمعوا
تحتها فامطر عليهم نارا فاحترقوا انه كان عذاب يوم عظيم ان في
ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم

هذا اخر القصص السبع المذكور على سبيل الاختصار وتسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار
الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به بدفع ان يقال انه كان بسبب
اتصالات فلكية او كان ابتلاء لهم لا مواخذة على تكذيبهم وانه لتنزيل رب
العالمين نزل به الروح الامين على قلبك تقرير لحقيقة تلك القصص وتنبيه
على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن
لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اريد به الروح فذاك
وان اريد به العضو فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على الروح
ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم يتصعد منه الى الدماغ ينتقش بها
لوح المخيلة والروح الامين جبريل فانه امين الله على وحيه وقرأ ابن عامر وابو بكر
وحمزة والكسائي بتشديد الزاء ونصب الروح الامين ليكون من المنذرين
عما يؤدي الى عذاب من فعل او ترك بلسان عربي مبين واضح والمعنى لئلا يقولوا
ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اى لتكون
ممن انذر وابلغة العرب وهم هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد عليهم السلام
وانه لفي زبر الاولين وان ذكره او معناه في الكتب المتقدمة اولم
يكن لهم اية على صحة القرآن او نبوة محمد عليه السلام ان يعلمه علماء
بني اسرائيل ان يجدوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرأ
ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل او الضمير
وان يعلمه بدل ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة واية خبر ان يعلمه والجملة
خبر تكن ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة في اعجازه او بلغة
العجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم لعدم
فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف
ولذلك جمع جمع السلامة كذلك سلكناه اى ادخلناه في قلوب المجرمين
والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا مؤمنين فدل الاية على انه
بخلق الله وقيل القرآن اى ادخلناه فيها فمرقوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به
عناد الا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان فيأتيهم
بغتة في الدنيا والاخرة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن
منظرون تحسرا وتاسفا افبعذابنا يستعجلون فيقولون امطر
علينا حجارة فاتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب اطلب النظرات افرأيت

ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا اما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون
لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه وما اهلكنا
من قرية الا لها منذرون انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى تذكرة
ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار او الرفع على انها
صفة منذرين باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكر
او خبر محذوف والجملة اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك
غير الظالمين وقيل الانذار وما تنزلت به الشياطين كما زعمت
المشركون انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة وما ينبغي لهم
وما يصح لهم ان ينزلوا به وما يستطيعون وما يقدرون انهم عن السمع
لكلام الملائكة لمعزولون لانه مشروط بمشاركة في صفاة
الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة
ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقايق ومغيبات
لا يمكن تلقيها الا من الملائكة فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من
المعذبين تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين وانذر
عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشانهم اهم
روى انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم
ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا ما فقال فاني نذير لكم بين يدي عذاب
شديد واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين لين جانبك لهم مستعار
من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان يحط ومن للتبيين لان من اتبع اعم
ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان
او المصدقون باللسان فان عصوك ولم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون
مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على
قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك سر من معصيتك منهم ومن غيرهم
وقرأ نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط الذي يراك
حين تقوم الى التهجد وتقلبك في الساجدين وتردد في تصفح
احوال المتهجدين كما روى انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة
بيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت
الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة او تصرفك فيما
بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا امتهم وانما

وصفه الله تعالى بجمله بحاله التي بها يستاهل ولايته بعد وصفه بان من شانه
قهر اعدآئه ونصر اولیآئه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه السلام انه هو السميع
العليم بما تنوبه هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل
على كل افاك اثيم لما بين ان القرآن لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين لكن
ذلك بان بين ان محمدا عليه السلام لا يصلح لان ينزلوا عليه من وجهين
احدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانشاد
بالغابيات لما بينها من التناسب والتوآخي وحال محمد صلوات الله عليه
على خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون السمع واكثرهم كاذبون اى الاقاويل
يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا واماارات لنقصان
علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلآتهم اشياء لا يطابق اكثرها كما جاء في الحديث
الكلمة يختطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا
كذلك محمد عليه السلام فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا يحصى وقد طابق كلها وقد
فتر الاكثر بالكل كقوله كل افاك والاظهر ان الاكثرية باعتبار اولهم على معنى
ان هؤلآء قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجني وقيل الضمير للشياطين
اى يلقون السمع الى الملاء الاعلى قبل ان وجمعا فيخطفون منهم بعض المغيبات
ويوحون به الى اوليآئهم او يلقون مسموعهم منهم الى اوليآئهم واكثرهم
كاذبون فيما يوحون به الى اوليآئه اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة
لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون
واتباع محمد ليسوا كذلك وهو استيناف ابطل كونه شاعرا وورثته بقوله تعالى
الم تر انهم في كل واد يهيمون لان اكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها
واغلب كلماتهم في الشيب بالخمر والغزل والابتهاد وتمزيق الاعراض
والقدح والانتساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه
والاطراء فيه واليه اشار بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون
وكانه لما كان اعجاز القرآن من جهة اللفظ والمعنى وقد قدحوا في المعنى بانه
تما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بانه من جنس كلام الشعراء تكلم في الفصلين
وبين منافاة القرآن لهما ومصادة حال الرسول لحال ازبابها وقوانا نم يتبعهم
بالتخفيف وقوى بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا
استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون

ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولوا
قالوا هجوا اراد وا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله
بن رواحه وحسان بن ثابت والكعبان وكان عليه السلام يقول لحسان
قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه عليه السلام قال لبعضهم
والذي نفس محمد بيده لهو اشد عليهم من النبل وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب
ينقلبون تهديد شديد لما في سيعلم من الوعد البليغ وفي الذين ظلموا
من الاطلاق والتعميم وفي اى منقلب ينقلبون اى بعد الموت من الابهام
والتهويل وقد تلا ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرى اى منقلب
ينقلبون من الانفلاق وهو النجات والمعنى ان الظالمين يعلمون ان ينقلبوا
من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبق
عليه السلام من قرا سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من
صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى

وصدق بمحمد عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات القرآن وكتاب مبين
الاشارة الى السورة والكتاب المبين اما اللوح واما انه اسم جنس وقد سماه
كاين فهو يبنيه للناظرين فيه وتاخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في النحو باعتبار
الوجود او القرآن وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه
وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم
وقرى وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه هدى وبشرى
للمؤمنين حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها
او خبران اخران او خبران لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
الذين يعملون الصالحات من الصلوة والزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون من
تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم
وثباتهم وانهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين
يعملون الصالحات هم الموقنون بالاخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف
العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص ان الذين
لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم زينا عمالهم القبيحة بان
جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب
عليهم ان يعملوها بترتب المثوبات عليها فهم يعمهون عنها لا يدركون

ما يتبعها من ضر او نفع اولئك لهم سوء العذاب كالقتل والاسر يوم بدر وهم
بالاخرة هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة
وانك لتلقى القرآن لتؤتاه من لدن حكيم عليم اى حكيم واى عليم والجمع
منهما مع ان العلم داخل فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل
والاشعار بان علوم القرآن منها ما هى حكمة كالعقايد والشرايع ومنها ما ليس
كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع فى بيان بعض تلك العلوم
بقوله اذ قال موسى لاهله انى انست نارا اى اذكر قصته اذ قال ويجوز
ان يتعلق بعليم سآتيكم منها بخبر اى عن حال الطريق لانه قد ضله
وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امراته لما كنى عنها بالاهل والتبين
للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ او آتيكم بشهاب قبس
شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون
ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان
على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجى فى طه والتردد للدلالة
على انه ان لم يظفر بها لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقته بعاده الله
تعالى انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده لعلكم تصطلون رجاء ان
تستدفئوا بها والصلاء النار التعظيمة فلما جاءها نودى ان بورك
اى بورك فان النداء فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او
مخففة من الثقيلة والتخفيف وان امتنى التعويض بلام او قد او السين
او سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره فى احكام كثيرة من فى النار
ومن حولها من فى مكان النار وهو بقعة المباركة المذكورة فى قوله
نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة ومن حولها مكانها
والظاهر انه عام فى كل من فى تلك الوادى وحواليها من ارض الشام
الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء واموتا
وخصوصا تلك البقعة التى كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى
والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضى له
امر عظيم ينتشر بركته فى اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين
من تمام ما نودى به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من عظمة
ذلك الامر وتعجب من موسى لما دعاه من عظمته يا موسى انه
انا الله الهاء للشان وانا الله جملة تفسيرية له او للمتكلم وانا خبره والله

والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد
انا القوى القادر على ما هدد من الاوهام كقلب العصا ثعبانا على كل ما يفعله
بحكمة وتدبير والق عصاك عطف على يورك اى نودى ان بورك من فى النار
وان الق عصاك ويدل عليه قوله وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى انى انا الله
بتكريرات فلما راها تهتز بتحرك باضطراب كانها جان حية خفيفة سريعة
وقرى جان على لغة من جد فى الهرب من النقاد الساكنين ولى مدبرا ولم يعقب
ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كره بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد
ويدل عليه قوله لا تخف اى من غيرى ثقة بى او مطلقا لقوله انى لا يخاف
لدى المرسلون حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس
اى من الله او لا يكون لهم عندك سوء عاقبة يخافون منه الا من ظلم ثم بدل حسنا
سوء فانى غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما يختلج فى الصدر
من نفى الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان
فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويسخطون به من الله مغفرة ورحمة وقصد
تعريض موسى بوكزه القبطى وقيل متصل وثم بمعنى مستانف معطوف على محذوف
اى من ظلم ثم بدل توبة بنه بالتوبة وادخل يدك فى جيبك لانه كان مدرعا
صوفا لا كم له وقيل بجيب القميص لانه يجاء اى يقطع تخرج بيضاء من غير سوء
انه كيد حد ثنى تسع آيات فى جملتها او معها على ان التسع هى الفلق
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم
والنقصان فى قراهم ومن بعد القصاه واليد من التسع ان بعد الاخير من
واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب فى تسع آيات
على انه استيناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاولين
متعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل
للارسال فلما جاءتهم آياتنا بانجاء هم موسى بها مبصرة مبينة اسم فاعل
اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلابها للابصار بحيث تكاد تبصر
نفسها لو كانت مما تبصر او ذات تبصر من حيثانها تهدى والعمى لا يهتدى
او مبصرة كل من نظر اليها وتامل فيها وقرى منصرة اى مكانا يكثر فيه البصر
قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها وكذبوا بها واستيقنتها
انفسهم وقد استيقنتها لانه الواو للحال ظلما لا نفسهم وعلوا ترفعا
من الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين

وهو الاغراق في الدنيا والاحراق في الاخرة وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرايع او علما اى علم وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ عطفه بالواو اشعارا بان ما قالا ء بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة كانه فعفعاه شكرا له ما فعاه وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ يعني من لم يؤت علما اومثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرفا هله حيث شكرا على العلم وجعلا ء اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذى لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله على ما اتاه من فضله وان يتواضع ويهتضم انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ النبوة والعلم او الملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ تشهير لنعمة الله وتنويها ودعاء للناس الى التصديق بذلك المعجزة التى هى علم منطق الطير وغير ذلك من عظايم ما اوتيه والنطق والمنطق في المتعارف كل لفظ يعتبر عما في الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق كل ما به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للمخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وبينهما تباين باختلاف الاغراض بحيث يفهم بها ما هو من جنسه لعل سليمان عليه السلام مهما سمع صوت جوز ان علم بقوته القدسية المخيل الذى صوته والغرض الذى توخاه به ومن ذلك احكى عنه انه مر ببلبل يتصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتالم قلب والضمير في عُلِّمْنَا وَأُوتِينَا لله ولابيه اوله وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتى كقوله تعالى تدمر كل شيء بامر ربها او علم كل شيء إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ الذى لا يخفى على احد وَحُشِرَ جمع لسليمان جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ يحبسون اى يحبس اولهم لاخرهم حتى اذا اتوا على وادي النمل واد بالشام كثير النمل ونسبة الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من علو اولان المراد قطعة من قولهم اذا على الشيء اذا افقده وبلغ آخره كانهم اراد وا ان يتزلوا اخريات الوادى قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ كانها لما رات متوجهين الى الوادى فرت عنهم مخافة خطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت

بها ما يحضرها من التمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع ان خلق الله فيها العقل والنطق لا يخطم سليمان وجنوده نهى لهم عن الخطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يخطمونها كقولهم لا ارينك ههنا فهو استينا او بدل من الامن لاجواب له فان النون لا يدخله في السعة وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها مشعوبة عضمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استيناف اى فهم سليمان والقوم وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله تعالى من ادراك همسها وفهم عرضها ولذلك سأل توفيق شكره وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ اجعلني ازع شكر نعمتك عندك ان اكفه وارتبطه ولا ينفلت عني بحيث لا انفك عنه وقرا البزى وورش بفتح ياء اوزعني الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تهيما لها فان النعمة عليهما نعمة علية والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ تماما للشكر واستدامة للنعمة وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ في عداد هم الجنة وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ام منقطعة كانه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لستر او غيره فقال مالي لا اراه ثم اختاط فلاح انه غايب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غايب كانه يسأل عن صحة ما لاح له لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا كسف ريشه والقاه في الشمس او حيث ياكله النمل او جعله مع ضده في قفص أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ ليعتبر به ابناء جنسه أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ بحجة يتبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلثة ثبت المحلوف عليه لعطفه عليهما وقرا ابن كثير اوليا تيني بنونين الاولى مفتوحة مشددة فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ وما ناغير بعيد تريد الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقراعاصم بفتح الكاف فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ يعني حال سباء وفي مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على ان في ادنى خلق الله واضعفه من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه عمله وقرى بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ وقرا ابن كثير برواية البزى وابو عمر وغير مصروف على تاويل القبيلة او البلدة بِنَبَإٍ يَقِينٍ

بخبر محقق دوى انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهيز للحج وفى الحرم
واقام بها ما يشاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة
فاعجبته زاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد دائما لان يحس
طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ خلق حين سليمن فرآى هدهدا
واقعا فانحط اليه فتوصفا وطار معه لينظرها وصف له ثم رجع بعد العصر
وحكى ما حكى ولعل فى عجايب قدرة الله تعالى وما خصه خاصة عباده اشياء
اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها انى
وجدت امراة تملكهم يعنى بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير لسبا
اولاهلها واوتيت من كل شىء يحتاج اليها الملوك ولها عرش عظيم
عظمه بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلثين ذراعا فى ثلثين
عرضا وسمكا وثمانين فى ثمانين من ذهب وفضة وكللا بالجواهر وجدتها
وقومها يسجدون للشمس من دون الله كانهم كانوا يعبدونها وزين لهم
الشيطان اعمالهم عبادة الشمس وغيرها من قبايح اعمالهم فصدهم
عن السبيل سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون اليه الا يسجدوا
لله فصدهم لان لا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم
او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرا الكسائى ويعقوب الا بالتخفيف
على انها يا التنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اى الا ياقوم اسجدوا كقولهم الا
الا يا اسمع نعطك لحظة فقلت سمعا فانطلق واصبه وعلى هذا صح ان يكون
استينافا من الله او من سليمان والوقف على لا يهتدون ويكون امرا
بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضى وجوب السجود فى الجملة
لا عند قرآنها وقرئ هلا بقلب الهمزة هاء والا يسجدون وهلا يسجدون
على الخطاب الذى يخرج الخبا فى السموات والارض ويعلم ما يخفون
وما يعلنون وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد
بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبا
ما خفى فى غيره واخراجه اظهاره وبغم اشراق الكواكب وانزال الامطار
وانبات النبات بل الاشياء فانه اخراج ما فى الشئ بالقوة الى الفعل والابداع
فانه اخراج ما فى الامكان والعدم الى الوجود والوجوب ومعلوم انه يختص
بالواجب لذاته وقرا الكسائى وحفص يخفون وما يعلنون بالتاء الله
لا اله الا هو رب العرش العظيم الذى هو اول الاجرام واعظمها

واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين دون عظيم قال سننظر سنتعرف
من النظر بمعنى التامل اصدقت ام كنت من الكاذبين ام كتبت والتغيير
للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم ثم تولوا
عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون
ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول قالت اى بعد ما القى اليها ايتها الملاء
انى القى الى كتاب كريم كوم مضمونه او مرسله اولانه كان مختوما او لغرابة
شانه ان كانت متلقية فى حيث معلقه الا بواب فدخل الهدهد فى كوة
والقاه على محرها بحيث لم تشعر به انه من سليمان استينافا وكانة قيل لها
ممن هو وما هو او ما هو فقالت انه اى الكتاب او العنوان من سليمان وانه
وان المكتوب او المضمون وقرئا بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل
لكونه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا على واتونى مسلمين
مؤمنين او منقادين وهذا كلام فى غاية الوجازة مع كمال الدلالة على
المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا
او التزاما والنهى عن الترفع الذى هو ام الرذايل والامر بالاسلام الجامع
لامهات الفضايل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته
حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة
من اعظم الدلايل قالت يا ايها الملاء افتونى فى امرى اجيبونى فى امر
الفتوى واذكروا ما تستصوبون فيه ما كنت قاطعة امرا ما تاب
ليما لوا امرا حتى تشهدون الا بحضركم استعطفتهم بذلك ليما لئوها على الاجابة
قالوا نحن اولو قوة بالاجساد والعدد واولو بأس شديد بجدة وشجاعة
والامر اليك موكول فانظرى ماذا تامرين من المقاتلة والصلح نطعك
ونتبع رايك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها تريق لما
احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية
واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يخطى سليمان خطاطهم الى افساد
ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا يدرى عاقبتها
وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك
من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون تاكيد لما وصفت من
حالهم وتقرير بان ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها
من الله عز وجل واتى مرسلة اليهم بهدية بيان لما ترى نقدمه

في المصالحة والمعنى انى مرسلة رسلا وبهدية ادفعه بها عن ملكى فناظرة
بم يرجع المرسلون من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روى انها بعثت
مندبين عمرو بن وقد وارسلت معهم غلمانا على ذى الجوارى وجوارى
على ذى الغلمان وحقا فيه درة عذراء وخرزة معوجة الثقب وقالت
ان كان نبيا ميزين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا
وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره وراوا عظمة شانه تقاصر
اليه نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبرئيل ما الجال وطلب الحق
واخبر عما فيه فامر الارضة فاخذت شعيرات ونفذت في الدرة وامر دودة
بيضاء فاخذت الخيطة ونفذت في الخرزة ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الغلام
بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذ يضرب به
وجهه ثم ردد الهدية فلما جاء سليمن اى الرسول او ما اهدت اليه وقرى فلما
جاؤا قال امدونن بمال خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل على
تغليب المخاطب وقرى حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة ونتوين
وحذف الياء فما اتانى الله من النبوة والملك الذى لا من يد عليه خير
مما اتاكم فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع لها عندى بل انتم بهديتكم
لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فتفرحون بما يهدى
اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم
والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتعليله الى بيان ما حملهم
عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع
اليهم الرسول اليهم الى بلقيس وقومها فلنا تينهم بجنود لا قبل لهم بها لاطاقة
لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم منها من
سبإ اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم صاغرون اسراء مهانون
قال يا ايها الملؤا ايكم ياتينى بعرشها اراد بذلك ان يريها بعض
ما خصه الله من العجايب الدالة على عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوة
ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه فتنكر قبل ان ياتونى
مسلمين فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذ الا برضاها قال عفريت
خبيث مارد من الجن بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه
وكان اسمه ذكوان او صخرا انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك مجلسك
للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار واني عليه على حمله لقوى امين

امين اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الذى عنده علم من الكتاب
اصف بن برخيا وزير او الخضر او جبرئيل او ملك ايده الله به او سليمن
نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة
كانت بسببه والخطاب في انا اتيك به ان يرتد اليك طرفك للعفريت كانه
استبطاه فقال ذلك او اراد اظهار معجزة في نفسه فجدد همرا فاراه ثم اراهم
انه يتاتى له ما لا يتهيا لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب
جنس الكتب المنزلة او اللوح واتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية
والطرف بحركة الاجفان للناظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال
الطرف كما في قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك
المناظر وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك
نحو شئ فقبل ان يرده اخضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع
ومثل فيه فلما راه راى العرش مستقرا عنده حاصلا بين يديه قال تلقبا
للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله هذا من فضل ربى
تفضل به على من غير استحقاق والاشارة الى التمكين من احضار الغرض
في مدة ارتداد الطرف في مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام في امكان
مثله قد مر في آية الاسرى ليبلوني اشكر بان اراه فضله من غير حول
مني ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد نفسي في البين او اقصر في
اداه مواجبه ومحلها النصب على البدل من ليبلوني اشكر فانما يشكر
لنفسه لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ومحيط عنها عاب الواجب
ويحفظها عن وصمة الكفران ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم بالاغضام
عليه ثانيا قال نكروا لها عرشها بتغيير هيئته وشكله ننظر
جواب الامر وقرى بالرفع على الاستيناف اتهتدي ام تكون من الذين
لا يهتدون الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله
ورسوله اذا رات تقدم عرشها وقد خلفته معلقة عليه الابواب
موكلة عليه الحراس فلما جاءت قيل اهكذا عرشك تشبيها عليها زيادة
في امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسفاهة العقل قالت كانه هو
ولم تقل هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها واوتينا
العلم من قبلها وكنا مسلمين من تمام كلامها كانها اظنت انه هو
اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله

وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الايات وقيل انه من كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابهم لما فيه من الدلالة على ايمانهم بالله ورسوله حيث مجوزت ان يكون ذلك عرشها بتجويز غالبا واحضاره ثم من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا يظهرها الا على الانبياء او ونينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون عرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا لله وصدها ما كانت تعبد من دون الله وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام او صدها الله عن عبادتها بالتوفيق الى الايمان انها كانت من قوم كافرين وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول اي صدها نشؤها بين اظهر الكفار او التعليل كقيل لها ادخلي الصرح القصر وقيل عرصة الدار فلما رأته حسبته لجة كشفت عن ساقيها روي انه امر قبل قدومها فبني قصر صحنه من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيها حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنت ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وقرأ ابن كثير برواية قنبل ساقيها بالهمزة حملا على جمعه سوق واسوق قال انه انما تظنينه ماء صرح ممرد مملس من قوارير من الزجاج قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادتي الشمس وقيل بظني سليمان فانها حسبت انه يغرقها في اللجة واسلمت مع سليمان لله رب العالمين فيما امره عباده وقد اختلف في انه تزوجها او زجها من ذي تبع ملك همدان ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجاوا التفرق والاختصام فامن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرون بها الى نزول العذاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ما يعده نبتاع لولا تستغفرون الله قبل نزوله لعلكم ترحمون بقبولها فانها لا تقبل خ قالوا اطيرنا بشؤمك وبمن معك اذ تابعت علينا الشدائد او وقع بيننا الافتراق منذ اخرعم دينكم قال طائركم شؤمكم سببكم الذي جاء منه شركم عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده بل انتم قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان طائرهم الذي هو بيد ما يجوبهم

يجوبهم الى ذكر ما هو كالناعي اليه وكان في المدينة تسعة رهط تسعة افند وانما وقع تمييز التسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفرانه من الثلث او السبعة الى العشرة والنفر من الثلثة الى التسعة يفسدون في الارض ولا يصلحون اي شانهم الافساد الخالص عن شوب الصلاح قالوا اي قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله امر مقول او خبر وقع بدلا او حالا باضمار قد لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله ليلا وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر ثم لنقولن فيه القراءات الثلث لولينه لولي دمه ما شهدنا مهلك اهله فضلا عن ان نوليهم اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذلك مهلك في قراءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا وانا لصادقون ونحلف انا لصادقون او الحال انا لصادقون فيما ذكرنا لان المشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحدنا بل نهلكه ومهلكهم كقولك ما رايته ثم رجلا قبل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا بان جعلناها سببا لاهلاكهم وهم لا يشعرون بذلك روي كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا ان زعم انه يفرغ منا الى ثلث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبعت عليهم فر الشعب فهلكوا ثمه وهلك الباقون في اماكنهم بالصيحة كما سيأتي الية بقوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين وكان ان جعلت ناقصة فخبرها فكيف انا دمرناهم استينافا وخبر محذوف لا خبر كان لعدم الفايدة وان جعلها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون وهشام بالفتح على انه خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبره وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية خالية من جوى البطن اذا خلا او ساقطة منهدمة من جوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها معنى الاستادة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك لاية لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا الذين امنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه اذ قال لقومه

بدل على الاول ظرف على الثانى أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون
تعلمون قبحها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح
او يبصر ونها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فيكون اخش
أئنكم لتأتون الرجال شهوة بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالبتة
للدلالة على قبحه والتنبية على ان الحكمة فى الموافقة طلب النسل لا قضاء
القطر من دون النساء اللاتى خلقن لذلك بل أنتم قوم تجهلون
تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح
او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به فى معنى المخاطب فما
كان جواب قومه الا ان قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس
يتطهرون يتزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا
فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها لمن الغابرين قدرنا كونها من الباقين
فى العذاب وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مر مثله
قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر رسوله بعد ما قص
عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شانه وما خصه به رسله
من الايات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والتسليم على المصطفين
من عبيده شكرا على ما انعم عليهم وعلمه تما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم
وحق قدمهم واجتهادهم فى الدين او لوطا بان يحمده على هلاك
كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة
من الهلاك آلله خير أما تشركون الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم
اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه رأسا حتى توازن بينه وبين
من هو مبدأ كل خير وقرا ابو عمر وعاصم ويعقوب بالياء
أمن بلا من خلق السموات والارض التى هى اصول المكاينات
ومبادى المنافع وقرى امن بالتخفيف على انه بدل من الله وأنزل لكم
لاجلكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة عدل به عن الغيبة
الى المتكلم لتاكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدايق
البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة
لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله ما كان لكم أن
تنبتوا شجرها شجر الحدائق وهى المسايرة من الاحداق وهو الاحاطة
أإله مع الله اغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المنفرد بالخلق

بل هم قوم يعدلون عن الحق الذى هو التوحيد أمن جعل الارض قرارا بدل من امن
خلق السموات وجعلها قرارا لابناه بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتاتى
استقرار الانسان والدواب عليها وجعل خلالها او وساطها انهارا
جارية وجعل لها رواسى جبالا يتكون فيها المعادن وينبع من
حضيضها المنابع وجعل بين البحرين العذب والمالح او خليجى فارس والروم
حاجزا برزخا وقد مر بيانه فى الفرقان أإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون
الحق فيشركون به أمن يجيب المضطر اذا دعاه المضطر الذى اجوجه
شدة ما به الى اللجاء الى الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة
واللام فيه للجنس لاستغراق افراده يلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف
السوء ويدفع عن الانسان ما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض
خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم أإله مع الله
الذى حفكم بهذه النعم العامة والخاصة قليلا ما تذكرون اى
تذكرون الآء تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة
المزيحة للفايدة وقرا ابو عمر وروح بالياء وحمزة والكسائى وحفص
بالتاء وتخفيف الذال أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر بالنجوم
وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليل اضافها الى البر والبحر
للملابسة او مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء التى لا منار لها
ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته يعنى المطر ولوضوح ان السبب الاعلى
فى تكون الريح معاودة الاوخفة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكساد
حرها وتموجها الهواء فلا يشكر ان الاسباب الفاعلية والقابلية
لذلك من خلق الله والفاعل للسبب فاعل للمسبب أإله مع الله يقدر على
مثل ذلك تعالى الله عما يشركون فى الخالق القادر عن
مشاركة العاجز المخلوق أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده والكفرة
وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن يرزقكم
من السماء والارض اى باسباب سماوية وارضية أإله مع الله يفعل
ذلك قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فى اشراكهم فان
كمال القدرة من لوازم الالوهية قل لا يعلم من فى السموات والارض

الغيب الا الله لما بين اختصاصه بالقدرة التامة المحيطة العامة
اتبعه ما هو كالملزوم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ولو
المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى وان جاز ممن في السموات
والارض ففيهم من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم او متصل على ان المراد
ممن في السموات من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه
يعلم الله تعالى واولى العلم من خلقه وهو موصول اوصوف وما يشعرون
ايان يبعثون متى يحشرون مركبة من اى وان قوى بكسر الهمزة
والضمير لمن وقيل للكفرة بل ادارك علمهم في الاخرة لما نفى علمهم
على الغيب واكد ذلك بنفى شعورهم بما هو ما لهم لا محالة بالغ بان اضرب
عنهم وبين ان ما انتفى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والايات وهو
ان القيمة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغى بل هم في شك
منها لمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون لا يذكرون
دلايلها لاختلال عقول بصيرتهم وهذا وان اختص بالمزكين ممن في السموات
والارض ينسب الى جميعهم كما ينسد فعل البعض الى الكل و
الاضراب بالثلث تنزيل لاجوالهم وقيل الاول اضراب عن نفى الشعور
بوقت القيمة عنهم ووصفهم باشياخكام علمهم في علم الاخرة
تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادرك الثمرة لانتهاء
غايتها التى عندها تقدم وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وحفص
بل ادارك بمعنى تتابع حتى اشياخكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو
فلان اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادرك واصله تفاعل او افتعل
وقرئ ادرك بهمزتين وآادرك بالف بينهما وبل ادرك وبل تدارك وبل
ادّرك وبلى ادرك وام ادرك وام تدارك وما فيه استفهام صريح او
مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسيره بالادراك
على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على
ان شعورهم بها انتفى شاكون فيها بل انتفى منها عمون اورد وانكار
وقال الذين كفروا ءاذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون كالبيان
لجهلهم والعامل في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو مخرج لا مخرجون
لان كلا من الهمزة وان واللام ماحقة من عمله فيما قبله وتكرير الهمزة
للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من

او من حال الفناء الى الحيوة وقرا نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وابن
عامر والكسائى أئنا لمخرجون على الخبر لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا
من قبل من قبل وعد محمد وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر
هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين
التى هى كاسمار قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين
تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين
قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك المعاصى
ولا تحزن عليهم على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن في ضيق في حرج
صدر وقرا ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اى امر
ضيق مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ويقولون متى هذا الوعد
العذاب الموعود ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم بعكم
ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد او الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام
مثل دنى وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذى تستعجلون جعلوه
وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما
يطلقونها اظهارا لوقارهم واشعارا بالرمز فيهم كالتعريض من غيرهم
وعليه جرى وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس
بتاخير عقوبتهم على المعاصى والفضل والفاضلة الافضال وجمعها
فضول وفواضل ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعم فيه
فلا يشكرون بل يستعجلون بجهلهم ووعيده وان ربك ليعلم ما تكن
صدورهم ما يخفيه وقرى بفتح التاء من كننت اى سترت وما يعلنون
من عداوتك فيجازيهم عليه وما من غائبة في السماء والارض
خافية فيهما وتما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية
او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عاقبة وعافية الا في كتاب مبين
بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة
ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون
كالتبنية والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح وانه لهدى
ورحمة للمؤمنين فانهم المنتفعون به ان ربك يقضى بينهم بين
بنى اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ودليل
عليه انه قوى بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بحقيقه

ما يقضى فيه وحكمه فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم انك على الحق
المبين وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله وقصره انك لا تسمع الموتى
تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن مسابعتهم ومعاضدتهم
وآسا وانما شبههوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما
شبهوا بالصم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين
فان اسماعهم في هذه الحال ابعد وقوا بين كثير ولا يسمع الصم وما انت
بهادي العمي عن ضلالتهم حيث الهداية لا تحصل الا بابصار وقوا بين
وحد وما انت تهدي العمي ان تشبع اى ما يجدى اسماعك الا من يؤمن بآياتنا
من هو في علم الله كذلك فهم مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله واذا وقع
القول عليهم اذا لم ادنا وقوع معناه وهو ما وعد وابه من البعث والعذاب
اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة روى ان طولها ستون
ذراعا ولها قوايم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها
طالب وروى انه عليه الصلوة والسلام سئل عن مخرجها فقال
من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام تكلمهم من الكلم
وقيل من الكلام اذ قرئ تكلمهم وروى انها تخرج ومعها عصا موسى
وخاتم سليمان فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فتبيض به
وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه ان الناس
كانوا بآياتنا لا يوقنون وجها وسايرا حوالها فانها من ايات الله تعالى وقيل القرآن
وقرا الكوفيون ان الناس بالفتح لا يوقنون لا يتيقنون وهي حكاية معنى
قولها او حكايتها لقول الله او علة بتقدير وجها او كلها على حذف الجار
ويوم نحشر من كل امة فوجا يعني يوم القيمة ممن يكذب
بآياتنا بيان للفوج اى فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لانه امة
كل نبي واهل كل زمان شامل للمصدقين والمكذبين فهم يوزعون
يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتبادر
اطرافهم حتى اذا جاؤا الى المحشر قال اكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها
علما الواو للحال اى اكذبتم بها بادى الرأى غير ناظرين فيها نظرا
يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف
اى اجمعتم بين التكذيب بها وعدم الفحص الا ذهانا لتحققها
ام ماذا كنتم تعملون ام اى شئ كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت

للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا
غير ذلك ووقع القول حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار بعد
ذلك عليهم بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فهم
لا ينطقون باعذار تشغلهم بالعذاب الم يروا ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم
الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص
غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور
في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة في مواد الابدان وان من جعل النهار
ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل لما هو مناط جميع مصالحهم
في معاشهم ومعادهم انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار والنهار
مبصرا فان اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احوال المجعول
عليها بحيث لا ينفك عنها ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون لدلالتها على الامور
الثلثة ويوم ينفخ في الصور او في القرن صورة وصور كصوفة وصوف
وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ففزع من في السموات
ومن في الارض من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه الا من شاء الله اى لا يفزع
بان يثبت الله قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة
وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل الماء ما يعم ذلك
وكل اتوه اى حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرأ
حمزة وحفص اتوه على الفعل وقرئ اتاه لتوحيد لفظ الكل داخرين صاغرين
وقرئ دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر مر السحاب
في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبين
حركتها صنع الله مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة كقوله
وعد الله الذي اتقن كل شئ احكم خلقه وسواه على ما ينبغي انه خبير بما تفعلون
عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة فله
خير منها اذا ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحدة
وقيل خير منها اى هو خير حاصل من جهتها وهو الجنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وهشام خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء وهم من فزع يومئذ امنون
يعني به خوف عذاب يوم القيمة وبالاول ما يلحق الانسان من التهيب لما يرى من
الاهوال والعظايم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقراء الكوفيون بالتنوين لان المراد
فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وامن يعدى بالجار وبنفسه كقوله افامنوا

مكر الله وقراء الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها وَمَنْ جَاءَ
بِالسَّيِّئَةِ قيل بالشرك فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ فكبوا فيها على وجوههم
ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدى فى قوله تع ولا تلقوا بايديكم
هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ على الالتفات وباضمار القول اى فيقال لهم ذلك
إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا امر الرسول ان يقول لهم
ذلك بعد ما بين لهم المبدء والمعاد وشرح احوال القيمة اشعارا بانه قد اتم الدعوة
وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشأنه والاستغراق فى عبادة ربه
وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشانها وقرئ التى حرمها
وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ خلقا وملكا وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ المنقادين او الثابتين
على ملة الاسلام وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ وان اواظب على تلاوته لينكشف لى حقايقه
فى تلاوته شيئا فشيئا او اتباعه وقرئ وأتل عليهم القران وأن أتل فَمَنِ اهْتَدَى
باتباعه اياى فى ذلك فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ فان منافعه عائدة اليه وَمَنْ ضَلَّ
بمخالفتى فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ فلا على من وبال ضلالة شئ اذ ما على الرسول
الا البلاغ وقد بلغت وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ على نعمة النبوة او على ما علمنى ووفقنى للعمل به
سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ القاهرة فى الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض وفى الاخرة
فَتَعْرِفُونَهَا فتعرفون انها ايات الله ولكن حين لا ينفعكم المعرفة وَمَا رَبُّكَ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ فلا تحسبوا ان تاخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ فى السبعة
بالياء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قراء سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وصالح وابرهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو يقول لا اله الا الله

سورة قصص عمان وثمانون اية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُوا عَلَيْكَ نقراءه
بقراءة جبرئيل ويجوز ان يكون بمعنى نتلوه مجازا مِنْ نَبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بَعْضَ
نبائهما مفعول نتلوا بِالْحَقِّ محقين لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لانهم المنتفعون به إِنَّ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ استئنافا مبينا لذلك البعض والارض ارض مصر
وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا فرقا يشيعونه فيما يريد ويشيع بعضهم بعضا فى طاعته
او اصنافا فى استخدامه استعمل كل صنف فى عمل واخرا بان اغرى بينهم العداوة
كيلا يتفقوا عليه يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ وهم بنو اسرائيل والجملة حال من
فاعل جعل او صفة لشيعا او استئنافا وقوله يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ
بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود من بنى اسرائيل يذهب
ملكك على يديه وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب
فاوجه إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فلذلك اجتراء على قتل خلق كثير من اولاد الانبيا
لتخيل فاسد وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ان نتفضل عليهم
بانقاذهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث
انهما واقعان تفسيرا للبناء او حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة
الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان يكون تعلق الارادة به حينئذ
تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز
ان تجرى مجرى المقارنة وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً مقتدين فى امر الدين وَنَجْعَلَهُمُ
الْوَارِثِينَ لما كان فى ملك فرعون وقومه وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ارض مصر والشام
واصل التمكين ان يجعل للشئ مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق
الامر وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ من بنى اسرائيل ما كانوا يحذرون
من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ يرى بالياء وفرعون وهامان
وجنودهما بالرفع وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ بالهام او رؤيا أَنْ أَرْضِعِيهِ ما
امكنك اخفاؤه فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ بان يحس به فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ فى البحر يريد النيل
وَلَا تَخَافِي عليه ضيعة ولا شدة وَلَا تَحْزَنِي لفراقه إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ عن قريب
بحيث تامنين عليه وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ روى انها لما ضاق بها الطلق
دعت قابلة من الموكلات بحبالى بنى اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض
ملا لها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها
من الاستعانة فارضعته ثلثة اشهر ثم الح فرعون فى طلب المواليد واجتهد
العيون فى تفحصها فاخذت له تابوتا فقذفته فى النيل فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ
لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض
الحامل عليه وقراء حمزة والكسائى حزنا وهما لغتان كالعدم والعدم إِنَّ فِرْعَوْنَ
وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ فى كل شئ فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله
ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله بان
ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتاكيد خطائهم او لبيان الموجب لما
ابتلوا به وقرئ خاطين بتخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطاء وَقَالَتِ
امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ اى لفرعون حين اخرجته من التابوت قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ هو
قرة عين لنا لانهما لما راياه اخرج من التابوت احباه اولانه كانت لها ابنة برصاء

وعالجها الاطباء بريق حيوان بحرى يشبه الانسان فلطحت برصها بريقه
لبرأت وفى الحديث انه قال لالى ولو قال لى كما هو لك لهداه الله كما هداها لاقتضاه
خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى أن ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلايل النفع
وذلك لمارات من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه
او نتخذه ولدا او نقبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين او من
القائله والمقول له اى وهم لا يشعرون انهم على الخطاء فى التقاطه او طمع النفع منه
والتبنى له او من احد ضميرى نتخذه على ان الضمير للناس اى وهم لا يشعرون انه لغيرنا
وقد نقبناه وأصبح فؤاد أم موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة
حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون كقوله وافئدتهم هواء اى خلاء لا عقول فيها
ويؤيده انه قرئ فرغا من قولهم وما وهم بينهم فرغ اى هدر او من الهم لفرط وثوقها بوعد
الله او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدى به انها كادت
لتظهر موسى اى بامره وقصته من فرط الضجرة او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على
قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله او من الواثقين
بحفظه لا يتبنى فرعون وعطفه وقرئ موسى اجراء للضمة فى جارا لواو مجرى ضمتها
فى اسد عاء همزتها همزة واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه
ما قبله وقالت لأخته مريم قصيه ابتغى اثره وتتبعى خبره فبصرت به عن جنب
عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه وهم لا يشعرون انها نقصها
وانها اخته وحرمنا عليه المراضع ومعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع
او مرضع وهو الرضاع او موضعه يعنى الثدى من قبل قصصها على اثره فقالت
هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون
فى ارضاعه وتربيته روى انها ما ان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله خذوها حتى
نختبر لحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتى بمن يكفله فاتت
بامها وموسى على يد فرعون يبكى وهو يعللله فلما وجد ريحها استانس والتقم ثديها
فقال لها من انت منه فقد ابى كل ثدى الا ثديك قالت انى امرأة طيبة الريح طيبة
اللبن لا اوتى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها
وهو قوله فرددناه الى امه كى تقر عينها بولدها ولا تحزن بفراقه ولتعلم
ان وعد الله حق علم مشاهدة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان وعده حق فيرتابون فيه
او ان الغرض الاصلى من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها
حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون ولما بلغ اشده مبلغه الذى لا يزيد عليه

عليه النشور وذلك من ثلثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ روى انه لم
يبعث نبى الا على رأس الاربعين واستوى قده وعقله آتيناه حكما نبوة وعلما
بالدين او علم العلماء والحكماء وسمنهم فقبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل
ما يستجهل فيه وهو او فق لنظم القصة لانه استنباءه بعد الهجرة فى المراجعة
وكذلك ومثل ذلك الذى فعلنا بموسى وامه نجزى المحسنين على احسانهم
ودخل المدينة ودخل مصر ابتا من قصر فرعون وقيل منف وحابين او عين
الشمس من نواحيها على حين غفلة من أهلها فى وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقونه
فيه قيل وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا
من شيعته وهذا من عدوه احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر
من مخالفيه وهو القبط والاشارة واقعة على الحكاية فاستغاثه الذى من
شيعته على الذى من عدوه فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدى بعلى وقرئ
استعانه فوكزه موسى وضرب القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه اى فضرب بصدره
فقضى عليه فقتله فاصله فانهى حيوته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال
هذا من عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار اولانه كان ذميا فيهم فلم يكن له
اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطاء وانما عده من عمل الشيطان وسماه
ظلما واستغفر عنه على عادتهم فى استعظام محقرات فرطت منهم انه عدو مضل
مبين ظاهر العداوة قال رب انى ظلمت نفسى بقتله فاغفر لى ذنبى فغفر له
باستغفاره انه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم قال رب بما انعمت
على قسم محذوف الجواب اى اقسم بانعامك على بالمغفرة وغيرها لاتوبن فلن اكون
ظهيرا للمجرمين او استعطاف اى بحق انعامك على اعصمنى فلن اكون معينا لمن
ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس لم يستثن فابتلى بمرة اخرى فقيل معناه بما
انعمت على من القوة اعين اوليائك فلن استعملها فى مظاهرة اعدائك فاصبح فى
المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة فاذا الذى استنصره بالامس
يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ قال له موسى انك لغوى مبين بين
الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل اخر فلما اراد ان يبطش بالذى هو
عدو لهما لموسى والاسرائيلى لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء
بنى اسرائيل قال يا موسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس قاله الاسرائيل
لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش عليه او القبطى كانه توهم من قوله انه الذى قتل القبطى
بالامس لهذا الاسرائيل ان تريد اى ما تريد الا ان تكون جبارا فى الارض تطاول

على الناس ولانتظر العواقب وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس فدفع
التخاصم بالتي هي احسن ولما قال هذا التفت الحديث وارتقى الى فرعون وملائه فهموا بقتله
فخرج مؤمن من ال فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى
يسرع صفة لرجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لاصلة لجاء لان
تخصصه بها يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك يتشاورون
بسببك وانما سمي التشاور ايتمارا لان كلا من المتشاورين يأتمر الاخر ويأتمر فاخرج اني
لك لمن الناصحين اللام للبيان وليس صفة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم على
الموصول فخرج منها من المدينة خائفا يترقب لحوق طالب قال رب نجني من القوم
الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين
قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابرهيم ولم تكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين
مصر مسيرة ثمان قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله وحسن ظن به
وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلث طرق فاخذ في وسطها فجاء الطلاب عقيبه
واخذوا في الاخرين ولما ورد ماء مدين وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها
وجد عليه وجد فوق شفيرها امة من الناس جماعة كثيرة مختلفين يسقون
مواشيهم ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم امرأتين تذودان
تمنعان اغنامهما عن الماء كيلا يختلط باغنامهم قال ما خطبكما اي شانكما تذودان
قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا من مزاحمة
الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه الى السقي
لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر اي ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو
اسم جمع كالرخا وابونا شيخ كبير كبير السن لا يستطيع ان يخرج للسقي فيرسلنا
اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر
لا يقله الا سبعة رجال او اكثر فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة
القدم وقيل كانت بئرا اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها ثم تولى الى
الظل فقال رب اني لما انزلت الي اي لاي شيء انزلت من خير قليل او كثير وحمله
الاكثرون على الطعام فقير محتاج سائل ولذلك عدي باللام وقيل
اني لما انزلت الي من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون والغرض
منه اظهار التجلد والشكر على ذلك فجاءته احديهما تمشي على استحياء اي مستحيية
متحفزة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفورا او صفراء وهي التي
تزوجها موسى قالت ان ابي يدعوك ليجزيك ليكافئك اجر ما سقيت لنا جزاء

جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته
لاطمعا في الاجر بل روي انه لما جاءه قدم طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت
لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا
وان من فعل معروفا واهدى بشيء لم يجرم اخذه فلما جاءه وقص عليه القصص
قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون وقومه قالت احديهما يعني
التي استدعته يا ابت استأجره لرعي الغنم ان خير من استأجرت القوي الامين
تعليل جامع يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه جعل
وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه مجرب معروف روي ان شعيبا قال لها
وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت قوته بافلال الحجر وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته
وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني
ثماني حجج تأجر نفسك مني وتكون لي اجيرا او تبيني من اجرك الله تمانيي بحج ظرف على الاولين
ومفعول به على الثالث باضمار مضافا اي رعية ثماني حجج فان اتممت عشرا عملت عشر
حجج فمن عندك فاتمامه من عندك لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء العقد
لا نفسه فلعله جرى على معينة وبمهر اخر او برعية الاجل الاول ووعده ان يوفي
الاخيران تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرايع
في ذلك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر والمناقشة في مراعاة الاوقات
واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك
اعتقادك في اطاقته ورايك في مزاولته ستجدني ان شاء الله من الصالحين
في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة قال ذلك بيني وبينك اي ذلك
الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه ايما الاجلين اطولهما او اقصرهما
قضيت وفيتك اياه فلا عدوان علي لا يعتدى علي بطلب الزيادة فكما لا اطالب
بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثماني او فلا اكون معتديا بترك الزيادة
كقولك لا اثم علي وهو ابلغ في اثبات الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء من ان يقال
ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي وقرئ ايما كقوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما على
من الغيث استهلت مواطره وقرئ وائي الاجلين ما قضيت فيكون ما مزيدة لتأكيد
الفعل اي الاجلين جزدت عزمتي لقضائه وعدوان بالكسر والله على ما نقول من
المشارطة وكيل شاهد حفيظ فلما قضى موسى الاجل وسار باهله
بامرأته روي انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا اخر ثم عزم على
الرجوع آنس من جانب الطور نارا ابصر من الجهة التي تلي الطور قال لاهله

امكثوا الى انست نارا لعلى ءاتيكم منها بخبر بخبر الطريق او جذوة عود غليظ سواء
كان فى راسه نارا ولم يكن قال كثير باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الحذى
غير خوار ولا دعر قال والقى على قبس من النار جذوة شديدا عليها حرها والتهابها
ولذلك بينه بقوله مِنَ النَّارِ وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات لَعَلَّكُمْ
تَصْطَلُونَ تستدفئون بها فَلَمَّا ءَاتٰىهَا نُودِىَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ اتاه النداء
من شاطئ الايمن لموسى فِى الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ متصل بالشاطئ اوصلة لنودى
مِنَ الشَّجَرَةِ بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت نابتة من الشاطئ اَنْ يٰمُوسٰى
اى يا موسى اِنِّى اَنَا اللّٰهُ رَبُّ الْعٰلَمِينَ هذا وان خالف فى ما فى طه والنمل لفظا فهو
طبقه فى المقصود وَاَنْ اَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ اى فالقاها فصارت ثعبانا
واهتزت فلما رآها تهتز كَاَنَّهَا جَانٌّ فى الهيئة والجثة او فى السرعة وَلّٰى مُدْبِرًا منهزما
من الخوف وَلَمْ يُعَقِّبْ ولم يرجع يٰمُوسٰى نودى يا موسى اَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ اِنَّكَ مِنَ
الْءَامِنِينَ عن المخاوف فانه لا يخاف لدى المرسلون اُسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ ادخلها
تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ عيب وَاضْمُمْ اِلَيْكَ جَنَاحَكَ يدك المبسوطتين تتقى بها
الحية كالخايف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس وبادخالهما فى الجيب
فيكون تكريرا لغرض اخر وهو ان يكون ذلك فى وجه العدو اظهار جرءة ومبداء لظهور
معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من
حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا ءامن واطمان ضمها اليه مِنَ الرَّهْبِ
من اجل الرهب اى اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن
عامر وحمزة والكسائى وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمتها وقرأ حفص
بالفتح وبالسكون والكل لغات فَذٰنِكَ اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير
وابو عمرو ورويس بُرْهَانٰنِ حجتان وبرهان فعلان كقولهم ابره الرجل اذا جاء
بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال بَرْهاء وَبَرْهَرَهَة للمرأة البيضاء وقيل
ضلال لقولهم برهن مِنْ رَبِّكَ مرسلا بهما اِلٰى فِرْعَوْنَ وَمَلَا۟ئِهِۦٓ اِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فٰسِقِينَ وكانوا احقاء بان يرسل اليهم قٰلَ رَبِّ اِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَاَخَافُ
اَنْ يَقْتُلُونِ بها وَاَخِى هٰرُونُ هُوَ اَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَاَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا معينا وهو فى
الاصل اسم ما يعان به كالدف اسم لما يدفؤ به وقرأ نافع رِدْاً بالتخفيف يُصَدِّقُنِىٓ
بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة اِنِّىٓ اَخَافُ اَنْ يُكَذِّبُونِ ولساني لا يطاوعني
عند الحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد
الفعل الى السبب وقراء عاصم وحمزة يصدقنى بالرفع على انه صفة والجواب محذوف

محذوف قال سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِاَخِيكَ سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد
على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا
غلبة او حجة فَلَا يَصِلُونَ اِلَيْكُمَا باستيلاء او حجاج بِـَٔايٰتِنَآ متعلق بمحذوف
اى اذهبا بايا تنا او بنجعل اى نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون اى تمتنعون منهم
او قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون فى قوله اَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ
بمعنى انه صلة لما بينه او صفة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذى فَلَمَّا
جَآءَهُمْ مُوسٰى بِـَٔايٰتِنَا بَيِّنٰتٍ قَالُوا مَا هٰذَآ اِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى سحر تختلقه لم يفعل من
قبل مثله او سحر تعمله ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء كسايرانواع السحر
وَمَا سَمِعْنَا بِهٰذَا يعنون السحر او دعاء النبوة فِىٓ ءَابَآئِنَا الْأَوَّلِينَ اى كائنا فى ايامهم
وَقَالَ مُوسٰى رَبِّىٓ اَعْلَمُ بِمَنْ جَآءَ بِالْهُدٰى مِنْ عِنْدِهِۦ فيعلم انى محق وانتم مبطلون وقرأ
ابن كثير قال بغير واو لانه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف بالواو ان المراد حكاية
القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد وَمَنْ تَكُونُ لَهُۥ عَاقِبَةُ
الدَّارِ العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هى الجنة
لانها خلقت مجازا الى الاخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما
قصد بالعرض وقرأ حمزة والكسائى بكون بالياء اِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ الظّٰلِمُونَ لا يفوزون
بالهدى فى الدنيا وحسن العاقبة فى العقبى وَقَالَ فِرْعَوْنُ يٰٓاَيُّهَا الْمَلَاُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ
مِنْ اِلٰهٍ غَيْرِى نفى علمه بالله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضى الجزم بعدمه
ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد عليه ويطلع على الحال بقوله فَاَوْقِدْ لِى يٰهَامٰنُ
عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِى صَرْحًا لَعَلِّىٓ اَطَّلِعُ اِلٰٓى اِلٰهِ مُوسٰى كانه توهم انه لو كان لكان جسما
فى السماء يمكن الترقى اليه ثم قال وَاِنِّى لَاَظُنُّهُۥ مِنَ الْكٰذِبِينَ او اراد ان يبنى له
رصدا يترصد منها اوضاع الكواكب ويرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل
دولة وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كقوله اتنبؤن الله بما لا يعلم فى السموات
ولا فى الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها
لازمة لتحقق معلوماتها فلا يلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية
قيل الاول من اتخذ الاجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة
مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا فى وسط الكلام وَاسْتَكْبَرَ
هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ بغير الاستحقاق وَظَنُّوٓا اَنَّهُمْ اِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ
بالنشور وقراء نافع وحمزة والكسائى بفتح الياء وكسر الجيم فَاَخَذْنٰهُ وَجُنُودَهُۥ
فَنَبَذْنٰهُمْ فِى الْيَمِّ كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشان الاخذ واستحقار

لسان الماخوذ كانه اخذهم مع كثرتهم فكف وطرحهم فى اليم ونظير وما قدروا
الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر
يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً
قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ
الى موجبتها من الكفر والمعاصى وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ بدفع العذاب
عنهم وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم
الملائكة والمؤمنون وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ من المطرودين او ممن قبح
وجوههم وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ التورية مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ
الْأُولَى اقوام نوح وهود وصالح ولوط بَصَائِرَ لِلنَّاسِ انوارا لقلوبهم تتبصر بها
الحقايق وتميز الحق والباطل وَهُدًى الى الشرايع التى هى سبل الله وَرَحْمَةً
لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ليكونوا على حال يرجى
منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ يريد
الوادى او الطور فانه كان فى شق الغرب من مقام موسى والجانب الغربى منه
والخطاب لرسول الله اى ما كنت حاضرا إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ اذ اوحينا
اليه الامر الذى اردناه تعريفه وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ للوحى اليه او على الوحى
اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على اخباره عن ذلك
من قبيل الاخبار عن المغيبات التى لا تعرف الا بالوحى ولذلك استدرك عنه
بقوله وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ اى ولكنا اوحيناه اليك
لانا انشانا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاول عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت
الشرايع واندرست العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه وَمَا كُنْتَ
ثَاوِيًا مقيما فِي أَهْلِ مَدْيَنَ شعيب والمؤمنين به تَتْلُوا عَلَيْهِمْ تقرؤ عليهم تعلما
منهم آيَاتِنَا التى فيها قصتهم وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ اياك ومخبرين لك بها وَمَا
كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا لعل المراد به وقت ما اعطاه التورية وبالاول
حيث ما استنباه لانها المذكوران فى القصة وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ولكن
علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة لِتُنْذِرَ قَوْمًا متعلق بالفعل المحذوف
مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لوقوعهم فى فترة بينك وبين عيسى وهى خمس مائة
وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى كانت
مختصة ببنى اسرائيل وما حواليهم لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ يتعظون وَلَوْلَا أَنْ

أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا
لولا الاولى امتناعية والثانى تحضيضية واقعة فى سياقها لانها تما اجيبت بالفا
تشبيها لها بالامر مفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى
السببية المشبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به
وانه لا يصدر عليهم حتى يلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم
اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا =
يبلغنا اياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اى انا ارسلناك
قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ يعنى الرسول المصدق بنوع من
المعجزات وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ
من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ
قَبْلُ يعنى ابناء جنسهم فى الرأى والمذهب وهم كفرة زمان موسى عليه السلام وكان
فرعون عربيا من اولاد عاد قَالُوا سِحْرَانِ يعنون موسى وهارون او موسى ومحمدا عليهما
السلام تَظَاهَرَا تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران
بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب
الاعجاز وقرئ تظاهرا على الادغام وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ اى بكل منهما او بكل
الانبياء قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا مما نزل على موسى وعلى
واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المعنى بالساحرين موسى ومحمدا اتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ انا ساحران مختلفان فهذا من الشروط التى يراد بها الالزام والتبكيت
ولعل مجىء حرف الشك للتهكم بهم فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ دعاءك الى الاتيان بالكتاب
الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء
وباللام الى الداعى فان عدى اليه حذف الدعاء غالبا كقوله وداع دعا يا من يجيب
الى الغدا فلم يستجبه عند ذاك مجيب فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ اذ لو اتبعوا
حجة لاتوا بها وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ استفهام بمعنى النفى بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ
فى موضع الحال للتاكيد والتقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الذين ظلموا انفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ
الْقَوْلَ اتبعنا بعضه بعضا فى الانزال ليتصل التذكير او فى النظم ليقرر الدعوة بالحجة
والمواعظ بالمواعيد والنصايح بالعبر لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فيؤمنون ويطيعون
الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب وقيل فى اربعين
من اهل الانجيل اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير

فى من قبله للقرآن كالمستكن فى وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ اى بانه كلام الله إِنَّهُ
الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم به إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ
استيناف اخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ وانما هو امر تقادم
عهده لما راوا ذكره فى الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن
او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته فى الجملة أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ مرة على
ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن بِمَا صَبَرُوا بصبرهم وثباتهم على الايمانين
او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من هاجر هم من اهل دينهم
وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله صلى الله عليه
وسلم اتبع الحسنة السيئة تمحها وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فى سبيل الخير وَإِذَا
سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ تكرما وَقَالُوا للاغين لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ متاركة لهم وتوديعا او دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ
لا نطلب صحبتهم ولا نريدها إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ لا تقدر ان تدخله فى الاسلام
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ فيدخله فى الاسلام وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ بالمستعدين
لذلك والجمهور على انها نزلت فى ابى طالب فانه لما اختضر جاءه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخى قد علمت
انك لصادق ولكنى اكره ان يقال الخدع عند الموت وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ
نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا نخرج منها نزلت فى الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف
اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك
وخالفنا العرب ان تتخطفنا من ارضنا فقرة الله عليهم بقوله أَوَلَمْ نُمَكِّن
لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا اولم نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الذى فيه يتناحر العرب
حَوْلَهُ وهم امنون يُجْبَىٰ إِلَيْهِ يحمل اليه ويجمع فيه وقراء نافع وبعقوب فى رواية
بالتاء ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ من كل اوب رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا فاذا كان حالهم هذا وهم عبدة الاصنام
فكيف يعرضهم التخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ جملة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله من لدنا اى
قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غير وانتصاب
رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان
الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله على ما هم عليه بقوله وَكَمْ أَهْلَكْنَا
مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا اى وكم اهلكنا من اهل قرية كانت حالهم كحالكم فى الامن
وخفض العيش حتى اسروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ خَاوِيَةً

خاوية لم تسكن مِن بَعْدِهِمْ من لدن اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم
او لا يبقى من يسكنها إِلَّا قَلِيلًا من شوم معاصيهم وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ منهم اذ لم
يخلفهم احد يتصرف تصرفهم فى ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتضاء معيشتها بنزع
المحافظ او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم او باضمار مضاف اليها او
مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت وَمَا كَانَ رَبُّكَ وما كانت عادته مُهْلِكَ الْقُرَىٰ
حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا فى اصلها التى هى مزاعمها لان اهلها يكون افظن وانيل
رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا لالزام الحجة وقطع المعذرة وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا
وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ بتكذيب الرسل والعتو فى الكفر وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ من اسباب
الدنيا فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا تتمتعون فتتزينون به مدة حيوتكم المقضية وَمَا
عِندَ اللَّهِ وهو ثوابه خَيْرٌ فى نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وَأَبْقَىٰ
لانه ابدى أَفَلَا تَعْقِلُونَ فتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير وقرئ بالياء
هو ابلغ فى الموعظة أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن
الموعود فَهُوَ لَاقِيهِ مدركه لا محالة لامتناع الخلف فى وعده ولذلك عطفه
بالفاء المعطية معنى السبب كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الذى هو مشرب
بالالام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
مِنَ الْمُحْضَرِينَ للحساب والعذاب وثم للتراخى فى الزمان او الرتبة وقرأ نافع وابن
عامر فى رواية والكسائى ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه الاية
كالنتيجة للتى قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ عطف على يوم القيمة
او منصوب باذكر فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ اى الذين كنتم تزعمونهم
شركائى فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ
بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
وغيره من ايات الوعيد رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا اى هؤلاء الذين اغوينا هم
فحذف الراجع الى الموصول أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا اى اغويناهم فغووا اغيا مثل ما غوينا
وهو استئناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم فانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة =
وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاده زيادة
على الصفة وان كانت فضلة لكنه صار من اللوازم تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ منهم وما اختاروا
من الكفر هوى منهم وهى تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ما كانوا
إِيَّانَا يَعْبُدُونَ اى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية
متصلة بتبرأنا اى تبرأنا من عبادتهم ايانا وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فدعوهم

من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة ورأوا العذاب لازيا بهم
لو أنهم كانوا يهتدون لوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما راوا العذاب
وقيل لو للتمنى اى تمنوا انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم
المرسلين عطف على الاول فانه تعالى يسئال اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم
الانبياء فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمى عليهم لا تهتدى
اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما يحضر الذهن
انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطاه لم يكن له حيلة الى استحضاره
والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون في
الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى فما ظنكم بالضلال عنهم
وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا
عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل
صالحا وجمع بين الايمان والعمل فعسى ان يكون من المفلحين عند الله وعسى تحقيق
على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار
لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة اى التخير كالطيرة بمعنى التطير فظاهره
نفى الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار
الله منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار
عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روى انه نزل في قولهم لولا انزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم وقيل يا موصول مفعول يختار والراجع اليه محذوف
والمعنى ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة اى الخير والصلاح سبحان الله تنزيها
له ان ينازعه احد او يزاحمه اختيار اختيار وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او
مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة الرسول وحقد
وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها
الا هو له الحمد في الاولى والاخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها واجلها يحمده المؤمنون
في الاخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى
صدقنا وعده اتبهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم القضاء النافذ في كل
شئ واليه ترجعون بالنشور قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دايما
وهو من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص الى يوم القيمة باسكان
الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغابر من اله غير الله يأتيكم بضياء
وكان حقه هل اله فذكر من على زعمهم ان غير الهة وعن ابن كثير بضاء بهمزتين

بهمزتين افلا تسمعون سماع مدبر واستبصار قل ارأيتم ان جعل الله عليكم
النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق
الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشغال
ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك
الليل ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا
تبصرون لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع
المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ويوم
يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع للاشعار بانه
لاشئ اجلب لغضب الله من الاشراك به او الاول لتقرير فساد راياهم والثاني لبيان
انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشهي وهوى ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا
وهو نبيهم ليشهد عليهم بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم
تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم
وغاب عنهم غيبة الضايع ما كانوا يفترون من الباطل ان قارون كان من قوم
موسى كان ابن عم يصهر بن قاهث بن لاوى وكان ممن آمن به فبغى عليهم فطلب
الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه
فرعون على بني اسرائيل او حسدهم لما روى انه قال لموسى لك الرسالة ولهارون الحبورة
وانا في غير شئ الى متى اصبر وآتيناه من الكنوز من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه
مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها
المفتح لتنوء بالعصبة او الى القوة خبران والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتاه وانما
الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ
لتنوء بالباء على اعطاء المضاحكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح
لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها
فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال اشد الغم
عندى في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتيكم
وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال ان الله لا يحب الفرحين
اى بخارف الدنيا وابتغ فيما آتاك الله من الغنى الدار الاخرة بصرفه فيما
يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها ولا تنس ولا تترك ترك
النسى نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها اخرتك او تأخذ منها ما يكفيك

وَاَحْسِنْ اِلٰى عِبَادِ اللّٰهِ كَمَا اَحْسَنَ اللّٰهُ اِلَيْكَ فيما انعم الله عليك وقيل احسن بالشكر
والطاعة كما احسن اليك بالانعام وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِى الْاَرْضِ نهى له عما كان من الظلم
وابتغى بامر يكون علة للظلم والبغى اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِيْنَ لسوء افعالهم قَالَ اِنَّمَآ
اُوْتِيْتُهٗ عَلٰى عِلْمٍ عِنْدِىْ فضّلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه
والمال وعلى علم فى موضع الحال وهو علم التوراة وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء
وقيل علم التجارة والدهقنة وساير المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندى
صفة له اومتعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندى اى فى ظنى واعتقادى اَوَلَمْ يَعْلَمْ
اَنَّ اللّٰهَ قَدْ اَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهٖ مِنَ الْقُرُوْنِ مَنْ هُوَ اَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَّاَكْثَرُ جَمْعًا تعجيب وتوبيخ
على اعتذاره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قراءه فى التوراة وسمعه من حفاظ
التواريخ اورد لادّعائه العلم وتعظيمه به نفى هذا العلم عنه اى عنده مثل ذلك
العلم الذى ادّعيته ولم يعلم هذا حتى بقى به نفسه مصارع المهالكين وَلَا يُسْـَٔلُ
عَنْ ذُنُوْبِهِمُ الْمُجْرِمُوْنَ سؤال استعلام فانه تعالى مُطّلع عليها اومعاتبة فانهم
يعذبون بها بغتة كانه لمّا هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه
واغنى اكّد ذلك بان بيّن انه لم يكن ما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم
مُعاقبهم عليها لا محالة فَخَرَجَ عَلٰى قَوْمِهٖ فِىْ زِيْنَتِهٖ كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه
الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيّه قَالَ الَّذِيْنَ يُرِيْدُوْنَ
الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا على ما هو عادة الناس من الرغبة يٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ اُوْتِىَ قَارُوْنُ
تمنوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد اِنَّهٗ لَذُوْ حَظٍّ عَظِيْمٍ من الدنيا وَقَالَ الَّذِيْنَ اُوْتُوا
الْعِلْمَ باحوال الآخرة للمتمنين وَيْلَكُمْ دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما يرتضى ثَوَابُ
اللّٰهِ فى الآخرة خَيْرٌ لِّمَنْ اٰمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا مما اوتى قارون بل من الدنيا وما فيها وَلَا يُلَقّٰىهَآ
الضمير فيه التى تكلم بها العلماء اوللثواب فانه بمعنى المثوبة اوللجنة اوللايمان والعمل
الصالح فانهما فى معنى التوبة والطريقة اِلَّا الصّٰبِرُوْنَ على الطاعة وعن المعاصى فَخَسَفْنَا بِهٖ
وَبِدَارِهِ الْاَرْضَ روى انه كان يوذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته
حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح
موسى بين بنى اسرائيل ليرفضوه فرطل بغيّة لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام
موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه
فقال قارون ولو كنت قال ولو كنتُ قال ان بنى اسرائيل يزعمون فجرت بفلانة فاحضرت
فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على ان ارميك بنفسى
فخرّ موسى ساكيا عنه الى ربّه فاوحى اليه انّ مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه

خُذِيْهِ فَاَخَذَتْهُ الى ركبتيه ثم قال خذيه فَاَخَذَتْهُ الى وسطه ثم قال لخذيه فخسفت به
وكان قارون يتضرع اليه فى هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه ما انظك استرحامك
مرارا فلم ترحمه وعزتى لو دعانى مرة فاجبته قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله
حتى خسف بداره وامواله فَمَا كَانَ لَهٗ مِنْ فِئَةٍ اعوان مشتقة من فاءوت
راسه اذا مثلته يَّنْصُرُوْنَهٗ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ فيدفعون عنه عذابه وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِيْنَ
الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه عنه فامتنع فَاَصْبَحَ الَّذِيْنَ
تَمَنَّوْا مَكَانَهٗ منزلته بِالْاَمْسِ منذ زمان قريب يَقُوْلُوْنَ وَيْكَاَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهٖ وَيَقْدِرُ يبسط ويقدر بمقتضى مشيته لا لكرامة تقتضى البسط
ولا لهوان يوجب القبض وويكان عند البصريين مركب من وى للتعجب وكان للتشبيه
والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الرزق وقيل من ويك بمعنى ويلك وان تقديره ويك
اعلم ان الله لَوْلَآ اَنْ مَّنَّ عَلَيْنَا فلم يعطنا ما تمنينا لَخَسَفَ بِنَا لتوليده فينا ما ولّده
فيه فخسف به لاجله وَيْكَاَنَّهٗ لَا يُفْلِحُ الْكٰفِرُوْنَ لنعمة الله او المكذبون برسله
وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة تِلْكَ الدَّارُ الْاٰخِرَةُ اشارة تعظيم كانه قال تلك التى
سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر نَجْعَلُهَا لِلَّذِيْنَ لَا يُرِيْدُوْنَ عُلُوًّا فِى
الْاَرْضِ غلبة وقهرا وَلَا فَسَادًا ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون وَالْعَاقِبَةُ
الْمَحْمُوْدَةُ لِلْمُتَّقِيْنَ ما لا يرضاه الله مَنْ جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فله خَيْرٌ مِّنْهَا ذاتا وقدرا ووصفا
وَمَنْ جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِيْنَ عَمِلُوا السَّيِّاٰتِ وضع فيه الظاهر موضع الضمير
تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم اِلَّا مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ الا مثل ما كانوا يعملون
فحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة فى المماثلة اِنَّ الَّذِىْ فَرَضَ عَلَيْكَ
الْقُرْاٰنَ اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لَرَآدُّكَ اِلٰى مَعَادٍ اى معاد وهو
المقام المحمود الذى وعدك ان يبعثك فيه او مكة التى اعتدت بها على انه من العادة
رده اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة للمتقين واكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد
المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى فى الدارين روى انه لما بلغ جحفة فى مهاجره اشتاق الى
مولده ومولد اباءه فنزلت قُلْ رَّبِّىْٓ اَعْلَمُ مَنْ جَآءَ بِالْهُدٰى وما يستحقه من الثواب
والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم وَمَنْ هُوَ فِىْ ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ وما استحقه من العذاب
والاذلال يعنى به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وَمَا كُنْتَ تَرْجُوْٓا اَنْ يُّلْقٰٓى
اِلَيْكَ الْكِتٰبُ اى سيردك الى معادك كما القى الكتاب وما كنت ترجو اِلَّا رَحْمَةً مِّنْ
رَّبِّكَ ولكن القاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قال وما القى
اليك الكتاب الا رحمة اى لاجل الترحم فَلَا تَكُوْنَنَّ ظَهِيْرًا لِّلْكٰفِرِيْنَ بمداراتهم

والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ عن قراءتها والعمل بها بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وقرئ يُصَدُّنَّكَ من اصدّ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ الى عبادته وتوحيده وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بمساعدتهم وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدتهم لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ الا ذاته فان ماعداه ممكن هالك في حدّ ذاته معدوم لَهُ الْحُكْمُ القضاء النافذ في الخلق وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ للجزاء بالحق عن النبيّ صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر يعدد من صدّق موسى وكذّب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون او سبع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الم سبق القول فيه فوقوع الاستفهام بعد دليل استقلاله بنفسه او بما يضمّ معه أَحَسِبَ النَّاسُ الحسبان تمايتعلق بعضا مين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين او ما يسدّ مسدّهما كقوله أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم امنا فالترك اوّل المفعولين وغير مفتونين من تمامه ولقولهم امنّا هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتأديب وانفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم امنّا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات وضايف الطاعات وانواع المصائب في الانفس والاموال ليتميّز المخلص من المنافق والثابت في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات فان مجرّد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب روي انها نزلت في ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمّار رقد عذّب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رماه عمّار بن الخضرميّ بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية في الامم كلّها فلا ينبغي ان يتوقع خلافه فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ فليتعلّق علمه بالامتحان تعلّقا حاليا يتميّز به الذين صدقوا في الايمان والذين كذبوا فيه ويتوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى وليميّزنّ او ليجازينّ وقرئ فليعلمنّ من الاعلام اى وليعرفنّهم الناس او فليسمنّهم بسمة يعرفون بها يوما لقيمة كبياض الوجوه وسوادها أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ الكفر والمعاصي فانّ العمد يعم افعال القلوب والجوارح أَنْ يَسْبِقُونَا يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسدّ مفعولي حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاوّل ولهذا عقّبه بقوله سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ اى بئس الذي يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ في الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على نمط حاله مجال عبد قدم على سيّده بعد زمان مديد وقد اطلع السيّد على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضي من افعاله او بسخط لما سخط منها فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ فانّ الوقت المضروب للقائه لَآتٍ لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر ما يحق امله ويصدق رجاءه او ما يستوجب القربة والرضاء وَهُوَ السَّمِيعُ لاقوال العباد الْعَلِيمُ بعقايدهم وافعالهم وَمَنْ جَاهَدَ نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ لان منفعته لها إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ فلا حاجة به الى طاعتهم وانما كلّف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ اى احسن جزاء اعمالهم وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا بايتانه فعلا ذا حسن او كانه في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجري مجرى امر معنى ونصرفا وقيل هو بمعنى قال اى وقلنا له احسن بالدّيك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسّر للتوصية اى قلنا او لهما افعل بهما حسنا وهو او فق بما بعده وعليه يحسن الوقف على بالديه وقرئ حسنا او احسانا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ بالالهيّة عبّر عن نفيها بنفي العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحّته لا يجوز اتّباعه وان لم يعلم بطلانه فَلَا تُطِعْهُمَا في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بدّ من اضمار القول ان لم يضمر إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ مرجع من امن منكم ومن اشرك ومن بر بالديه ومن عق فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بالجزاء عليه والاية نزلت في سعد بن ابي وقاص وامّه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لا تستقل من الضحّ ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتدّ ولبثت ثلثة ايام كذلك وكذا التي في لقمان والاحقاف وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنّى انبياء الله والمرسلين او في مدخلهم وهي الجنة وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ بان عدّبهم الكفرة على الايمان جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ ما يصيبهم من اذيّتهم في الصرف عن الايمان كَعَذَابِ اللَّهِ في الصرف عن الكفر وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ فتح وغنيمة لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ في الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعف ايمانهم فارتدّوا عن اذى المشركين ويؤيّد الاوّل أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ من الاخلاص والنفاق وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بقلوبهم وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ فيجازي الفريقين وَقَالَ الَّذِينَ

كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا الذى سلكه فى ديننا وليحمل خطاياكم ان كان ذلك خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون من الاولى للتبين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملن اثقالهم اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا لا مع اثقالهم واثقالا اخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصى من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شئ وليسئلن يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون من الاباطيل التى اضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما بعد المبعث اذ روى انه بعث على رأس اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما كان فى ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما يكابد من الكفرة واختلاف الممتزين لما فى التكرير من البشاعة فاخذهم الطوفان طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل وظلام او نحوهما وهم ظالمون بالكفر فانجيناه اى نوحا واصحاب السفينة ومن ركب معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اى السفينة او الحادثة اية للعالمين يتعظون ويستدلون بها وابرهيم عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لارسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون ما هو خير مما هو شر او كنتم تنظرون فى الامور بنظر العلم دون نظر الجهل انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وتكذبون كذبا فى تسميتها الهة واد عاء شفاعتها عند الله او تسمونها وتنحتونها للافك وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلقون من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكليف وافكا على انه مصدر كالكذب او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدى بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله

كله فانه المالك له واعبدوه واشكروا له متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حققكم من النعم بشكره او مستعدين للقائه بهما فانه اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء وان تكذبوا وان تكذبونى فقد كذب امم من قبلكم من قبلى من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم فالمضار انفسهم حيث تسببت لما حل بهم من العذاب وكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين الذى زال معه الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالاية وما بعدها من جملة قصة ابرهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان تكون اعتراضا بذكر شان النبى صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعتهم توسط بين طرفى قصته من حيث ان مساقها لتسلية رسول والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما منى به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابرهيم فى قومه اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة ومن غيرها وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبداء ثم يعيده اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان يكون الاعادة بان ينشئ فى كل سنة مثل ما كان فى السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما ويعطف على يبدئ ان ذلك الاشارة الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين على الله يسير اى لا يفتقر فى فعله الى شئ قل سيروا فى الارض حكاية كلام الله لابرهيم او محمد عليهما السلام فانظروا كيف بدأ الخلق على اختلاف الاجناس والاحوال ثم الله ينشئ النشأة الاخرة بعد النشأة الاولى التى هى الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح باسم الله تعالى مع ايقاعه مبتداء بعد اضماره فى بداء والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود بيانا لاعادة وان من عرف بالقدرة على الابداء ينبغى ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام فى العطف مامر وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشأة كالرأفة ان الله على كل شئ قدير لان قدرته لذاته ونسبة ذاته على كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الاولى يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته واليه تقلبون ترددون وما انتم بمعجزين ربكم على ادراككم فى الارض ولا فى السماء ان فررتم من قضائه بالتوارى فى الارض والهبوط فى مهاويها والتحصن فى السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل من فى السماء كقول حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بايات الله بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك ييسوا من رحمتى اى

ييأسون منها يوم القيمة فحرعنه بالماضى للتحقيق والمبالغة او ايسوا فى الدنيا
لانكار البعث والجزاء وَاُولٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ بكفرهم فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهٖٓ
قوم ابرهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر اِلَّآ اَنْ قَالُوا اقْتُلُوْهُ اَوْ حَرِّقُوْهُ
وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل منهم ورضى به الباقون اسند الى كلهم فَاَنْجٰىهُ
اللّٰهُ مِنَ النَّارِ اى فقذفوه فيها فانجاه الله منها بان جعلها عليه بَرْدًا وَّسَلٰمًا
اِنَّ فِىْ ذٰلِكَ فى انجائه منها لَاٰيٰتٍ هى حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها
فى زمان يسير وانشاء روض مكانها لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَ لانهم المنتفعون بالتفحص عنها
والتأمل وَقَالَ اِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ اَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا اى
لتتوادّوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واثانى مفعولى اتخذتم محذوف
ويجوز ان يكون المودة المفعول الثانى بتقدير مضاف اوبثانا وبلها بالمودودة اى
اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقراءها نافع وابن عامر وابوبكر منونة ناصبة
بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو الكسائى ودويس مرفوعة مضافة على
انها خبر مبتداء محذوف اى هى مودودة اوسبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا
اوخبر ان على ان ما مصدرية اوموصولة والعايد محذوف وهو المفعول الاوّل
وقرئ مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودّة
بينكم ثُمَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَّيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا اى يقوم التناكر
والتلاعن بينكم اوبينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم
عليهم ضدا وَمَاْوٰىكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ نّٰصِرِيْنَ يخلصونكم منها فَاٰمَنَ لَهٗ لُوْطٌ ؕ
وهو ابن اخته واوّل من امن به وقيل انه امن به حين راى النار لم يحرقه وَقَالَ
اِنِّىْ مُهَاجِرٌ من قومى اِلٰى رَبِّىْ الى حيث امرنى ربى اِنَّهٗ هُوَ الْعَزِيْزُ الذى يمنعنى من
اعدائى الْحَكِيْمُ الذى لم يأمرنى الا بما فيه صلاحى روى انه هاجر من كوثى سواد
الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنت عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين
ونزل لوط سدوم وَوَهَبْنَا لَهٗٓ اِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ ولدا ونافلة حين ايس عن الولادة
من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل وَجَعَلْنَا فِىْ ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ فكثر منهم
الانبياء وَالْكِتٰبَ يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة وَاٰتَيْنٰهُ اَجْرَهٗ
على هجرته الينا فِى الدُّنْيَا باعطاء الولد فى غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار
النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه الى اخر الدهر وَاِنَّهٗ
فِى الْاٰخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِيْنَ لفى عداد الكاملين فى الصلاح وَلُوْطًا عطف على ابرهيم
اوما عطف عليه اِذْ قَالَ لِقَوْمِهٖٓ اِنَّكُمْ لَتَاْتُوْنَ الْفَاحِشَةَ الفعلة البالغة فى

فى الفتح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على
الاستفهام فى الثانى مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ اَحَدٍ مِّنَ الْعٰلَمِيْنَ استيناف مقرّر
لفحاشتها من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس
حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم اِنَّكُمْ لَتَاْتُوْنَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُوْنَ السَّبِيْلَ
وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق
او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وَتَاْتُوْنَ
فِىْ نَادِيْكُمُ فى مجالسكم الغاصة ولا يقال النادى الا لما فيه اهله الْمُنْكَرَ كالجماع
والضراط وحل الازار وغيرها من القبايح عدم مبالات بها وقيل الخذف
بالحصى والرمى بالبنادق فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهٖٓ اِلَّآ اَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللّٰهِ
اِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ فى استقباح ذلك او فى دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ
قَالَ رَبِّ انْصُرْنِىْ بانزال العذاب عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِيْنَ بابتداع الفاحشة وسنها
فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة فى استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء
بان يحل لهم العذاب وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ اِبْرٰهِيْمَ بِالْبُشْرٰى بالبشارة بالولد
والنافلة قَالُوْٓا اِنَّا مُهْلِكُوْٓا اَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ قرية سدوم والاضافة لفظية ؕ
لان المعنى الاستقبال اِنَّ اَهْلَهَا كَانُوْا ظٰلِمِيْنَ تعليل لاهلاكهم باصرارهم
وتماديهم فى ظلمهم الذى هو الكفر وانواع المعاصى قَالَ اِنَّ فِيْهَا لُوْطًا اعتراض
عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبى بين اظهرهم
قَالُوْا نَحْنُ اَعْلَمُ بِمَنْ فِيْهَا لَنُنَجِّيَنَّهٗ وَاَهْلَهٗٓ تسليم لقوله مع ادّعاء مزيد العلم به
وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله
او ثاقبيت للاهلاك باخراجهم عنها وفيه تأخير البيان عن الخطاب اِلَّا امْرَاَتَهٗ كَانَتْ
مِنَ الْغٰبِرِيْنَ الباقين فى العذاب او القرية وَلَمَّآ اَنْ جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوْطًا سِيْٓءَ
بِهِمْ جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتاكيد
الفعلين واتصالهما وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه
اى طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مقيطا له
وذلك لان طويل الذراع ينال ما لا ينال قصير الذراع وَقَالُوْا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ على تمكنهم منا اِنَّا مُنَجُّوْكَ وَاَهْلَكَ اِلَّا امْرَاَتَكَ
كَانَتْ مِنَ الْغٰبِرِيْنَ وقراء حمزة والكسائى ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف
ووافقهم ابوبكر وابن كثير فى الثانى وموضع الكاف جر على المختار ونصب
اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل اِنَّا مُنْزِلُوْنَ عَلٰٓى اَهْلِ

هٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ عذابا منها سمى بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اى اضطرب وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ بسبب فسقهم وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً هى حكايته الشايعة او اثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطور فانها كانت باقية بعد وقيل بقيّة انهارها المسودة لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار وهو متعلّق بترككنا او اية وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وافعلوا ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبرائل لان القلوب ترجف بها فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ فى بلدهم او دورهم ولم يجمع لامن اللبس جَاثِمِينَ باركين على الركب ميتين وَعَادًا وَثَمُودَ منصوبان باضمار اذكروا وفعل دلّ عليه ما قبل مثل اهلكنا وقراء حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير منصرف على تأويل القبيلة وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ اى تبيّن لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ من الكفر والمعاصى فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ السَّوِيِّ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا او متبيّنين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل ولكنهم لجوا حتى هلكوا وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ معطوفون على عادًا وتقديم قارون لشرف نسبه وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ عاقبنا بذنبه فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ريحا عاصفا فيها الحصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ كمدين وثمود وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ كقارون وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا كقوم نوح وفرعون وقومه وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بالتعريض للعذاب مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ فيما اتخذوا معتمدًا ومتكلًا كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا فيما نسجته من الوهن والخور لذاك اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجصّ والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عَنَاكِبَ وَعَنَاكِبَ وَعِكَابٍ وَعَكَبَةٍ وَأَعْكُبٍ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لا بيت اوهن واقل وقاية للحرّ والبرد منه لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ يرجعون الى علم لعلموا انّ هذا مثلهم او انّ دينهم اوهن من ذلك

مِنْ ذٰلِكَ ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد به فى الدين دينهم إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ على اضمار القول اى قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ البصريان ويعقوب بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بتدعون ويعلم معلّقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيئ مفعول تدعون او مصدرية وشيئ مصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول تدعون عائد المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخرين وعيد لهم وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعدّ شيئا ممن هذا شانه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شئ البالغ فى العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قدر على مجازاتهم وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ يعنى هذا المثل ونظايره نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ تقريبا لما بعد من افهامهم وَمَا يَعْقِلُهَا ولا يعقل حسنها وفايدتها إِلَّا الْعَالِمُونَ الذين يتدبرون الاشياء على ما ينبغى وعنه ع انه تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ محقّقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ لانهم المنتفعون بها اُتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع سمعه وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصى حال الاشتغال وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه روى ان فتى من الانصار كان يصلى مع رسول الله ص الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ارتكبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وللصلوة اكبر من سايرالطاعات وانما عبّر عنها به للتعليل فان استشمالها على ذكره وهى العمدة فى كونها مفضّلة على الحسنات ناهية عن السيّئات او لذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه لطاعته وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ منه ومن سايرالطاعات فيجازيكم بها احسن المجازات وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ الا بالخصلة التى هى احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ باية السيف ذلا لمجادلة اشدّ منه وجوابه انه اخر الدواء وقيل المراد به ذوو العهد منهم إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ بالافراد فى الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ هو

من المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل
الكتاب ولا تكذبوه وقولوا امنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم
تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ
مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله وَكَذَٰلِكَ مثل ذلك الانزال أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ وحيا مصدقا لسابر
الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ هم عبد الله
ابن سلام واحزابه او من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل
الكتاب وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ ومن العرب او اهل مكة او ممن في عهد الرسول من اهل
الكتابين مَن يُؤْمِنُ بِهِ بالقرآن وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا مع ظهورها وقيام الحجة
عليها إِلَّا الْكَافِرُونَ الا المتوغلون في الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما
يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول كما اشار اليه بقوله وَمَا كُنتَ
تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع
الشريفة على امي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للنفي
ونفي للتجوز في الاسناد إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ اي لو كنت ممن يخطه ويقراء لقالوا
لعله تعلمه او التقطه من كتب المتقدمين وانما سماهم مبطلون لكفرهم ولارتيابهم
بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم
نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر بَلْ هُوَ
بل القرآن آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ في صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ يحفظونه لا يقدر احد تحريفه
وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلايل
اعجازها حتى لم يعدوا بها وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ مثل ناقة صالح وعصى
موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات
قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ينزلها كما يشاء لست ملكها فايتكم بما تقترحونه وَإِنَّمَا أَنَا
نَذِيرٌ مُّبِينٌ ليس شاني الا الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ آيَةً
مغنية عما اقترحوه إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ تدوم تلاوته عليهم متحدين
فلا يزال معهم اية ثابتة لا يضمحل بخلاف سايرالايات او يتلى عليهم يعني اليهود يتحقق
ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك إِنَّ فِي ذَٰلِكَ في ذلك الكتاب الذي هو اية
مستمرة وحجة مبينة لَرَحْمَةً لنعمة عظيمة وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وتذكرة لمن همه
الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله بكف كتب فيها
بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان رغبوا عما جاء هم به نبيهم الى ما جاء

الى ما جاء به غيرنبيهم فنزلت قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا بصدقي وقد صدقني
بالمعجزات او بتبليغي ما ارسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فلا يخفى عليه حالي وحالكم وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ
وهو ما يعبد من دون الله وَكَفَرُوا بِاللَّهِ منكم أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ في صفقتهم
حيث اشتروا الكفر بالايمان وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ بقولهم امطر علينا حجارة من
السماء وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لكل عذاب او قوم لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ عاجلا وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً
فجاءة في الدنيا كوقعة بدر او الاخرة عند نزول الموت بهم وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بانيانه
يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب
او هي كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على
وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا
بحكم الجنس على حكمهم يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت كيت
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ من جميع جوانبهم وَيَقُولُ الله او بعض ملائكته بامره
لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ اي جزاءه يَا عِبَادِيَ
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم
يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه ع من فر بدينه من ارض
الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد عليهما السلام والفاء
جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض
فاخلصوها في غيرها كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ تناله لا محالة ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ للجزاء ومن
هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له وقراء ابو بكر بالياء وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم لننزلنهم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا عالية وقراء حمزة والكسائي لنثوينهم
اي لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه
الظرف الموقت بالمبهم تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ
وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الَّذِينَ صَبَرُوا على اذية المشركين
والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ولا يتوكلون الا على الله
وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة
عندها اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ثم انها مع ضعفها او توكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء
في انه لا يرزقها واياكم الا الله لان رزق كل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا
على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة
فنزلت وَهُوَ السَّمِيعُ بقولكم هذا الْعَلِيمُ بضميركم وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ المسئول عنهم اهل مكة لَيَقُولُنَّ اللَّهُ لما تقرر فى العقول
وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ يصرفون عن توحيده بعد
اقرارهم بذلك اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ يحتمل ان يكون الموسع له
والمضيق عليه واحدًا على ان البسط والقبض على التعاقب وان لا يكون على وضع الضمير موضع
من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ بعلم مصالحهم ومفاسدهم
وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ معترفين
بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذى لا يقدر
على شئ من ذلك قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ على ما عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك وإظهار
حجتك بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدأ لكل ما عداه ثم انهم
يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
اشارة تحقير وكيف لا وهى لا تزن عند الله جناح بعوضة إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ الا كما يلهى
ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه وينتهبون به ساعة ثم يتفرقون متعبين وَإِنَّ الدَّارَ
الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لهى دار الحيوة الحقيقة لامتناع طريان الموت وجعلت هى فى ذاتها
حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حيى يستعمل بذ والحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية
واوا وهو ابلغ من الحيوة لما فى بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللائم للحيوة ولذلك
اختير عليها ههنا لو كانوا يَعْلَمُونَ لم يوثروا عليها الدنيا التى اصلها عدم الحيوة والحيوة
فيها عارضة سريعة الزوال فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ متصل بما دل عليه شرح حالهم
اى هم ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كائنين فى
صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه
لا يكشف الشدايد الا هو فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ فاجوء المعاودة الى الشرك
لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ اللام فيه لام كى يشركون ليكونوا كافرين بشكرهم نعمة النجاة وَلِيَتَمَتَّعُوا
باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها او لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير
وحمزة والكسائى وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عاقبة ذلك حين
يعاقبون أَوَلَمْ يَرَوْا يعنى اهل مكة أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا اى جعلنا بلدهم مصونا عن النهب
والتهدى امنا اهله عن القتل والسبى وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ يختلسون قتلا او سبيا
اذ كانت العرب حوله فى تغاور وتناهب أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ ابعد هذه النعمة المكشوفة
وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم او الشيطان يؤمنون وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ حيث
اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق المبالغة وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا بان زعم ان له شريكا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ يعنى الرسول

الرسول والكتاب وفى لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم
بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ تقرير لثوائهم
كقوله أَلَسْتُمْ خير من ركب المطايا اى لا يستوجبون الثواء فيها وقد فرط امثل
هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او للاجرائهم اى لم يعلموا ان فى جهنم
مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجرءة وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا فى حقنا فاطلاق المجاهدة
ليعم جهاد الاعادى الظاهرة والباطنة باسوائه لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا سبل السير الينا
والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى
والذين اهتدوا زادهم هدى وفى الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وَإِنَّ اللَّهَ
لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ بالنصرة والاعانة قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قراء
سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية وهى ستون وأربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ارض العرب منهم لانها
الارض المعهودة عندهم او فى ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة وَهُمْ
مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب
سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ روى ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات
وبصرى وقيل بالجزيرة وهى ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح
المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل الكتاب ونحن وفارس اميون
وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر لا يقر الله اعينكم
فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابى بن خلف كذبت اجعل
بيننا اجلا اناحبك عليه فناجعه على عشر قلايص من كل واحد منهما وجعلا الاجل
ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلث الى
التسع فزايده فى الخطر وماده فى الاجل فجعلها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابى من جرح
رسول الله بعد قفوله من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من
ورثة ابى وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به واستدل به الحنفية
على جواز العقود الفاسدة فى دار الحرب واجيب عنه بانه كان قبل تحريم القمار والاية من
دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه
ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمين سيغلبونهم وفى السنة التاسعة من نزوله
غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ

ومن بعد من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو
وقت كونهم غالبين اى له الامر حين غلبوا او حين يغلبون ليس شئ منهما الا بقضائه
وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلا وبعدا اى اولا واخرا ويومئذ
ويوم يغلبه الروم يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من
انقلاب التفأل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم فى رهانهم وازياد
يقينهم وثباتهم فى دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم اوبان ولى بعض
اعدائهم بعضا حتى تفانوا يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى وَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة وتفضل عليهم اخرى وَعْدَ اللَّهِ مصدر مؤكد
لنفسه لان ما قبله فى معنى الوعد لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ لامتناع الكذب عليه وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا
مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ التى هى غاياتها
والمقصود منها هُمْ غَافِلُونَ لا يخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى ومبتدأ وغافلون
خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الاخرة المحققة لمقتضى
الجملة المتقدمة من المبدلة من قوله لا يعلمون تقرير الجهلهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصورات
ادراكها من الدنيا ببعض زخارفها فان من العلم بظاهرها معرفة حقايقها وصفاتها من
وخصايصها وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك
نكر ظاهرا واما باطنها انها مجاز الى الاخرة ووصلة الى بنلها وانموذج لاحوالها واشعارا
بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذى يختص بظاهر الدنيا أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ
اولم يجدوا التفكر فيها او اولم يتفكروا فى امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرأة
يجتلى فيها للمستبصر ما يجتلى له فى الممكنات باسرها ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها
قدرته على ابدائها مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ متعلق بقول
او علم محذوف يدل عليه الكلام وَأَجَلٍ مُسَمًّى ينتهى عنده ولا يبقى بعده وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ
النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ بلقاء جزائه عند انقضاء قيام الاجل المسمى وقيام الساعة لَكَافِرُونَ
جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان الاخرة لا تكون أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ تقرير لسيرهم فى اقطار الارض ونظرهم الى آثار المدمرين
من قبلهم كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً كعاد وثمود وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وقلبوا وجهها لاستنباط
المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وَعَمَرُوهَا وعمروا الارض أَكْثَرَ مِمَّا
عَمَرُوهَا عن عمار اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذى زرع لا تبتسط لهم فى غيرها وفيه
تهكم بهم من حيث انهم مفتخرون بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها

امرها على التبسط فى البلاد والتسلط على العباد والتصرف فى اقطار الارض بانواع
العمارة وهم ضعفاء مقلون الى الواد لا نفع لها وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بالمعجزات
او الايات الواضحات فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من
غير جرم ولا تذكير وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم
ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ اى ثم كان عاقبتهم العقوبة السواء او الخصلة
السواء فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ما اقتضى ان يكون تلك عاقبتهم وانهم
جاؤا بمثل افعالهم والسواء تأنيث اسوء كالحسنى ومصدر كالبشرى نعت بها أَنْ
كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ علة او بدل او عطف بيان للسواء او خبر كان
والسوء مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله
على قلوبهم حتى كذبوا بالآيات واستهزؤا بها ويجوز ان يكون السواء صلة الفعل وان
كذبوا تابعها والخبر محذوفا للابهام والتهويل او يكون ان مفسرة لان الاساءة اذا
كانت بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقراء ابن عامر والكوفيون
عاقبة بالنصب على ان الاسم السوى وان كذبوا على الوجوه المذكورة اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ يبتدئهم
ثم يعيده يبعثهم ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة فى المقصود وقرأ
ابو بكر وابو عمرو ورويس بالياء على الاصل وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ سيكتون
متحيرين ايسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة البلاس
التى لا ترغو او قرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ ممن اشركوا
بالله شُفَعَاءُ يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضى لتحققه وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ
كَافِرِينَ يكفرون بالهتهم حيث يئسوا منهم وقيل كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم وكتب
فى المصحف شفعوا وعلوا بنى اسرائيل بالواو واسواء بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف
الذى منه حركتها وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ اى المؤمنون والكافرون لقوله
فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ ارض ذات ازهار وانهار يُحْبَرُونَ
يسرون سرورا تهلل له وجوههم وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ
فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ مدخلون لا يغيبون فيه فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ
تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ اخبار فى معنى الامر
بتنزيه الله تعالى هو الثناء عليه فى هذه الاوقات التى يظهر فيها قدرته ويتجدد فيها نعمته او دلالة
على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه تعالى واستحقاقه للحمد ممن له التمييز
من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان اثار القدرة والعظمة
فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشى الذى هو اخر النهار ومن عشى العين اذا نقص نورها والظهيرة

التى هى وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله
وله الحمد فى السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون
صلوة المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر
ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين فى اى وقت
اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه صلى الله عليه وسلم
من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين الاية وعنه
صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون
ادرك ما فاته فى ليلته ومن قال حين يمسى ادرك ما فاته فى يومه وقرئ حينا تمسون وحينا
تصبحون اى تمسون فيه وتصبحون فيه يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ كالانسان من النطفة والطائر
من البيضة وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ النطفة والبيضة او يعقب الحيوة بالموت وبالعكس
وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا بيبسها وَكَذَلِكَ ومثل ذلك الاخراج تُخْرَجُونَ من قبوركم
فانه ايضا يعقب الحيوة الموت وقراء حمزة والكسائى بفتح التاء وَمِنْ آيَاتِهِ اَنْ خَلَقَكُمْ
مِنْ تُرَابٍ فى اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه ثُمَّ اِذَا اَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ثم فاجأتم
وقت كونكم بشرا منتشرين فى الارض وَمِنْ آيَاتِهِ اَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا لانحوا
خلقت من ضلع ادم وسايرالنساء خلقن من نطف الرجال اولانهن من جنسهم لامن
جنس اخر لِتَسْكُنُوا اِلَيْهَا وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر
وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ اى بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس مَوَدَّةً وَرَحْمَةً بواسطة
الزواج حالا لشبق وغيرها بخلاف سايرالحيوان نظما لامر المعاش وبان تعيش الانسان متوقف
على التعارف والتعاون المحوج الى التوادد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة
عن الولد كقوله ورحمة منا اِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فيعلمون ما فى ذلك من
الحكم وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضِ وَاخْتِلَافُ اَلْسِنَتِكُمْ لغاتكم بان علم الله كل
صنف لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانه لاتكاد
تسمع منطقين مستويين فى الكيفية وَاَلْوَانِكُمْ بياض الجلد وسواده او تخطيط الاعضاء
وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوءمين مع توافق مواد هم
واسبابهما والامور المتلاقية لهما فى التخليق يختلفان فى شئ ذلك لامحالة اِنَّ فِى
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ لايكاد يخفى على عاقل من ملك وانس وجن وقراء حفص بكسر
اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ مناكم فى الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى
الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او مناكم بالليل وابتغائكم بالنهار فلف وضم بين

بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما
فهو صالح الاخر عند الحاجة ويؤيده سايرالايات الواردة فيه اِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ
الْبَرْقَ مقدر بان كقوله الا ايها الزاجرى احضر الوغا وان اشهدا للذات هل انت
مخلدى او الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقوله تسمع بالمعيدى خير من ان تراه
او صفة لمحذوف تقديره اية يريكم بها البرق كقوله فما الدهر الا تارتان فمنهما
اموت واخرى ابتغى العيش اكدح خَوْفًا من الصاعقة وللمسافر وَطَمَعًا فى الغيث
وللمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان ارائتهم يستلزم رؤيتهم اوله
على تقدير مضاف بحوارادة خوف وطمع اوتأويل الخوف والطمع بالاضافة والاطماع
كقولك فعلته رغما للشياطين اوعلى الحال مثله كلمته شفاها وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
وقرئ بالتشديد فَيُحْيِي الْأَرْضَ بالنبات بَعْدَ مَوْتِهَا بيبسها اِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يستعملون عقولهم فى استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال
قدرة الصانع وَمِنْ آيَاتِهِ اَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْاَرْضُ بِاَمْرِهِ فيامهما اقامته لهما
وارادته لقيامهما فى حيزهما المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة فى كمال
القدرة والغنى عن الالة ثُمَّ اِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْاَرْضِ اِذَا اَنْتُمْ تَخْرُجُونَ عطف
على ان تقوم على تاويل مفرد كانه قيل ومن اياته قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم
من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقولها ايها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب
حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعى
المطاع على عادته وثم اما لتراخى زمانه او لعظم ما فيه ومن الارض متعلق بدعاكم قوله
دعوته من اسفل الوادى فطلع الىّ لا تخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبله واذا الثانية
للمفاجاة ولذلك ناب منابا لفاء فى جواب الاولى وَلَهُ مَنْ فِى السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضِ
كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ منقادون لفعله فهم لايمتنعون عليه وَهُوَ الَّذِى يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ بعد
هلاكهم وَهُوَ اَهْوَنُ عَلَيْهِ والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس
الى صولكم والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو
لاهون اولان الاعادة بمعنى ان يعيده وَلَهُ الْمَثَلُ الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة
والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية الْاَعْلَى
الذى ليس لغيره ما يساويه او يدانيه فِى السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضِ يصف به ما فيهما دلالة
ونطقا وَهُوَ الْعَزِيزُ القادر الذى لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته الْحَكِيمُ الذى يجرى
الافعال على مقتضى حكمته ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ اَنْفُسِكُمْ منتزعا من احوالها التى هى

اقرب لامورا اليكم هل لكم ما ملكت ايمانكم من مما ليككم من شركاء فيما رزقناكم
من الاموال وغيرها فانتم فيه سواء فتكونون انتم وهم فيه شرعا يتصرفون فيه كتصرفكم
مع انهم بشر مثلكم وانها معادة لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة
مزيدة لتاكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى تخافونهم ان يستبدوا بتصرف فيه
كخيفتكم انفسكم كما تخافا لاحرار بعضهم من بعض كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل
الآيات نبينها فان التمثيل مما يكشف المعانى وتوضحها لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
فى تدبر الامثال بل اتبع الذين ظلموا بالاشراك اهواءهم بغير علم جاهلين لا يكفهم شيء
فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه عليه فمن يهدى من اضل الله فمن يقدر على هدايته
وما لهم من ناصرين يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن افاتها فاقم وجهك للدين
حنيفا فقومه له غير ملتفت او ملتفت عليه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه هو
والاهتمام به فطرة الله خلقته نصب على الاغراء او المصدر لما دل عليه ما بعدها
التى فطر الناس عليها التى خلقهم عليها وهى قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة
الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه اداى بهم اليها وقيل العهد ماخوذ من ادم
وذريته لا تبديل لخلق الله لا يقدر احد ان يغيره وما ينبغى ان يغير ذلك اشارة
الى الدين المامور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة الدين القيم المستوى
الذى لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين
اليه راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب
وهو حال من الضمير فى النصب المقدر لفطرة الله او فى اقم لان الآية خطاب للرسول
والامة لقوله واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين غيرانها صدرت بخطاب
الرسول تعظيما له من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما
يعبدونه على اختلافهم اهوائهم وقراء حمزة والكسائى فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذى امروا به
وكانوا شيعا فرقا يشايع كل امامها الذى اضل دينها كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون
ظنا بانه على الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا واذا مس الناس
ضر شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه
رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجاء فريق منهم بالاشراك
بربهم الذى عافاهم ليكفروا بما اتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل اللام بمعنى التهديد
لقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة
تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض ام انزلنا عليهم سلطانا حجة وقيل ذا سلطان
اى ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله كتابا ينطوع عليكم بالحق او ينطق

اوبنطق بما كانوا به يشركون باشراكهم وصحته او بالامر الذى بسببه يشركون بر
فى الوهيته واذا اذقنا الناس رحمة نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها
وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشوم معاصيهم اذا هم يقنطون
فاجاؤا القنوط من رحمته وقرأ ابو عمرو والكسائى بكسر النون اولم يروا ان الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا فى السراء والضراء كالمومنين
ان فى ذلك لايات لقوم يومنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فات
ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج به الحنفية على ان وجوب النفقة للمحارم وهو
غير مشعر به والمسكين وابن السبيل ما وظف لهما من الزكوة والخطاب للنبى صلى الله
عليه وسلم اولمن بسط له الرزق ولذلك رتب على ما قبله بالفاء ذلك خير للذين
يريدون وجه الله ذاته او جهته ويقصدون بعملهم اياه خالصا او جهة القرب
اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم
وما اتيتم من ربا زيادة محرمة فى المعاملة او عطية يتوقع بها مزية مكافاة وقراء
ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربوا ليربوا فى اموال الناس ليزيد
ويزكوا فى اموالهم فلا يربوا عند الله فلا يزكوا عنده ولا يبارك فيه وقرأ نافع ويعقوب
لتربوا اى لتزيدوا او لتصيروا اذا ربوا وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله تبتغون
وجهه خالصا فاولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف
المقوى والموسر لذى القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة الزكوة
وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبادة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم
كانه خاطب به الملايكة وخواص الخلق تعريفا لهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك
فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف فان جعلت ما موصولة تقدير المضعفون
او فهو توه اولئك هم المضعفون الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل
من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له لوازم الالوهية ونفاها رأسا عما
اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان
ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركاء فقال سبحانه
وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط
من ذلكم لان بعض من افعاله من الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم فى جنس الشركاء
والافعال والثانية مزيدة لتعميم المنفى وكل منهما مستقلة بالتاكيد لتجيز الشركاء وقرأ
حمزة والكسائى بالتاء وظهر الفساد فى البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة
الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار والضلالة والظلم

وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور بما كسبت ايدى الناس بشوم معاصيهم
او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد فى البر بقتل قابيل اخاه وفى البحر بان جلندى كان ياخذ
كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذى عملوا بعض جزائه فان تمامه فى الاخرة واللام
للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون
عما هم عليه قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ليشاهدوا
مصداق ذلك ويحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين استيناف للدلالة على ان سوء
عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك فى اكثرهم ولما دونه من المعاصى
فى قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة من قبل ان يأتى يوم لا مرد له
لا يقدر ان يرده احد وقوله من الله متعلق بيأتى ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على
معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون يتصدعون اى يتفرقون
فريق فى الجنة وفريق فى السعير كما قال تعالى من كفر فعليه كفره اى وباله وهو النار
المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون منزلا فى الجنة وتقديم الظرف
فى الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله
علة ليهدون او ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود
بالذات والاكتفاء فى نحو قوله انه لا يحب الكافرين فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة
للمؤمنين وتاكيدا اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل
له وقوله من فضله دال على ان الاثابة تفضل محض وتاويله بالعطاء او الزيادة على
الثواب عدول عن الظاهر ومن اياته ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب
فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم
اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقراءة ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على ارادة
الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته يعنى المنافع التابعة لها وقيل
للخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذى هو مع هبوبها والعطف على
علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل له
عليه ولتجرى الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعنى بتجارة البحر ولعلكم تشكرون
ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات
فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام
لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه صلى الله عليه
وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا
ذلك وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا

سحابا فيبسطه متصلا تارة فى السماء فى سمتها كيف يشاء سائرا او واقفا
مطبقا او غير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة
اخرى وقراءة ابن عامر بالسكون على انه مخفف وجمع كسفة او مصدر وصف فترى
الودق اى المطر يخرج من خلاله فى النارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده
يعنى بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون بمجئ الخصب وان كانوا من قبل ان
ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام
يأسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال لمبلسين لا يسين فانظر الى اثر رحمة
الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائى
وحفص كيف يحيى الارض بعد موتها وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ان
ذلك يعنى الذى قدر على احياء الارض بعد موتها لمحى الموتى لقادر على احيائهم فانه احدث
لمثل ما كان فى مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى
النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الزاهنة ما تكون من مواد ما تفتتت وتبددت
من جنسها فى بعض الاعوام السالفة وهو على كل شئ قدير لان نسبة قدرته الى جميع
الممكنات على سواء ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا فرأوا الاثر او الزرع فانه مدلول
عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم
دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون جواب ساد مسد الجزاء
ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات ناعية على الكفار بقلة تنبههم وعدم تدبرهم
وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوى يقتضى ان يتوكلوا
على الله ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته
وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا
فى الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا
نعمه فانك لا تسمع الموتى وهم منلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم ولا تسمع الصم
الدعاء اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل
وان لم يسمع الكلام يفطن منه بواسطة الحركات شيئا وقرأ ابن كثير بالياء المفتوحة
ورفع الصم وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم المقصود
الحقيقى من الابصار او بعمى قلوبهم وقراءة حمزة وحده تهدى العمى ان تسمع الا من
يؤمن بآياتنا فانهم بدعوهم الى تلقى اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن
المشارف للايمان فهم مسلمون لما تأمرهم به الله الذى خلقكم من ضعف
اى ابتداء كم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله تعالى خلق الانسان ضعيفا

اوخلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك
اذا بلغتم الحلم اونعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا
اخذ منكم السن وفتح حمزة وعاصم الضاد في جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر قرأتها
على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر
والفقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم ليس عين المتأخر يخلق ما يشاء من ضعف
وقوة وشيبة وهو العليم القدير فان التردد في الاحوال المختلفة مع امكان
غيره دليل على العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة القيمة سميت بها لانها تقوم
في اخر ساعة من ساعات الدنيا اولانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب
للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث
او انقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل
للساعات والايام والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم
في الاخرة او نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون
يصرفون في الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة والانس
لقد لبثتم في كتاب الله في علمه وقضائه او ما كتبه لكم اي اوحيه او اللوح او القرآن
وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث رد وا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه
فهذا يوم البعث الذي انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في
النظر والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه
اي فقد تبين بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقراء
الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر اولان تانيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما
ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة
والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني
فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولقد وصفنا لهم فيه
بانواع الصفات التي هي في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيمة وما
يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب
او بينا لهم بكل مثل ينبئهم على التوحيد والبعث وصدق الرسول ولئن جئتهم
بآية من ايات القرآن ليقولن الذين كفروا من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم
ان انتم يعنون الرسول والمؤمنين الا مبطلون مزورون كذلك مثل ذلك
الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ويضرون على خرافات
اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على اذاهم

على اذاهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجاز
ولا يستخفنك ولا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم
فانهم شاكون خاطئون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ
لا يستحقنك بالقاف اي يزيغوك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من قراء سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد كل ملك يسبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمان اربع وثلثون وثلثمائة مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك ايات الكتاب الحكيم سبق بيانه في يونس
هدى ورحمة للمحسنين حالان عن الايات والعامل فيها معنى الاشارة ورفعها حمزة
على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة
هم يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلثة من شعبه لفضل اعتدادهم بها
وتكرير الضمير للتاكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم واولئك
هم المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن الناس من يشترى لهو
الحديث ما يلهي عما يعني كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتبار فيها والمضاهيك
وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهي تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية
ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث
بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم
واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام
ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله دينه او قراءة كتابه وقراء ابن كثير وابو عمر بفتح
الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل
اللهو بقراءة القرآن ويتخذها هزوا ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي
ويعقوب وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق
باستيثار الباطل عليه واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا منكرا لان يعباء بها
كان لم يسمعها مشابها حاله حال من لم يسمعها كان في اذنيه وقرا مشابها من
في اذنيه ثقل لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن في ولى ومستكبرا والثانية
بدل منها او حال من المستكن في لم يسمعها ويجوز ان يكونا استينافين فبشره بعذاب
اليم اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وذكر البشارة على التهكم ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم لهم بغيم جنات فعكس للمبالغة خالدين فيها

حال من الضمير فى لهم اومن جنات والعامل ما تعلق به اللام وَعْدَ اللّٰهِ حَقًّا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثانى لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا وَهُوَ الْعَزِيزُ الذى لا يغلبه شئ فيمنعه من انجاز وعده ووعيده الْحَكِيمُ الذى لا يفعل الا ما تستدعيه حكمته خَلَقَ السَّمٰوٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا قد سبق فى الوعد وَاَلْقٰى فِى الْاَرْضِ رَوَاسِىَ جبالا شوامخ اَنْ تَمِيدَ بِكُمْ كراهة ان تميد بكم فان تشابه اجزائها يقتضى بتبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او بشئ من لوازمه بحيز ووضع معينين وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وانشر لنا من السماء مَاءً فَاَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ من كل صنف كثير المنفعة وكانه استدل بذلك على عزته التى هى كمال القدرة وحكمته التى هى كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله هٰذَا خَلْقُ اللّٰهِ فَاَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ هذا الذى ذكر مخلوقه فماذا خلق الهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق وما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته وارونى معلق عنه بَلِ الظّٰلِمُونَ فِى ضَلٰلٍ مُبِينٍ اضراب عن بتكتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذى لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم وَلَقَدْ اٰتَيْنَا لُقْمٰنَ الْحِكْمَةَ يعنى لقمان بن باعورا من اولاد زارابن اخت ايوب او خالته وعاش الف سنة حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة فى عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت فى يد غيرى فتفكر داود عليه السلام فيه فصق صعقة وانه امر بان يذبح شاة ويأتى باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امر بان يأتى باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شئ اذا طابا واخبث شئ اذا خبثا اَنِ اشْكُرْ لِلّٰهِ ان اشكر او اى اشكر فان ايتان الحكمة فى معنى القول وَمَنْ يَشْكُرْ فَاِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ لان نفعه عايد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها وَمَنْ كَفَرَ فَاِنَّ اللّٰهَ غَنِىٌّ لا يحتاج الى الشكر حَمِيدٌ حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال وَاِذْ قَالَ لُقْمٰنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ الفم واشكم اوماثان يٰبُنَىَّ تصغير اشفاق وقراء ابن كثير يابنى لا تُشْرِكْ بِاللّٰهِ باسكان الياء وقفل يابنى اقم الصلوة باسكان الياء وحفص فيهما وفى بنية انها ان تك بفتح الياء والبزى مثله فى الاخير والباقون فى الثلثة بكسر الياء لا تشرك بالله

بالله قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما اِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه وَوَصَّيْنَا الْاِنْسٰنَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ اُمُّهُ وَهْنًا ذات وهن او تهنى وهنا على وَهْنٍ اى تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال تضاعف ضعفها والجملة فى موضع الحال وقرئ بالتحريك فقال وَهْنٍ بَعْدَ وَهْنٍ وَهْنًا وَهْنٍ يُوهَنُ وَهْنًا وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ وفطامه فى انقضاء عامين وكانت ترضعه فى تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان اَنِ اشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الجمل والفصال فى البين اعتراض مؤكد للتوصية فى حقها خصوصا ومن ثم قال عليه السلام لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم ابالك اِلَىَّ الْمَصِيرُ فاحاسبك على شكرك وكفرك وَاِنْ جَاهَدٰكَ اَنْ تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ باستحقاق الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفى العلم نفيه فلا تُطِعْهُمَا فى ذلك وَصَاحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفًا صحابا معروفا اى مقتضيه الشرع ويقتضيه الكرم وَاتَّبِعْ فى الدين سَبِيلَ مَنْ اَنَابَ اِلَىَّ بالتوحيد والاخلاص فى الطاعة ثُمَّ اِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ مرجعك ومرجعهما فَاُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بان اجازيكم على ايمانكم واجازيهما على كفرهما والايتان معترضتان فى تضاعيف وصية لقمان تاكيدا لما فيهما من النهى عن الشرك كانه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة فى ذلك فانهما مع انتهما فى بارى فى استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوزان يستحقا فى الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما فى سعد بن ابى وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب اليه ابو بكر فاته اسلم بدعوته يٰبُنَىَّ اِنَّهَا اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ اى ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا فى الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتانيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقول الشاعر كما شرقت صدر القناة من الدم اولان المراد به الحسنة او السيئة فَتَكُنْ فِى صَخْرَةٍ اَوْ فِى السَّمٰوٰتِ اَوْ فِى الْاَرْضِ فى اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاها كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر فى وكنه يَاْتِ بِهَا اللّٰهُ يحضرها فيحاسب عليها اِنَّ اللّٰهَ لَطِيفٌ يصل علمه الى كل خفى خَبِيرٌ عالم بكنهه يٰبُنَىَّ اَقِمِ الصَّلٰوةَ تكميلا لنفسك وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ تكميلا لغيرك وَاصْبِرْ عَلٰى مَا اَصَابَكَ من الشدايد سيما فى ذلك اِنَّ ذٰلِكَ الاشارة الى الصبر او الى كل ما امر مِنْ عَزْمِ الْاُمُورِ مما عرفه الله من الامور اى قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اى جد وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ

للناس لاتملّه عنهم ولا تولّهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبّرون من الصعر وهو
الصيد داء يعترى البعير فيلوى عنقه وقراء نافع وابو عمرو حمزة والكسائى و لا
تصاعر ولا تصعّر والكل واحد مثل علاه واعلاه وعالاه ولا تمش فى الارض مرحا اى
فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر ان الله لا يحب
كل مختال فخور علة للنهى وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشى مرحا
لتوافق رؤس الاى واقصد فى مشيك توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه
عليه السلام سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن وقول عمر رضى الله عنه كان اذا مشى اسرع
فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامى اذا سدد سهمه نحو
الرمية واغضض من صوتك وانقص شيئا منه واقصر ان انكر الاصوات لاوحشها
لصوت الحمير والحمار مثل فى الذم سيّما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال لطويل الاذنين
وفى تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد
الصوت لان المراد تفضيل الجنس فى النكيرد ون الاحاد ولانه مصدر فى الاصل الم تروا
ان الله سخر لكم ما فى السموات بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم وما فى الارض
بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او بغير وسط واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة
محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها فى الفاتحة
وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار فى كل سين اجتمع مع الفين او الخاء او القاف كصلخ وصقر
وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة ومن الناس من يجادل فى الله فى توحيده
وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى راجع الى رسول ولا كتاب منير انزل الله
بل بالتقليد كما قال واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا
وهو منع صريح من التقليد فى الاصول اولو كان الشيطان يدعوهم يحتمل ان يكون الضمير
لهم ولاباءهم الى عذاب السعير الى ما يؤول اليه من التقليد والاشراك وجواب لو محذوف
مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجب ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض
امره اليه واقبل شراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون وبوّبه القراءة بالتشديد
وحيث عدى باللام فلتضمن معنى الاخلاص وهو محسن فى عمله فقد استمسك بالعروة
الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة ممن اراد ان يترقى
شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الجبل المتدلى منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل صائر اليه
ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك فى الدنيا والاخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن
وليس بمستفيض الينا مرجعهم فى الدارين فننبئهم بما عملوا بالاهلاك والتعذيب
ان الله عليم بذات الصدور فيجازيه عليه فضلا عما فى الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا

اوزمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب
غليظ ثقيل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يفتم الى الاحراق الضغط ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره
بحيث اضطروا الى اذعانه قل الحمد لله على الزامهم والجاءهم الى الاعتراف بما يوجب
بطلان معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما فى السموات والارض
لا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغنى عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم
يحمد ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام ولو نبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد شجرة
لان المراد تفصيل الاحاد والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحر المحيط سبعته مداد
ممدودا بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد يمده لانه من مذ الدواة وامدها ورفعه للعطف
على محل ان ومعمولها ويمده حالا والابتداء على انه مستانف او الواو للحال ونصبه
البصريان بالعطف على اسم ان واضمار فعل يفسره يمده وقرئ يمد وتمده بالتاء والياء
ما نفدت كلمات الله بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وانما جمع القلة للاشعار
بان ذلك لا ينفى بالقليل فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شئ حكيم لا يخرج عن
علمه وحكمته امر والاية جواب لليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او امروا
وقد قريش ان يسألوه عن قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التورية وفيها علم
كل شئ ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شان
عن شان لانه يكفى لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما امرنا
لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر
كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق الم تر ان الله يولج الليل فى
النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى كل من الليل والنهار يجرى فى فلكه
الى اجل مسمى الى منتهى معلوم الى اخر السنة والقمر الى اخر الشهر وقيل الى يوم القيمة
والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجرى وثمة عرضه حقيقة
او مجازا وكلا المعنيين حاصل فى الغايات وان الله بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك
اشارة الى الذى ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجايب الصنع واختصاص البارى
بها بان الله هو الحق بسبب انه الثابت فى ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت
الهيته وان ما تدعون من دونه الباطل المعدوم فى حد ذاته لا يوجد ولا يتصف
الا بجعله او الباطل الهيته وقراء البصريان والكوفيون غير ابى بكر بالياء وان الله هو
العلى الكبير مترفع عن كل شئ ومتسلط عليه الم تر ان الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله
باحسانه فى تهيئة اسبابه وهو استشهاد لخبر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه

عليه السلام من قراء سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيمة واعطى من الحسنات عشر اعشار بعد دمن عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الم ان جعل اسما للسورة او القران فمبتدا خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديد الحروف كان تنزيل خبر محذوف او مبتداء خبره لا ريب فيه فيكون من رب العالمين حالا من الضمير في فيه لان المصدر لا تعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله ام يقولون افتراه فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله بل هو الحق من ربك فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين وقد قرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون باتذارك اياهم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه في الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم رضاء الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم على ان الشفيع يجتوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر افلا تتذكرون بمواعظ الله يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة اثارها الى الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه ويثبت في علمه موجودا في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون في برهة من الزمان متطاولة يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره في اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف اخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله يوم القيمة وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال المخلص وقرئ يعرج ويعدون ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر امرها على وفق الحكمة العزيز الرحيم على العباد في تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي المصالح تفضلا واحسانا الذي احسن كل شيء خلقه خلقه موقرا عليه ما يستعد ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه

والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل ونعمات الله بسكون العين وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من اياته دلائله ان في ذلك لايات لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه بالتفكر في الافاق والانفس شكور يعرف النعم ويتعرف مانحها او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر واذا غشيهم غلاهم وغطاهم موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما يناذع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لا نزجار بعض الانزجار وما يجحد باياتنا الا كل ختار عدار فانه نقض للعهد الفطري ولما كان في البحر والختر اشد الغدر كفور للنعم يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا يجزى من اجزاء اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف اى لا يجزى فيه ولا مولود عطف على والد او مبتداء خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان يجزي وقطع طمع من توقع بين المؤمنين ان ينفع اياه الكافر في الاخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا يغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجتسركم على المعاصي ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روى ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة وانى قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكرا او انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه السلام مفاتيح الغيب خمس وتلا الاية ويترل الغيث في اباته المقدر له والمحل المعين له في علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام او ناقص وما تدري نفس ما ذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شيء وتفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اى وقت تموت روى ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا فقال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال ملك الموت كان دوام نظري اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان عمل حيله وانفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو الصق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ باية ارض وشبهه سيبويه ثانيتها بثانيت كل في كلهن ان الله عليم بعلم الاشياء كلها خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه السلام

بدل من كل شئ بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله فيقتل المرء ما يحسنه اى يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان وقراء نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشئ على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثانى بمتصل وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ يعنى ادم عليه السلام مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ ذريته سميت به لانها تنسل منه اى تنفصل مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ممتهن ثُمَّ سَوَّاهُ قوّاه بتصوير اعضائه على ما ينبغى وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ اضافه الى نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب وان له شانا لله مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ تشكرون شكرا قليلا وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ اى صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ وهو نبعث او يجدد خلقنا وقراء نافع والكسائى وبعقوب انا على الخبر والقائل ابى بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ بالبعث وبتلقى ملك الموت وما بعده كَافِرُونَ جاحدون قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ يستوفى نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقى منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقصيته وتعجلته واستعجلته مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ بقبض ارواحكم واحصاء اجالكم ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ للحساب والجزاء وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ من الحياء والخزى رَبَّنَا قائلين ربنا أَبْصَرْنَا ما وعدتنا وَسَمِعْنَا منك تصديق رسلك فَارْجِعْنَا الى الدنيا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرايت امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتمنى والمضى فيها وفى اذ لان الثابت فى علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية فى هذا الوقت ويقدر ما دل عليه صلة اذ ولخطاب للرسول ولكل احد وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ما يهتدى به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ثبت وعيدى وسبق قضائى وهو لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ وذلك تصريح لعدم ايمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا يد فعه جعل ذوقا العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا فانه من الوسائل والاسباب المقتضية له إِنَّا نَسِينَاكُمْ تركناكم من الرحمة او فى العذاب ترك المنسى وفى استينافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد فى الانتقام منهم وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ كرر الامر للتاكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصى كما علله بتركهم

بتركهم تدبر امر العاقبة والتفكر فيها دلالة على ان كلا منهما يقتضى ذلك إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا وعظوا بها خَرُّوا سُجَّدًا خوفا من عذاب الله وَسَبَّحُوا نزهوه عما لا يليق به كما لعجز عن البعث بِحَمْدِ رَبِّهِمْ حامدين له شكرا على وفقهم للاسلام واتاهم الهدى وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ ترتفع وتتنحى عَنِ الْمَضَاجِعِ الفرش ومواضع النوم يَدْعُونَ رَبَّهُمْ داعين اياه خَوْفًا من سخطه وَطَمَعًا فى رحمته وعن عليه السلام فى تفسيرها قيام العبد فى الليل وعنه عليه السلام اذا جمع الله الاولين والاخرين جاء منادى يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانوا يحمدون الله فى البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان اناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فى وجوه الخير فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ لا ملك مقرب ولا نبى مرسل مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ مما تقر به عيونهم وعنه عليه السلام يقول الله اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وقراء حمزة وبعقوب اخفى على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفى واخفى والفاعل للكل هو الله سبحانه وتعالى وقراءة اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية معلق عنها الفعل جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اى جزوا جزاء او اخفى للجزاء فان اخفاءه لعلو شانه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا خارجا عن الايمان لَا يَسْتَوُونَ فى الشرف والمنوبة تاكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى فانها المأوى الحقيقى والدنيا منزل لا محالة عنها او قيل المأوى جنة من الجنان نُزُلًا سبق فى آل عمران بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ بسبب اعمالهم او على اعمالهم وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ مكان جنة المأوى للمؤمنين كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا عبارة عن خلودهم وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ اهانة لهم وزيادة لغيظهم وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى عذاب الدنيا بريد ما منوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ عذاب الاخرة لَعَلَّهُمْ لعل من بقى منهم يَرْجِعُونَ يتوبون عن الكفر روى ان الوليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الايات وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ولم يتفكر فيها وتم لاستبعاد ان لا عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما فى بيت

الحماسة ولا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها انا من المجرمين
منتقمون فكيف ممن كان اظلم من كل ظالم ولقد اتينا موسى الكتاب كما اتيناك فلا تكن
في مرية في شك من لقائه من لقائك الكتاب لقوله وانك لتلقى القرآن فانا اتيناك
من الكتاب مثل ما اتيناه منه فليس ذلك ببدع مما لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء
موسى عليه السلام الكتاب او من لقائك موسى وعنه عليه السلام رأيت ليلة اسري بي
موسى عليه السلام رجلا طوالا آدم جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه اي المنزل
على موسى عليه السلام هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس الى ما فيه
من الحكم والاحكام بامرنا اياهم به او بتوفيقنا له لما صبروا وقراء حمزة والكسائي
وورش لما صبروا اي لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا وكانوا بآياتنا يوقنون لامعانهم
فيها النظر ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق
من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من
جنس المعطوف والفاعل ضمير مادل عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثرة من اهلكناهم
من القرون الماضية اوضمير الله بدلالة القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة
في متاجرهم على يارهم وقرئ يمشون بالتشديد ان في ذلك لايات افلا يسمعون سماع تدبر
واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي جرز نباتها اي قطع وازيل لا التي لا تنبت
لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن تاكل منه من الزرع انعامهم بالتبن والورق
وانفسهم كالحب والثمر افلا يبصرون فيستدلون به على كمال قدرته وفضله ويقولون متى
هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا ان كنتم صادقين في الوعد به
قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون وهو يوم القيمة فانه يوم نصر المسلمين
على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم
فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حالا لقتل ولا يمهلون وانظبا قوجوابا على سؤالهم من حيث المعنى
باعتبار ما عرف من غرضهم فانهم لما اراد وا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع
الاستعجال فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وانتظر
النصر عليهم انهم منتظرون الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم
او ان الملائكة ينتظرونه عن النبي عليه السلام من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر
كانما احيا ليلة القدر وعنه عليه السلام من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما

تعظيما له وتفخيما لشان التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما
نهي عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين اي فيما يعود بوهن في الدين روي ان
ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا على المدينة بعد وقعة احد بامان
بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس وقالوا له ارفض ذكر
الهتنا وقل انها شفاعة وندعك وربك فنزلت ان الله كان عليما بالمصالح والمفاسد
حكيما لا يحكم الا بما يقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى اليك من ربك كالنهي عن طاعتهم
ان الله كان بما تعملون خبيرا فموح اليك ما يصلحه ومغن من الاستماع الى الكفرة وقرأ
ابو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها
عنك وتوكل على الله وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور كلها
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اي ما جمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح
الحيواني المتعلق بالنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد وما جعل
ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما جمع الزوجية
والامومية في امرأة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من
ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر واسمه جميل بن اسد الفهري ذو القلبين والزوجة
المظاهر عنها كالام ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابن محمد او المراد نفي الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين
لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله تعالى في جوف لادائه الى تناقض وهو ان يكون
كلا منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعي ابنا ولا ولادة بينهما وبينه
امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرأ ابو عمرو واللائي بالياء وحده واصل تظهرون
تتظهرون فادغمت التاء الثانية في الظاء وقرأ ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائي
بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تُظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كقعد بمعنى قاعد وتظهرون
من الظهور ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ
كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في
الاسلام يقتضي الطلاق والحرمة الى اداء الكفارة كما عدي الى بها وهو بمعنى حلف وذكر
الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم
فانهم كانوا يحرمون اتيانا المرأة وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعي كغني على الشذوذ وكانه
شبهه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة الى كل ما ذكر او الاخير قولكم بافواهكم
لا حقيقة له في الاعيان كقول الهادي والله يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة
له وهو يهدي السبيل سبيل الحق ادعوهم لآبائهم انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود

من اقواله الحقة وقوله هُوَ اقسط عِنْدَ اللّٰهِ تعليل له والضمير لمصدر ادعوا
واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ
الصدق فَاِنْ لَمْ تَعْلَمُوٓا اٰبَآءَهُمْ فتنسبوهم اليهم فَاِخْوَانُكُمْ فِى الدِّيْنِ فهم اخوانكم
فى الدين وَمَوَالِيكُمْ واوليائكم فيه فقولوا هذا اخى ومولاى بهذا التاويل وَلَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ اَخْطَاْتُمْ بِهٖ ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهى
او بعده على النسيان اوسبق اللسان وَلٰكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ولكن الجناح فيما
تعمدت قلوبكم او ولكن فيما تعمدت فيه الجناح وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا رَّحِيمًا لعفوه عن
المخطئ واعلم ان النبىّ لاعبرة له عندنا وعند ابى حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت
النسب بجهوله الذى يمكن الحاقه اَلنَّبِىُّ اَوْلٰى بِالْمُؤْمِنِيْنَ مِنْ اَنْفُسِهِمْ فى الامور كلها
فانه لايأمرهم ولايرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق
فيجب عليهم ان يكون احبّ اليهم من انفسهم وامره انفذ من امرها وشفقتهم عليه اتم من
شفقتهم عليها روى انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس
نستأذن اباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اى فى الدين فان كل نبى اب لامته
من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وَاَزْوَاجُهٗٓ
اُمَّهٰتُهُمْ منزلات منزلتهن فى التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات
ولذلك قالت عايشة لسنا امهات النساء وَاُولُوا الْاَرْحَامِ ذوو القرابات بَعْضُهُمْ اَوْلٰى
بِبَعْضٍ فى التوارث وهو نسخ لما كان فى صدر الاسلام فى التوارث بالهجرة والموالات
فى الدين فِى كِتٰبِ اللّٰهِ فى اللوح اوفيما انزل وهو هذه الاية اوآية المواريث وفيما فرض الله
مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُهٰجِرِيْنَ بيان لاولى الارحام اوصلة لاولى اى اولوا الارحام بحق القرابة
اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة اِلَّآ اَنْ تَفْعَلُوٓا اِلٰٓى اَوْلِيٰٓئِكُمْ
مَّعْرُوفًا استثناء منقطع مما يقتضيه الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية
اومنقطع كان ذٰلِكَ فِى الْكِتٰبِ مَسْطُورًا كان ماذكر فى الايتين ثابتا فى اللوح او القرآن
وقيل فى التوراة وَاِذْ اَخَذْنَا مِنَ النَّبِيّٖنَ مِيثَاقَهُمْ مقدد باذكر ومياثقهم عهودهم بتبليغ
الرسالة والدعاء الى الدين القيم وَمِنْكَ وَمِنْ نُّوحٍ وَّاِبْرٰهِيمَ وَمُوسٰى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب شرايع وقدم نبينا تعظيما له وَاَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا
غَلِيظًا عظيم الشان اومؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف لِّيَسْـَٔلَ الصّٰدِقِينَ
عَنْ صِدْقِهِمْ اى فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيمة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه
لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق
صادق والمؤمنين الذين صدقوا عهدهم وَاَعَدَّ لِلْكٰفِرِينَ عَذَابًا اَلِيمًا عطف على اخذنا من
جهة

من جهة ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على ما دل عليه لبئس الكاذبين
قل واثاب المؤمنين واعد للكافرين يٰٓاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ
يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريضة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر الفا
فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ريح الصبا وَّجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا الملائكة روى انه عليه السلام لما سمع
باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم فى ثلثة الاف والخندق بينه وبينهم وهى
على الفريقين قريب من الشهر لاحرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا
باردة فى ليلة شاتية فاحضرتهم وسنت التراب فى وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت
خيامهم وماجت الخيل بعضها فى بعض وكبر الملائكة فى جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد
الاسدى اما محمد فقد بدء كم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وَكَانَ اللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
من حفر الخندق وقراء البصريان بالياء اى بما يعمل المشركين من التحزب والمحاربة بَصِيرًا رائيا
اِذْ جَآءُوكُمْ بدل من اذ جاءتكم مِّنْ فَوْقِكُمْ من اعلى الوادى من قبل المشرق بنو غطفان وَمِنْ
اَسْفَلَ مِنْكُمْ ومن اسفل الوادى من قبل المغرب قريش وَاِذْ زَاغَتِ الْاَبْصَارُ مالت عن
مستوى نظرها حيرة وشخوصا وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ رعبا فان الرئة تنفخ من شدة الروع
فترتفع بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وَتَظُنُّونَ
بِاللّٰهِ الظُّنُونَا الانواع من الظن فظن المخلصون المتبت القلوب ان الله منجز وعده فى اعلاء
دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف لاحتمال والضعا القلوب والمنافقون ما حكى
عنهم والالف مزيدة فى امثاله تشبيها للفواصل بالقوافى وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر
فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس
هُنَالِكَ ابْتُلِىَ الْمُؤْمِنُونَ اختبروا فظهر المخلص عن المنافق والثابت من المتزلزل وَزُلْزِلُوا
زِلْزَالًا شَدِيدًا من شدة الفزع وقرئ زَلْزَالًا بالفتح وَاِذْ يَقُولُ الْمُنٰفِقُونَ وَالَّذِينَ
فِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ضعف اعتقاد مَّا وَعَدَنَا اللّٰهُ وَرَسُولُهٗٓ من الظفر واعلاء الدين اِلَّا
غُرُورًا وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال بعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا
لايقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور وَاِذْ قَالَتْ طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يعنى اوس بن قيظى
واتباعه يٰٓاَهْلَ يَثْرِبَ اهل المدينة وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة فى ناحية منها
لَا مُقَامَ لَكُمْ لاموضع قيام لكم ههنا وقراء حفص بالضم على انه مكان او مصدر من اقام
فَارْجِعُوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لامقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه
لتسلموا ولامقام بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها وَيَسْتَاْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ
النَّبِىَّ للرجوع يَقُولُونَ اِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف
العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ بل هى حصينة اِنْ يُّرِيدُونَ

الا فرارا اى ما يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة
او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتخربين
عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان فى اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة
اى الردة ومقاتلة المسلمين لاتوها لاعطوها وقراء المجاز يان بالقصر بمعنى جاؤها
وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة او باعطائها الا يسيرا ويثما السؤال والجواب
وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون
الادبار يعنى بنى حارثة عاهدوا رسول الله يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا
لمثله وكان عهد الله مسئولا مسؤلا عن الوفاء به مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان
ان فررتم من الموت او القتل فانه لابد لكل شخص من حتف انفه او قتل فى وقت معين
سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اى وان نفعكم الفرار مثلا
فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا اوزمانا قليلا قل من ذا الذى يعصمكم
من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اى او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة
فاختصر الكلام كما فى قوله متقلدا سيفا ورمحا اوحمل الثانى على الاول لما فى العصمة من
معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد يعلم
الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من
ساكنى المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله فى الانعام ولا يأتون
البأس الا قليلا الا اتيانا اوزمانا اوباسا قليلا فانهم يعتذرون وتثبطون ما امكن
لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون الا قليلا كقوله وما قاتلوا الا قليلا وقيل
انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتى اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا
اشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة فى سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح
ونصبها على الحال من فاعل يأتون او المعوقين اوعلى الذم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون
اليك تدور اعينهم فى احداقهم كالذى يغشى عليه كنظر المغشى عليه او كدوران عينه
او مشبهين به او مشبهة من الموت من معالجة سكرات الموت خوفا ولو اذا بك فاذا ذهب
الخوف وحيزة الغنايم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق
البسط بقهر باليد او باللسان اشحة على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده قراءة الرفع
وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله
اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فيبطل او ابطل صنيعهم ونفاقهم وكان
ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون
الاحزاب لم يذهبوا اى هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا

ففروا الى داخل المدينة وان يات الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون فى الاعراب
تمنوا انهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب يسئلون كل قادم من جانب المدينة
عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال
ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا عن التعيير لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة
خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدايد وهو فى
نفسه قدوة يحسن التأسى به كقولك فى البيضة عشرون مثنا حديدا اى فى نفسها هذا
القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر
اى ثواب الله او لقائه ونعيم الاخرة او ايام الله واليوم الاخر خصوصا وقيل هو كقولك
ارجو زيدا وفضله فان اليوم الاخر يوم الله والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة
الحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر
الله كثيرا وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤذنة بملازمة الطاعة وان المؤتسى بالرسول
من كان كذلك ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا ما وعدنا الله ورسوله بقوله تعالى
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الاية وقوله عليه السلام
سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام انهم
سائرون اليكم بعد تسع او عشر وقرأ ابو بكر وحمزة بكسر الواو وفتح الهمزة وصدق الله
ورسوله وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا فى النصرة والثواب كما صدقا فى البلاء
واظهار الاسمين للتعظيم وما زادهم فيه ضمير ما رأوا او الخطب والبلاء الا ايمانا
بالله ومواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقنى اذا قال لك الصدق
فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل حتى
استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر
لازم فى رقبة كل حيوان ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد
ولا غيروه تبديلا شيئا من التبديل روى ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد حتى اصيبت يده فقال صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة الجنة وفيه تعريض
لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب
المنافقين ان شاء او يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض به وكان المنافقين صدقوا
بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم
مشروطة بتوبتهم او المراد بها التوفيق للتوبة ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب
ورد الله الذين كفروا يعنى الاحزاب بغيظهم مغيظين لم ينالوا خيرا غير ظافرين

وهما حالان بتداخل وتعاقب وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة
وكان الله قويا على احداما يريد عزيزا غالبا على كل شئ وانزل الذين ظاهروهم
ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب يعنى قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية
وهى ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبى وشوكة الديك مخلبه التى فى ساقه
لانه به وقذف فى قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون وتأسرون فريقا
وقرئ بضم السين روى ان جبرئيل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بصبيحة الليلة التى انهزم فيها الاحزاب فقال انتزع لامتك والملائكة ولم تضعوا
السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بنى قريظة وانا عامد اليهم فاذن فى الناس ان لا يصلوا
العصر الا ببنى قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال لهم
تنزلون على حكمى فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بينهم بقتل مقاتليهم
وسبى ذراريهم ونسائهم فكبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال لحكمت بحكم الله فوق سبعة
ارفعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر منهم سبعمائة واورثكم ارضهم مزارعهم
وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم روى انه عليه السلام جعل
عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقالوا انكم فى منازلكم فقال عمر اما تخمس كما خمست
يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لى طعمة قال رضينا بما صنع الله وارضا لم تطؤها كفارس
والروم وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وكان الله على كل شئ قديرا فيقدر على
ذلك يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا السعة والتنعم فيها وزينتها
زخارفها فتعالين امتعكن اعطكن المتعة واسرحكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار
وبدعة روى انهن سألنه ثيابا للزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدء بعايشة فخيرها فاختارت
الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد
وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على ان المخيرة اذا اختارت
زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن على ويؤيده قول عايشة
خيرنا رسول الله فاخترناه ولم يعد طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم
وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا
وبائنة عند ابى حنيفة واختلف فى وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ امتعكن
واسرحكن بالرفع على الاستيناف وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد
للمحسنات منكن اجرا عظيما تستحقرونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن محسنات
يا نساء النبى من يات منكن بفاحشة مبينة ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وابى بكر
يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفى عذاب غيرهن اى مثليه لان الذنب منهن اقبح فزيادة

فزيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفى حد العبد
وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقراء البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر يضعف
بالنون وبناء الفاعل وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء
النبى كيف وهو سببه ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة ومزة على طلبهن رضى
النبى عليه السلام بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائى ويعمل بالياء ايضا حملا
على لفظ من ويؤيدها على ان فيه ضمير اسم الله واعتدنا لها رزقا كريما فى الجنة زيادة على
اجرها يا نساء النبى لستن كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع فى النفى
العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من
جماعات النساء فى الفضل ان اتقيتن مخالفة حكم الله ورضاء رسوله فلا تخضعن
بالقول فلا تجئن بقولا كن خاضعا لينا مثل قول المريبات فيطمع الذى فى قلبه مرض
فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهى على انه نهى مريض القلب عن الطمع عقيب
نهيهن عن الخضوع بالقول وقلن قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن فى
بيوتكن من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من رائى اقررن ونقلت كسرتها
الى القاف فاستغنى عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر وهو
لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع فلا تبرجن فلا تتبخترن فى مشيكن
تبرج الجاهلية الاولى تبرجا مثل تبرج النساء فى ايام الجاهلية القديمة وقيل هى ما بين
ادم ونوح وقيل الزمان الذى ولد فيه ابرهيم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشى وسط
الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل
الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى لفسوق فى الاسلام
ويعضده قوله عليه السلام لابى الدرداء انك امرء فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام
قال جاهلية كفر واقمن الصلوة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله فى سائر ما امركن به
ونهاكن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن
ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم اهل البيت نصب على النداء او المدح ويطهركم
عن المعاصى تطهيرا او استعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها
وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلى وابنيهما رضى الله عنهم لما روى انه عليه السلام
خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فجاءت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء على
فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص
بهم لا يناسب ما قبل الاية وما بعدها والحديث يقتضى انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم

وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ من الكتاب الجامع بين الامرين
وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحى وما شاهدن من
برجاء الوحى مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والايتمار فيما
كلفن به إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا يعلم ويدبر ما يصلح فى الدين ولذلك خيركن ووعظكن
او يعلم من يصلح للنبوة ومن يصلح ان يكون اهل بيته إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الداخلين
فى السلم المنقادين لحكم الله وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ المصدقين بالله ورسوله وبما يجب
ان يصدق به وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ المداومين على الطاعات وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ
فى القول والعمل وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ على الطاعات وعن المعاصى وَالْخَاشِعِينَ
وَالْخَاشِعَاتِ المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ بما وجب
فى مالهم وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ الصوم المفروض وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
عن الحرام وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ بقلوبهم والسنتهم أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً
لما اقترفوا من الصغاير لانهن مكفرات وَأَجْرًا عَظِيمًا على طاعتهم والاية وعدلهن ولامتهن
على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روى ان ازواج النبى عليه السلام قلن يا رسول الله
ذكر الله الرجال فى القرآن بخير افما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال
نساء المسلمين فما نزل فينا شئ فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو
ضرورى وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضرورى ولذلك ترك
فى مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات وَمَا كَانَ
لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ما صح له إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا اى قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم
امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل فى زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت
عبد المطلب خطبها رسول الله عليه السلام لزيد بن حارثة فابت هى واخوها عبد الله وقيل
فى ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبى عليه السلام فزوجها من زيد أَنْ يَكُونَ لَهُمُ
الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار
الله ورسوله والخيرة ما يتخير فيه وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما
فى سياق النفى وجمع الثانى للتعظيم وقراء الكوفيون وهشام يكون بالياء وَمَنْ يَعْصِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا بين الانحراف عن الصواب وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِ بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ بما وفقك الله
فيه فهو زيد بن حارثة أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ زينب وذلك ان رسول الله عليه السلام
ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب
بالتسبحة فذكرت لزيد فطن ذلك ووقع فى نفسه كراهة صحبتها فاتى النبى عليه السلام

عليه السلام فقال اريد ان افارق صاحبتى فقال مالك ارابك منها شئ فقال لا والله
ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تشرف فتعظم علىّ فقال له امسك عليك زوجك وَاتَّقِ
اللَّهَ فى امرها فلا تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وهو
نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وَتَخْشَى النَّاسَ تعييرهم اياك به وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ
تَخْشَاهُ ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست للعطف على الاخفاء وحق فانه
حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينا فى اضماره فان الاولى فى
امثال ذلك ان يصمت ويفوض الامر الى رأيه فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا حاجة
بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها زَوَّجْنَاكَهَا وقيل قضاء الوطر
كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لى فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر بتزويجها منه أو جعلها
زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبى ان الله تعالى تولى انكاحى
وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان التسخير فى خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على
قوة ايمانه لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا
علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ
اى امره الذى يريده مَفْعُولًا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ
فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ قسم له وقدر من قولهم فرض له فى الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم
سُنَّةَ اللَّهِ سن ذلك سنة فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ من الانبياء وهو نفى الحرج عنهم فيما اباح لهم
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ صفة
للذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ
تعريض بعد تصريح وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا كافيا للخائف او محاسبا فينبغى ان لا يخشى الا منه مَا كَانَ
مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة
المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه لكونه ابا للطاهر او الطيب والقاسم وابرهيم لانهم لم يبلغوا
مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وكل رسول ابو امته لا مطلقا
بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة
وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر اى ولكن رسول الله من
عرفتم انه لم يعش له ولد ذكر وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وآخرهم الذى ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم
بالفتح ولو كان له ابن بالغ لا فاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه السلام فى ابرهيم حين
توفى لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه اخر
من نبى وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغى شانه يا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله من التقديس والتمجيد

والتهليل والتحميد وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا اوّل النهار واخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة
على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل
الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ بالرحمة وَمَلَائِكَتُهُ
بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم
وظهور شرفكم مستعار من الصلو وقيل الترحم والانعطاف المعنوى مأخوذ من الصلوة المشتملة
للانعطاف الصورى الذى هو الركوع والتجود واستغفار الملائكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم
سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابوا الدعوة لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ من
ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا حيث اعنى بصلاح
امرهم واناقة قدرهم واستعمل فى ذلك الملائكة المقربين تَحِيَّتُهُمْ من اضافة المصدر الى
المفعول اى يحيون يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ يوم لقائه عند الموت والخروج عن القبر او دخول الجنة سَلَامٌ
اخبار بالسلامة عن كل مكروه وافة وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا الجنة ولعل اختلاف النظم
لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا على من بعثت
اليهم بتصديقهم وتكذيبهم وبخاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا
إِلَى اللَّهِ الى الاقرار به وبتوحيده وبما يجب الايمان به من صفاته بِإِذْنِهِ بتيسيره اطلق له من
حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتأتى الا بمعونة من جناب
قدسه وَسِرَاجًا مُنِيرًا يستضاء به من ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصاير
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا على سائر الامم او على اجرائهم ولعله معطوف
على محذوف مثل فراقب احوال امتك وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ تهييج له على ما هو
عليه من مخالفتهم وَدَعْ أَذَاهُمْ ايذاءهم اياك ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة او مواخذة
على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ بآية السيف وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فانه يكفيكهم وَكَفَى بِاللَّهِ
وَكِيلًا موكولا اليه الامر فى الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل
كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده
كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهى عن مراقبة الكفار
والمبالاة باذاهم والداعى الى الله بتيسره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان
من اتاده الله برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بان يكفى به عن غيره يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ تجامعوهن وقراء حمزة والكسائى بالالف
وضم التاء فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ ايام يتربص فيها بانفسهن تَعْتَدُّونَهَا تستوفون عددها
من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة
على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى

الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها فظاهره يقتضى عدم وجوب
العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على ان من شان المومن ان لا ينكح
الا مؤمنة تحرزا لنطفة وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراضى الطلاق ربما يمكن الاصناء
كما يؤثر فى النسب يؤثر فى العدة فَمَتِّعُوهُنَّ اى ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض
نصف المفروض دون المتعة ويجوز ان يتأول التمتيع بما بعدهما او الامر المشترك بين الوجوب
والندب فان المتعة سنة للمفروض لها وَسَرِّحُوهُنَّ اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم
عليهن عدة سَرَاحًا جَمِيلًا من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السنى لانه
مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ
اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال باعطائها منجلة
لا لتوقف الحل عليه بل لايثارا لافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله وَمَا
مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ فان المشتراة لا يتحقق بدؤ امرها وما جرى عليها وتقييد
القرايب بكونها مهاجرا معه فى قوله وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ
خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ويحتمل تقييد الحل بذلك فى حقه خاصة وبعضده قولها
امهانى بنت ابى طالب خطبنى رسول الله فاعتذرت اليه فعذرنى ثم انزل الله تعالى
هذه الاية فلم احل له لانى لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ
نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان
اللتى للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اى اعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك
نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف فى اتفاق ذلك والقائل به ذكر
اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر
وخولة بنت حكيم وقرئ ان بالفتح اى لان وهبت او منة ان وهبت كقولك اجلس ما دام
زيد جالسا إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا شرط للشرط الاول فى استيجاب الحل فان
هبتها نفسها منه لا توجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول
والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبى مكررا ثم الرجوع اليه فى قوله خَالِصَةً
لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ايذان بانه تم اخص لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة
لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد
خص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب
النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اى خلص احلالها او احلال ما احللناك
على القيود المذكورة خلوصا لك وحال من الضمير فى وهبت او صفة لمصدر محذوف
اى هبة خالصة قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ من شرايط العقد ووجوب

القسم والمهر بالوطئ حيث لم يسم وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغي ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا بمجرد التوسيع عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة والعكس اخرى وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا لما يعسر التحرز عنه رَحِيمًا بالتوسعة في مضان الحرج تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ تؤخرها وتترك مضاجعتها وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وتضم اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقراء حمزة والكسائي ترجي بالياء والمعنى واحد وَمَنِ ابْتَغَيْتَ طلبت مِمَّنْ عَزَلْتَ طلقت بالرجعة فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ في شيء من ذلك ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ذلك التفويض الى مشيتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضائهن جميعا لان حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء ونصب الاعين وتقر على البناء للمفعول وكلهن تاكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تاكيدا لهن وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ فاجتهدوا في احسانه وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا بذات الصدور حَلِيمًا لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي وقراء البصريان بالتاء مِنْ بَعْدُ من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا او من بعد اليوم حتى لو مانت واحدة لم تحل له نكاح اخرى وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ فتطلق واحدة وتنكح اخرى مكانها ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان الاية محكمة او منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ الا وقت ان يؤذن لكم او الا مأذونا لكم إِلَى طَعَامٍ متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ غير منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد اجازه حمزة والكسائي اناه لانه مصدر اني الطعام اذا ادرك وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا تفرقوا ولا تمكثوا والا تخطأتم

الخطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لهم وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتشمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اى ولا تدخلوا او ولا تمكثوا مستانسين إِنَّ ذَلِكُمْ اللبث كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ لتضيق المنزل عليه وعلى اهله واشغاله فيما لا يعنيه فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ من اخراجكم وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء فَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا شيئا ينتفع به فَاسْأَلُوهُنَّ المتاع مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ستر روى ان عمر رضي الله تعالى عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه السلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عايشة فكره النبي عليه السلام ذلك فنزلت ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ من الخواطر الشيطانية وَمَا كَانَ لَكُمْ وما صح لكم أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ان تفعلوا ما يكرهه وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أبدا من بعد وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روى ان الاشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر فهم برجمهما فاخبر بانه عليه السلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير إِنَّ ذَلِكُمْ يعني ايذاءه ونكاح نسائه كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد فقال إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا لنكاحهن على السنتكم أَوْ تُخْفُوهُ في صدوركم فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ في ابائهن وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روى انه لما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمى العم ابا في قوله واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما وَلَا نِسَائِهِنَّ يعني النساء المؤمنات وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور وَاتَّقِينَ اللَّهَ فيما امرتن به إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا لا يخفى عليه خافية إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ اعتنوا عليه انتم ايضا فانكم اولى بذلك فقولوا اللهم صل على محمد وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا وقولوا السلام عليك ايها

النبى وقيل الانقاد والاوامر والاية تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه فى الجملة وقيل
يجب الصلوة كلما جرى ذكره لقوله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم
يصل على وقوله من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فابعده الله ويجوز الصلوة على
غيره تبعا ويكره استقلالا لانه فى العرف صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان
يقال محمد عزوجل وان كان عزيزا وجليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله يرتكبون
ما يكرهانه من الكفر والمعاصى او يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر او مجنون
ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره
بالمعنيين باعتبار المعمولين لعنهم الله ابعدهم من رحمته فى الدنيا والاخرة واعد لهم
عذابا مهينا يهينهم مع الايلام والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغيرما اكتسبوا
بغير جناية استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا روى انها نزلت فى
منافقين يؤذون عليا رضى الله عنه وقيل فى اهل الافك وقيل فى زناة كانوا يتبعون
النساء وهن كارهات يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيبهن يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض
فان المرأة ترخى بعض جلبابها وتلقع ببعض ذلك ادنى ان يعرفن يميزن والقينات
فلا يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف رحيما
بعباده حيث يراعى مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم
والذين فى قلوبهم مرض ضعف ايمان وقلة ثبات عليه او فجور عن تنزلهم فى الدين
او فجورهم والمرجفون فى المدينة يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها
من ارجافهم واصله التحريك من الرجفة وهى الزلزلة سمى به الاخبار الكاذبة لكونها
متزلزلة غير ثابتة لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرهم
الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء
ومفارقتهم جوار الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اعظم ما يصيبهم فيها فى المدينة
الا قليلا زمانا قليلا او جوارا قليلا ملعونين نصب على الشتم او الحال والاستثناء
شامل له ايضا اى لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله اينما
تقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله فى
الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد اى سن الله ذلك فى الامم الماضية وهو ان يقتل الذين
نافقوا الانبياء وسعوا فى وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا
لانه لا يبدلها ولا يقدر احد ان يبدلها يسئلك الناس عن الساعة عن وقت قيامها
استهزاء وتعنتا او امتحانا قل انما علمها عند الله لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك

وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة عن قريب
وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة فى معنى اليوم وفيه تهديد
للمستعجلين واسكات للمتعنتين ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا شديدة
الايقاد خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم
يوم تقلب وجوههم فى النار تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال الى
حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم
الذين لقنوهم الكفر وقراء ابن عامر ويعقوب سادتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا
السبيلا بما زينوا لنا ربنا اتهم ضعفين من العذاب مثلى ما اتيتنا منه لانه ضلوا واضلوا
والعنهم لعنا كثيرا كثير العدد وقراء عاصم بالباء اى لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها
الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا فاظهر براءته من مقولهم بعنى
مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر فى
القصص او اتهمه ناس بقتل هارون لما خرج معه الى الطور فمات هنالك فحملته الملائكة
ومروا بهم حتى راوه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءة موسى او قذفوه بعيب
فى بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه برئ منه وكان عند الله
وجيها ذا قربة ومنزلة وجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
فى ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذى رسوله وقولوا قولا سديدا قاصدا الى الحق من
سدد يسدد سدادا والمراد النهى عن ضده كحديث زينب من غير قصد يصلح لكم اعمالكم
بتوفيقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها
مكفرة باستقامتكم فى القول والعمل ومن يطع الله ورسوله فى الاوامر والنواهى فقد
فاز فوزا عظيما بعيش فى الدنيا حميد او فى الاخرة سعيد انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان تقرير للوعد السابق
بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظمة شانها بحيث
لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين ان يحملنها واشفقن
منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لاجرم فاز الراعى لها والقائم بحقوقها
بخير الدارين انه كان ظلوما بحيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا
وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التى تعم الطبيعية والاختيارية بعرضها
استدعاؤها الذى يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها
والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها المن لا يؤدى بها فبراءة ذمته فيكون

الاباء عنه ايتانا بما يمكن ان يتأتى منه والظلم والجهالة للخيانة والتقصير وقيل انه تعالى
لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها انى فرضت فريضة وخلقت الجنة لمن اطاعنى فيها
والنار لمن عصانى فقلن بل نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغى ثوابا ولا عقابا ولما
خلق ادم عرض عليه مثل ذلك فتحمله فكان ظلوما لنفسه تحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة
عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل والتكليف وبعضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى
استعدادهن وبابائهن الاباء الطبعى الذى هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان
قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من لقوة الغضبية والشهوية
وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوايد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين
حافظا لهما عن التعدى ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما
لِيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتأديب للضرب فى ضربته تأديبا وذكر
التوبة فى الوعد اشعارا بان كونهم ظلوما جهولا فى جبلتهم لا يخليهم عن فرطات
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعتهم قال
عليه السلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطى الامان من عذاب القبر

سُورَةُ السَّبَإِ مَكِّيَّةٌ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ خلقا
ونعمة فله الحمد فى الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ لان ما فى الاخرة
ايضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف بما يدل على انه المنعم
بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدينوية قد تكون
بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الاخرة وَهُوَ الْحَكِيمُ الَّذِي احكم امور الدارين
الْخَبِيرُ ببواطن الاشياء يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ كالغيث ينفذ فى موضع وينبع فى اخر
وكالكنوز والدفائن والاموات وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا كالحيوان والنبات والفلزات
وماء العيون وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ كالملائكة والكتب والارزاق والمقادير والانداء
والصواعق وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا كالملائكة واعمال العباد والادخنة والابخرة وَهُوَ
الرَّحِيمُ الْغَفُورُ للمفرطين فى شكر نعمه مع كثرتها او فى الاخرة مع ماله من سوابق هذه
النعم الغائبة للحس وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ انكارا لمجيئها او استبطاء
استهزاء بالموعد به قُلْ بَلَىٰ رد لكلامهم واثبات لما نفوه وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ
تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفى استبعاده على

استبعاده على ما مر غير مرة وقرأ حمزة والكسائى علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر وروح
عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتداء خبره لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ
وَلَا فِي الْأَرْضِ وقرأ الكسائى لا يعذب بالكسر وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي
كِتَابٍ مُبِينٍ جملة مؤكدة لنفى العذوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفى
الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح فى موضع الجر لامتناع الصرف
لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير فى عنه للغيب وجعل المثبت فى اللوح خارجا
عنه لظهوره على المطالعين له فيكونا المعنى لا ينفصل عن الغيب الا مسطورا فى اللوح لِيَجْزِيَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضى اتيانها أُولَٰئِكَ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ لا تعب فيه ولا من عليه وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا بالابطال وتزهيد
الناس فيها مُعَاجِزِينَ مسابقين كى يفوتونا وقرأ ابن كثير وابن عامر معجزين اى مثبطين
من الايمان من اراده أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ من سيئ العذاب اليم مولم ورفعه
ابن كثير ويعقوب وحفص وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن
شايعهم من الامة او من مسلمى اهل الكتاب الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ القران هُوَ الْحَقَّ
ومن رفع الحق جعل ضمير مبتداء والحق خبره والجملة ثانى مفعولى يرى وهو مرفوع مستأنف
للاستشهاد باولى العلم على جملة الساعين فى الآيات او قيل منصوب معطوف على ليجزى اى وليعلم
اولوا العلم عند مجئ الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ الذى هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قال بعضهم لبعض
هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يُنَبِّئُكُمْ يحدثكم بامر عجب لا عاجيب
إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ انكم تنشأون خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل
تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله
محذوف دل عليه ما بعده فان ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه
بان وممزق يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحته كل
مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد كحديد من حد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه
أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم
الافتراء غير معتقدين صدقه على ان بينا الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة
بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء اخص من الكذب بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ
وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ رد من الله عليهم ترديدهم واثبات لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال
البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مواده من العذاب وجعله رسيلا له فى الوقوع
ومقدما عليه فى اللفظ للمبالغة واستحقاقهم له والبعد فى الاصل صفة الضال ووصف الضلال به

على الاسناد المجازى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ تذكير بما عاينوه مما يدل على كمال قدرة الله تعالى وما يحتمل فيه ازاحة لاسحالة لهم الاحياء حتى جعلوا افتراء وهزوا او تهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا انهم اشد خلقا امهى وانا ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهورها لبينا وقرأ الكسائى وحمزة يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله كذبا وحفص كسفا بالتحريك ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ النظر والفكر فيهما ومايدل عليه ﴿لَآيَةً﴾ لدلالة ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ راجع الى ربه فانه يكون كثير التأمل فى امره ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا﴾ اى على سايرالانبياء وهوما ذكر بعدا وعلى سايرالناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ رجعى معه التسبيح على الذنبا او النوحة وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل مافيها اوسيرى معه حيث سار وقرئ اوبى من الاوب اى ارجعى معه فى التسبيح كما رجع فيه وهو بدل من فضلا اومن آتينا باضمار قولنا او قلنا ﴿وَالطَّيْرَ﴾ عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بحركة الاعرابية اوعلى فضلا اومفعول معه لاوبى وعلى هذا يجوزان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكانا صل النظم ولقد آتينا داود منا فضلا تأديب الجبال والطير فيدل به على هذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شانه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالفقلاء المنقادين فى امره فى نفاذ مشيته فيها ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ وجعلناه فى يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بالآلة او بقوة ﴿أَنِ اعْمَلْ﴾ امرناه أن اعمل وان مفسرة اومصدرية ﴿سَابِغَاتٍ﴾ دروعا واسعات وقرئ صابغات وهواول من اتخذها ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ وقدر فى نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدر مسامير فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولاغلاظا فتخرق وردبان دروعه لم يكن مسمرة ويؤيده قوله والنا له الحديد ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ الضمير فيه لداود عليه السلام واهله ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فاجازيكم ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ وسخرنا له الريح وقرأ ابوبكر الريح بالرفع اى لسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشى كذلك وقرئ غدوتها وروحتها ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ النحاس المذاب سال له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة اوجملة من مبتداء وخبر ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ بامره ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ ومن يعدل منهم عما امرناه من طاعة سليمان وقرئ يُزِغْ من ازاغه ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ عذاب الاخرة ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ﴾ قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت به لانها يذب عنها ويحارب عليها ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ وصورا وتماثيل للملائكة والانبياء على ما اعتادوا من العبادات

من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع محمد ﷺ وروى انهم عملوا اسدين فى اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظلله النسران باجنحتهما ﴿وَجِفَانٍ﴾ وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهى من الصفات الغالبة كالدابة ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ ثابتات على الاثافى لاتنزل عنها لعظمها ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة اى اعملوا لله واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكرا او الوصف له او الحال او المفعول به ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لايوفى حقه لان توفيقه للشكر نعمة يستدعى شكرا اخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ اى على سليمان ما دل لهم على موته ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ اى الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهوتاثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها تطردبها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنسأته على مفعالة كمبساة فى مبساة ومن ساته اى طرف عصاه مستعار من ساءت القوس وفيه لغتان كما فى فخذ وفخذ وقرأ نافع وابوعمرو منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة اذا وقف جعلها بين بين ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ علمت الجن بعد التباس الامر عليهم ﴿أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ انهم لوكانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حيث ماوقع فلم يلبثوا بعده حولا فى تسخيرهم الى ان خرّ وظهرت الجن وان بما فى حيزن بدل منه اى ظهران الجن لوكانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب وذلك ان داود عليه السلام اسس بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ نا اجله واعلم به فاراد ان يعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير وليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه ففبض روحه وهومتكئ عليها فبقى كذلك حتى اكلتها الارضة فخرّ ثم فحصوا عنه واراد وا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قدمات منذ سنة وكان عمره ثلثا وخمسين سنة وملك وهوابن ثلث عشر سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبإ ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ لاولاد سبا بن يشجب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابوعمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوى كما وجب ﴿فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ فى مواضع سكناهم وهى باليمن يقال لها مآرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث وقراء حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائى بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع ﴿آيَةٌ﴾ علامة دالة على وجود

الصانع المختار وانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسيئ معاضدة للبرهان
السابق كما فى قصتى داود وسليمان جَنَّتَانِ بدل من اية او خبر مبتداء محذوف تقديره الاية
جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ جماعة
عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحد منهما فى تقاربها وتضايقها كانه جنة واحدة
او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ واشكروا له
حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا حقاء بان يقال لهم ذلك بَلْدَةٌ
طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ استيناف للدلالة على موجب الشكر اى هذه البلدة التى منها رزقكم بلدة طيبة
وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم ربّ غفور فرطا من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح
قيل كانت احصب البلاد واطيبها لم ير فيها عاهة ولا هامة فَأَعْرَضُوا عن شكرها فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ سيل الامر العرم اى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه
وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكر اضربت لهم بلقيس
فحقنت به ماء السحر وتركت فيه نقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التى عقدت سكرا على
انه جمع عرمة وهى الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد
عليهما السلام وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ مر بشيع فان الخمط كل نبت اخذ
طعما من مرارة وقبل الاراك او كل شجرة لاشوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه فى كونه بدلا او عطف بيان وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ معطوفان
على أكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئا بالنصب عطفا على جنتين ووصف
السدر بالقلة فان جناه هو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس فى البساتين وتسمية البدل
جنتين للمشاكلة والتهكم وقرأ ابو عمرو ذواتى أكل بغير تنوين اللام وقرأ الحرميان بتخفيف أكل
ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روى انهم بعث اليهم ثلثة عشر
نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ وهل يجازى
ما فعلنا بهم الا البليغ فى الكفران او الكفر وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالنون والكفور بالنصب
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا بالتوسعة على اهلها وهى قرى الشام قُرًى ظَاهِرَةً
متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل وَقَدَّرْنَا فِيهَا
السَّيْرَ بحيث يقيل الغادى فى قرية ويبيت الرايح فى قرية الى ان يبلغ الشام سِيرُوا فِيهَا
على ارادة القول بلسان المقال او الحال لَيَالِيَ وَأَيَّامًا متى شئتم من ليل ونهار آمِنِينَ
لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا امنين وان طال مدة سفركم فيها او سيروا فيها
ليالى اعماركم وايامها ولا تلقون فيها الا الامن فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا اشروا النعمة
وملوا العافية كبنى اسرائيل فسألوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز لتظاولوا فيها

فيها على الفقراء بركوب الدواحل وتزودوا الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة وقراء
ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد وبعقوب ربنا باعد بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم
افراطا فى الترفيه وعدم الاعتداد بما انعم عليهم فيه قراءة من قرأ ربنا بَعَدَ وَبُعِّدَ على النداء
واسناد الفعل الى بين وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ
يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدى سبا وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ففرقناهم
غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وَأَنْمَارٌ بيثرب وَجُذَامٌ بتهامة والازد بعمان إِنَّ فِي
ذَلِكَ فيما ذكر لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ عن المعاصى شَكُورٍ على النعم وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ
ظَنَّهُ اى صدق فى ظنه او صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه
كما فى صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ
بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجد ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق
حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك ما ظنه بالسباء حين راى انهماكهم
فى الشهوات وبنى ادم حين راى ابا هم ادم عليه السلام ضعيف العزم وما ركب فيهم من
الشهوة والغضب وسمع من الملايكة ايجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقال لاضلنهم
ولاغوينهم فاتبعوه إِلَّا فَرِيقًا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم
بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه فى العصيان وهم المخلصون وَمَا كَانَ
لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ تسلط واستيلاء بوسوسة واستغواء إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ
مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ الا لنتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او لنميز المؤمن من
الشاك فيها او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول
متعلقه مبالغة وفى نظم الصلتين نكتة لا تخفى وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ محافظ او رقيب
متاخيان قُلِ للمشركين ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ اى زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول
لطول الموصول بصلته والثانى لقيام صفته مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثانى لانه
لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه مِنْ دُونِ اللَّهِ والمعنى ادعوهم فيما يهمكم
من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب
اولانه لا يقبل المكابرة فقال لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ من خير او شر فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
فى امر ما وذكرهما للعموم العرفى او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها
ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وارضية والجملة استيناف لبيان حالهم
وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ من شركة لا خلقا ولا ملكا وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ يعينه على تدبير امرهما
وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ فلا تنفعهم شفاعة ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله إِلَّا
لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ان يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام فى قولك

الكرم لزيد وعلى الثانى كاللام فى جئتك لزيد وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى بضم الهمزة حتى اذا فزع
عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من انّ ثمة توقفا وانتظارا للاذن اى يتربصون فزعين حتى اذا كشف
الفزع عن قلوبهم الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا
وقرأ ابن عامر ويعقوب فزّع على البناء للفاعل وقرئ فُزِّع اى نفى الوجل من فزع الرائد اذا فنى قالوا
قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فى الشفاعة قالوا قال القول الحق وهو الاذن
بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اى مقوله الحق وهو العلى الكبير ذو العلو
والكبرياء ليس لملك ولا لنبىّ ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السموات والارض
يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او تلعثموا فى
الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين
او وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به
الجماد النازل فى ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهو بعد ما
تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو على الضلال ابلغ من التصريح لانه فى صورة
الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان اتهجوه ولست له بكفو فشركما
لخيركما الفداء وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلف الحزبين لان الهادى كمن صعد منارا ينظر
الاشياء ويتطلع عليها او ركب جوادا يركضه كيف يشاء والضال كائنة منغمس فى ظلام
مرتبك لا يرى شيئا ومحبوس فى مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسئلون عما
اجرمنا ولا نسأل عما تعملون هذا ادخل فى الانصاف وابلغ فى الاخبار حيث اسند الاجرام الى
انفسهم والعمل الى المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل
بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل فى القضايا المنغلقة
العليم بما ينبغى ان يقضى به قل ارونى الذين الحقتم به شركاء لا درى باى صفة الحقتموهم
بالله فى استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة فى تبكيتهم
كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة
وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون متسمة بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة رأسا
والضمير لله او للشان وما ارسلناك الا كافة الا ارسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم
فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف والتاء
للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا لانّ من الناس على المختار بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون
فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط جهلهم متى هذا الوعد يعنون المبشر به
والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين يخاطبون به رسول الله
والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او زمان وعد واضافته لليوم للتبيين ويؤيده ان قرئ

قرئ على البدل وقرئ يوما باضمار اعنى لا تستأخرون ساعة ولا تستقدمون اذا فاجاءكم
وهو جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار وقال الذين كفروا
لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث قيل ان
كفار مكة سألوا اهل الكتاب من الرسول فاخبروهم انهم يجدون نعته فى كتبهم فغضبوا وقالوا
ذلك وقيل الذى بين يديه يوم القيمة ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اى فى
موضع المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين
استضعفوا بقولهم لاتباع للذين استكبروا للرساء لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا
عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن
صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين انكروا انهم صادون لهم عن
الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى واثروا التقليد
عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر
الليل والنهار اضراب عن اضافتهم اى لم يكن اجرامنا الصادّ بل مكركم لنا دائما ليلا
ونهارا حتى اغرتمونا علينا اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا والعاطف
يعطف على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب
على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور واسروا الندامة
لما رأوا العذاب واضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه
مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات وللسلب كما فى اشكيته هـ
وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا اى فى اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم
واشعارا بموجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اذ لا يفعل بهم ما يفعل الاجزاء
على اعمالهم وتعدية يجزى اما لتضمين معنى يقضى او لنزع الخافض وما ارسلنا فى قرية من نذير
الا قال مترفوها تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه وتخصيص المتنعمين
بالتكذيب لانّ الداعى المعظم اليه التكبر والمتفاخر بزخارف الدنيا والانهماك بالشهوات والاستهانة
بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا انتهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون
على مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان امكن وما نحن
بمعذبين اما لان العذاب لا يكون اولا نه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب قل ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة فى الخصائص
والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان بوجبانه لم يكن بمشيته ولكن اكثر الناس لا يعلمون
فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال
وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى قربة والتى اما لانّ المراد وما جماعة

اموالكم واولادكم اولانها صفة محذوفة كالتقوى والخصلة وقرئ بالذى اى بالشئ الذى تقربكم
الا من امن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اى الاموال والاولاد لاتقرب احدا الا
المؤمن الصالح الذى ينفق ماله فى سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح اومن اموالكم
واولادكم على حذف المضاف فاولئك لهم جزاء الضعف بان يجازوا الضعف الى عشرة
فما فوقها والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما
على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذى دل عليه لهم بما عملوا وهم
فى الغرفات امنون عن المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقراء حمزة فى الغرفة على ارادة
الجنس والذين يسعون فى اياتنا بالرد والعطف فيها معاجزين سابقين لانبيائنا اوظانين
انهم يفوتوننا اولئك لهم فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا فى شخص واحد باعتبار الوقتين وما سبق فى
شخصين فلا تكرير وما انفقتم من شئ فهو يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا وهو خير الرازقين
فان غيره وسط فى ايصال رزقه لاحقيقة لرازقيته ويوم نحشرهم جميعا المستكبرين والمستضعفين
ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا عما يتوقعون
من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم شركاؤهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبداء
الشرك واصله قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم انت الذى نواليه من دونهم لاموالاة
بيننا وبينهم كانهم بتبروا بذلك براءتهم عن الرضاء بعبادتهم لهم ثم اضربوا عن ذلك ونفعا انهم
عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اى الشياطين حيث اطاعوهم فى عبادة غير
الله وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون
الضمير الاول للانس والمشركين بمعنى الكل والثانى للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا
اذ الامر كله لله لان الدار دار جزاء وهو المجازى وحده ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى
كنتم بها تكذبون عطف على لا يملك مبين للمقصود من تهديد واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا
ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا
ما هذا الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى باضافته الى الله سبحانه
وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم لامر النبوة او الاسلام او للقرآن والاول باعتبار معناه وهذا
باعتبار لفظه او اعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفى تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما
فى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما فى لما من المبادهة الى البث بهذا القول انكار
عظيم له وتعجيب بليغ منه وما آتيناهم من كتب يدرسونها وفيها دليل على صحة الاشراك وما
ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن
اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا فى غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال وكذب الذين

الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم وما بلغ هؤلاء عشر ما اتينا اولئك من القوة
وطول العمر وكثرة المال اوما بلغ اولئك عشر ما آتيناهؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلى فكيف
كان نكير فحين كذبوا رسلى جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا
تكرير فى كذب لان الاول للتكذيب والثانى للتكذيب او الاول مطلق والثانى مقيد ولذلك عطف
عليه بالفاء قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة وهى ما دل عليه ان تقوموا
لله وهو القيام من مجلس رسول الله عليه السلام او الانتصاف فى الامر خالصا لوجه الله معرضا عن الهوى
والتقليد مثنى وفرادى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الاذهان حينئذ تتوفر الخواطر وتختلط
القول ثم تتفكروا فى امر محمد وما جاء به لتعلموا حقيقته ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب
باضمار هو او اعنى ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك او استيناف منبه لهم على ان
ما عرفوا من رجاحة عقله كاف فى ترجح صدقه فانه لا يدعو ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم
من غير تحقق ووثوق برهان فيفتضح على رؤس الاشهاد ويسلم ويلقى الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه
معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اى شئ به من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم
بين يدى عذاب شديد قدامه لانه مبعوث فى نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر اى شئ سألتكم
من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفى السؤال كانه جعل التنبى مستلزما لاحد الامرين اما الجنون
واما توقع نفع دنيوى عليه لانه اما ان يكون لغرض او غيره وايا ما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما
وقيل ما موصولة مرادبها ما سألهم بقوله ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا
وقوله لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم ان اجرى الا على
الله وهو على كل شئ شهيد مطلع يعلم صدقى وخلوص نيتى قل ان ربى يقذف بالحق يلقيه وينزله
على من يجتبيه من عباده او يرمى به الباطل فيمحقه او يرمى به الى اقطار الافاق فيكون وعدا باظهار
الاسلام وافشائه علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن فى يقذف
او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربى او مفعولا باعنى والغيوب بالكسر كالبيوت وبالضم
كالعشور وبالفتح كالصيود على انه مبالغة غايب قل جاء الحق الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد
وزهق الباطل اى الشرك بحيث لم يبق له اثر مما خوذ من هلاك الحى فاذا هلك لم يبق له ابداء واعادة
قل ان ضللت فانما اضل على نفسى فان وبال ضلالى عليها فانه بسببها اذ هى الجاهلية بالذات والامارة بالسوء وبهذا
الاعتبار قابل الشرطية بقوله فان اهتديت فبما يوحى الى ربى فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه انه
سميع قريب يدرك كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم
بدر وجواب لو محذوف مثل لرايت امرا فظيعا فلا فوت فلا يفوتون الله بهرب او تحصن واخذوا

مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا اولا فوت وبؤبه انه قرئ واخذ عطفا على محله اى فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمَنَّا بِهِ بمحمد عليه السلام وقد مر ذكره فى قوله ما بصاحبكم وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ فانه فى حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم فى الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبُعد عنهم مجال من يريد ان يتناول الشئ من غلوة تناوله من ذراع فى الاستحالة وقرأ ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمتها او انه من ناشت الشئ اذا طلبته قال رُؤْبَةُ اقحمنى جارا بى الجاموش اليك ناش القدر النؤش او من ناشَتْ اذا تاخرت ومنه قوله تمنى نيسا ان يكون اطاعنى وقد حدثت بعدا لامور امور فيكون بمعنى التناول من بُعْدٍ وقد كفروا بِهِ بمحمد عليه السلام او بالعذاب مِنْ قَبْلُ من قبل ذلك او آن التكليف وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم فى الرسول من المطاعن او فى العذاب من البت على نفيه مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ من جانب بعيد عن امره وهو الشبه التى تخلوها فى امر الرسول او حال الاخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرمى شيئا لايراه من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه وقرئ وَيُقْذَفُونَ على ان الشيطان يلقى اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على لو افيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف فى تحصيل ما ضيعوه من الايمان فى الدنيا وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرأ عاصم والكسائى باشمام الضم للحاء كما فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ باشباههم من كفرة الامم الدارجة إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ موقع فى الريبة اوذى ريبة منقول من المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نبى الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ وَهِيَ خَمْسٌ وَأَرْبَعُ آيَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضى جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وسايط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده ويبلغون اليهم رسالاته بالوحى والالهام والرؤيا الصادقة أُولِي أَجْنِحَةٍ بينه وبين خلقه يوصلون اليهم اثار صنعه أُولِي أَجْنِحَةٍ مثنى وثلث وَرُبَاعَ ذوى اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون ويعرجون او يبعثون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفى ما زاد عليها لما روى انه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ استينافا للدلالة على ان تفاوتهم فى ذلك مقتضى مشيته ومؤدى

ومؤدى حكمته لا امر يستد عى به ذواتهم لان اختلافهم فى الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزمتنا فى لوازم الامور المتفقة وهو محال والا لابة متناولة زيادا الصور والمعانى كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ ما يطلق لهم ويرسل وهو من مجوزات السبب للمسبب مِنْ رَحْمَةٍ كنعمة وامن وصحة وعلم ونبوة فَلَا مُمْسِكَ لَهَا يحبسها وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثانى مطلق يتناولها والغضب وفى ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه مِنْ بَعْدِهِ من بعد امساكه وَهُوَ الْعَزِيزُ الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه الْحَكِيمُ لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه فقال يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذكروا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره فى ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ فمن اى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفى ولانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائى حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق او استينافا مفسرا له وكلام مبتداء وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ اى فتأس بهم فى الصبر على التكذيب فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضى زيادة التسلية والحث على المصابرة وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ بالحشر والجزاء حَقٌّ لا خلف فيه فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الاخرة والسعى لها وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر او جمع كقعود إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ عداوة قديمة فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا فى عقايدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه فى مجامع احوالكم إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ ليكونوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ تقرير لعداوته وبيان لغرضه فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ وعد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للاماني الفارغة وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا تقرير له اى افمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن

الاعمال واستقبحها على ما هي عليه فحذف الخبر للدلالة فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
عليه وقيل بتقدير افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الخبر للدلالة فَلَا تَذْهَبْ
نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ عليه والمعنى فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب
والفاآت الثلث للسببيه غيران الاوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع
الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم اوكثرة مساوى افعالهم المقتضيه للتأسف وعليهم
ليس صلة لها لان صلة المصدر لا يتقدم عليه بل صلة تذهب او بيان للمتحسر عليه إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا
يَصْنَعُونَ فيجازيهم عليه وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ وقرأ حمزة وابن كثير والكسائي الريح فَتُثِيرُ
سَحَابًا على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة اولان
المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلافا في الافعال للدلالة
على استمرار الامر فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره
او بالسحاب فانه سبب السبب او الصائر مطرا بَعْدَ مَوْتِهَا بعد يبسها والعدول فيهما من
الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع كَذَلِكَ النُّشُورُ اى مثل
احياء الموات نشور الاموات في صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال الاختلاف في المادة
في المقيس عليه وذلك لا مدخل فيها وقيل في كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش
ينبت منه اجساد الخلق مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ الشرف والمنعة فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا اى
فليطلبها من عنده فانه له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ
وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما
مجاز عن قبوله اياهما اوصعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن في يرفعه للكلم فانّ العمل لا يقبل
الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل وللعمل فانه يحقق الايمان ويقويه اولله وتخصيص العمل
بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يُصْعِدُ على البنائين والمُصْعِد هو الله تعالى والملك
وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعنه عليه السلام هو سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قال لها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيّا بها الى وجه الرحمن
فاذا لم يكن له عمل صالح لم يقبل وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ المكرات السيئات يعني مكرات قريش للنبي
صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتدابيرهم الرأي حبسه وقتله واجلائه لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
لا يؤبه دونه بما يمكرون به وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ يفسد ولا ينفذ لان الامور معقدة لا تتغير
كما دل عليه بقوله وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ بخلق ادم منه ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ بخلق ذريته منها
ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ذكرانا واناثا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ الا معلومة له وَمَا
يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ ولا يمد من عمر من مصيره الى الكبر وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ من عمر المعمر لغيره بان يعطى له
عمرا ناقص من عمر او لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله

مقابله عليه او للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا
بحق وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسبابه المختلفة اثبت في اللوح مثل ان يكون
فيه ان حج زيد فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينقص
فانه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على بناء الفاعل إِلَّا فِي كِتَابٍ
هو علم الله او اللوح او الصحيفة إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقص
وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ضرب مثل للمؤمن والكافر
والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ
سيغ بالتشديد والتخفيف ومِلح على وزن فِعل وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا
استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم اوتمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوايد
لا يتساويان من حيث انهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما افسده
وغيره عن كمال فطرته لا يساوي المؤمن والكافر وان اتفقا اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة =
لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وبقاء احدهما على الفطرة الاصلية دون الاخر او تفضيل
للاجاج على الكافر بما يشارك العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلي واليواقيت وَتَرَى الْفُلْكَ
فِيهِ في كل موآخر يشق الماء بجريها لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة
بمواخر ويجوز ان يتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ على ذلك وحرف الترجي
باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وسخر الشمس والقمر
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى هي مدة دوران منتهاه او يوم القيمة ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ الاشارة الى
الفاعل لما من الاشياء وفيها اشعار بانه فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له
الملك كلاما مبتدأ في قرآن وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ للدلالة على تفرده بالالوهية
والربوبية والقطمير لفافة النواة إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ لانهم جماد وَلَوْ سَمِعُوا على سبيل
الفرض مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ لعدم قدرتهم على الانفاع اولتبرئهم منكم مما تدعون لهم وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ باشراكم لهم يقرون ببطلانه اويقولون ما كنتم ايانا تعبدون وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ
خَبِيرٍ ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله سبحانه فان الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين
والمراد تحقيق ما اخبر به من حال الهتهم ونفي ما يدعون اليهم يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ في انفسكم
وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان
افتقار سائر الخلايق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ
بِخَلْقٍ جَدِيدٍ بقوم اخرين اطوع منكم او بعالم اخر غير ما تعرفون به وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ بمتعذر او
بممتنع وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم

واثقالا مع اثقالهم فوق اثقالهم وهم الضالون المضلون فانهم يحملون اثقالا لضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شئ من اوزار غيرهم وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ نفس اثقلتها الاوزار الى حملها يحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شئ لم يجب بحمل شئ منه فوان يحمل عنها ذنبها كما فوان يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو له لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان التامة فانها لا تلائم نظم الكلام إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ غائبين عن عذابه او عن الناس فى خلواتهم او غائبا عنهم عذابه وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ فانهم المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر وَمَن تَزَكَّى ومن تطهر عن دنس المعاصى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكى وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ فيجازيهم على تزكيتهم وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم والله عز وجل وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ولا الباطل والحق وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ولا الثواب والعقاب ولا تأكيد لنفى الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ تمثيل اخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ هدايته فيوفقه لفهم اياته والانتفاع بعظاته وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة فى اقناطه منهم إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ فما عليك الا انذارهم واما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه فى المطبوع على قلوبهم إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ محقين او محقا او رسلا لا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا اى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ اهل عصر إِلَّا خَلَا مضى فِيهَا نَذِيرٌ من نبى او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكر العلم بانا النذارة قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل ولان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وَبِالزُّبُرِ كصحف ابرهيم وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ كالتوراة والانجيل والزبور على التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فكيف كان نكيرى اى انكارى بالعقوبة أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا اجناسها او اصنافها على ان كلا منها لها اصنافا مختلفة اوهيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوها وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ اى ذو جدد اى خطط وطرائق يقال لجدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جُدُدٌ بالضم جمع جدية بمعنى الجدة وجَدَدٌ بفتحتين وهو الطريق الواضح بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا بالشدة والضعف وَغَرَابِيبُ سُودٌ عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب متحرة اللون وهو تأكيد مضمر يفسره فان الغربيب تأكيد للاسود وحق التأكيد ان يتبع المؤكد ونظير ذلك فى الصفة قولك لنابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها

بمسحها وفى مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ كاختلاف الثمار والجبال إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ اذ شرط الخشية معرفة المخشى والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال عليه السلام انا اخشاكم لله واتقاكم له ولهذا اتبعه ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ تعليل لوجوب الخشية للدلالة على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ بدا ومن قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن او جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً كيفما انفق من غير قصد اليهما وقيل السر فى المسنونة والعلانية فى المفروضة يَرْجُونَ تِجَارَةً تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر إِن لَّن تَبُورَ لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ علة لمدلوله اى ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم او لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ على ما يقابل اعمالهم إِنَّهُ غَفُورٌ لفرطاتهم شَكُورٌ لطاعاتهم اى مجازيهم عليها وهو علة للتوفية او الزيادة او خبر ان ويرجون حال من واو انفقوا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ يعنى القرآن ومن للتبيين والجنس او من للتبعيض هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيقته يستلزم موافقته اياه فى العقايد واصول الاحكام إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ عالم بالبواطن والظواهر فلو كان فى احوالك ما ينافى النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبر للدلالة على ان العمدة فى ذلك الامور الروحانية ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ حكما بتوريثه منك او توريثه فعبر عنه بالماضى لتحققه او ورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذى اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا يعنى علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم على سائر الامم فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ بالتقصير فى العمل به وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ يعمل به فى غالب الاوقات وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خالط الصالح بالشئ والسابق الذى رجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك سبقوا فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون فى طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون

الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان ذٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ اشارة الى التوريث
او الاصطفاء او السبق جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا مبتداء وخبره والضمير للثلثة او للذين او للمقتصد
والسابق والمراد بها الجنس وقرئ جنة عدن وجنات عدن منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو عمرو
يُدْخَلُونَهَا على بناء المفعول يُحَلَّوْنَ فِيهَا خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يَحْلَوْنَ من حليت المرأة فهي حالٍ
مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ من الاولى للتعين والثانية للتبيين وَلُؤْلُؤًا عطف على ذهب اى من ذهب
مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل من اساور وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا
حَرِيرٌ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وافانه او
من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ للمذنبين شَكُورٌ للمطيعين الَّذِي أَحَلَّنَا
دَارَ الْمُقَامَةِ دار الاقامة مِنْ فَضْلِهِ من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ
تعب وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد اتبع نفي النصب نفي ما يتبعه للمبالغة وَالَّذِينَ
كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ لا يحكم عليهم بموت ثان فَيَمُوتُوا ويستريحوا ونصبه باضمار أن
وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا
بل كلما خبت زيد اسعارها كَذٰلِكَ مثل ذلك الجزاء نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ مبالغ في الكفر والكفران
وقرأ ابو عمرو ويجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا يستغيثون
يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ
صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من
غير الصالح او الاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والآن
تحقق لهم خلافه أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ جواب من الله وتوبيخ لهم
وما يتذكر فيه متناول لكل عمر تمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين الى الستين
وعنه عليه السلام العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن ادم ستون سنة والعطف على معنى اولم نعمركم
فاته للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي او الكتاب وقيل العقل او الشيب وموت
الاقارب فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ يدفع العذاب عنهم إِنَّ اللّٰهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه احوالهم إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ تعليل له لانه اذا
علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم لغيرها هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ملقى
اليكم مقاليد التصرف فيها وقبل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ
كُفْرُهُ جزاء كفره وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ولا يزيد الكافرين كفرهم إِلَّا
خَسَارًا بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء
قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الاخرة
قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ يعني الهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء

شركاء الله تعالى او لانفسهم فيما يملكونه أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ بدل من ارأيتم بدل الاشتمال
لانه بمعنى اخبروني عن هؤلاء الشركاء ارونى اى جزء من الارض استبدوا بخلقه أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي
السَّمَاوَاتِ ام لهم شركة مع الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية أَمْ آتَيْنَاهُمْ
كِتَابًا ينطق على انا اتخذناهم شركاء فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية
ويجوز ان يكون هو للمشركين لقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر
والكسائي على بينات فيكون ايماء على ان الشرك خطر لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل إِنْ يَعِدُ
الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو
تغرير الاسلاف الاخلاف والرؤساء الاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقريب اليهم إِنَّ اللّٰهَ
يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما
ان تزولا لان الامساك منع وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا ما امسكهما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ من بعد
الله او من بعد الزوال والجملة ساد مسد الجوابين ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء إِنَّهُ كَانَ
حَلِيمًا غَفُورًا حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هذا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وَأَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ
مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود
والنصارى لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اى من واحدة من امم اليهود والنصارى
وغيرهم او من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فَلَمَّا جَاءَهُمْ
نَذِيرٌ يعني محمدا مَا زَادَهُمْ اى النذير او مجيئه على التسبب إِلَّا نُفُورًا تباعدا عن الحق اسْتِكْبَارًا
فِي الْأَرْضِ بدل من نفورا او مفعول له وَمَكْرَ السَّيِّئِ اصله وان مكروا المكر السيئ فحذف الموصوف
واستغناء بصفته ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف وقرأ حمزة وحده بسكون الهمزة في الوصل
وَلَا يَحِيقُ ولا يحبط الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ وهو المكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر
اى لا يحيق الله تعالى فَهَلْ يَنْظُرُونَ ينتظرون إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ سنة الله فيهم بتعذيب
مكذبيهم فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّٰهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّٰهِ تَحْوِيلًا اذ لا يبدلها بجعله غير المتعذيب
ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ استشهاد عليه بما يشاهدونه في مسائرهم الى الشام واليمن والعراق
من اثار الماضين وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ ليسبقه ويفوته فِي السَّمَاوَاتِ
وَلَا فِي الْأَرْضِ أَنَّهُ كَانَ عَلِيمًا بالاشياء كلها قَدِيرًا عليها وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّٰهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا
من المعاصي مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا على ظهر الارض مِنْ دَابَّةٍ من نسمة يدب عليها بشوم معاصيهم
وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى هو يوم القيمة فَإِذَا جَاءَ
أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا فيجازيهم على اعمالهم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الملائكة

دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اى باب شئت

سورة يس ثلث وثمانون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يس كالم فى المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طى على ان اصله يا أُنَيْسِين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل من الله فى ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البناء كاين او الاعراب على أل يسا وباضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث واعرابا على هذه يس وَامَالَ الياء حمزة والكسائى وابو بكر وَرَوْح وادغم النون فى واو والقرآن الحكيم ابن عامر والكسائى وابو بكر وورش ويعقوب وهى واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما به إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم اى لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة فى الامور ويجوز ان يكون على صراط مستقيم خبرا ثانيا او حالا من المستكن فى الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بالنصب باضمار اعنى او فعله على انه على اصله وقرئ بالجر على البدل من القرآن لِتُنذِرَ قومًا متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ما أُنذِرَ آباؤهم قوما غير منذر اباؤهم يعنى اباؤهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله او الذى انذر به او شيئا انذر به اباؤهم الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذر اباءهم على المصدر فَهُمْ غَافِلُونَ متعلق بالنفى على الاول اى لم ينذروا فبقوا غافلين وبقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخر اى ارسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ على اكثرهم يعنى قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ لانهم ممن علم انهم لا يؤمنون إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا لا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغنى عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غُلَّت اعناقهم فهى إِلَى الْأَذْقَانِ فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطأطئون فهم مُقْمَحُونَ رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم فانهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ وعن احاط بهم سدا ان فعطى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم فى انهم محبوسون فى مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر فى الآيات والدلائل وقرأ حمزة والكسائى وحفص سدًّا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان يفعل الناس وبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فاغشيناهم من الغشى وقيل الايتان فى بنى مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ رأس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انشت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكر عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومى آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يؤمنون سبق فى البقرة إِنَّمَا تُنذِرُ انذارا يترتب عليه البغية المرومة مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ اى القرآن بالتأمل والعمل به وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او فى سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن مستقم قهار فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ الاموات بالبعث والجهال بالهداية وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة وَآثَارَهُمْ الحسنة كعلم علموه وحبس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتاسيس الظلم وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ يعنى اللوح المحفوظ واضرب لهم وامثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اى مثال واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ على حذف المضاف اى اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى عليه السلام الى اهلها واسناده الى نفسه فى قوله إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ لانه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فَكَذَّبُوهُمَا فعززنا فقوينا وقرأ ابو بكر محققا من عزه اذا غلبه فحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به بِثَالِثٍ وهو شمعون فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ وذلك انهم كانوا عبدة اوثان فارسل عليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة راعى حبيب النجار يرعى غنما فسألهما فاخبراه فقال ما معكما اية فقالا نشفى المريض وتبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرئ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفى فى يديهما خلق كثير فبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما أَلَنَا إِلَٰهٌ سِوَىٰ آلِهَتِنَا قالا نعم من اوجدك والهتك فقال قوما حتى انظر فى امركما فحبسهما ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استأنسوا به واوصلوه الى الملك فانس به فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال شمعون صفاه واوجزا فلا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما ايتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر فاخذا بُنْدُقَتَيْنِ فوضعا فى حدقتيه فصار تا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارايت لو سألت الملك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف قال ليس لى عنك سر الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال انى أُدْخِلْتُ سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلثة شمعون وهذان فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فامن الملك فى جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبرئيل فهلكوا قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا

لامزية لكم علينا يقتضى اختصاصكم بما تدعون و رفع لبشر لانتقاض النفى المقتضى اعمال بالا
وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ وحى ورسالة إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ فى دعوى رسالته قَالُوا
رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ استشهدوا بعلم الله وهو يجرى مجرى القسم وزادوا اللام
المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ الظاهر البين بالآيات الشاهدة
لصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا بينة قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ تشاءمنا بكم وذلك
لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم
وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ سبب شومكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم
وقرئ طيركم معكم أَئِن ذُكِّرْتُم وعظتم به وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم
والتعذيب وقد زيد بالف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وإِن وأن بغير استفهام
وابن ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم هو بابلغ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ قوم عادتكم الاسراف
فى العصيان فمن ثمة جاءكم الشؤم او فى الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به
وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ هو حبيب النجار ينحت اصنامهم وهو ممن آمن بمحمد عليه السلام وبينهما
ستمائة سنة وقيل كان فى الغار بعبد الله فلما بلغه خبر الرسول اتاهم اظهر دينه قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا
الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا على النصح وتبليغ الرسالة وَهُم مُّهْتَدُونَ الى خير الدارين
وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي تلطف فى الارشاد بايراده فى معرض المناصحة لنفسه والمحاض
النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك
قال وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ مبالغة فى التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً
إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا لا ينفعنى شفاعتهم وَلَا يُنقِذُونِ بالنصرة
والمظاهرة إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر
على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ الذى خلقكم فَاسْمَعُونِ
فاسمعوا ايمانى وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم فقيل ان يقتلوه
قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قيل له ذلك لما قتلوه بشرا بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا فى دخولها كسائر
الشهداء ولما هموا بقتله رفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان
المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام استيناف فى جزاء الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء
ربه بعد تصلبه فى نصر دينه ولذلك قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ
الْمُكْرَمِينَ فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك لقول العظيم له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم
على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان والطاعة على ذاب الاولياء فى كظم
الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطاء عظيم فى امره وانه كان على حق
وقرئ المكرمين وما خبرية او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت على

على الاصل والباء صلة غفران باى شئ غفر لى بين يديه المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم
وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ من بعد اهلاكه او رفعه مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ لاهلاكهم
كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم
وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ وما صح فى حكمتنا ان ننزل
جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شئ سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة
معطوفة على جندا اى وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة او ريح وامطار شديدة إِن
كَانَتْ اى ما كانت الاخذة او العقوبة إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً صاح بها جبرئيل وقرئت بالرفع
بالوقع على كان التامة فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ميتون شبههم بالنار رمزا الى ان الحى كالنار الساطعة
والميت كرمادها قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع
يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ تعالى فهذه من الاحوال التى من حقها ان تحضرى فيها وهى مما دل عليها
مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط
بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسروا وتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون
من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على
انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى
محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسرى على العباد باجراء
الوصل مجرى الوقف أَلَمْ يَرَوْا ألم يعلموا وهو متعلق عن قوله كَمْ أَهْلَكْنَا قبلهم مِّنَ الْقُرُونِ
لانه لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ
بدل من كم على المعنى اى الم يروا كثرة اهلكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على
الاستيناف وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لدينا محضرون يوم القيمة للجزاء وان مخففة من الثقيلة واللام
هى الفارقة وما مزيدة للتاكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فيكون ان
نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ وقرأ
نافع بالتشديد أَحْيَيْنَاهَا خبر للارض والجملة خبرية او صفة لها اذ لم يرد بها معينة وهى
للجنس والمبتداء والاية خبرها او استيناف لبيان كونها اية وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا جنس الحب
فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ قدم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وَجَعَلْنَا فِيهَا
جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال
على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب
والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع واثار الصنع وَفَجَّرْنَا فِيهَا وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير
كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى مِنَ الْعُيُونِ اى شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة عند الاخفش لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل

الضمير لله على طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه تعالى وقرأ حمزة والكسائى
بضمتين وهو لغة فيه اوجمع ثمار وقرئ بضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف على الثمر والمراد
منه ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافيه والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد
الاول قراءة الكوفيين بغير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها افلا يشكرون
امر بالشكر من حيث انه لترك سبحان الذى خلق الازواج كلها الانواع والاصناف مما تنبت
الارض من النبات والشجر ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون وازواجا مما
لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته وآية لهم الليل نسلخ منه النهار نزيله
ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام فى اعرابه ما سبق فاذا هم مظلمون
داخلون فى الظلام والشمس تجرى لمستقر لها لحد معين ينتهى اليه دورها فشبه بمستقر السائر
اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد بطأ بحيث يظن ان لها هناك وقفة ما
والشمس تجرى لها بالجر تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من
المشارق والمغارب فان لها فى دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع
وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ
لا مستقر لها اى لا سكون لها فانها متحركة دائما ولا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس ذلك اى جرى
على هذا التقدير المتضمن للحكم التى يكل الفطن عن احصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته
على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه مسيره منازل او سيره
فى منازل وهى ثمانية وعشرون النطاح البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة
الذراع النثرة الطرف الجبهة الذبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل
القلب الشولة النعايم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية
فرع الدلو المقدم فرع الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحد
منها لا يخطاه ولا يقاصر عنه فاذا كان فى اخر منازله وهو الذى يكون فيه قبيل الاجتماع دق
واستقوس وقراء الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الراء حتى عاد كالعرجون كالشمراخ
المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون
والبزيون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغى لها لا يصح لها
وليس لها ان تدرك القمر فى سرعة سيره فانه ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او فى اتاه
ومنافعه او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفى الشمس للدلالة
على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه فيه
وقيل المراد بهما ايتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا
للاول وتبديل الادراك بالسبق لانه الملايم بسرعة سيره وكل وكلهم التنوين عوض عن

عن المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال توجب تعددا تا
فى الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها فى فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط
وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساؤهم
الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان استقرارهم
فى السفن اشق وفاسكهم فيها اعجب فى الفلك المشحون المملوء وقيل المراد فلك نوح وحمل
الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباءهم الاقدمين وفى اصلابهم ذرياتهم وتخصيص الذرية
لانها ابلغ فى الامتنان وادخل فى التعجيب مع الايجاز وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك
ما يركبون من الابل فانها سفائن البر ومن التفن والزوارق وان نشأ نغرقهم فلا صريخ
لهم فلا مغيث لهم يجيرهم عن الغرق وفلا استغاثة كقولهم انا هم الصريخ ولا هم ينقذون
يحمون من الموت به الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة وللتمتيع بالحيوة الى حين زمان قدر
لاجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم الوقايع التى خلت والعذاب المعد
فى الاخرة او نوازل السماء ونوائب الارض كقوله اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء
والارض او عذاب الدنيا وعذاب الاخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم
ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم
من اية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين كانه قيل واذا قيل لهم اتقوا العذاب
اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم
قال الذين كفروا بالصانع يعنى معطلة كانوا بمكة للذين امنوا تهكما بهم من اقرارهم به
وتعليقهم الامور بمشيته انطعم من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم وقيل له مشركو قريش
حين استطعموهم فقراء المؤمنين ايها ما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم فلم يطعمهم فنحن
احق بذلك وهذا من فرط جهلهم لانهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء
وتوفيقهم له ان انتم الا فى ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشية الله ويجوز ان يكون
جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
يعنون وعد البعث ما ينظرون ما ينتظرون الا صيحة واحدة هى النفخة الاولى تأخذهم
وهم يخصمون يتخاصمون فى متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله فاخذتهم الصاعقة
بغتة وهم لا يشعرون واصله يختصمون فسكنت الفاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين
وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقراء ابن كثير بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو به
مع اختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان وكانه تجوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثانى
مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية فى شئ من امورهم
ولا الى اهلهم يرجعون فيراجعوا لهم بل يموتون حيث بلغتهم الصيحة ونفخ فى الصور اى

مرة ثانية وقد سبق فى سورة المؤمنين فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ يسرعون وقرئ بالضم قَالُوا يَا وَيْلَنَا وقرئ يا ويلتنا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا نبّه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ مبتداء وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع اوهذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتداء خبره محذوف اى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب الملائكة او المؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذى بهتهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث وارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنون فانه ليس بعث النائم فيهتكم السؤال عن الباعث وانما البعث الاكبر ذو الاهوال إِن كَانَتْ مَا كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً هى النفخة الاخيرة وقرئ بالرفع على كان التامة فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ بمجرد تلك الصيحة وفى كأن ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغنا وهما عن الاسباب التى يتوطن بها فيما يشاهدونه فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له فى النفوس وكذا قوله إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ متلذذون فى التنعم من الفكاهة وفى تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى مما يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو فى شغل بالسكون ويعقوب فى رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون فى شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن فى الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فى ظِلَالٍ جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائى فى ظلل عَلَى الْأَرَائِكِ على السرر المزينة مُتَّكِئُونَ وهم مبتداء خبره فى ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة او خبر ثان او متكئون والجاران صلتان له او تأكيد للضمير فى شغل او فاكهون وعلى الارائك متكئون خبرا خر لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة فى الاحكام الثلثة وفى ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ما يدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وحمل لنفسه او ما يدعونه كقوله اترعموه بمعنى تزامون او يتمنون من قولهم ادع علىّ ما شئت بمعنى تمنّه علىّ او ما يدعونه فى الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله سَلَامٌ بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتداء محذوف الخبر اى ولهم سلام وقرئ بالنصب

على المصدر او الحال اى لهم مرادهم خالصا قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ اى يقوله الله تعالى او يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ وانفردوا عن المومنين وذلك حين يساقون بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا من كل خير وتفرقوا فى النار فان لكل كافر قرينا ينفرد لا يرى ولا يرى أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الامرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الامر بها المزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة واحهد واحد على لغة تميم إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحمل عليه وَأَنِ اعْبُدُونِي عطف على ان لا تعبدوا هذا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ اشارة الى ما عهد اليهم او الى عبادته فالجملة استينافية لبيان المقتضى للعهد بشقيه او بشقه الاخر والتاكيد للمبالغة او التعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطرق المستقيم وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل ورأى والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائى بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جيلا جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحدا للاجيال هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا خزيها اليوم بكفركم فى الدنيا الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ عما كانوا يتكلمون به وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ بظهور اثار المعاصى عليها ودلالتها على افعالها او باطاقة الله تعالى اياها وفى الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ لمسخنا اعينهم حتى تصير ممسوحة فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فاستبقوا الى الطريق الذى اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او تضمين الاستباق معنى الابتداء او جعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ بتغيير صورهم وابطال قواهم على مَكَانَتِهِمْ بحيث مكانهم يجدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا ذهابا وَلَا يَرْجِعُونَ ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا بابتاع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتى والعتى ومفتا كهتيتى والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة واقتضاء الحكمة امهالهم وَمَن نُّعَمِّرْهُ نطول عمره نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء امره وقرأ حمزة وعاصم ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس اشهر أَفَلَا يَعْقِلُونَ

ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غيرانه على التدرج وقراءنا فع وابو
عامر ويعقوب بالتاء لجرى الخطاب قبله وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ رد لقولهم ان محمدا شاعر اى ما علمناه الشعر
بتعليم القرءان فانه غير مقفو ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات الرقيقة والمنقحة
وَمَا يَنْبَغِي لَهُ وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان اراد قرضه على ما اخبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة
وقوله انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع وميت وفى سبيل الله
ما لقيت اتفاقى من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا فى تضاعيف المنثور اعلم ان
الخليل ماعد المنظور من الرجز شعرا هذا وقد روى انه حرك البائين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن
الثانية وقيل الضمير للقرءان اى وما يصح للقرءان ان يكون شعرا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ عظة
وارشاد من الله تعالى وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ كتاب سماوى يتلى فى المعابد ظاهر انه ليس كلام البشر لما
فيه من الاعجاز لِيُنذِرَ القرءان او الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء مَن
كَانَ حَيًّا عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا فى علم الله فان الحيوة الابدية بالايمان وتخصيص
الانذار به لانه المنتفع به وَيَحِقَّ الْقَوْلُ ويجب كلمة العذاب عَلَى الْكَافِرِينَ المصرين على الكفر
وجعلهم فى مقابلة من كان حيا اشعار بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات
فى الحقيقة أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا مما توليناه احداثه ولم يقدر على احداثه
غيرنا وذكر الايدى واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة فى الاختصاص والتفرد بالاحداث
أَنْعَامًا خصها بالذكر لما فيها من بدايع الفطرة وكثرة المنافع فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ يتملكون
بتمليكنا اياهم او يتمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال ان صحت لا احمل السلاح ولا
املك رأس البعير ان نفرا وذللناها لَهُمْ وصيرناها منقادة لهم فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ مركوبهم وقرئ
ركوبتهم وهى بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه ورركوبهم اى ذو ركوبهم او فمن منافعها
ركوبهم وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ اى ما يأكلون لحمه ولهم فيها مَنَافِعُ من الجلود والاصواف والاوبار
وَمَشَارِبُ من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر أَفَلَا يَشْكُرُونَ نعم الله فى ذلك
اذ لو اخلقه لها وتزييله اياها كيف امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ
اللَّهِ آلِهَةً اشركوها به فى العبادة بعد ما رأوا تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انها المتفرد
بها لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم به من الامور والامر بالعكس لانهم لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ لالهتهم جُندٌ مُّحْضَرُونَ معدون بحفظهم والذب عنهم او محضرون اثرهم
فى النار فَلَا يَحْزُنكَ فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من احزن قَوْلُهُمْ فى الله بالالحاد والشرك
او فيك بالتكذيب والتهجين إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ فنجازيهم عليه وكفى بذلك
ان تتسلى به وهو تعليل النهى على الاستئناف ولذلك لو قرئ انا بالفتح على حذف لام التعليل جاز
أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه

ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكار حيث عجب منه وجعله افراطا
فى الخصومة بينا ومنافاة لمحمود القدرة على ما هو اهون مما علمه فى بدء خلقه ومقابلة النعمة التى
لا مزيد عليها وهى خلقه من اخس شئ وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روى ان
ابى بن خلف اتى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم بال ففته بيده فقال اترى الله يحيى هذا بعد
ما رمّ فقال عليه السلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين
فاذا هو بعد ما كان زمانا مهينا ممتنا مطيق قادر على الخصام مغرب عما فى نفسه وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا
امرا عجيبا وهو نفى القدرة على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجز عنه وَنَسِيَ خَلْقَهُ
خلقنا اياها قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ منكرا اياه مستبعدا له والرميم ما بلى من العظام
ولعله فعيل بمعنى فاعل من رمّ اذا صار رماسا بالغلبة ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته وفيه
دليل على ان العظم ذو حيوة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فان
قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها فى القابلية اللازمة لذاتها وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ
عَلِيمٌ يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتة المتبددة اصولها
وفصولها ومواقعها وطرق تميزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق واعادة الاعراض
والقوى التى كانت فيها او احداث امثالها الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ كالمرخ والعفار نارا
بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتقدح النار فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ
لا تشكون فى انها نار تخرج منه فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة
لها بكيفيته كان اقدر على اعادة المتعاضة فيما كان غضا فيبس وبلى وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله
فمالئون منها البطون أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مع كبر جرمها وعظم شانهما بِقَادِرٍ
عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم فى الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم فى اصول الذات وصفاتها
وهو المعاد عن يعقوب بَلَىٰ جواب من الله لتقرير ما بعد النفى مشعر بانه لا جواب سواه وَهُوَ
الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ كثير المخلوقات والمعلومات إِنَّمَا أَمْرُهُ انما شانه إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ
كُن اى تكون فَيَكُونُ فهو يكون اى يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته فى مراده بامر المطاع
للمطيع فى حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال الة قطعا لمادة
الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائى عطفا على يقول
فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ تنزيه له عما عرض به اله وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه
مالكا للملك كله قادرا على كل شئ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ
يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روى فى فضل يس كيف خصت به فاذا انه
لهذه الاية وعنه عليه السلام ان لكل شئ قلبا وقلب القرءان يس من قرأها يريد بها وجه الله
غفر الله له واعطى من الاجر كأنما قرأ القرءان اثنين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به

ملك الموت يسل نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له
ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في
سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان الجنة بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه
فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى الحوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

سورة الصافات مكية وهي مائة واثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا
اقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها يفيض عليهم الانوار الالهية
منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المامور فيها او الناس عن
المعاصي بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين ايات الله وجلاياه قدسه على انبيائه
واوليائه او بطوايف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر
القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء
الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصايح التالين ايات الله وشرايعه
او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل او العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة
العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات والفاء لترتيب الوجود كقوله
فالصايح فالغانم فالايب فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر والاساقة الى قبول الخير
والتلاوة افاضته او الرتبة كقوله عليه السلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم
على المتاخر وهذا بالعكس وادغم ابو عمرو وحمزة التاء فيما يليها لتقاربهما فانهما من طرف اللسان واصول
الثنايا إن إلهكم لواحد جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتاكيد المقسم عليه على ما هو
المالوف في كلامهم واما تحقيقه فبقوله رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق
فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما
مر غير مرة ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها
من خلقه والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس في السنة وهي ثلثمائة وستون تشرق كل يوم في
واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة
وما قيل انها مائة وثمانون انما يصح لو لم يختلف وقتا الانتقال إنا زينا السماء الدنيا القربى منكم
بزينة الكواكب بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص
بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منه او بزينة هي لها كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب
فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة
ابي بكر بالتنوين والنصب على الاصل او بان زينتها الكواكب على الاضافة الى الفاعل وركوز الثوابت

الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الستة المتوسطة بينها وبين سماء الدنيا
ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلالية على سطحها الازرق
باشكال مختلفة وحفظا منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كانه قال
انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا لها من كل شيطان مارد خارج من الطاعة
برمي الشهب لا يسمعون الى الملا الاعلى كلام مبتدا لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم
ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا
علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها كقوله الا ايها الزاجري احضر الوغى
فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمينه معنى الاصغاء مبالغة
لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من التسمع وهو تطلب
السماع والملا الاعلى الملائكة او اشرافهم ويقذفون ويرمون من كل جانب من جوانب السماء
اذا قصدوا صعوده دحورا اى للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال
بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به ويقوية القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا
ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له اى قذفا ذا دحور ولهم عذاب اى عذاب اخر واصب دائم
او شديد وهو عذاب الاخرة إلا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل عنه
فاتبعه شهاب والمخطف الاختلاس والمراد اختلاس الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة
وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها واصلهما اختطف فاتبعه شهاب بمعنى تبع
والشهاب ما يرى كانه كوكب انقضى وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم
ينف ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله انا زينا السماء الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوما للشياطين فان كل بيّن يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة
للسماء من حيث انه يرى على سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث لما ذكر في بعض الاوقات رجما للشيطان
يتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي عليه السلام ان صح فلعل
المراد كثرة وقوعه او مصيره دحورا واختلف في ان المرجوم يتاذى به فيرجع او يحترق به لكن
قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه دائما
ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس
من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها ثاقب
مضيء كانه يثقب الجو بضوئه فاستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني آدم أهم
أشد خلقا أم من خلقنا يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق
والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقهم ومجيئه بعد
ذلك وقراءة من قرأ هم من عددنا وقوله إنا خلقناهم من طين لازب فانه القارق

بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولات المراد اثبات المعاد وردّ استحالتهم
والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقرير ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية
المادّة ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضمّ الجزء الماءىّ الى الجزء الارضىّ
وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا انّ الانسان الاوّل انما تولد منه بلا توسط مواقعة فلزمهم
ان يجوّزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل فان من قدر على خلق هذه الاشياء قدر على ما
يعتدّ به بالاضافة اليها سيّما ومن ذلك بدؤهم اوّلا وقدرته ذاتية لا تتغيّر بَلْ عَجِبْتَ من قدرة
الله وانكارهم البعث وَيَسْخَرُونَ من تعجبك وتقديرك للبعث وقرأ حمزة والكسائى بضمّ التاء اى
بلغ كمال قدرتى وكثرة خلائقى تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر
البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوّز والتعجب من الله اما على الفرض والتخييل او على معنى
الاستعظام اللازم له فانه ردعة تعترى الانسان عند استعظامه الشئ وقيل انه مقدر بالقول
اى قل يا محمد بل عجبت وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ واذا وعظوا بشئ لا يتعظون به او اذا ذكّر
لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون لبلادة فهم وقلة فكرهم وَإِذَا رَأَوْا آيَةً معجزة تدل على صدق
القائل به يَسْتَسْخِرُونَ يبالغون فى السخرية ويقولون انه سحر او يستدعى بعضهم من بعض ان يسخر منها
وَقَالُوا إِنْ هَذَا يعنون ما يرونه إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ظاهر سحريته أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ اصله ابعث اذا متنا فبعث قدّموا الفعلية بالاسمية وقدّموا الظرف وكرّروا الهمزة
مبالغة فى الانكار واشعارا بان البعث مستنكر فى نفسه وفى هذه الحالة اشدّ استنكارا فهو
ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائى ويعقوب بطرح الثانية أَوَآبَاؤُنَا
الْأَوَّلُونَ عطف على محلّ انّ واسمها او على الضمير فى مبعوثون فانه مفصول عنه بهمزة
الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع وابن عامر الواو على التوديد قُلْ نَعَمْ
وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ صاغرون وانما اكتفى به فى الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام الحجة على صدق
المخبر عن وقوعه وقرئ اى الله او الرسول وقراءة الكسائى وحمزة نعم بالكسر وهو لغة فيه فَإِنَّمَا هِيَ
زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ جواب شرط مقدر اى اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اى صيحة واحدة هى النفخة
الثانية من زجر الراعى نعمه اذا صاح عليها وامرها فى الاعادة كما مر فى الابداء ولذلك رتّب عليها
فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ فاذا هم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وَقَالُوا
يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ اليوم الذى يجازى باعمالنا وقد تمّ به كلامهم وقوله هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ
الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء
او الفرق بين المحسن والمسئ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر
الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم وَأَزْوَاجَهُمْ واشباههم عابد الصنم مع

مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته كقوله وكنتم ازواجا ثلاثة او نساءهم اللاتى
على دينهم او قرناءهم من الشياطين وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ من الاصنام وغيرها
زيادة فى تحسيرهم وتجهيلهم وهو عام مخصوص بقوله انّ الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية
وفيه دليل على انّ الذين ظلموا المشركون فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ فعرّفوهم طريقها ليسلكوها
وَقِفُوهُمْ احبسوهم فى الموقف إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ عن عقائدهم واعمالهم والواو لا توجب
الترتيب مع جواز ان يكون موقفه بعد الهدى والتعريف للسؤال مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ
لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ منقادون
لعجزهم وانسداد الحيل واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم بعضهم بعضا
ويخذله وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يعنى الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء يَتَسَاءَلُونَ
يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسّر بيتخاصمون قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ عن اقوى
الوجوه وايمنها او عن الدين او الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فبعنتموكم وهلكنا مستعار عن يمين
الانسان الذى هو اقوى الجانبين واشرفه وانفعه ولذلك سمّى يمينا وبمن بالسانح او عن القوة
والقهر فتعسّرونا على الضلال او عن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق قَالُوا بَلْ لَمْ
تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ اجابهم الرؤساء
اوّلا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين فى انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم
عليهم تسلّط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا
لَذَائِقُونَ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ثم بيّنوا انّ ضلال الفريقين ووقوعهم فى العذاب
كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغىّ لانهم كانوا
على الغىّ فاحبّوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم فى الحقيقة ليست من قبلهم
اذ لو كان كل غواية لاغواء غاو فمن اغواهم فَإِنَّهُمْ فان الاتباع والمتبوعين يَوْمَئِذٍ فى العذاب
مُشْتَرِكُونَ كما كانوا مشتركين فى الغواية إِنَّا كَذَلِكَ مثل ذلك الفعل نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ
بالمشركين لقوله إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ اى عن كلمة التوحيد او على
من يدعوهم اليه وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ يعنون محمدا عليه السلام
بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وصدّق المرسلين ردّ عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان
وتطابق عليه المرسلون إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ بالاشراك وتكذيب الرسول وقرئ
بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف من غير المحلى باللام
وعلى الاصل وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ الا مثل ما عملتم إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ استثناء
منقطع الا ان يكون الضمير فى تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة
فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ خصائصه

من الدوام وتمحض للذة ولذلك فسر بقوله فواكه فان الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذى به والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيد واعلى خلقة محكمة محفوظة عن التحلل فكانت ارزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون فى نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما دل عليه رزق الدنيا فى جنات النعيم فى جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن فى مكرمون او خبر ثان لاولئك على سرر يحتمل الحال والخبر فيكون متقابلين حالا من المستكن فيه او فى مكرمون وان يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمين يطاف عليهم بكاس باناء فيه خمرا وخمر كقوله وكاس شربت لذة من معين من شراب معين او نهر معين اى ظاهر للعيون او خارج من العيون وهو صفة للماء من عان الماء اذا نبع وصف خمر الجنة لانها تجرى كالماء او للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله بيضاء لذة للشاربين وهما ايضا صفتان لكاس ووصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تانيث لذ بمعنى لذيذ كطبت ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدى تركته بارض العدى من خشية الحدثان لا فيها غول غائلة كما فى خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله افرده بالنفى وعطف على ما يعمّ لانه من اعظم فساده كانه جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائى بكسر الزاء وتابعهما عاصم فى الواقعة من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وصل للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزخت الركية حتى نزفتها وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء كانهن بيض مكنون مشبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه فى الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف عليهم اى يتذاكرون ويتحادثون على الشراب كما دوما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام والتعبير عنه بالماضى للتاكيد فيه فانه اذا تلك اللذات الى العقل وتسالهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم فى الدنيا قال قائل منهم فى مكالمتهم انى كان لى قرين جليس فى الدنيا يقول انك لمن المتصدقين يوبخنى على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصديق ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال ذلك القائل هل انتم مطلعون الى النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم وعن ابى عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على ان جعل اطلاعهم سببا اطلاعه من حيث ان ادب المجالسة يمنع الاستبداد به وخاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الامرون الخير والفاعلون او شبه اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم فراه اى قرينه

اى قرينه فى سواء الجحيم وسطه قال تالله ان كدت لتردين لتهلكنى بالاغواء وقرئ لتغوين وان هى المخففة واللام هى الفارقة ولولا نعمة ربى بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين معك فيها افما نحن بميتين عطف على محذوف اى نحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اى بمن شانه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التى كانت فى الدنيا وهى متناولة لما فى القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله وتعجبا منها وتقريعا للقرين بالتوبيخ ان هذا لهو الفوز العظيم يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ما هم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون اى لمثل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالالام السريعة الانقراض وهو ايضا يحتمل الامرين اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم شجرة تمثل بها نزل اهل النار وانتصاب نزلا على التمييز او على الحال وفى ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل وهم ما وراء ذلك ما تقصر عنه الاوهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صيغة الورق دفرة مرة تكون تهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم فى الاخرة او ابتلاء فى الدنيا فانهم لما سمعوا انها فى النار ولو اكيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش فى الحيوان ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر فى النار وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم منبتها فى قعر جهنم واغصانها ترفع دركاتها طلعها اى طلعها اى ثمرها مستعار من طلع الثمر لمشاركته اياه فى الشكل او الطلوع كانه رؤس الشياطين فى تناهى القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق فى الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بذلك فانهم لا كلون منها من الشجرة او طلعها فمالئون منها البطون لغلبة الجوع والجبر على اكلها ثم ان لهم عليها اى بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما فى شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشابه به والاول مصدر سمى به ثم ان مرجعهم مصيرهم لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون اليه كما يورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤنث انه قرئ ثم منقلبهم انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك العقوبة بتقليد الاباء فى الضلال والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون على الاسراع على اثارهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك

من غير توقف على نظر وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك اكثر الاولين ولقد ارسلنا
فيهم منذرين انبياء انذروهم من العذاب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الشدة
والقطاعة الا عباد الله المخلصين الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله تعالى وقرئ
بالفتح اى الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول والمقصود خطاب قومه فانهم سمعوا
اخبارهم ورأوا اثارهم ولقد نادانا نوح شروع فى تفصيل القصص بعد اجمالها اى ولقد
نادانا حين ايس من قومه فلنعم المجيبون اى اجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن
نخذ منها ما احذف لقيام ما يدل عليه ونجيناه واهله من الكرب العظيم من الغرق وقومه وجعلنا
ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيمة اذ روى انه مات
كل من كان من السفينة غير بنيه وازواجهم وتركنا عليه فى الاخرين من الامم سلام
على نوح هذا الكلام مجيء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله
عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء فى العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء
بثبوت هذه التحية فى الملائكة والثقلين جميعا انا كذلك نجزى المحسنين تعليل لما فعل
بنوح من التكرمة فانه مجازاة له على احسانه انه من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانه
بالايمان اظهار لجلالة قدره واصالة امره ثم اغرقنا الاخرين يعنى كفار قومه
وان من شيعته من شايعه فى الايمان واصول الشريعة لابراهيم ولا يبعد اتفاق شرعهما
فى الفروع اوغالبا وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما هود وصالح
اذ جاء ربه متعلق بما فى الشيعة من معنى المتابعة او بمحذوف هو اذكر بقلب سليم
من افات القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ
ومعنى المجيء به اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه اذ قال لابيه وقومه ما ذا تعبدون
بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم افكا الهة دون الله تريدون اى تريدون
الهة دون الله افكا فقدم المفعول العناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل
ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به والهة بدل منه على انها افك
فى نفسها للمبالغة او المراد بها عبادتها بحذف المضاف ادخالا بمعنى افكين فما ظنكم
برب العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه رب العالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم
به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع بصد عن عبادته
او يجوز الاشراك به او يقتضى الامن من عقابه على طريق الالزام وهو كالحجة على
ما قبله فنظر نظرة فى النجوم فراى مواقعها وانصافها او فى علمها او فى كتابها
ولا مانع منه مع ان قصد ابهامهم وذلك حين سالوه ان يخرج معهم فقال
انى سقيم اراهم انه استدل لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا

لئلا يخرجوا فى معيدهم فانه كان اغلب استعارهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى
او ادنى سقيم القلب لكفرهم او خارج المزاج عن الاعتدال الخروجا قل من يخلو منه
او يصد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربى بالسلامة
جاهدا ليصحنى فاذا السلامة داء فقولوا عنه مدبرين هاربين مخافة العدوى فراغ
الى الهتهم فذهب اليها فى خفية من روغة الثعلب واصله المثل بحيله فقال الا تاكلون
استهزاء الانا كلون يعنى الطعام الذى كان عندهم ما لكم لا تنطقون بجوابى
فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا والنعد بعلى للاستعلاء وازا ميل لمكروه ضربا باليمين
مصدر لراغ عليهم لانه فى معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ ونفيده باليمين للدلالة
على قوته فان قوة الالة تستدعى قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله
تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اى الى ابراهيم بعد ما رجعوا فرادا اصنامكم مكسرة
و عن كاسرها فطنوا انه كما شرحه فى قوله من فعل هذا بالهتنا الاية يزفون يسرعون
من زفف النعام وقراء حمزة على بناء المفعول من ازفه اى يحملون على الزفيف وقرئ
ويزفون اى يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف اذا اسرع ويزفون من زفاه
اذا حداه كان بعضهم يزفون بعضا لتسارعهم اليه قال اتعبدون ما تنحتون
ما تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اى ما تعملونه فان جوهرها بخلقه
وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقتداء اياهم عليه وخلقه
ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعى والعدد او وعملكم بمعنى معمولكم لمطابق
ما تنحتون او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كانه مفعولهم
المتوقف على فعلهم اولى بذلك وهذا المعنى تمسك به اصحابنا على خلق الاعمال وهم
ان يرجحوه على الاولين لما فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه
فى الجحيم فى النار الشديدة من الجحمة وهى شدة التاجج والام بدل الاضافة
اى جحيم ذلك البنيان فاراد وا به كيدا فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك
لئلا يظهر للغاية عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاولين بابطال كيدهم وجعله
برهانا نيرا على علو شانه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما وقال انى ذاهب
الى ربى الى حيث امرنى ربى وهو الشام او حيث انجو فيه لعبادته سيهدين
الى ما فيه دينى او الى مقصدى وانما ئت القول لسنق وعده او لفرط توكله
او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى
ربى ان يهدينى سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع رب هب لى من الصالحين
بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ او ان الحلم فان الصبى لا يوصف بالحلم ويكون

حلما وای حلم مثل حلمه حین عرض علیه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدنی ان شاء الله من الصابرین
وقیل ما نعت الله نبیا بالحلم لغرة وجوده غیر ابراهیم وابنه علیهما الصلوة والسلام وحالهما
المذکوره بعد تشهد علیه فلما بلغ معه السعی ای فلما وجد وبلغ ان یسعی معه فی اعماله
ومعه متعلق بمحذوف دال علیه السعی لا به لان صلة المصدر لا تتقدم علیه ولا یبلغ فان
بلوغهما لم یکن معا کانه قال فلما بلغ السعی فقیل مع من فقیل معه وتخصیصه لان الاب
اکمل فی الرفق والاستصلاح له فلا یستسعیه قبل اوانه اولانه استوهبه کذلک وکان له
یومئذ ثلث عشرة سنة قال یا بنی انی اری فی المنام انی اذبحک یحتمل انه رای ذلک وانه رأی
ما هو تعبیره وقیل انه رای لیلة الترویة ان قائلا یقول له ان الله یامرک بذبح ابنک فلما اصبح
روی انه منی الله ام من الشیطان فلما امسی رأی مثل ذلک فعرفا انه من الله ثم رأی مثله
فی اللیلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلک ولهذا سمیت الایام الثلثة بالترویة وعرفة
والنحر وانظر ان المخاطب اسمعیل لانه الذی وهب له ان الهجرة ولان البشارة باسحق بعده
معطوفة علی البشارة بهذا الغلام ولقوله علیه الصلوة والسلام انا ابن الذبیحین فاحدهما
جد اسمعیل والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان یذبح ولدا ان سهل الله له حفر
زمزم او بلغ بنوه عشرا فلما سهل الله فخرج السهم علی عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلک
مست الدیة مائة ولان ذلک کان بمکة وکان قرنا الکبش معلقین بالکعبة حتی احترقهما
قرامام ابن الزبیر ولم یکن اسحق ثمة ولان البشارة باسحق کانت مقرونة بولادة یعقوب منه
فلا ینا سبها الامر بذبحه مراهقا وما روی انه علیه السلام سئل ای النسب اشرف
فقال یوسف صدیق الله بن یعقوب اسرائیل الله بن اسحق ذبیح الله بن ابراهیم خلیل الله فالصحیح
انه قال یوسف بن یعقوب بن اسحق بن ابراهیم والزوائد من الراوی وما روی ان یعقوب
کتب الی یوسف مثل ذلک لم یثبت وقراء ابن کثیر وعاصم وابو عمرو بفتح الباء فیهما فانظر
ماذا ترى من الرای وانما شاوره فیه وهو حتم لیعلم ما عنده فیما نزل من بلاء الله تعالی فیثبت
قدمه انجزع ویأمن علیه ان سلم ولیوطن نفسه علیه فیهون ویکتسب المثوبة بالانقیاد
له قبل نزوله وفراى حمزه والکسائی ماذا ترى بضم النون وکسر الراء خالصة والباقون بفتحهما
وابو عمرو یمیل بفتحه الرآء ورش بین بین والباقون باخلاص فتحهما قال یا أبت
وقراء ابن عامر بفتح التاء افعل ما تؤمر ای ما تؤمر به فحذف فاعله او علی الترتیب کما
عرفت وامرک علی ارادة المأمور به والاضافة الی المأمور ولعله فهم من کلامه انه
رای انه یذبحه مأمورا به او علم ان رؤیا الانبیاء حق وان مثل ذلک لا یقدمون علیه
الا یام ولعل الامر به فی المنام دون الیقظة لیکون مبادرتهما الی الامتثال اول
علی کمال الانقیاد والاخلاص وانما ذکر بلفظ المضارع لتکرر الرؤیا ستجدنی ان شاء الله

الله من الصابرین علی الذبح او علی قضاء الله وقرئا نافع بفتح الیاء فلما اسلما استسلما
لامر الله او سلما الذبح نفسه وابراهیم ابنه وقد قرئ بهما واصلها سلم هذا للان اذا خلص له
فانه سلم ان ینازع فیه وتله للجبین صرعه علی شقه فوقع جبینه علی الارض فهو احد
جانبی الجبهة وقیل کبه علی وجهه باشارة کیلا یری فیه تعبیرا رق له فلا یذبحه وکان
ذلک عند الصخرة عنا او فی المواضع المشرف علی مسجد منا والمنحر الذی ینحر فیه الیوم
وناديناه ان یا ابراهیم قد صدقت الرؤیا بالعزم والاتیان بالمقدمات وقد روی انه
امر السکین بقوته علی حلقه مرارا فلم یقطع وجواب لما محذوف تقدیره کان ما کان مما ینطق
به ولا یحیط به المقال من استبشارهما وشکرهما به علی ما انعم علیهما من دفع البلاء بعد
حلوله والتوفیق لما لم یوفق غیرهما بمثله واظهار فضلهما به علی العالمین مع احراز الثواب
العظیم الی غیر ذلک انا کذلک نجزی المحسنین تعلیل لافراح تلک الشدة عنهما باحسنهما
واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه علیه السلام کان مأمورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر
ولم یحصل ان هذا لهو البلاء المبین الابتلاء البین الذی یتمیز فیه المخلص من غیره
او المحنة البینة الصعوبة فانه لا اصعب منها وفدیناه بذبح عظیم بما یذبح بدله قیم به الفعل
عظیم عظیم الجثة سمین وعظیم العقر لانه یفدی به الله نبیا ابن نبی وای نبی من نسله سید
المرسلین قبل کان کبشا من الجنة وقیل وعلا اهبط علیه من ثبیر روی انه هرب منه عند
الجمرة فرماه بسبع حصیات حتی اخذه فصارت سنة والفادی علی الحقیقة ابراهیم وانما
قال وفدیناه لانه المعطی والامر به علی التجوز فی الفداء والانباد واستدل به الحنفیة
علی ان من نذر ان یذبح ولده لزمه ذبح شاة ولیس فیه ما یدل علیه وترکنا علیه فی
الآخرین سلام علی ابراهیم سبق بیانه فی قصة نوح کذلک نجزی المحسنین انه من عبادنا
المؤمنین لعله طرح عنه انا اکتفاء بذکره مرة فی هذه القصة وبشرناه باسحق
نبیا من الصالحین مقضیا بنبوته مقدارا کونه من الصالحین وبهذا الاعتبار دفعا لما لین
لاحاجة الی وجوه المبشر به وقت البشارة فان وجود ذی الحال غیر شرط مقارنة تعلق
الفعل به الاعتبار المعنی بالحال فلا حاجة الی تقدیر مضاف یجعل عاملا فیهما مثل
وبشرنا بوجود اسحق ای بان یوجد اسحق نبیا من الصالحین ومع ذلک لا یصیر نظیر قوله
فادخلوها خالدین فان الداخلین مقدرین خلودهم وقت الدخول واسحق لم یکن مقدرا
بنبوة نفسه وصلاحها حتی یوجد ومن فسر العلام باسحق جعل المقصود من البشارة
نبوته وفی ذکر الصلاح بعد النبوة تعظیم لشانه وایماء لمنة الغایة لها لتضمنها معنی
الکمال والتکمیل بالفعل علی الاطلاق وبارکنا علیه وعلی ابراهیم فی اولاده وعلی
اسحق بان اخرجنا من صلبیه انبیاء بنی اسرائیل وغیرهم کایوب وشعیب وافضنا

عليهم بركات الدين فى الدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن فى عمله او على نفسه
بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصى مبين ظاهر ظلمه وفى ذلك
تنبيه على ان النسب لا اثر له فى الهدى والضلال وان الظلم فى اعقابهما لا يعود عليهما
بنقيصة وعيب ولقد منا على موسى وهرون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع
الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من تغلب فرعون والغرق
ونصرناهم الضمير لهما مع القوم فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه واتيناهما
الكتاب المستبين البليغ فى بيانه وهو التورية وهديناهما الصراط المستقيم
الطريق الموصل الى الحق والصواب وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى
وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين سبق مثل
ذلك وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين بن سبط هرون اخى موسى
بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفى حرف ابى وان
ايليس وقرئ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس اذ قال لقومه
الا تتقون عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه او تطلبون الخير منه وهو
اسم صنم لاهل بك من الشام وهو البلد الذى يقال له الان بعلبك وقيل البعل
الرب بلغة اليمن والمعنى اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين
وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضى للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح
بقوله الله ربكم ورب اباءكم الاولين قراء حمزة والكسائى ويعقوب
وحفص بالنصب على البدل فكذبوه فانهم لمحضرون اى فى العذاب وانما
اطلقه اكتفاء بالقرينة اولان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد
الله المخلصين مستثنى من الواو ولان المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه فى
الآخرين سلام على ال ياسين لغة فى الياس كسبنا وسنين وقيل جمع له مراد به
هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه بالام او للمنسوب اليه
بحذف يا النسب كالاشعرين وهو قليل ملبس وقراء نافع وابن عامر ويعقوب
على اضافة ال الى ياسين لانهما فى المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس
وقيل محمد عليه السلام او القرآن او غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم
سائر القصص ولا قوله انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين
اذ الظاهر ان الضمير للياس وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله
الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه وانكم يا اهل مكة لتمرون
عليهم على منازلهم فى متاجركم الى الشام فان سدوم طريقه مصبحين داخلين

داخلين فى الصباح وبالليل اى ومساء اونهارا وليلا ولعلها وقعت قريب
منزل يمربها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء افلا تعقلون افليس فيكم
عقل يعتبرون به وان يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق
هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه
عليه الى الفلك المشحون المملو فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين
فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روى انه لما وعد قومه
بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله به فركب السفينة فوقفت فقالوا هنا عبد
ابق فاعتزموا فخرجت القرعة عليه فقال انا الابق ورمى بنفسه فى الماء فالتقمه
الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل فى الملامة اذات بما بلا يم عليه او ليم
بنفسه وقرئ بالفتح مبنيا من لام كشب فى مشوب فلولا انه كان من المسبحين
الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او فى بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك
انى كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل
ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه والثناء اخذ بيده عند
الضراء فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالى عما يغطيه
من شجر او نبت روى ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفر بوتس ويسبح
حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف فى مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلثة
ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل اربعون وهو سقيم مماناله قيل صار بدنه
كبدن الطفل حين تولد وانبتنا عليه اى فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين
من شجرة ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه بفعيل من فطن بالمكان اذا
اقام به والاكثر على انها كانت الدباء عطنه باوراقها على الذباب فانه لا يقع عليه
ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال اجل بنى
اخى يونس وقيل التين وقيل الموز يغطى بورقه ويستظل باغصانه ويفطر
على ثماره وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب عنهم وقيل اهل نينوى
والمراد ما سيق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم او يزيدون فى مرأى
الناظر اى اذا نظر اليهم قال مائة الف او اكثر والمراد بالكثرة وقرئ بالواو فامنوا
فصدقوا فوجدوا الايمان بحضره فمتعناهم الى حين الى اجالهم المسمى ولعله
انما لم يختم قصته وقصه لوط بما ختم به على سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب
الشرايع الكبر واولى العزم من الرسل واكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين
فى اخر السورة فاستفتهم الريك البنات ولهم البنون معطوف على مثله فى اول

السورة امر رسوله اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام
فى تقريره جاريا على ما يلائمه من القصص موصلا بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن
وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين فى قولهم الملئكة بنات الله
وهو لا زادوا على الشرك ضلالات اخر التحسيم وتجويز الفناء على الله فان
الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث
جعلوا اوضع الجنسين له وارفعها لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم ولذلك
ذكر والله تعالى انكار ذلك وابطاله فى كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات
يتفطرن منه وينشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخير
لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم
حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم اَمْ خَلَقْنَا الْمَلٰٓئِكَةَ اِنَاثًا وَّهُمْ شٰهِدُوْنَ
وانما خص علم الشاهدة لان امثال ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة ليست من
لوازم ذاتهم ليمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار
بانهم لفرط جهلهم يسوون به كائنة فد مشاهدة واخلقهم اَلَآ اِنَّهُمْ مِّنْ اِفْكِهِمْ
لَيَقُوْلُوْنَ وَلَدَ اللّٰهُ لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه وَاِنَّهُمْ لَكٰذِبُوْنَ فيما يدينون
وقرئ ولد الله اى الملائكة ولد فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والجمع
المذكر والمونث اَصْطَفَى الْبَنٰتِ عَلَى الْبَنِيْنَ استفهام انكار واستبعاد
والاصطفاء اخذ صفوة الشئ وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة
ام بعدها عليها او على الاثبات باضمار القول اى كاذبون فى قولهم اصطفى وابدا له
من ولد الله مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُوْنَ فما لا يرتضيه عقل اَفَلَا تَذَكَّرُوْنَ انه منزه عن ذلك
اَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِيْنٌ حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته فَاْتُوْا
بِكِتٰبِكُمْ الذى انزل عليكم اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ فى دعواكم وَجَعَلُوْا بَيْنَهٗ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ
نَسَبًا يعنى الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه الرتبة وقيل
قالوا ان الله طاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله والشيطان اخوان وَلَقَدْ عَلِمَتِ
الْجِنَّةُ اَنَّهُمْ اى الكفرة او الانس والجنة انفسرت بغير الملائكة مُحْضَرُوْنَ فى العذاب
سُبْحٰنَ اللّٰهِ عَمَّا يَصِفُوْنَ من الولد او النسب اِلَّا عِبَادَ اللّٰهِ الْمُخْلَصِيْنَ استثناء
من المحضرين ومنقطع او متصل ان فسر الضمير بما بعدهم وما بينهما اعتراض او من يصفون
فَاِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُوْنَ عود الى خطابهم مَآ اَنْتُمْ عَلَيْهِ عَلٰى اللّٰهِ بِفٰتِنِيْنَ مفسدين
الناس بالغواء اِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيْمِ الا من سبق فى علمه انه من اهل النار ويصليها
لا محالة وانتم ضميرهم ولاهم قرناء لا تزالون تعبدونهما ما انتم على ما تعبدونه

نعبدونه بفاتنين بباعثين على طريقة الفتنة الا مستوجبا للنار وقرئ ضال بالضم
على انه جمع محمول على معنى من ساقط واده لالتقاء الساكنين او تخفيف ضائل على
القلب كشاك فى شائك او المحذوف منه كالمنسى كما فى قولهم باليت به بالة
فان اصلها بالته وَمَا مِنَّآ اِلَّا لَهٗ مَقَامٌ مَّعْلُوْمٌ حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية
للرد على عبدتهم والمعنى ما احد الا له مقام معلوم فى المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله
تعالى فى تدبير العالم ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل
بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله
تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاضوا الكفرة بان الافتنان بذلك
للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيه لا يتجاوزونها فحذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه وَاِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّوْنَ فى اداء الطاعة ومنازل الحضرة وَاِنَّا لَنَحْنُ
الْمُسَبِّحُوْنَ المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم فى الطاعات
وهذا فى المعارف وما فى ان واللام وتوسيط الفصل من التاكيد والاختصاص لانهم
المخاطبون على ذلك وانما اخر فترة دون غيرهم وقيله هو كلام النبى صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم فى الجنة او بين يدى الله فى القسمة وانا
لنحن الصافون له فى الصلاة والمنزهون له عن السوء وَاِنْ كَانُوْا لَيَقُوْلُوْنَ اى مشركو
قريش لو ان عندنا ذكرا من الاولين كتابا من الكتب التى نزلت عليهم لَكُنَّا عِبَادَ اللّٰهِ
المخلصين لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم فَكَفَرُوْا بِهٖ اى لما جاءهم الذكر الذى
هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها فَسَوْفَ يَعْلَمُوْنَ عاقبة كفرهم وَلَقَدْ سَبَقَتْ
كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِيْنَ اى وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله اِنَّهُمْ لَهُمُ
الْمَنْصُوْرُوْنَ وَاِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغٰلِبُوْنَ وهو باعتبار الغالب والمقضى بالذات
وانما سماه كلمة وهى كلمات لانتظامها فى معنى واحد فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فاعرض عنهم
حَتّٰى حِيْنٍ هو الموعد للنصر عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وَاَبْصِرْهُمْ على ما ينالهم
حينئذ والمراد الامر للدلالة على ذلك كائن قريب كانه قدامه فَسَوْفَ يُبْصِرُوْنَ
ما قضينا لك من التاييد والنصرة والثواب فى الاخرة وسوف للوعيد لا للبعيد
اَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُوْنَ روى انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزلت
فَاِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فاذا ترك العذاب بفنائهم بشبهه بحش هجمهم فاناخ بفنائهم
بغتة وقبل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور ونزل اى العذاب فَسَآءَ صَبَاحُ
الْمُنْذَرِيْنَ صباحهم واللام للجنس والصباح وقعت فى وقت اخر وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتّٰى حِيْنٍ
وَاَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُوْنَ تاكيد الى تاكيد واطلاق بعيد تفيد للاشعار بانه يبصر وانهم

يبصرون ما لا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة والاول لعذاب الدنيا
والثاني لعذاب الاخرة سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ عما قاله المشركون فيه على ما
حكي في السورة وضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه وقد
ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ
للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ على ما افاض عليهم وعلى
من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخر عن التسلم والمراد تعليم المؤمنين كيف
يحمدونه ويسلمون على رسله وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى
يوم القيمة فليكن اخر كلامه من مجلسه سبحان بلفظ اخر السورة وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأها واتصافاتا اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جن وشيطان وبناء عدت
عنه مروة للجن والشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظا وانه كان مؤمنا بالمرسلين

سُورَةُ صٓ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثَمَانُونَ وَثَمَانُ آيَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صٓ قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لانه امر من
المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول اي عارض القرآن
بعملك وبالفتح لذلك او بحذف حرف القسم وايصال فعله اليه او اسماره والفتح في موضع الجر
فانها غير مصروفة لانه علم السورة وبالجر على تاويل الكتاب وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ الواو
للقسم انجعل ص اسما للحرف او مذكورا للتحدي او الرمز بكلام مثل صدق محمد وللسورة
خبر المحذوف او لفظ الامر والعطف ان جعل مقسما به وللجواب محذوف دل عليه
ما في ص من التحدي او الامر بالمعادلة اي انه لمعجز او لواجب العمل به او ان محمدا لصادق
او قوله بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ اي ما كفر به من كفر لجهل وحده فيه بل الذين
كفروا به في عزة اي استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ورسوله ولذلك كفروا به
وعلى الاولين الاضراب ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد
بالذكر الغطة او الشرف او الشهرة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من العقايد والشرايع
والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ في عزة اي في غفلة
عما يجب عليهم النظر فيه كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ وعند هلم على كفرهم به استكبار
او شقاق فَنَادَوْا استغاثة وتوبة واستغفارا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ اي ليس الحين حين
مناص ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت على ربه وثمه
وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هي النافية للجنس اي ولا حين
مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره اي ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه

على انه اسم او مبتدا محذوف الخبر اي ليس حين مناص حاصلا لهم او لا حين مناص كائن لهم ولكم
كقوله طلبوا صلحنا ولات حين اوان فاجئنا ان لات حين بقا اما الان لات تخبر الاحيان كما ان
لولا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان او ان شبيه باذ لانه مقطوع عن
الاضافة اذا اصله او ان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما
من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم ثم بني الحين لاضافته الى غير المتمكن ولات بالكسر كجير و
وقف الكوفيون عليها بالهاء كالاسماء والبصريون بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على
حين لاتصاله به في الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس لمثله لم يعهد
فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله والعاطفون حين ما من عاطف
والمطعون زمان ما من مطعم والمناص المنجا من ناصبه ينوصه اذا فانه وعجبوا ان جاءهم
منذر منهم بشر مثلهم او امي من عدادهم وقال الكافرون وضع الظاهر موضع المضمر
غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهر
من معجزة كذاب فيما يقول على الله اجعل الالهة الها واحدا بان جعل الالوهية التي
كانت لواحد انّ هذا لشيء عجاب يليع في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه اباؤنا وما نشاهده
من ان الواحد لا يفي عمله وقدرته بالاشياء الكثيرة وترى مشددا وهو ابلغ كلكرام وكرام روى
انه لما اسلم عمر شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت
ما فعل هؤلاء السفهاء وانما جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال هؤلاء يسئلونك السواء فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه
السلام ما يسئلوني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال ارايتم
ان اعطيتكم ما سئلتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم
قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملا منهم
وانطلق اشراف قريش من مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله اَنِ امْشُوا قائلين بعضهم
لبعض وَاصْبِرُوا واثبتوا عَلَى آلِهَتِكُمْ على عبادتها فلا ينفعكم مكالمه وانهى المفسرون
لان الانطلاق عن مجلس التفاول ليشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع
في القول وامشوا من مشت المراة اي كثرت ولادتها ومنه الماء شيعنه اي
اجتمعوا وقرئ يفيران وقرئ يمشون ان صرفا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ان هذا الامر لشيء
من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له وان هذا الذي يدعيه من التوحيد ويقصد من
الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يبتغى ويبرم كل واحد او ان دينكم يطلب
ليؤخذ منكم مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا بالذي يقوله فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ في الملة التي ادركنا عليها
اباءنا او في ملة عيسى التي هي اخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون هذا

من هذا اى ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا فى الملة المتفرقة ان هذا
الا اختلاق كذب اختلقه ءانزل عليه الذكر من بيننا انكار لاختصاصه بالوحى وهو
مثلهم او دون منهم فى الشرف والرياسة كقولهم لو لا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم وامثال ذلك دليل على ان مبداء تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الخطام
الدنيوى بل هم فى شك من ذكرى من القران او الوحى بشلهم الى التقليد واعراضهم
عن الدليل وليس فى عقيدتهم ما يبنون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق
بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابى بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون
به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمت ربك العزيز
الوهاب بل اعندهم خزائن رحمته وفى نصرتهم حتى يصدوا نها من ساواويصرفوها
عمن شاؤا فيحتجبوا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل
بها على من يشاء من عباده لا مانع فانه العزيز الذى الغالب الذى لا يغلب الوهاب
الذى له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال ام لهم ملك السموات
والارض وما بينهما كانه لما انكر عنهم التصرف فى نبوته بان ليس لهم عندهم خزائن
رحمته التى لا نهاية لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل فى امر العالم الجسمانى الذى هو
جزء يسير من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا اليها فليرتقوا فى الاسباب جواب
شرط محذوف اى ان كان لهم ذلك فليصعدوا فى المعارج التى يتوصل بها الى العرش
حتى يستولوا عليه ويدبروا امر العالم فيتزلون الوحى الى من يستصوبون وهو غاية
التهكم بهم والسبب فى الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها
اسباب الحوادث السفلية جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اى هم جند
ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير
الهيئة والتصرف فى الامور الربانية او فلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل
كقولهم اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلايم ما بعده وهنالك اشارة
الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح
وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة واصحاب الغيظة وهم قوم شعيب
اولئك الاحزاب يعنى المتحزبين على الرسل الذى جعل الجند المهزوم منهم ان كل الا كذب

الا كذب الرسل بيان اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التاكيد
ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه فحق عقاب وهو اما
مقابله للجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيبا لجميعهم وما ينظر هؤلاء وما ينتظر
قومك اذا لاصرار فانهم كالحصور لاستحضارهم بالذكر او حصورهم فى علم الله الا
صيحة واحدة هى النفخة ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين
او رجوع وترداد فان فيه يرجع اللبن الى الضرع وقراء حمزة والكسائى بالضم وهما
لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذى توعدنا به او الجنة التى بعد
للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه او يقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد
فسرها اى عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء
اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية فى اعينهم
فانه على نبينا وعليه الصلاة والسلام مع علو شانه واختصاصه بعظايم النعم والمكرمات
لما انى صغيرة نزل عن منزلته وو بخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه
واناب فما انظن بالكفرة واهل الطغيان او تذكر قصته وضن نفسك ان نزل فيلقاك
ما لقيه من المعاينة على اهل عنان نفسه او فى اهمال ذى الايد ذو القوة يقال
فلان ايد وداود وادواد بمعنى انه اواب رجاع الى مرضات الله وهو تعليل للايد
دليل على ان المراد به القوة فى الدين كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل
انا سخرنا الجبال معه يسبحن فقد تفسيره ويسبحن حال وضع مسبحات لاستحضار
الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال بالعشى والاشراق ووقت
الاشراق وهو حين تشرق والشمس اى تضئ ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما
شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانى رضى الله عنها انه صلى الله
عليه وسلم صلى صلوة الضحى وقال هذه صلوة الاشراق وعن ابن عباس رضى الله عنه
ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية والطير محشورة اليه من كل جانب وانما لم يراع
المطابقة بين الحالين لان الحشر جعله ادل على القدرة منه مدرجا وترى والطير
محشورة بالابتداء والخبر كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع
الى التسبيح والفرق بينه وبين ما قبله انه يدل على الموافقة بالتسبيح وهذا على
المداومة عليها او كل منهما ومن داود رجوع الله بالتسبيح وشددنا ملكه وقويناه
بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى بقرة على
اخر عجز عن البيان فاوحى اليه ان اقتل المدعى فاعله فقال اصدقتنى قتلت اباه
غيلة واخذت البقرة بعظمت بذلك هيبة وآتيناه الحكمة النبوة او كمال العلم

وانقان العمل وفصل الخطاب هو فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام المخلص الذى
بينه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والعطف والاستيناف
والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمى به اما بعد لانه يفصل المقصود عما
سبق مقدمة له من الحمد والصلوة وقيل هو الخطاب القصد الذى ليس فيه اختصار مخل ولا اسهاب
محل كما جاء فى وصف كلام الرسول عليه الصلوة والسلام فصل لا نزر ولا هذر وهل اتاك
نبؤا الخصم استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماعه والخصم فى الاصل مصدر ولذلك
اطلق للجمع اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الفرقة تفعل فى السور كتسنم من السنام
وا ومتعلق بمحذوف اى بناء اتحاكم الخصم او تسوروا او البناء على ان المراد به الواقع
فى عهد داود ان اسنادا الى اليه على حذف مضاف اى قصة بناء الخصم او بالخصم
لما فيه من معنى الفعل لا يأتى الان اى اتيانه الرسول عليه الصلوة والسلام لم يكن
حينئذ واذ بدل من اذ الاولى او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق فى يوم الاحتجاب والحرص على الباب لا يتركون
من يدخل عليه فانه كان عليه السلام جزاء زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما
للوعظ ويوما للاستغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صور الانسان فى يوم
الخلوة قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان على تسميته مضاهاة
الخصم خصما بغى بعضنا على بعض وهو على الغرض وقصد التويض ان كانوا
ملائكته وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر فى الحكومة وقرئ
ولا تشطط اى ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل بمعنى الشطط وهو
مجاوزة الحد واهدنا الى سواء الصراط الى وسط وهو العدل ان هذا اخى فى الدين
او الصحبة له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة هى الانثى من الضان وقد يكنى بها
عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ فى المقصود وقرئ تسع وتسعون
بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقراءة حفص بفتح باء لى نعجة فقال اكفلنيها ملكنيها
وحقيقة اجعلنى اكفلها كما اكفل ما تحت يدى وقيل اجعلها كفلى اى نصيبى وعزنى
فى الخطاب وغلبنى فى مخاطبته اياى محاجه بان جاء بحجاج ام اقدر على رده او فى مغالبته
اياى فى الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا حيث زوجها دونى
وقرئ وعازنى اى غالبنى وعزنى على تخفيف غريب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك
الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به المبالغة فى انكار فعل خليطه وتهجين طمعه
ولعله قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف
الى مفعوله وتعديته الى مفعول اخر بالى لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا من

من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع يبغى لتبعدى وقرئ بفتح التاء على
على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وبحذف الياء
اكتفاء بالكسر بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اى وهم
وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم فظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك
الحكومة هل تنبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا مساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه
مبدأه او خر للسجود راكعا اى مصليا كانه اخر ركعتى الاستغفار وناب ورجع الى الله
بالتوبة واقصى ما فى هذه الاشعار بانه عليه الصلوة والسلام ود ان يكون له ما للغير وكان
له ما شاله ينهه الله بهذه القضية فاستغفر واناب عنه وما روى ان بصره وقع على امرأة
فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته
او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين
بذا المعنى وما قيل انه ارسل ردبا الى الجها دمرارا وامران يقدم حتى قتل فتزوجها
هراء وافتراء ولذلك قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود على ما برديه
القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب
ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان
ينتقم منهم وظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه مما هم واناب فغفرنا
له وبذلك اى ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن
مآب مرجع الى الجنة يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض استخلفناك على الملك
فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم بين الناس بالحق
بحكم الله ولا تتبع الهوى ما تهواه النفس وهو بويد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى قضية
المدعى وتظليم الاخر قبل مسالته فيضلك عن سبيل الله دلا يلنى التى نصبها على
الحق ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب
بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة
الهدى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا حكمة فيه
او ذوى باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
لاعبين او للباطل الذى هو متابعة الهدى بل للحق الذى هو مقتضى الدليل من التوحيد
المصدر مثل والندرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه
موضع المصدر مثل هينا ذلك ظن الذين كفروا الاشارة الى خلقها باطلا والظن
بمعنى المظنون فويل للذين كفروا من النار بسبب هذا الظن ام نجعل الذين
امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام منقطعة والاستفهام

فيها لانكار التسوية بين الحزبين التى من لوازم خلقها باطلا ليدل على نقيضه وكذا
التى فى قوله أم نجعل المتقين كالفجار كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين
ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا لانكار الاول
باعتبار وصفين اخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم ولانه تدل على صحة القول
بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون فى الدنيا والغالب فيها عكس ما يقتضى
الحكمة فيه او فى غيرها وذلك يستدعى ان يكون لهم حال اخرى يجازون فيها
كتاب أنزلناه إليك مبارك نفاع وقرئ بالنصب على الحال ليدبروا آياته
ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التاويلات الصحيحة والمعانى المستنبطة
وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا ايها انت وعلماء امتك وليتذكر اولو الالباب
وليتفطن به ذوو العقول السليمة وليستحضروا ما هو كالمركوز فى عقولهم من قوة
يمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف
الا من الشرع وارشاد الى ما لا يستقل به العقل ولعل التدبر للعلوم الاولى
والتذكر للثانى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد اى نعم العبد اذ ما بعد
تعليل للمدح وهو من حاله انه أواب رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع
اذ عرض عليه طرف لاواب اولنعم والضمير لسليمان عند الجمهور بالعشى
بعد الظهر الصافنات الصافن من الخيل الذى يقوم على طرف سنبك يد
ورجل وهو من الصفات المحمودة فى الخيل لا يكاد الا فى العراب الخلص الجياد
جمع جواد او جود وهو الذى يسرع فى جريه وقيل الذى يجود فى الركض وقيل
جمع جيد روى انه عليه الصلوة والسلام غزا دمشق ونصيبين واصاب
الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل
تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان فاغتم لما فاته
فاسرعوها فعقروها مقربا الى الله فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى
اصل اجبت ان يعدى بعلى لانه بمعنى اثرت لكن لما انيب مناب ناب عدى تعديته
وقيل بمعنى نفاعدت من قوله مثل بعير السواء ذا جبا اى برك وحب الخير
مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل معقود بنواصيها الخير الى
يوم القيمة حتى توارت بالحجاب اى غربت الشمس شبه غروبها بتوارى المحتجبة
بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشى عليه ردوها على الضمير للصافنات
فطفق مسحا فاخذ يمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق اى يسوقها واعناقها
يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها

اعناقها وسوقها اجابا لها وعن ابن كثير بالسوق على ضم الواو ولغتهم ما قبلها كموقن وعن ابى عمرو
بالسوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس ولقد فتنا سليمان وألقينا
على كرسيه جسدا ثم أناب واظهر ما قيل فيه ما روى مرفوعا انه قال لاطوفن على سبعين
امراة تاتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن ولم تحمل الا
امراة جاءت بشق انسان فوالذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا
وقيل ولد له ابن فاجمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغدوه فى السحاب فاشعر به
الا ان القى على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله وقيل انه عن صيدون
من الجزائر فقتل ملكها واصاب ابنة جرادة فاجبها فكان لا برقاء معها جزعا على ابيها
فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها
كما دأبن فى ملكه فاخبره اصف فكسر الصورة وضرب المراة وخرج الغلاة باكيا متضرعا
وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها
يوما فمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع
عليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شئ الا فى نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها الطلب
الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته وكان يدور على البيوت يتكفف حتى
مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورت فى بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر
فابتلعته سمكة فوقعت فى يد فيقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر سليمان ساجدا وعاد اليه
الملك فعلى هذا الجسد صخر سمى به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما تمثل به كذلك
والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير
علم لا يضره قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى لا ينسهل له ولا يكون
ليكون معجزة لى مناسبة لحالى ولا ينبغى لاحد ان يسلب منى بعد هذه السلبة او لا يصح
لاحد من بعدى لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادته وصف
الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب
لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة وقراء نافع وابو
عمر وبفتح الياء انك انت الوهاب المعطى ما تشاء لمن تشاء فسخرنا له الريح فذللنا لها
لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح تجرى بامره رخاء لينة من الرخاوة ولا تزعزع
او تخالف ارادته كالماء مورد المنقاد حيث اصاب اراد من قولهم اصاب الصواب
فاخطاء الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل منه واخرين
مقرنين فى الاصفاد عطف على كل كانه فصل الشياطين الى عملة استعملهم فى الاعمال
الشاقة كالبناء والغواصة ومردة بعضهم مع بعض فى السلاسل ليكفوا عن الشر

ولعل احسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم
عن الشرور بالاقران فى الصفد وهو القيد وسمى به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وقرنوا
بين تعليلهما فقالوا صفده قيد او صفده اعطاه عكس وعده واوعد وفى ذلك نكتة هذا
عطاؤنا اى هذا الذى اعطيناك من الملك والبسط والتسلط على ما لم يسلط به غيرك
عطاؤنا فامنن اوامسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن
فى الامر اى غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من العطاء او صلة
له وما بينهما اعتراض والمعنى عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين
والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم فى القيد وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى فى
الاخرة مع ماله من الملك العظيم فى الدنيا وَحُسْنَ مَآبٍ هو الجنة وَاذْكُرْ عَبْدَنَا
أَيُّوبَ هو ابن عيص بن اسحق إِذْ نَادَى رَبَّهُ بدل من عبدنا او ايوب عطف بيان له
أَنِّي مَسَّنِيَ بان مسنى وقراء حمزة باسكان الياء واسقاطها فى الوصل الشَّيْطَانُ
بِنُصْبٍ تبعب وَعَذَابٍ الم وهو حكاية لكلامه الذى ناداه ولولاها لقال
انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل
انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه فى ناحية ملك
كافر فرك اهنه ولم يغره او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب ومراعاة
للادب او لانه وسوس اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد من النصب
والعذاب ما كان يوسوس اليه فى مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه
على الجزع وقراء يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد
والرشد بضمتين للتثقيل ارْكُضْ بِرِجْلِكَ حكاية لما اجيب به اى اضرب برجلك
الارض هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ اى فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل
تغتسل به وتشرب منه فيبرء ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة وباردة
فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى وَوَهَبْنَا لَهُ اهله بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم
او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ حتى كان له ضعف
ما كان رَحْمَةً مِنَّا لرحمتنا عليه وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ وتذكيرا لهم لينتظروا
لفرج بالصبر والالجاء الى الله فيما يحق وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا عطف على اركض
والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ روى
ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرايم بن يوسف ذهب لحاجة فما
بكاءت فحلف ان يرى حتى صريحا ما ته ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهى رخصة باقية
فى الحدود إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا فيما اصابه فى النفس والاهل والمال ولا يحل به

به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمنى العافية وطلب الشفاء انه قال
خيفة ان يفتنه او قومه فى الدين نِعْمَ الْعَبْدُ ايوب إِنَّهُ أَوَّابٌ مقبل بشراشره على الله وَاذْكُرْ
عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وقراء ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع او على
ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان واسحق ويعقوب عطف عليه اولى الْأَيْدِي
وَالْأَبْصَارِ اولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين واولى الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة
فعبر بالايدى عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى
مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعمادة إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ
جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا سوب فيها هى ذِكْرَى الدَّارِ تذكرهم للاخرة
دائما فان خلوصهم فى الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون نجاة الله
والفوز بلقائه وذلك فى الاخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر
واضاف نافع وهشام بخالصة الى ذكرى للبيان او لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى
فاعله وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم
فى الخير جمع خير كبير واشرار وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات فى جمع ميت او ميت
وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم استبنئ واللام
فيه كالتى فى قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا وقراء حمزة والكسائى واللسع تشبيها
بالمنقول من اليسع من اللسع وَذَا الْكِفْلِ ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف فى نبوته
ولقبه فقيل فر اليه مائة نبى من بنى اسرائيل من القتل فاواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل
صالح كان يصلى كل يوم مائة صلوة وَكُلٌّ اى كلهم مِنَ الْأَخْيَارِ هذا اشانه الى ما تقدم
من امورهم ذِكْرٌ شرف لهم او نوع من الذكر وهو القران ثم شرع فى بيان ما اعد لهم
ولامثالهم فقال وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ مرجع جَنَّاتِ عَدْنٍ عطف بيان لحسن
مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التى وعد الرحمن عباده وانتصب عنها
مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ على الحال والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل وقرئ مفتحة عينان
على الابتداء والخبر او انهما خبران لمحذوف مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ
حالان متعاقبان او متداخلان من الضمير فى لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان
يدعون استيناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار
بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذى للتحلل ولا تحلل ثمة وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ
لا ينظرون الى غير ازواجهن أَتْرَابٌ لذات لهم فان الالفات بين الاقران اثبت وبعضهن
كبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واستقامة من التراب فانه يمسهم فى وقت واحد هَذَا
مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ لاجله فان الحساب علة الوصول الى الخير وقراء ابن كثير

وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله إِنَّ هٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ انقطاع هذا اى الامر هذا
او هذا كما ذكر او خذ هذا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ جَهَنَّمَ اعرابه ما سبق يَصْلَوْنَهَا حال من جهنم
فَبِئْسَ الْمِهَادُ المهد والمفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف
وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد هٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ اى ليذوقوا هذا فليذوقوه
او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأ خبره حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ وهو على الاول
خبر محذوف اى هو حميم والغساق ما يغسق من صديد النار من غسقت العين اذا سال
ومعها وقراء حفص وحمزة والكسائى غسّاق بتشديد السين وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ اى مذوق
او عذاب اخر وقراء البصريان واخرى ومدوقات او انواع عذاب اخر من شكلة من مثل
هذا المذوق او العذاب فى الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم
او الغساق او للغساق وقرئ يالكسر وهو لغة اَزْوَاجٌ اجناس خبر لاخر او صفة
له وللثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ معكم حكاية ما يقال
لرؤساء الطاغين اذ دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم فى الضلال والاقتحام
ركوب الشدة والدخول فيها لَا مَرْحَبًا بِهِمْ دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة
لفوج او حال اى مقول لا مرحبا اى ما اتوبهم رحبا وسعة اِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ
داخلون النار شبه اعمالهم مثلنا قَالُوا اى الاتباع للرؤساء بَلْ اَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ
بل انتم احق بما فعلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه لنا فبئس
او الصلى لنا باغوائنا واغدائنا على ما قدمه من العقايد الزايغة والاعمال القبيحة
فَبِئْسَ الْقَرَارُ فبئس المقر جهنم قَالُوا اى الاتباع ايضا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هٰذَا
فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فى النار مضاعفا اى ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه
مثله فيصير ضعفين لقوله ربنا اتهم ضعفين من العذاب وَقَالُوا اى الطاغون
مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ يعنون فقراء المسلمين الذين يسترولونهم
ويسخرون بهم اَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا صفة اخرى لرجالا وقراء الحجازيان وابن عامر وعاصم
بهمزة الاستفهام على انه انكار لانفسهم قرناء نيب لها فى الاستسخار منهم
وقراء نافع وحمزة والكسائى سخريا بالضم وقد سبق مثله فى المؤمنين أَمْ زَاغَتْ
مالت عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ فلا نراهم وام معادلة لما لنا لا نرى على ان المراد فى
رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا لبسوا هم هنا ام زاغت عنهم ابصارنا او لا نحقرهم
على القراءة الثانية بمعنى اى الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم او تحقرهم
فان زيغ الابصار كناية منه على معنى انكارها على انفسهم او منقطة والمراد الدلالة
على ازدرائهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم

وانظارهم على ذلك حالهم إِنَّ ذٰلِكَ الذى حكينا عنهم لَحَقٌّ لا بد ان يتكلموا فيه ثم بين
ما هو فقال تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ وهو بدل من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على
البدل من ذلك قُلْ يا محمد للمشركين إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ انذركم عذاب الله وَمَا مِنْ إِلٰهٍ
إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الذى لا يقبل المشركة والكثرة وفى ذاته القَهَّارُ لكل شئ رَبُّ السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا منه خلقهما واليه امرهما الْعَزِيزُ اى يغلب اذا عاقب الْغَفَّارُ
الذى يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفى هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد وعيد
للموحدين والمشركين ونبه ما يشعر بالوعيد وتقديم لان الموعود هو الانذار
قُلْ هُوَ اى ما انبأتكم به من انى نذير نبأ عَظِيمٌ انتم عَنْهُ مُعْرِضُونَ لما دى غفلتكم
فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد
فما مر واما على النبوة فقول مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ فان اخباره
عن تقاول الملئكة وما جرى بينهم على ما وردت فى الكتب المتقدمة من غير سماع
ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحى واذ متعلق بعلم او محذوف اذ التقدير ما
علم بكلام الملاء الاعلى إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ اى لانما كانه لما
جاز ان الوحى يأتيه بين ذلك ما هو المقصود به تحقيقا لقوله انما انا منذر
ويجوز ان يرتفع باسناد ما يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية إِذْ قَالَ
رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة
التى دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملئكة وابليس فى خلق ادم واستحقاقه
الخلافة والسجود على ما مر فى البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على
ما هو المقصود منها وهو انذار المشركين على استكبارهم على الذى يمثل ما جاق
ابليس على استكباره على ادم هذا ومن الجائز ان يكون مقاولته الله اياهم بواسط
ملك وان يفسر الملاء الاعلى بما يعم الله والملئكة فَإِذَا سَوَّيْتُهُ عدلت خلقته
وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي واجبته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه
وطهارته فَقَعُوا لَهُ فخروا له سَاجِدِينَ تكرمة وتجيلا او قدم الكلام فيه فى البقرة
فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ بعظم وَكَانَ وصار مِنَ
الْكَافِرِينَ ما استكبار على امر الله واستبكاره عن الطاعة او كان منهم فى علم الله
قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ كما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ خلقته بنفسى من غير توسط
كاب وام والمنة لما فى خلقه من مزيد القدرة واختلاف العقل وقرئ على التوحيد
وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعى للتعظيم او بانه الذى تشبث به
فى تركه وهو لا يصلح لمانع او للسبب ان يستخدم بعض عبيده لبعض بسما وله

مزيد اختصاص أستكبرت أم كنت من العالين تكبرت من غير استحقاق او كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل أستكبرت الان ام لم تزل كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار قال أنا خير منه ابدا للمانع وقوله خلقتني من نار وخلقته من طين دليل عليه وتقديق الكلام فيه قال فاخرج منها من الجنة او السماء او الصورة الملكية فانك رجيم مطرود من الرحمة والكرامة فان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم مر بيانه في الحجر قال فبعزتك بسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين لاغوائك منهم المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته و عصمهم من الضلالة واخلصوا قلوبهم الله على اختلاف القراءتين قال فالحق والحق اقول اى فاحق الحق واقوله وقيل الحق الاول اسم الله ونصبه بحذف حرف القسم كقوله ان عليك الله ان يتابعا وجوابه لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرئ عم وخمز برفع الاول على الابتداء اى الحق بمينى او قسمى والخبر اى انا الحق وقرباء مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله كله لم اصنع ومجرورين على اضمار حرف القسم في الاول وحكاية لفظ المقسم به في الثاني للتوكيد وهو شايع فيه او اشارك الاول وبرفع الاول وجره بنصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا والضمير في منهم للناس او الكلام فيهم والمراد بمنك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين واجمعين تاكيد له او للضميرين قل ما اسئلكم عليه من اجر اى على القران او تبليغ الوحى وما انا من المتكلفين المتصنعين بما لست من اهله على ما عرفتم من حالي فاتحمل النبوة وانفق القران انه لا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نبأه وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه بايتان ذلك بعد حين بعد الموت او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرء سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغيرا وكبيرا

سورة الزمر مكية وهي خمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب خبر محذوف مثل هذا او مبتدا خبره من الله العزيز الحكيم وهو على الاول صلة التنزيل او خبر ثان او حال العمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الاول السورة وعلى الثاني القران وقرئ تنزيل بالنصب على ما اضمار فعل نحو اقراء انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق

بالحق او بسبب اثبات الحق وظهاره وتفصيله فاعبد الله مخلصا له الدين محضا له من الشرك والريا وقرئ برفع الدين على الاستيناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتاكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به موكدا واجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حجمه وظهور براهينه الا لله الدين الخالص اى الاهو الذي وجب اختصاصه بان يخلص له الطاعة فان المنفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر والذين اتخذوا من دونه اولياء يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدا خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول او ان الله يحكم بينهم وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في خبره وحالا او بدلا من الصلة وزلفى مصدر ادخال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا ليقربونا حكاية لما خاطبوا الهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا في ما هم فيه يختلفون من الدين ادخال الحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبودهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعبون ان الله لا يهدي لا يوفق للاقتداء الى الحق من هو كاذب كفار فانهما فاقدا البصيرة لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اولا موجود ما سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم فرد ذلك بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار فان الالوهية التحقيقة تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي تنافي المماثلة فضلا عن الوالد لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافي قبول الزوال المجموع الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يغشى كل واحد منهما الاخر كانه يلف عليه الف اللباسي بالابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كاره عليه كروره متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى هو منتهى دوره او ينقطع حركته الا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب على كل شيء الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنايع من الرحمة وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها استدلال اخر بما اوجده في العالم السفلي مبدوا به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكره ثلث دلالات خلق ادم اولا من غير اب ثم خلق حوا من قصيراه ثم شعب الخلق الغايب للحصر منهما وثم للعطف على محذوف هو صفة نفسي وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها او على خلقكم

لتفاوت مابين الاثنين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل اخرج من ظهره وريته
كالذر ثم خلق منها حوا وانزل لكم وقضى وقسم لكم فان قضاياه توصف بالنزول من السماء
حيث كتبت فى اللوح او احدث لكم باسبابه نازلة كاشعة الكواكب والامطار من الانعام
ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز يخلقكم فى بطون امهاتكم
بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسى والانعام اظهارا لما فيها من عجايب القدرة غيرا بنه
غلب اولى الفعل او خصهم بالخطاب لانهم المقصودون خلقا من بعد خلق حيوانا
سويا من بعد عظام مكسوة كما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد
نطف فى ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والمشيمة
او الصلب والرحم والبطن ذلكم الذى هذه افعاله الله ربكم المستحق لعبادتكم
والمالك له الملك لا اله الا هو اذ لا يشاركه فى الخلق غيره فانى تصرفون يعدل بكم
عن عبادته الى الاشراك ان تكفروا فان الله غنى عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده
الكفر لاستصرارهم به رحمة عليهم وان تشكروا يرضه لكم لانه سبب فلاحكم
وقراء ابن كثير ونافع فى روايته وابو عمرو والكسائى باشباع ضمة الهاء لانها صارت
بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابن عمرو وبعقوب اسكانها وهو لغة فيها ولا تزر
وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة
انه عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس الانسان ضر
دعا ربه منيبا اليه لزوال ما ينازع الفعل فى الدلالة على ان مبدا الكل منه ثم اذا
خوله اعطاه من الخول وهو التعهد او الحول وهو الافتخار نعمة منه من الله ينسى ما كان
يدعوا اليه اى الضر الذى كان يدعوا الله الى كشفه او ربه الذى كان يتضرع اليه
وما مثله فى قوله وما خلق الذكر والانثى من قبل من قبل النعمة وجعل لله اندادا
ليضل عن سبيله وقرئ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وحفص بفتح الياء والضلال والاضلال
لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا عرضين قل تمتع بكفرك قليلا
امر تهديد فيه اشعار بان الكفر فيه نوع لاستدلال واقناط للكافرين من التمتع فى الاخرة
ولذلك علله بقوله انك من اصحاب النار على سبيل الاستيناف للمبالغة امن هو
قانت قائم بوظايف الطاعات اناء الليل ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره
الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل ام من هو قانت كمن هو بضده وقراء
المجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت كمن جعل لله اندادا ساجدا وقائما حالان
من ضمير قانت لله وقرأنا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الاخرة
ويرجو رحمة ربه وموضع الحال والاستيناف للتعليل قل هل يستوى الذين يعلمون

يعلمون والذين لا يعلمون نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيها باعتبار
القوة العلمية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اى كما
لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون انما يتذكر اولوا الالباب
باشتمال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام قل يا عبادى الذين امنوا اتقوا ربكم للذين
احسنوا فى هذه الدنيا حسنة اى للذين احسنوا بالطاعات فى الدنيا مثوبة حسنة
فى الاخرة وقيل معناه للذين احسنوا حسنة فى الدنيا هى الصحة والعافية وفى هذه
بيان لمكان حسنة وارض الله واسعة فمن تفسير عليه التوفى على الاحسان فى وطنه
قليها جر المحيث يتمكن منه انما يوفى الصابرون اجرهم على مشاق الطاعة من احتمال البلاء
ومهاجرة الاوطان لها بغير حساب اجرا لا يهتدى اليه حساب الحساب وفى الحديث
انه ينصب الموازين يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم
ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية فى الدنيا
ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل انى امرت
اعبد الله مخلصا له الدين موحدا له وامرت ان اكون اول المسلمين وامرت بذلك
لاجل ان اكون مقدمهم فى الدنيا والاخرة لان قصب السبق فى الدين بالاخلاص ولانه
اول من اسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثانى للاول
بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المعروفة بالاخلاص وان اقتضت
لذاتها ان يومرتها فهى ايضا بقتضيه لما يلزم من السبقة فى الدين ويجوز ان
اللام مزيدة كما فى قوله اردت ان افعل فيكون امرا بالتقدم فى الاخلاص
والبداءة فى نفسه فى الدعاء اليه بعد الامر به قل انى اخاف ان عصيت
ربى بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والرياء عذاب يوم
عظيم اعظم مما فيه قل الله اعبد مخلصا له دينى امر بالاخبار عن اخلاصه
وان يكون له مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مامورا بالعبادة
والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب
عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديد اوخذلانا لهم قل ان الخاسرين
الكاملين فى الخسران الذين خسروا انفسهم بالضلال واهليهم بالاضلال
يوم القيمة حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل
وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروا هم كما خسروا
انفسهم وان من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده الا ذلك
هو الخسران المبين مبالغة فى خسرانهم لما فيه من الاستيناف والتصدير

بالاوتوسيط الفضل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين كم من فوقهم ظلل
من النار شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل اضاق من النار وهى ظلل للاخرين ذلك
يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذى يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه
يا عبادى فاتقون ولا تتعرضوا بما يوجب سخطى والذين اجتنبوا الطاغوت
البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين نحو للمبالغة فى المصدر
كالرحوت ثم وصف به للمبالغة فى النعت ولذلك اختص بالشيطان ان يعبدوها
بدل الاشتمال منه وانابوا الى الله واقبلوا اليه بشراسرهم عما سواه لهم البشرى
بالثواب على السنة الرسل والملئكة عند حضور الموت فبشر عبادى الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا
للدلالة على ابتداء اجتنابهم وانهم نقاد فى الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون
الافضل فالافضل اولئك الذين هداهم الله لدينه واولئك هم اولوا الالباب
العقول السليمة عن منان عن الوهم والعادة وفى ذلك دلالة على ان الهداية
بحصل بفعل الله وقبول النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من
فى النار جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره انت
مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه فكررت الهمزة فى الجزاء التاكيد
الانكار والاستبعاد ووضع من فى النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من
حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه فان اجتهاد الرسول فى دعائهم
الى الايمان سعى فى انقاذهم من النار ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة مستانفة
للدلالات على ذلك والاسعار بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف
من فوقها غرف علالى بعضها فوق بعض مبنية بنيت بناء المنازل على الارض
تجرى من تحتها الانهار اى من تحت تلك الغرف وعد الله مصدر مؤكد لان قوله
لهم غرف فى معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لان الخلف نقص وهو على الله محال
الم تر ان الله انزل من السماء ماء هو المطر فسلكه فادخله ينابيع فى الارض
هى عيون ومجارى كائنة فيها او مياه نابعات فيها او الينبوع جاء للينبع والمنابع
فصيها على المصدر او الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر
شعير وغيرها او كيفياته من حضرة وحمرة وغيرها ثم يهيج يتم جفافه لانه
اذا تم جفافه حاد له ان يتنور عن منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما
فتانا ان فى ذلك لذكرى لتذكيرا بانه لابد من صانع حكيم وبره وسواه وبانه
مناط الحيوة الدنيا فلا تفتر بها لاولى الالباب اذ لا يتذكر به غيرهم افمن شرح الله

الله صدره للاسلام حتى تمكن فيه بيسر غير به عن خلق نفسه شديدة الاستعداد
او لقبوله غير متأبية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق
للنفس القابل للاسلام فهو على نور من ربه بعنى المعرفة والابتداء الى الحق وعنه
عليه الصلوة والسلام اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك
قال الانابة الى دار الخلد والتجافى عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزوله
وخبر من محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله من اجل ذكره وهو
ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسى من اجل الشئ اشد تأبيا من قبوله من
القاسى عنه بسبب اخر وللمبالغة فى وصف اولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع
ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب واسند اليه
اولئك فى ضلال مبين يظهر للناظر بادنى نظر والاية نزلت فى حمزة وعلى وابى
لهب وولده الله نزل احسن الحديث يعنى القران روى ان اصحاب رسول الله تعالى
عليه وسلم ملوا ملة شديدة فقالوا له حدثنا فنزلت وفى الابتداء باسم الله
وبنا نزل عليه تاكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واشتهاد على حسنه كتابا
متشابها بدل من احسن او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه فى الايجاز و
تجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة مثانى جمع مثنى او مثنى
او مثنى على ما مر فى الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القران سور وايات
والانسان عروق وعظام واعصاب او جعل تمييزا من متشابها كقولك رايت رجلا
حسنا شمايل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تشمير خوفا مما فيه من الوعيد
وهو مثل فى شدة الخوف وافشعرار الجلد نقيضه وتركيبه مزحوف القسع وهو
الاديم اليابس بزيادة الراو ليصير رباعيا كتركيب اقطر من القمط وهو الشد
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار
بان اصلا من الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون
والاطمينان وذكر القلوب لتقدم الخشية التى هى من عوارضها ذلك اى الكتاب
هدى الله يهدى به من يشاء هدايته ومن يضلل الله ومن يخذله فما له من هاد
يخرجهم من الضلال افمن يتقى بوجهه يجعله درقا بتوقيه بنفسه لانه يكون مغلولة
يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقى الا بوجهه سوء العذاب يوم القيمة كمن هو امن
منه فحذف الخبر كما حذف فى نظايره وقيل للظالمين اى لهم فوضع الظاهر
موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو ذوقوا ما
كنتم تكسبون اى وباله وبالوا والمحال وقد مقدرة كذب الذين من قبلهم

فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم
منها فاذاقهم الله الخزي الذل في الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي
والاجلاء ولعذاب الاخرة المعد لهم اكبر لشدته ودوامه لو كانوا يعلمون
لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا
القران من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امر دينه لعلهم يتذكرون يتعقلون به
قرانا عربيا حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءني رجلا صالحا
او مدح له غير ذي عوج لا اختلاف فيه بوجه ما هو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني
وقيل بالشك استثنى ما يقوله وقد اتاك بيقين غير ذي عوج من الاله وقول غير
مكذوب تخصيص له ببعض مدلوله لعلهم يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى
ضرب الله مثلا رجلا للمشرك والموحد فيه شركاء متشاكسون ورجلا مثلا لرجل
مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من ان يدعي كل من معبوديه عبوديته وبنيان
عون فيه بعبد يشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المختلفة فتتحيره
وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا
وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخص لاختلاف وقراءة نافع وابن عامر والكوفيون
سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون العين وثالثها مصادر وسلم نعت بها
او حذف منها اي ورجل سالم اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر
والنفع هل يستويان مثلا صفة ومثلا او نصبه على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين
للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين
فان التقدير مثل رجل ومثل رجل الحمد لله كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواء
لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره من فرط
جهلهم انك ميت وانهم ميتون فان الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى وقرئ
ميت وميتون لانه مما سيحدث ثم انكم على تغليب المخاطب على الغيب يوم القيمة
عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل في
التشريك واجتهدت في الارشاد البليغ ولجوا في التكذيب والتعاند ويعتذرون
بالباطل مثل اطعنا سادتنا ووجدنا اباءنا وقيل به الاختصام العام تخاصم
الناس بعضهم بعضا فيما داربينهم في الدنيا فمن اظلم ممن كذب على الله باضافة
الولد والشريك اليه وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد عليه الصلوة والسلام
اذ جاءه من غير توقف وتفكر في امره الليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك بكفرهم
مجازاة لاعمالهم واللام يحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم

فانهم يكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاذا جاء ما علم مجيء الرسول به
بالتكذيب والذي جاء بالصدق وصدق به للجنس لتناول الرسول والمؤمنين لقوله
اولئك هم المتقون وقيل هو النبي والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد اتينا موسى الكتاب
لعلهم يهتدون وقيل الجاني هو الرسول والمصدق ابو بكر وذلك يقتضي اضمار الذي
وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل واصاب
صادقا بسببه لانه مبخر يدل على صدقه وصدق به على البناء مفعول لهم ما يشاؤن
عند ربهم في الجنة ذلك جزاء المحسنين على احسانهم ليكفر الله عنهم اسوء الذي
عملوا اخص الاستواء للبناء لغة فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للاشعار بانهم
لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان ما بفرط منهم من
الصغاير اسنواء ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى الشئ كقولهم التفاضل والاشبه اعدلا
بخمروان وقرئ اسواء جمع سوء ويجزيهم اجرهم ويعطيهم ثوابهم باحسن الذي
كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم
اليس الله بكاف عبده استفهام انكار للنفي مبالغة في الاثبات والعبد رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده وغيره
بالانبياء عليهم الصلاة والسلام ويخوفونك بالذين من دونه يعني قريشا فانهم
قالوا انا نخاف ان تخيل الهتنا ليصيبك اياها وقال انه بعث خالدا لتكسر العزى
فقال لسادنتها احذرها فان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف
خالد منزلة تخويفه عليه الصلوة والسلام لانه الامر له بما خوف عليه ومن
يضلل الله حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد
يهديهم الى الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل اذ لا راد لفعله كما قال اليس الله
بعزيز غالب منيع ذي انتقام ينتقم من اعدائه ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية قل ارايتم ما تدعون
من دون الله ان اراداني الله بضر هل هن كاشفات ضره اي ارايتم بعد ما تخوفتم ان
الخالق العالم هو الله ان الهتكم ان اراد الله ان يصيبني ضرا هل يكشفنه او اراداني
برحمة نفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكها عني وقراء ابو عمرو كاشفات رحمته
بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته قل حسبي الله كافيا في اصابة الخير ورفع الضر
اذ تقرب بهذا القدر انه القادر الذي لا مانع لما يريده من خير او شر روي ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم سالهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات
وممسكات بلما يصفونها به من الانوثة بنيا على كل كما لضعفها عليه يتوكل

المتوكلون لعلهم بان الكل منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالتكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم اني عامل اى على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بانحاله لا تقف فانه تعالى يزيده على مر الايام قوة ونصرة ولذلك نوعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار انا انزلنا على الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط صلاحهم في معاشهم ومعادهم بالحق ملتبسا به فمن اهتدى فلنفسه اذ نفع به نفسه ومن ضل فانما يضل عليها فان وباله لا يتخطاها وما انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت اى بقبضتها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت واظاهرا الا باطنا وهو في النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرئ بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع ويرسل الاخرى اى الانفس التي لم تمت الى ابدانها عند اليقظة الى اجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان في ابن ادم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت وتتوفى الانفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه ان في ذلك من التوفي والامساك والارسال لايات على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة في توفيهما عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفي احوالها ام اتخذوا بل اتخذ قريش من دون الله شفعاء يشفع لهم عند الله قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون يشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونها جمادات لا تقدر ولا تعلم قل لله الشفاعة جميعا رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء اشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع احد شفاعة الا باذنه ولا يستقل بها ثم فرد ذلك فقال له ملك السموات والارض فانه مالك السموات كله لا يملك احد ان يتكلم فراء من دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة فيكون الملك له ايضا حينئذ واذا ذكر الله وحده دون الهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون

لا يؤمنون بالاخرة انقبضت ونفرت واذا ذكر الذين من دونه يعني الاوثان اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى الغاية فيهما فان الاستبشار يملأ قلبه سرورا حتى يبسط بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلئ غما حتى ينقبض اديم وجهه والعامل في اذا المفاجات قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم التجئ الى الله تعالى بالدعاء لما تحيرت في امرهم وعجزت عن عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون فانت وحدك تقدر ان تحكم بيني وبينهم ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وعيد شديد وافاطه كلهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين في الوعد وبدا لهم سيئات ما كسبوا استئنافات اعمالهم او كسبهم حين تعرض صحايفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاطهم جزاؤه فاذا مس الانسان دعانا اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبيب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر الالهة فاذا مسهم دعوا اشمأزوا من ذكره دون استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان التخول مختص به قال انما اوتيته على علم مني بوجوه كسبه او باني ساعطاه لما لي من استحقاقه او من الله واستحبابي والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شئ منها بل هي فتنة امتحان له ابشكر ام بكفر وهو رد لما قاله وتانيث الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك وهو دليل على ان الانسان للخس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم عندي لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضي به قومه فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه سيئة لانه في مقابلة اعمالهم السيئة نظرا الى ان جميع اعمالهم كذلك والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض سيصيبهم سيئات ما كسبوا ما اصاب اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل بيد رصنا ديدهم وما هم بمعجزين فائتين او لم

يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس عنهم الرزق سبعا
ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بان الحوادث كلها من الله
بوسط او غيره قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا في الجناية عليها
بالاسراف بالمعاصي واضافة العباد يخصصه بالمؤمنين على ما عرف في القران
لا تقنطوا من رحمة الله لا ييئسوا من مغفرته اولا وتفصيله ثانيا ان الله يغفر
الذنوب جميعا عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه
فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر لا يه والتعليل بقوله انه
هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة
وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذل والاختصاص
المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا
عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع
اسم الله موضع الضمير لدلالته على ان المستغنى والمنعم على الاطلاق والتاكيد
بالجميع وما روي انه عليه الصلوة والسلام قال ما احب ان يكون الدنيا وما
فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك
ثلث مرات وما روي ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الوثن وقتل النفس
بغير حق من لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس
فنزلت وقيل في عياش ووليد بن الوليد في جماعة فتنوا فافتتنوا وفي الوحشي
لا ينبغي في عمومها وكما قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب
ثم لا تنصرون فانها لا تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسوق تعذيب
لينفي عن التوبة والاخلاص في العمل وتنافي الوعيد بالعذاب واتبعوا احسن
ما انزل اليكم من ربكم القران والمامور به دون المنهي والغرايم دون الرخص
او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة
من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون لجيئه فتدارکون ان تقول
نفس كراهة ان تقول وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس وللتكثير كقول
الاعشى وذب بقبع لوهنفت بخوه اتاني كريم ينقض الرأس مغضبا ياحسرتا
وقرئ بالياء على الاصل على ما فرطت كما قصرت في جنب الله جانبه اي في
حقه وهو طاعته قال سابق البربري اما تيقن الله في جنب وامثله كبد خرا
عليك نقطع وهو كناية فيهما مبالغة كقوله ان الشماخ والمروة والندى
في قبة ضربت على ابن الحشرج في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل

وقيل في قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين
المستهزئين باهله ومحل ان كنت نصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر او تقول
لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول
حين يرى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل او للدلالة على
انه لا يخلو من هذه الاقوال تحيرا او تعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها
واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني
من معنى النفي وفصله عنه لان بعد تفرق القرائن وتاخير المرد ويخل بالنظم المطابق
للوجود لانه يخسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع
تاثير قدرته في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب
على المعنى وقرئ بالتانيث للنفس ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان
وصفوا بما لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما يناله من الشدة او بما
يخيل عليها من ظلمة الجهل حال الظاهر ان ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير
عن الواو اليس في جهنم مثوى مقام للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير
لانهم يرون كذلك وينجي الله الذين اتقوا ويجي الله بمفازتهم بفلاحهم مفعله
من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيصها باهم اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح
اطلاقها على السبب وقرئ الكوفيون غير حفص بالجمع بطبيقا له بالمضاف اليه
والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون
وهو حال او استيناف لبيان المفازة الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان
وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه له مقاليد السموات والارض
لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها
وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من يهيء
مفاتيحها وهو جمع مقليد ومقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب
اكليد على الشذوذ وكبذا كير وعن عثمان رضي الله عنه انه سئل النبي صلى الله عليه
عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله
وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر
والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله
هذه الكلمات يؤخذ بها ويعبد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها
اصابه والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بقوله وينجي الله
الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم

مجازا عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة فى فلاح المؤمنين فضل وفى هلاك
الكافرين بان خسروا انفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعد فضية للكرم وبما
يليه والمراد بايات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض او كلمات
توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم له خط من الرحمة والثواب
قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون اى فغير الله اعبد بعد هذه الدلائل
والمواعيد وتامروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم
بعض الهتنا ونؤمن الهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تامروني
اعبد لانه بمعنى تعبدون على ان اصله تامرونني ان اعبد فحذف ان ورفع كقوله
احضر الوغا وبؤيده قراءة اعبد بالنصب وقراءة ابن عامر تامرونني باظهار النونين
على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا ولقد اوحي اليك والى الذين
من قبلك اى من الرسل لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام على سبيل
الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب
باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخرى للجواب واطلاق الاحباط
يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح
فى قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف
الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه به ولولا
دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك
وفيه اشارة الى موجب الاختصاص وما قدروا الله حق قدره ما قدروه عظمته
فى انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكا ووضعوا له ما لا يليق به وقرئ بالتشديد
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته
وحقارة الافعال العظام التى تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على
ان تخريب العالم اهون شئ عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة
واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شايت لمة الليل والقبضة المرة من القبض
اطلقت بمعنى القبضة وهى المقدار المقبوض وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للمؤقت
بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الاراضون السبع او جميع ابعاضها
البادية والغابرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض
منظومة فى حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعدوا على تزهد قدرته وعظمته
عن اشراكهم وما يضاف اليه من شركاء ونفخ فى الصور بعنى المرة الاولى فصعق
من فى السموات ومن فى الارض خر وامتا او مغشيا عليه الا من شاء الله قيل جبرائل

جبرائل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة
اخرى وهى بدل على ان المراد بالاول ونفخ فى الصور نفخة واحدة كما صرح به فى مواضع واخرى
بمحل النصب والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او منتظرون وقرئ بالنصب على انه خبر
ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم فى الجوانب كالمبهوتين وينتظرون
ما يفعل واشرقت الارض بنور ربها بما افاض فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع
ويظهر الحقوق كما سمى الظلم ظلمة وفى الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك اضاف
اسمه الى الارض او بنور خلق فيها لا يتوسط اجسام وضعية ولذلك اضافه الى نفسه
ووضع الكتاب للحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحايف الاعمال
فى ايدى العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحايف وجئ
بالنبيين والشهداء للام وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضى بينهم
بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب على ما جرى به الوعد
ووفيت كل نفس ما عملت جزاء وهو اعلم بما يفعلون فلا يقوته شئ من افعالهم ثم فصل
التوفية وقال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا افواجا متفرقة بعضها فى اثر بعض على
تفاوت اقدامهم فى الضلالة والشرارة جمع زمرة وهى الجمع القليل واشتقاقها من الزمر وهو الصوت
اذ الجماعة لا يخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة حتى اذا
جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هى التى يحكى بعدها الجملة وقراء الكوفيون فتحت تخفيف
التاء وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم
ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل
على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم علموا بتوبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب
قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم
بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص
ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب
جهنم خالدين فيها ايهم القائل لتهويل ما يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه
للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره ولا ينافى اشعاره بان مثويهم فى النار لتكبرهم
عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وسائر مقابحهم
مسببة عنه كما قال عليه الصلاة والسلام ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل
الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل به الجنة واذا خلقه للنار استعمله على عمل
من اعمال اهل النار فيدخل به النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة اشراعا بهم الى دار
الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم فى الشرف

وعلوا الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم حينئذ
من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئها غير منتظرين
وقراء الكوفيون فتحت بالتخفيف وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد
مكروه طبتم طهرتم من دنس المعاصي فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفاء
للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه بظهور
وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون
المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها لخلفة عليهم من اعمالهم
او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوء من الجنة حيث نشاء اي نتبوأ
كل مناقي اي مقام اراده من الجنة الواسعة مع ان في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع
واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش
اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم ملتبسين بحمده والجملة حال
ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصف جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار
بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق وقضي بينهم بالحق
اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على
حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي على ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم
المؤمنون من المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من قراء سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة واعطاه الله ثواب
الخائفين وعن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن ابيها كان يقرأ كل ليلة
بني اسرائيل والزمر سورة المؤمن مكية وايتها خمس او ثنتان وثمانون

سورة المؤمن وهي ثمانون وخمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم اما له ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر بخلا
ونافع براويه ورش وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التخريك لالتقاء الساكنين
او النصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتأنيث او لانها على زنة اعجمي كهابيل
وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن
من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة غافر الذنب وقابل
التوب شديد العقاب ذي الطول صفات اخر للتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب
والحث على ما هو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان
مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج

للازدواج وامن الالباس او ابدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين
الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين ازر بما يتوهم
الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون الذنب باقيا وذلك لمن لم يتب
فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقبل جمعها والطول
الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغفورة بصفات الرحمة
دليل لجانبها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على عبادته اليه المصير فيجازي
المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا لما حقق امر التنزيل بحمل الكفر
على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به
الحق فاما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقايقه وقطع تشبث اهل الزيغ به
وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عليه السلام ان جدالا في
القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم في
البلاد فلا يغررك امهالهم وافبالهم في دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام واليمن
بالتجارات المربحة فانهم مأخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال كذبت
قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم
نوح كعاد وثمود وهمت كل امة من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها ليتناولوه
ليتمكنوا من اصابته بما اراد وامن تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل
بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فاخذتهم بالاهلاك جزاء
لهم فكيف كان عقاب فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه
تعجب وكذلك حقت كلمة ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا
لكفرهم انهم اصحاب النار بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ
او المعنى الذين يحملون العرش ومن حوله الكروبيون او على طبقات الملائكة واولهم
وجودا وحملهم اياه وخفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم
من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ امره يسبحون بحمد ربهم يذكرون
الله بجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا
لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون به اجراء هم بالايمان اظهار
لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون
للذين آمنوا واشعارا بان حملة العرش وسكان العرش في معرفته سواء ردا على
المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه
تنبيه على ان المشاركة في الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس

لانها اقوى المناسبات كما قال المؤمنون اخوة ربنا اى يقولون ربنا وهو
بيان يستغفرون او حال وسعت كل شئ رحمة وعلما اى وسعت رحمتك وعلمك
فان بل عن اصله للاغراق فى وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومها وتقويم الرحمة
لانها المقصود بالذات ههنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك للذين علمت
منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد
اشعار للتاكيد والدلالة على شدة العذاب ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم
وعدتهم اياها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اى
ادخلهم معهم ليتم سرورهم او الثانى لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح
بالضم وذريتهم بالتوحيد انك انت العزيز الذى لايمتنع عليه مقدور الحكيم
الذى لايفعل الا ما يقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيئات
العقوبات وجزاء السئات وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصى
فى الدنيا لقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اى ومن تقها فى الدنيا فقد
رحمته فى الاخرة كانهم طلبوا السبب بعد ما طلبوا المسبب وذلك هو الفوز العظيم
يعنى الرحمة او الوقاية او مجموعهما ان الذين كفروا ينادون يوم القيمة لمقت
لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اى لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة
بالسوء اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ظرف لفعل دل عليه المقت الاول
لالة لانه اخبر عنه ولا للثانى لان مقتهم انفسهم يوم القيمة حين عاينوا جزاء
اعمالها الخبيثة الا ان يقول يخص فى الصيف ضيعت اللبن او تعليل للحكم وزمان
المقتين واحد قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم
صيرتنا امواتا عند انقضاء اجالنا فان الاماتة جعل الشئ عادم الحيوة ابتداء
او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل
وانحص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مقبوليه بتصيير وصرف له عن الاخر
واحييتنا اثنتين الاحياء الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند
انخرام الاجل والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياء ان ما فى القبر
والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكتر ثوابه ولذلك
تسبب بقوله فاعترفنا بذنوبنا فان اقترانهم لها من اعترافهم بالدنيا وانكارهم
بالبعث فهل الى خروج نوع خروج من النار من سبيل طريق فنسلكه وذلك انما
يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ذلكم اى الذى انتم
فيه بانه بسبب انه اذا دعى الله وحده موحدا او توحد وحده فحذف الفعل وانيم

وانيم مقامه فى الحالية كفرتم بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك فالحكم لله المستحق
للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد العلى من ان يشرك به ويسوى بغيره الكبير
حيث حكم على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته فى استحقاق العبادة هو الذى يريكم اياته
الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لانفسكم وينزل لكم من السماء رزقا
اسباب رزق كالمطر مراعات لمعاشكم وما يتذكر بالايات التى هى كالمركوزة فى العقول
لظهورها المغفول عنها للانهماك فى التقليد واتباع الهوى الا من ينيب يرجع عن الانكار
بالاقبال عليها والتفكر فيها فان المجاز لم يشبى لاينظر فيما ينافيه فادعوا الله مخلصين له
الدين من الشرك ولو كره الكافرون اخلاصكم وشق عليهم رفيع الدرجات ذو العرش
خبران اخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده فى
الالوهية وان من ارتفعت درجات كماله بحيث لايظهر دونها كمال وكان العرش الذى
هو اصل العالم الجسمانى فى قبضة قدرته لايصح ان يشرك به وقبل الدرجات مراتب المخلوقات
او مصاعد الملائكة الى العرش او السموات او درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح
يلقى الروح من امره خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره باظهار اثارها
وهو الوحى وتمهيد النبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحى ومن امره بيانه لانه الامر بالخير
او ببدائه والامر هو الملك المبلغ على من يشاء من عباده يختاره للنبوة وفيه دليل على انها
عطائية ليندر غاية الالقاء والمستكن فيه لله او لمن والروح واللام مع القرب يؤيد
الثانى يوم التلاق يوم القيمة فان فيه تلاقى الارواح والاجساد واهل السماء والارض
او المعبودون والعباد او الاعمال والعمال يوم هم بارزون خارجون من قبورهم او ظاهرون
لايسترهم شئ او ظاهرة نفوسهم لاتحجبهم غواشى الابدان او اعمالهم وسرايرهم لايخفى على الله
منهم شئ من اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لتوهم
فى الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسئال عنه فى ذلك اليوم ولما يجاب به
او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسايد واما حقيقة الحال
فناطقة بذلك دائما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه
ان النفوس تكتسب بالعقايد والاعمال هيئات توجب لذتها والمها لكنه لاتشعر بها
فى الدنيا لعوايق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوايق وادركت لذتها والمها
لاظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب ان الله سريع الحساب اذ لايشغله شان
عن شان فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا وانذرهم يوم الازفة اى القيمة سميت بها
لازوفها اى قربها او الحظة الازفة وهى مشارفتهم النار وقيل الموت اذ القلوب
لدى الحناجر فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحناجرهم فلا تعود فيترووحوا ولا تخرج

فيستريحوا كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة اومنها اومن
ضميرها فى لدى وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين
اومن مفعول انذرهم على انه مقدرة ما للظالمين من حميم قريب مشتق ولا شفيع يطاع
ولا شفيع مشفع والضمايران كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم
للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانهم لظلمهم يعلم خائنة الاعين النظرة الخاينة كالنظرة
الثانية الى غير المحرم واسراق النظر اليه اوخيانة الاعين وما تخفى الصدور من الضمار
والجملة خبر خامس للدلالة على ان ما من خفى الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضى بالحق
لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضى بشئ الا هو حقه والذين يدعون من دونه
لا يقضون بشئ تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضى ولا يقضى وقرئ نافع وهشام
بالتاء على الالتفات واضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير بعلمه خاينة الاعين وقضائه
بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا
فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل
قبلهم كعاد وثمود كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا واثارا جمع بالفعل وحقه ان يجمع
بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة فى امتناع دخول اللام عليه وقرئ ابن عامر
اشد منكم بالكاف وآثارا فى الارض مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى
واكثر اثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من
واق يمنع العذاب عنهم ذلك الاخذ بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
والاحكام الواضحة فكفروا فاخذهم الله انه قوى متمكن مما يريده غاية التمكن شديد
العقاب لا يبويه بعقاب دون عقابه ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعنى المعجزات
وسلطان مبين وحجة قاهرة وظاهرة والعطف لتغاير الوصفين او لافراد بعض المعجزات
كالعصا تفخيما لشانه الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى
وفيه تسلية لرسول الله وبيان لعاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا واقوى
زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا ابناءهم
اى اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كى يصدوا عن مظاهرة موسى وما كيد
الكافرين الا فى ضلال فى ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة
على العلة وقال فرعون ذروني اقتل موسى كانوا يكفونه من قتله ويقولون انه ليس
الذى تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظننا انك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله
بذلك مع كونه سفاكا فى هون شئ دليل على انه تيقن انه بحق فخاف من قتله او ظن انه
لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه فانه يخذل وعدم مبالاته بدعائه

بدعائه اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه من عبادته وعبادة
الاصنام لقوله تعالى ويذرك والهتك او ان يظهر فى الارض الفساد ما يفسد دنياكم
بالتخارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن
عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء
ورفع الفساد وقال موسى اى لقومه لما سمع بكلامه انى عذت بربى وربكم من كل متكبر
لا يؤمن بيوم الحساب صدر الكلام بان تاكيدا واشعارا على ان التسبب المؤكد فى دفع
الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافه اليه
واليهم حثا لهم على موافقته لما فى ظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون
وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية للخفى والدلالة على الحامل له على القول
وقرئ ابو عمرو وحمزه والكسائى عذت فيه وفى الدخان عت بالادغام وعن نافع مثله
وقال رجل مؤمن من ال فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله يكتم ايمانه والرجل اسرائيل
او غريب موحد كان بينا فقهم اتقتلون رجلا ليقصدون قتله ان يقول لان يقول
او وقتان يقول من غير روية وتامل فى امره ربى الله وحده وهو فى الدلالة على الحصر
مثل صديقى زيد وقد جاءكم بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلال
من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا الى الاعتراف به
ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال فان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال
كذبه فيحتاج فى دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم فلا اقل من ان
يصيبكم بعضه وفيه مبالغة فى التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب ولذلك
قدم كونه كاذبا او يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما
هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها
او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدى
من هو مسرف كذاب احتجاج ثالث ذات وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما
هداه الله الى البينات ولما عضد بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله وهلك
فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وحيل اليهم الثانى لتلين شكيمتهم
وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب وسبيل
النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين فى الارض ارض مصر فمن ينصرنا
من بأس الله ان جاءنا اى فلا تفسدوا امركم ولا تعرضوا لبأس الله بقتله فانه
ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما ادرج نفسه فى الضمير لان كان منهم فى القرابة
ولا يريهما انه منهم ومساهمهم فيما ينصح لهم فان فرعون ما اريكم الا ما ارى

فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء مكشوفا عاليا من صرح الشئ اذا ظهر لعلي ابلغ
الاسباب الطرق اسباب السموات بيان لها وفي ابهامها وايضاحها تفخيم لشانها
وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى عطف على ابلغ وقراء حفص
بالنصب على جواب الترجي ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه
احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها
ما يدل اشال الله تعالى اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء
يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء وذلك
مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استبنائه وانى لاظنه
كاذبا في دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين زين لفرعون سوء عمله وصد
عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله تعالى ويدل على انه قرئ وزين
بالفتح وبالتوسط الشيطان وقراء الحجازيان والشامي وابو عمرو وصد على ان فرعون
صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون
الا في تباب اي خسار وقال الذي امن يعني مؤمن آل فرعون وقيل موسى يا قوم
اتبعوني اهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه
تعريض بان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع تمتع
يسير لسرعة زوالها وان الاخرة لخلودها دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها
عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات تقدر بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى
وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة
بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمال وجعل الجزاء اسمية
مصدرة باسم الاشارة وتفصيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان
حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل وان ثوابه على من ذلك ويا قوم مالي ادعوكم
الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى
له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما
هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه
تصريحا او تعريضا او على الاول تدعونني لاكفر بالله بدل وبيان فيه تعليل والدعاء
كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به بربوبيته علم والمراد نفي
المعلوم والاشعار بان الالوهية لابد لها من برهان واعتقادها لا يصح الا عن
ايقان وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة
والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على

الا ما ارى واستصوبه من قتله او ما اعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني
متواطئان عليه وما اهديكم الا سبيل الرشاد طريق الصواب وقرئ بالتشديد
على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لامن ارشد كجبار لانه
متصور على السماع او النسبة الى الرشد كقراح او ثبات وقال الذي امن يا قوم
اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية
يعني وقايعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح
وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم
كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يحمل الظالم منهم
بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث
تعلق ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيامة ينادي
فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب
الجنة اصحاب النار كما حكي في الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يبتدئ بعضهم
من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون عن الموقف مدبرين منصرفين
عنه الى النار وقيل نارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ومن يضلل
الله فما له من هاد وقد جاءكم يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون
موسى او على نسبة احوال الاباء الى الاولاد او سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف
من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين
حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا اضما الى تكذيب رسالته
تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته
وقرئ لن يبعث الله على ان بعضهم يقر ربعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك
الاضلال يضل الله في العصيان من هو مسرف في ارتكاب شاك فيما يشهد به البينات
بغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في ايات الله بدل من الموصول
الاول لانه بمعنى الجمع بغير سلطان اتاهم بغير حجة بل اما بتقليد او شبهة داحضة
كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا فيه ضمير من واقراده للفظ ويجوز ان يكون
الذين مبتداء وخبره كبر على حذف اي وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير
سلطان وفاعل كبر كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله يطبع الله
على كل قلب متكبر جبار استينافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقرئ ابو عمرو
وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعها كقولهم
رأت عيني وسمعت اذني او على حذف مضاف اي على كل ذي متكبر وقال فرعون

على التعذيب والغفران لاجرم لاردّ لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله ان ما
تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة اى حق دعوة الهتكم الى عبادتها اصلا
لانها جمادات ليس لها ما يقتضى الوهيتها او عدم مستجابية دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب
وفاعله مستكن فيه اى كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل
من ذلك الا بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدّ من لابدّ فعل
من البديد وهو التعريف والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اى لا ينقطع
في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لاجرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد وَاَنَّ
مَرَدَّنَا اِلَى اللّٰهِ بالموت وَاَنَّ الْمُسْرِفِيْنَ في الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك
الدماء هُمْ اَصْحٰبُ النَّارِ ملازموها فَسَتَذْكُرُوْنَ فسيذكر بعضكم بعضا معاينة العذاب
ما اَقُوْلُ لَكُمْ من النصيحة وَاُفَوِّضُ اَمْرِيْ اِلَى اللّٰهِ ليعصمني من كل سوء اِنَّ اللّٰهَ بَصِيْرٌ بِالْعِبَادِ
فيحرسهم وكانه جواب توعدهم المفهوم من قوله فوقيه اللّٰهُ سَيِّاٰتِ مَا مَكَرُوْا شدايد مكرهم
وقيل الضمير لموسى وحاق بِاٰلِ فِرْعَوْنَ بفرعون وقومه فاستغنى بذكرهم عن ذكره
للعلم بانه اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فاتته الحجيل فاتبعه طائفة فوجده
يصلى وحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سُوْٓءُ الْعَذَابِ الغرق والقتل والنار
النَّارُ يُعْرَضُوْنَ عَلَيْهَا غدوا وعشيا جملة مستانفة او النار خبر محذوف ويوضون
استيناف للبيان او بدل ويعرضون حال منها او من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص
او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم
عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ان مسعود انارو حهم
في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص
والتابيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر وَيَوْمَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ اى هذا ما دامت
الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم اَدْخِلُوْٓا اٰلَ فِرْعَوْنَ يا آل فرعون اَشَدَّ الْعَذَابِ عذاب
جهنم فانه اشد مما كانوا فيه واشد عذاب جهنم وقراء نافع وحمزة والكسائى ويعقوب
وحفص ادخلوا على امر الملائكة بادخالهم النار وَاِذْ يَتَحَآجُّوْنَ في النار واذكر وقت
تخاصمهم فيها ويحتمل العطف على عدوا فيقول الضُّعَفٰٓؤُا لِلَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْٓا انفصيل
وَاِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا تابعا لكم فهل في جمع خادم او ذوى تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز
فَهَلْ اَنْتُمْ مُّغْنُوْنَ عَنَّا نَصِيْبًا من النار بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه
مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا في قوله لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا فيكون من صلة لمغنون قَالَ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْٓا اِنَّا كُلٌّ فِيْهَآ نحن وانتم
فكيف نغنى عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كل على التاكيد لانه بمعنى

بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف
فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المقدم كقولك كل يوم لك ثوب اِنَّ اللّٰهَ قَدْ حَكَمَ
بَيْنَ الْعِبَادِ بانا دخل اهل الجنة والنار النار ولا معقب لحكمه وَقَالَ الَّذِيْنَ في النار لخزنة
جَهَنَّمَ اى لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل والبيان لمحلهم فيهم اذ يحتمل ان يلون
جهنم ابعد دركاتها من قولهم بين جهنام بعيدة العمق اُدْعُوْا رَبَّكُمْ يخفف عَنَّا يَوْمًا قدر يوما
مِنَ الْعَذَابِ شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب
بيانه قَالُوْٓا اَوَلَمْ تَكُ تَّاْتِيْكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنٰتِ اراد وابه الزامهم للحجة وتوبيخهم على اضاعتهم
اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة قَالُوْا بَلٰى قَالُوْا فَادْعُوْا فانا لا نخترى فيه اولم
يؤذن لنا في الدعاء لامثالكم وَمَا دُعٰٓؤُا الْكٰفِرِيْنَ اِلَّا فِيْ ضَلٰلٍ في ضياع لا يجاب وفيه
اقناط لهم عن الاجابة اِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة
فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ نَقُوْمُ الْاَشْهَادُ اى في الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لهم من الغلبة
امتحانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد
من يقوم يوم القيمة للشهادة على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين يَوْمَ لَا يَنْفَعُ
الظّٰلِمِيْنَ مَعْذِرَتُهُمْ يدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة او لانها لا يؤذن لهم
فيعتذرون وقراء غير الكوفيين ونافع بالتاء وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ البعد من الرحمة وَلَهُمْ سُوْٓءُ الدَّارِ
جهنم وَلَقَدْ اٰتَيْنَا مُوْسَى الْهُدٰى ما يهتدى به في الدين من المعجزات والصحف والشرايع
وَاَوْرَثْنَا بَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ الْكِتٰبَ وتركنا عليهم بعد ذلك هُدًى وَذِكْرٰى هدية وتذكرة او هاد
ومذكرا لِاُولِي الْاَلْبَابِ لذوى العقول السليمة فَاصْبِرْ على اذى المشركين اِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ
بالنصر حق لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ واقبل على امر
دينك وتدارك فرطاتك كترك الاولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى
كافيك بالنصر واظهار الامر وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْاِبْكَارِ ودم على التسبيح
والتحميد لربك وقيل صل هذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان
عشيا اِنَّ الَّذِيْنَ يُجَادِلُوْنَ فِيْٓ اٰيٰتِ اللّٰهِ بِغَيْرِ سُلْطٰنٍ اَتٰىهُمْ عام في كل مجادل مبطل وانزلت
في مشركي مكة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح ابن داود ويبلغ سلطانه
البر والبحر ويسير معه الانهار اِنْ فِيْ صُدُوْرِهِمْ اِلَّا كِبْرٌ الا تكبر عن الحق وتعظيم عن التفكر
والتعلم وارادة الرياسة او ان النبوة والملك لا يلون الا لهم مَّا هُمْ بِبَالِغِيْهِ بنافي
دفع الايات او المراد فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ فالتجئ اليه اِنَّهٗ هُوَ السَّمِيْعُ لاقوالكم وافعالكم
الْبَصِيْرُ لاحوالكم لَخَلْقُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اكبر من خلق الناس فمن قدر على خلقها عظمها اولا من غير
اصل قدر على خلق الانسان ثانيا من اصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه

امر التوحيد وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم اهواءهم وَلَا يَسْتَوِي الْأَعْمٰى وَالْبَصِيرُ الغافل والمستبصر فينبغي ان يلون حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ والمحسن والمسيء وزيادة لا في المسيء لان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود والدلالة بالصراحة والتمثيل قَلِيلًا مَا يَتَذَكَّرُونَ اى تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس او للكفار وقراءة الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات وامر الرسول بالمخاطبة إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد لوقوعها وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ايتكم لقوله إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلة للعالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وقراءة ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء اللّٰهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ للتسبب فجاز خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدو الحواس وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا يبصر فيه اوبه واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدله عن التقليد الى الحال إِنَّ اللّٰهَ لَذُو فَضْلٍ لا يوازيه فضل والاشعار به لم يقل لفضل عَلَى النَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ بجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس بخصوص الكفران ذٰلِكُمُ المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية اللّٰهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ اخبار مترادفة تخصص اللاحقه السابقة وتقررها وقراءة خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استيناف انما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فَأَنّٰى تُؤْفَكُونَ فكيف ومتى وجه تصرفون من عبادته الى عبادة غيره كَذٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ اى كما افكوا افك عن الحق كل من جحد بايات الله ولم يتأملها اللّٰهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ بان خلقكم منتصب القامة يادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات تهيأ لمزاوله الصنايع واكتساب الكمالات وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ اللذايذ ذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللّٰهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فانكل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرضا للزوال هُوَ الْحَيُّ المتفرد بالحيوة الذاتية لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ اذ لا موجود يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ

أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ لما جاءني البينات من ربي من الحجج والايات فانها مقوية لادلة العقل منتهية عليها وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ان انقاد له اواخلص دين هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على تاويل كل واحد منكم ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ اللام فيه متعلقه بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ويجوز عطفه على ليتبلغوا وقراءة نافع وابو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وقراءة شيوخا بكسر الشين وشيخا كقوله طفلا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّٰى مِنْ قَبْلُ من قبل الشيخوخة او بلوغ الرشد وَلِتَبْلُغُوا ويفعل ذلك لتبلغوا أَجَلًا مُسَمًّى هو وقت الموت او يوم القيمة وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ما في ذلك في الحج والعمر هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضٰى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فلا يحتاج في كونه الى عدة ونجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك بنتيجة ما سبق من حيث انه يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفه على العدد والمواد أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللّٰهِ انى يصرفون عن التصديق وكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل فيه او للتوكيد الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ بالقران او بجنس الكتب السماوية وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا من سائر الكتب او الوحي والشرايع فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ تكذيبهم إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ الماضي لتيقنه وَالسَّلَاسِلُ عطف على الاغلال ومبتدا خبره يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ والعايد محذوف اى يسحبون بها وهو على الاول حال وقراءة والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال او اضمار اللباء ويدل عليه القراءة به ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ يحرقون من سجر التنور اذا ملاءه بالوقود ومنه التسجير للصديق كانه سجر بالحب اى ملاء والمراد تعذيبهم بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم الهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك حسبه شيئا فلم يكن كَذٰلِكَ مثل هذا الضلال يُضِلُّ اللّٰهُ الْكَافِرِينَ حتى لا يهتدوا الى شئ ينفعهم في الاخرة او يضلهم عن الهتهم حتى لو طلبوا لم يتصادفوا ذٰلِكُمْ الاضلال بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ تبطرون وتتكبرون بِغَيْرِ الْحَقِّ وهو الشرك والطغيان وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ تتوسعون في الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة في التوبيخ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ الابواب مقسومة لكم خَالِدِينَ فِيهَا مقدرين

الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين لكن
لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب ثواء عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله بهلاك الكفار
حق كائن لا محالة فاما نرينك فان نترك وما مزيدة للتاكيد الشرطية ولذلك تحقت النون
الفعل فلا تلحق مع ان وصدها بعض الذى نعدهم وهو القتل والاسر ونتوفينك قبل
ان نراه فالينا يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك
محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما يعنى ان نعذبهم فى حياتك او لم نعذبهم
فانا نعذبهم فى الاخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع فى هذا
الموضع ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص
عليك او قبل عدد الانبياء ماء الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصتهم اشخاص
معدودة وما كان لرسول ان ياتى بآية الا باذن الله فان المجئات عطايا قسمها بينهم
على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم احتيار فى ايثار بعضها والاستبداد
باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب فى الدنيا والاخرة قضى بالحق بانجاء الحق
وتعذيب المبطل وخسر هنالك المبطلون للعاندون باقتراح الايات بعد ظهور ما يغنيهم
عنها الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون فان جنسها ما يأكل كالغنم ومنها
ما يأكل ويركب وهو الابل والبقر ولكم فيها منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا
عليها حاجة فى صدوركم بالمسافرة عليها وعليها فى البر وعلى الفلك فى البحر تحملون وانما
قال على الفلك ولم يقل فى الفلك للمزاوجة وتغيير النظم فى الاكل لانه فى خير الضرورة اذ
قد يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد يكون الاغراض دينيه واجبة
او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة ويريكم آياته دلايله الدالة على كمال قدرته وفرط
رحمته فاى آيات الله اى من تلك الايات تنكرون فانها لظهورها لا يقبل الانكار وهو نصب
اى اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء فى اى اغرب منها فى الاسماء
غير الصفات لابهامه افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا فى الارض ما بقى منهم من المقصود والمصانع ونحوها وقيل
اثار اقدامهم فى الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون الاولى نافية او استفهامية
منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات والايات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم
عقايدهم الزايغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم فى الاخرة وهو قولهم
لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم
او من علم الطبايع والتنجيم والصنايع ونحو ذلك وعلم الانبياء وفرحهم به ضحكهم منه

منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما راوا
تمادى جهل الكفار وسوء عاقبتهم وخوفوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين
جزاء جهلهم واستهزائهم فلما راوا باسنا شدة عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به
مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك
قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر
منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم رسلهم كالتفسير لقوله فما اغنى عنهم والباقيتان لان
رؤية البأس مسببة عن مجئ الرسل وامتناع نفى الايمان مسبب عن الرؤية سنة الله التى قد خلت
فى عباده اى سن الله ذلك سنة ماضية فى العباد وهى من المصادر المؤكدة وخسر هنالك
الكافرون اى وقت رؤيتهم البأس اسم مكان استعير للزمان عن النبى صلى الله عليه
وسلم من قراء سورة المؤمن لم يبق روح نبى ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى
عليه واستغفر سورة السجدة مكية وايها ثلثا واربع وخمسون اية

سورة السجدة اربع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلته مبتداء فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته
تعديد الحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتداء لتخصصه بالصفة وخبره كتاب وهو على الاول
بدل منه او خبر اخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السورة السبع بحم وتسميتها به لكونها
مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة فى النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة
على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية فصلت اى بينت باعتبار اللفظ والمعنى
وقرء فصلت اى فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعانى وفصلت بين الحق والبطل
قرانا عربيا نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان لسهولة قرانه وفهمه لقوم يعلمون
العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرانا او صلة لتنزيل او لفصلت والاول
اولى لوقوعه بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين له وقرئا بالرفع على الصفة
لكتاب او الخبر لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون سماع تامل وطاعة
وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه اغطية جمع كنان وفى اذاننا وقر صمم واصله الثقل
وقرئ بالكسر ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالات على ان الحجاب
مبتدئ منهم ومنه بحث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو
قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقاده ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم
للرسول فاعمل على دينك او فى ابطال امرنا انثنا عاملون على ديننا او فى ابطال امرك قل انما
انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقى منه

ولا ادعوكم الى ما ينبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة
في العمل وقد دل عليها دلائل الفعل وشواهد النقل فاستقيموا اليه فاستقيموا في
افعالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل واستغفروه
مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هدد وهم على ذلك فقال وويل للمشركين من وصف
بعض امتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكوة لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق
وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه
لا يفعلون ما يزكي نفسهم وهو الايمان والطاعة وهم بالاخرة هم كافرون حال مؤكدة
بان امتناعهم عن الزكوة فاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم الاخرة ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او القطع
من مننت الحبل اذا قطعته وقيل زنت في المرض والهرم اذا عجز واعن الطاعة كتب لهم
الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في مقدار
يومين وبنوبتين وخلق كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون ولعل المراد من الارض ما في جهة
السفل من الاجرام البسيطة وخلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها
صورها فصارت انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته وتجعلون له اندادا
ولا يصح ان يكون له ندا ذلك الذي خلق الارض في يومين رب العالمين خلق جميع
ما وجد من الممكنات ومرتبتها وجعل فيها رواسي استيناف غير معطوف على خلق
للفصل بما هو خارج عن الصلة من فوقها مرتفعة عليها ليظهر للناظر ما فيها
من وجوه الاستبصار ويكون منافع معرفته للطلاب وبارك فيها واكثر
خيرها بان خلق فيها انواع النبات والحيوان وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها
بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا ينشاء منها بان خص حدوث
كل قوة بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام في تتمة
اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشر الى الكوفة في خمس عشرة
ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للاشعار باتصالها لليومين اولا وتاخر
والتصريح على الفذلكة سواء اي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة
ايام ويدل عليه قراءة بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او فيها وقرئ بالرفع على
سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض
وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات للطالبين لها ثم استوى الى السماء قصد
نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اتوجه اليه توجها لا يلوي على غيره والظاهر
ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله والارض بعد ذلك دحيها ووحوها

ووحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها وهي دحيان امر طلماني ولعله اراد به مادتها
والاجزاء المتصغرة التي ركب منها فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت فيكما من التاثير
والتأثير وابرزاما او دعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتنا في الوجود
على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها
واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه اوليات كل منكما الاخرى في حدوث
ما اريد توليده منكما وتؤيده قراءة آتيا واتينا من الموانات اي لتوافق كل واحدة اختها فما
اوردت منكما طوعا او كرها اشتمالا ذلك او بينهما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع
مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران دفعا موقع الحال قالتا اتينا واتينا طائعين
منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تاثير قدرته فيهما وتاثرهما بالذات عنها تمثيلها
بامر المطاع واجابة المطيع الطايع كقوله كن فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على
الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونها
مخاطبات كقوله ساجدين فقضيهن سبع سموات خلقهن خلقا ابدا رعنا واتقن
امرهن والضمير للسماء على المعنى او سبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز
على الثاني في يومين قبل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة
واوحى في كل سماء شانها وما تاتي منها بان جعلها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى
الى اهلها بامرهم وزينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب كل ما يرى كانها يتلالا
وحفظا اي وحفظناها من الافات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى
كانه قال وحصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم
البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم صاعقة
ان يصيبهم عذابا شديدا لوقع كانه صاعقة مثل عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة
عاد وهي المرة من الصعق والصعق يقال صعقه الصاعقة صعقا فصعق صعقا
اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة اوظرفا لانذرتكم
لفساد المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة
او من جهة الزمن الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل
بالتحذير عما اعد لهم في الاخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من قبلهم او من بعدهم
اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن المتاخرين داعين الى الايمان
بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى ياتيهم رزقهم رغدا من كل
مكان الا تعبدوا الا الله بان لا تعبدوا او اي لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا لانزل
الرسل لانزل ملائكة برسالته فانا بما ارسلتم به على زعمكم كافرون اذا انتم

بشر مثلنا لافضل لكم علينا فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق فتعظموا فيها
على اهلها بغير استحقاق وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان
من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقلعها بيده اولم يروا ان الله الذي خلقهم
هو اشد منهم قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوى على ما لا يقدر
عليه غيره وكانوا بآياتنا يجحدون يعرفونها حق ويذكرونها وهو عطف على
فاستكبروا او على ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو
البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض او شديدة الصوت في هبوبها من الصرير في ايام
نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرئ الحجازيان والبصريان
بالسكون على التخفيف او البعث على فعل او الوصف بالمصدر قيل كن اخر شوال
من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي
في الحيوة الدنيا اضاف العذاب الى الخزي وهو الذل على قصد وصفه به لقولهم
ولعذاب الاخرة وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد
المجازي تلبيا لغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم
الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده
ومنونا في الحالين وبضم التاء فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على
الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقته من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب
ووصفه بالهون للمبالغة بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين امنوا وكانوا
يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقرئ يحشر على البناء للفاعل
وهو الله عز وجل وقراءة نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب اعداء فهم يوزعون
يحبس اولهم على اخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كشدة اهل النار حتى اذا ما جاؤها
اذا حضروها ومامزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله او يظهر عليها انارة تدل على ما اقترف بها
فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد
ونفس التعجب قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شئ اي ما لطفنا باختيار نا بل انطقنا الله
الذي انطق كل شئ وليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل حي ولو اول الجواب
والنطق بدلالة الحال بقي الشئ عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم اول مرة واليه
ترجعون يحتمل ان تمام كلام الجلود وان يكون استينافا وما كنتم تستترون ان يشهد
عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم تستترون الناس عند ارتكاب الفواحش
مخالفة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عنها وفيه تنبيه

تنبيه على ان المؤمن ينبغي ان يتحفظ انه لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب ولكن ظننتم
ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة الى ظنهم هذا وهو
مبتداء وقوله ظنكم الذي ظننتم بربكم اردكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا واردكم
خبرا فاصبحتم من الخاسرين انصار ما محتم للاستسعاد به في الدارين بسبب اعتقاد المتزلين
فان يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها وان يستعتبوا يسئلوا العتبى وهو الرجوع
الى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله تعالى لحكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا
من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسئلوا ان يرضوا ربهم فما هم
فاعلون لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء اخذنا من الشياطين يستولون
عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة
للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر الاخرة
وانكاره وحق عليهم القول اي كلمة العذاب في امم في جملة امم كقوله ان تك عن احسن
الضيعة ما نوكا فيمن اخرين قد امكوا وهو حال من الضمير المجرور قد خلت من قبلهم من الجن
والانس وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير
وللام وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وعارضوه بالخرافات او افعلوا
اصواتكم بها لتشوشوا على العادي وقرئ بضم العين والغي واحد يقال ولغا يلغوا اذا
هدى لعلكم تغلبون اي تغلبون على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا المراد
هؤلاء القائلون او عامة الكفار ولنجزينهم اسوء سيئات اعمالهم وقد سبق مثله
الذين كانوا يعملون ذلك اشارة الى الاسود جزاء اعداء الله خبره النار عطف بيان
للجزاء او خبر محذوف لهم فيها في الدار دار الخلد فانها دار اقامتهم وهو كقولك في هذه
الدار دار سرور و تعني بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا بآياتنا
يجحدون ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذي هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا
الذين اضلانا من الجن والانس يعني شيطاني النوعين والجاهلين على الضلالة والمعصيان
وقبلها ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقراء ابن كثير ويعقوب وابو بكر والسوس ارنا
بالتخفيف كفخذ وفخذ وقراءة الدوري باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا ندسهما
انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين مكانا او ذلا ان الذين
قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا في العمل وثم للتراخية
عن الاقرار في الرتبة من حيث انه مبداء الاستقامة او لانها عسر قل ما تتبع الاقرار
وما روي من الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل
واداء الفرايض فتحريا انها تتنزل عليهم الملائكة فيما يعن لهم مما يفرح صدورهم ويدفع

عنهم الخوف والحزن او عند الموت والخروج عن القبر الانتحاقوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا
على ما خلفتهم وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء مفسره وابشروا بالجنة التى كنتم
توعدون فى الدنيا على لسان الرسل نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم على
الخير بدل لما كان الشياطين يفعل بالكفرة وفى الاخرة بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى
الكفرة وقرناؤهم ولكم فيها فى الاخرة ما تشتهى انفسكم من اللذائذ ولكم فيها
ما تدعون ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول نزلا من غفور رحيم
حال مما تدعون للاشعار بان ما يتمنون يا تنسبه الى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم
كالنزل للصيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين
ربه وقال انني من المسلمين تفاخر بانه او اتخاذ الاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا
قول فلان لمذهبه والابية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت فى النبى
عليه السلام وقيل المؤذنين ولا تستوى الحسنة ولا السيئة فى الجزاء وحسن القائمة
ولا لثانية مزيدة لتاكيد النفى ادفع بالتى هى احسن او قع الحسنة حيث اعرضت
هى احسن منها وهى الحسنة على ان المراد بالاحسن الزايد مطلقا او باحسن ما يمكن دفعا
به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستيناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة
وكذلك وضع الاحسن بوضع الحسنة فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى
حميم اى اذا فعلت ذلك عدوك الشاق مثل الولى الشفيق وما يلقيها
وما يلقى هذه السجية وهى مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا فانها
تحبس النفس عن الانتقام وما يلقيها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال اليقين
وقيل الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ نخس شبيه به
وسوسة لانها بعث على ما ينبغى كالدفع بما هو اسوء وجعل النزغ نازعا
على طريقة جد جده او اريد به نازع وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله
من شره ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك
ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا
لله الذى خلقهن الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما
اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار ان كنتم اياه تعبدون فان السجود
اخص العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابى حنيفة
رضى الله تعالى عنه الاخرى الاية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال
فالذين عند ربك من الملوكة يسبحون له بالليل والنهار اى دائما لقوله
وهم لا يسئمون اى لا يملون ومن اياته انك ترى الارض خاشعة يابسه

يابسه منطاء منه مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت
وربت ترخرفت بالنبات وفرئ ربالت اى زادت ان الذى احياها بعد موتها
لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير من الاحياء والاماتة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة
فى اياتنا بالطعن والتحريف والتاويل الباطل والالغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم
على الحادهم افمن يلقى فى النار خير امن ياتى امنا يوم القيمة قابل الفاء فى الثانى بالاتيان
امنا مبالغة فى احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد انه بما تعملون بصير وعيد
بالمجازات ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين يلحدون فى اياتنا ومستانف
وخبر ان محذوف مثل معاندون او هالكون اولئك ينادون والذكر القران وانه لكتاب
عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يسانى ابطاله وتحريفه لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات او مما فيه من الاخبار الماضية
والامور الاتية تنزيل من حكيم حميد يحمد كل خلق بما ظهر عليه من نعمة ما يقال لك
اى ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك الا ما قال لهم كفار قومهم
او ما يقول الله لك الا مثل ما قال لهم ان الله لذو مغفرة لمن امن من الانبياء وذو عقاب
اليم لاعدائهم وهو على الثانى يحتمل ان يكون المقول بمعنى ان حاصل ما اوحى اليك واليهم
وعد المؤمن بالمغفرة والكافر بالعقوبة ولو جعلناه قرانا اعجميا جواب لقولهم هلا نزلت
القران بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت اياته بينت بلسان نفقهه ءاعجمى
وعربى اكلام اعجمى ومخاطب عربى انكار مقرر للتخصيص والاعجمى يقال للذى لا يفهم
كلامه ولكلامه وقرئ اعجمى وهو منسوب الى العجم وقراءة هشام اعجمى على الاخبار
وعلى هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت اياته مجمل بعضها اعجميا لافهام العرب المقصود
ابطال مقترحهم باستلزامه لمحذور او الدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت فى
الايات كيف جاءت قل هو للذين امنوا هدى الى الحق وشفاء لما فى الصدور من
من الشك والشبهة والذين لا يؤمنون مبتداء وخبره فى اذانهم وقر على تقدير هو
فى اذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم
من الايات ومن جوز العطف على عاملين عطف ذلك على للذين امنوا هدى اولئك
ينادون من مكان بعيد هو تمثيل لهم فى عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح به من
مسافة بعيدة ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب كما
اختلف فى القران ولو لا كلمة سبقت من ربك وهى العدة بالقيمة وفصل الخصومة
حينئذ او تقديرا لاجال لقضى بينهم باستيصال المكذبين وانهم وان اليهود والذين
لا يؤمنون لفى شك منه من التوراة او القران مريب موقع للاضطراب من عمل صالحا فلنفسه

نفعه ومن ساء فعلها ضره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل لهم ما ليس له ان يفعله
اليه يرد علم الساعة اى اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو وما تخرج من ثمرة من اكمامها
من اوعيتها جمع كم بالكسر وقراء نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع
وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل ان يكون موصولة
معطوفة على الساعة ومن مبنية بخلاف قوله وما تحمل من انثى ولا تضع بمكان الا يعلمه
الا مقرونا بعلمه واتعاحسب تعلقه به ويوم يناديهم اين شركائي زعمكم قالوا اذناك
اعلمناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون
السؤال عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء
اى ما منا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين وضل عنهم لما كانوا يدعون يعبدون
من قبل لا ينفعهم او لا يرونه وظنوا ايقنوا ما لهم من محيص مهرب وظن معلق
عنه حرف النفي لايشام الانسان لا يمل من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة
وقراء من دعاء بالخير وان مسته الشر الضيقة فيؤس قنوط من فضل الله ورحمته
وهذا صفة الكافر لقوله لا ييأس من روح الله الا القوم وقد بولغ في يأسه من جهة
البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور اثر اليأس ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء
مسته بتعريجها عنه ليقولن هذا لي حتى استحقه بها لي من الفضل والعمل اولي دائما
لا يزول وما اظن الساعة قائمة نفوم ولئن رجعت الى ربي ان لي للحسنى اى ولئن
قامت على التوهم كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما
اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم
بما عملوا بحقيقة اعمالهم ولننصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب
غليظ اى لا يمكنهم التنصي عنه واذا انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر ونأى
بجانبيه وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا وتجانب
مجاز عن التنفس كالجنب في قوله في جنب الله واذا مسته الشر فذو دعاء عريض
كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل
اذ الطول لطول الامتداد دين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله قل ارايتم
اخبروني ان كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به من نظر واتباع دليل من اضل ممن
هو في شقاق بعيد اى من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم
وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم اياتنا في الآفاق يعني ما اخبرهم النبي صلى الله عليه
وسلم من الحوادث الآتية واثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح
والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة وفي انفسهم ما ظهر فيما

فيما بين اهل مكة وما حل بهم او ما في بدن الانسان من عجايب الصنع الدالة على كمال القدرة
حتى يتبين لهم انه الحق الضمير القران او الرسول او التوحيد او لم يكف بربك اى اولم يكف
ربك الباء مزيدة للتاكيد كانه قيل اولم يحصل الكفاية به ولا يكاد ترادف الفاعل الا مع كفى
انه على كل شيء شهيد بدل منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد يحقق له فيحقق
امرك باظهار الايات الموعوده كما حقق سائر الاشياء الموعوده او مطلع فيعلم حالك وحالهم
اولم يكفنا الانسان زاد عاد المعاصي انه تعالى مطلع على كل شيء لا يخفى عليه خافيته
الا انهم في مرية شك وقرئ بالضم وهو لغة كخيفة وخفية من لقاء ربهم بالبعث
والجزاء الا انه بكل شيء محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته
شيء منها قال النبي عليه الصلوة والسلام من قراء سورة حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة
ويستغفرون له ويسترحمون له سورة عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهي ثلث وخمسون اية

سورة عسق ثلاث وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق لقد اسمان للسورة ولذلك هل بينهما وعد آيتين
وان كان اسما واحدا فالفصل لتطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق وكذلك نوحي اليك والى
الذين من قبلك الله العزيز الحكيم اى مثل ما في هذه السورة من المعاني وايحاء مثل ايحائها
اوحى الله اليك والى الرسول قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية
للدلالة على استمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وقراء ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك
مبتداء ويوحى خبره مسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل
عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شان الموحى به مسند الى اليك كما مر
في السورة السابقة او ما لابتداء كما قراءة نوحي بالنون والعزيز وما بعده اخبار او العزيز
الحكيم صفتان له له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه
الاخر استيناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقراء نافع والكسائي بالياء يتفطرن
يتشققن من عظمة الله وقيل من دعاء الولد له وقراء البصريان وابو بكر ينفطرن والاول
ابلغ لامطابع فطر وقرئ تنفطرن بالتاء لتاكيد التانيث وهو نادر من توفيهن اى
يبتدى الانفطار من جهتهن الفوقانيه وتخصيصها على الاول لان اعظم الايات
واد لها على علو شانه من تلك الجهة وعلى الثاني ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق
الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس والملايكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون
لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب
المقربة الى الطاعة وذلك في الجملة تعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي

فما يدفع الحلال المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة
لا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والاية على
الاولى زيادة تقدير لعظمته وعلى الثانى دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم
معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته
والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء واندادا الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم
فمجازيهم بها وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه امرهم وكذلك وحينا
اليك قرانا عربيا الاشارة الى مصدر يوحى او الى معنى الاية المتقدمة فانه مكرر
فى القران فى مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا به وقرانا عربيا حالا منه لتنذر ام القرى
اهل ام القرى وهى مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يوم القيمة يجمع الخلائق
فيه او الارواح والاشباح او الاعمال والاعمال وحذف ثانى مفعول الثانى للتهويل
وابهام التعميم وقرى لينذر بالياء والفعل للقران لا ريب فيه اعتراض لا محل له
فريق فى الجنة وفريق فى السعير اى بعد جمعهم فى الموقف جمعون اولا ثم يفرقون
والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرى منصوبين على الحال
منهم اى وتنذر يوم اجمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق او متفرقين فى دار
الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة مهتدين او ضالين ولكن يدخل
من يشاء فى رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير
اى يدعهم بغير ولى ولا نصير فى عذابه ولعله غير المقابلة للمبالغة فى الوعيد
اذ الكلام فى الانذار ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله هو الولى
جواب شرط محذوف مثل ان اراد وا اولياء بحق فالله هو الولى بالحق ويحيى الموتى وهو
على كل شئ قدير كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار فيه من شئ
من امور الدين والدنيا تحكمونه الى الله مفوض اليه يميز المحق من المبطل بالنصر
او بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل متشابه فارجعوا فيه الى
المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربى عليه توكلت فى مجامع الامور واليه انيب ارجع
فى المعضلات فاطر السموات والارض خبر اخر لذلكم او مبتدا خبره جعل لكم وقرى
بالجر على البدل من الضمير او الوصف لانى الله من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء
ومن الانعام ازواجا اى وخلق للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام
اصنافا او ذكورا واناثا يذروكم يكثركم من الذرء وهو البث وفى معناه الذر
والذرو فيه فى هذه التدبير وهو جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم
توالد فائه كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شئ اى ليس مثله شئ يزاوجه

يزاوجه ويناسبه والمراد مثله ذاته كما فى قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة
فى نفيه عنه فانه اذا نفى عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره
قول رفيقة بنت صفى فى سقيا عبد المطلب الا توفيهم الطيب الطاهر لذاته
ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى انه يعطى معنى ليس مثله غير انه اكد لما ذكرنا
وقيل مثله صفته اى ليس كصفته صفته وهو السميع البصير لكل ما يسمع
ويبصر له مقاليد السموات والارض خزائنهما يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
يوسع ويضيق على وفق مشيته انه بكل شئ عليم فيفعله على ما ينبغى شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى
اى شرع لكم من دين نوح ومحمد ومن بينهما من ارباب الشرايع وهو الاصل المشترك
فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة
فى احكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستيناف
كانه جواب وما ذاك المشروع او الجر على البدل من هاء به ولا تفرقوا فيه ولا تختلفوا
فى هذا الاصل اما فروع الشرايع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
كبر على المشركين عظم عليهم ما تدعوهم من التوحيد اليه الله يجتبى اليه
من يشاء يجتلب اليه والضمير لما يدعوهم او للدين ويهدى اليه بالارشاد
والتوفيق من ينيب يقبل اليه وما تفرقوا يعنى الامم السابقة وقيل اهل
الكتاب لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بان
التفرق ضلال متوعد عليه والعلم ببعث الرسول والكتب وغيرها فلم يلتفتوا
اليها بغيا بينهم عداوة او طلبا للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك بالامهال
الى اجل مسمى هو يوم القيمة او اخراعارهم المقدرة لقضى بينهم باستيصال المبطلين
حين افترقوا العظم ما افترقوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم يعنى اهل الكتاب
الذين كانوا فى عهد الرسول والمشركين الذين اورثوا القران من بعد اهل الكتاب
وقرئ ورثوا ووارثوا لفى شك منه من كتابهم لا يعلمون به كما هو ولا يؤمنون
به حق الايمان او من القران مريب مقلق او مدخل فى الريبة فلذلك لما اوتيت
فلاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم الذى اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة
الحنيفية او الايتاع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام فى موضع الى لافادة
الصلة او التعليل واستقم كما امرت واستقم على الدعوة كما امرك الله ولا تتبع
اهواءهم الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب يعنى جميع الكتب المنزلة لا
كالكفار الذين امنوا ببعض وكفروا ببعض ولا عدل بينكم فى تبليغ الشرايع

والحكومة والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية
اللّٰه ربنا وربكم خالق الكل ومتولى امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكل يجازى بعمله
لا حجة بيننا وبينكم لا تحاج يعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر ولم يسبق للمحاجة محال ولا
للخلاف مبداء سوى العناد اللّٰه يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير مرجع الكل بفصل
القضاء وليس فى الاية ما يدل على مشاركة الكفار اساحتى يكون منسوخة بايه
القتال والذين يحاجون فى اللّٰه فى دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له
اهل الكتاب ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب اللّٰه لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم
بدر او من بعد ما استجاب له من اهل الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتوا به
حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة عليهم غضب بمعاندتهم ولهم عذاب
شديد على كفرهم اللّٰه الذى انزل الكتاب جنس الكتاب بالحق ملتبسا به بعيدا من
الباطل او بما يحق انزله من العقايد والاحكام والميزان والشرع الذى يوازن به الحقوق
وتسوى بين الناس او العدل بان انزل الامرية او اله الوزن واوحى باعدادها
وما يدريك لعل الساعة قريب اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب
على العدل قبل ان يعاجلك اليوم الذى يوزن فيه اعمالك فى جزاوك وقيل
تذكير القريب لانه بمعنى ذات قريب ولان الساعة بمعنى البعث يستعجل بها
الذين لا يؤمنون بها استهزاء والذين امنوا مشفقون منها خايفون من
اعتنائها لتوقع الثواب ويعلمون انه الحق الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون
فى الساعة يجادلون فيها من المرية او من مرية الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة
للحلب لان كلا من المجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة انى ضلال
بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغايبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجوزها
فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراوه اللّٰه لطيف بعباده يبرهم بصنوف من البر
لا يبلغها الافهام يرزق من يشاء اى يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده
بنوع من البر على ما اقتضته حكمته وهو القوى الباهر القدرة العزيز المنيع
الذى لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه
فائدة تحصل لعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الاخرة والحرث فى الاصل
القاء البذر فى الارض ويقال للزرع الحاصل منه نزد له فى حرثه فنعطيه
بالواحد عشرا الى سبعمايئة فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها شيئا
منها على ما قسمناله وما له فى الاخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل
امرئ ما نوى ام لهم شركاء بل الهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم

وشركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم انهم متخذوها شركاء شياطينهم شرعوا بالتزيين
لهم من الدين ما لم يأذن به اللّٰه كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم
اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد التشرع اليها لانه سبب ضلالتهم
وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سنة لهم ولولا كلمة الفصل اى القضاء السابق
باحد الجزاء والعذاب بان الفصل يكون يوم القيمة لقضى بينهم بين الكافرين والمؤمنين
والمشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل
اى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الاخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب
الاليم غالب فى عذاب الاخرة ترى الظالمين يوم القيمة مشفقين خايفين مما كسبوا
من السيات وهو واقع بهم اى وباله لا محالة بهم اشفقوا او لم يشفقوا والذين امنوا
وعملوا الصالحات فى روضات الجنات اطيب بقاعها واتزهها لهم ما يشاؤن عند
ربهم اى ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم ذلك اشارة الى ما للمؤمنين هو الفضل الكبير
الذى يصغر دونه ما لغيرهم فى الدنيا ذلك الذى يبشر اللّٰه عباده الذين امنوا وعملوا
الصالحات ذلك الثواب الذى يبشرهم اللّٰه به فحذف الجار ثم العايد او ذلك التبشير الذى
يبشره اللّٰه عباده وقرئ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى يبشر من بشره وقرئ
يبشر من بشره قل لا اسئلكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا
منكم الا المودة فى القربى ان تودوا فى لقرابتى منكم او تودوا قرابتى وقيل الاستثناء
منقطع والمعنى لا اسئلكم اجرا قط ولكن اسئلكم المودة وفى القربى حالها منها اى الا المودة
ثابتة فى ذوى القربى متمكنة فى اهلها او فى حق القرابة او فى من اجلها كما جاء فى الحديث
الحب فى اللّٰه والبغض فى اللّٰه روى انها لما نزلت قيل يا رسول اللّٰه من قرابتك هؤلاء قال على
وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب الى اللّٰه اى الا ان تودوا اللّٰه ورسوله فى تقربكم
اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب
طاعة سم احب آل الرسول وقيل نزلت فى ابى بوكر ومودتهم نزد له فيها فى الحسنة
حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزداى يزد اللّٰه حسنى ان اللّٰه غفور لمن اذنب شكور
لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزادة ام يقولون بل يقولون افترى على
اللّٰه كذبا افترى محمد بدوعون النبوة والقران فان يشاء اللّٰه يختم على قلبك استيعاد
للافتراء عن مثله بالاشعار على انه انما يفترى عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا
بربه فاما من كان ذا بصيرة وسعرفة فلا وكانه ان يشاء اللّٰه خذلانك يختم على قلبك
ليجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك ينسك القران والوحى عنه ويربط
عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم ويمح اللّٰه الباطل ويحق الحق بكلماته انه

عليم بذات الصدور استيفاف لنفي الافتراء عنه يقولون بانه لو كان مفتريا لختمه
ازمن عبادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه او لوعده بمحو باطلهم
واثبات حقه بالقرآن او بقضائه الذي لا مرد له وسقوط الواو من يمح في بعض المصاحف
لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما
تابوا عنه والقبول يعدى اى مفعول ثان بمن وعن للتضمن معنى الاخذ والابانة
وقد عرف حقيقة التوبة وعن علي رضي الله هي اسم يقع على ستة معان على الماضي
من الذنوب الندامة ولتضييع الفرايض الاعادة وردّ المظالم واذابة النفس في الطاعة
كما اذاقها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفوا عن السيئات
صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما يفعلون فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة
وقرئ الكوفيون بالتاء غير ابي بكر ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اى يستجيب
الله لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء او الاثابة
على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله عليه السلام افضل
الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم من فضله
على ما سئلوا او استحقوا واستوجبوه بالاستجابة والكافرون لهم عذاب
شديد يدل بالمؤمنين من الثواب والتفضل ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء
وهذا على الغالب واصل البغي طلب تجاوز الاقتضاء فيما يجري الاقتصار فيما
يجري كيفية وكمية ولكن ينزل بقدر ما يشاء ما اقتضته مشيته انه بعباده
خبير بصير يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شانهم روى
ان اصل الصفة قنطوا الغني فنزلت وقيل في العرب كانوا اذا احصبوا انجاوا ونطوا
واذا اجدبوا اتجعوا وهو الذي ينزل الغيث المطر الذي يغشهم من الجدب ولذلك
خص بالنافع وقراء نافع وابن عامر وعاصم ما ينزل بالتشديد من بعد ما قنطوا
ايسوا منه وقرئ بكسر النون وينشر رحمته في كل شئ من السهل والجبل والنبات
والحيوان وهو الولي الذي يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق للحمد
على ذلك ومن آياته خلق السموات والارض فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود
الصانع قادر حكيم وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على
اطلاق اسم المسبب للسبب او مما يدب على الارض وما يكون في احد الشيئين
بصدد انه فيهما في الجملة وهو على جمعهم اذا يشاء في اى وقت يشاء قدير
متمكن منه واذا كما يدخل الماضي يدخل المضارع وما اصابكم من مصيبة فبما

فبما كسبت ايديكم بسبب معاصيكم والفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها
نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية ويعفوا عن كثير من الذنوب فلا يعاقب
عليها والاية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب احر منها تعريضه
للاجر العظيم بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فايتين ما قضي عليكم من المصائب
وما لكم من دون الله من ولي يجركم عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن
الجارية في البحر كالاعلام كالجبال قالت الخنساء وان صخرا لتام الهداة به كانه علم في
راسه نار ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر
البحر ان في ذلك لايات لكل صبار شكور لكل من وكل وكل همته وحبس نفسه على
النظر من ايات الله والتفكر في الاية او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان نصف
صبر ونصف شكر او يوبقهن او يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد
اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر
فيه على المقصود كما في قوله ويعفوا عن كثير اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا
بذنوبهم وينج ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستيناف ويعلم الذين
يجادلون في اياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء بنصب
الواقع جوابا للاشياء الستة لانها ايضا غير واجب وقراء نافع وابن عامر
بالرفع على الاستيناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك
قوم وانجاء قوم ويحذر اخرين مالهم من محيص محيد من العذاب والجملة متعلق عنها
الفعل فما اوتيتم من شيء متاع الحيوة الدنيا تمتعوا به مدة حيوتكم وما عند الله
من ثواب الاخرة خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون لخلوص نفعه ودوامه وما
الاولى موصوله تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب التمتع بها
في الحيوة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن علي رضي الله نصدق ابو بكر
رض بماله كله فلامه جمع فنزلت للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون
كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين بما بعد عطف على الذين
امنوا او مدح منصوبا ومرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبر الدلالة على انهم
الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقراء حمزة والكسائي كبير الاثم والذين استجابوا
لربهم نزلت في الانصار دعاهم رسول الله الى الايمان فاستجابوا له واقاموا الصلوة
وامرهم شورى بينهم ذو شورى لا ينصرفون براى حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه
وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور وهو مصدر كالقربى بمعنى التشاور
ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون على ما حمله

الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات
القبايل وهو لا يخالف وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسايرامهات الفضايل
وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن
مقاومة الخصم والحلم من المعاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء
واغراء على البغي ثم عقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدي فقال
وَجَزٰٓؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا وسمى الثانية سيية للازدواج او لانها تسوء من تنزل به
فَمَنْ عَفَا وَاَصْلَحَ بَيْنَهٗ وبين عدوه فَاَجْرُهٗ عَلَى اللّٰهِ عن مبهمة تدل على عظم
الموعود اِنَّهٗ لَا يُحِبُّ الظّٰلِمِيْنَ المبتدائين بالسيئة والمتجاوزين فى الانتقام
وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهٖ بعد ما ظلم وقد قرئ به فَاُولٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيْلٍ بالمعاتبة
والمعاقبة اِنَّمَا السَّبِيْلُ عَلَى الَّذِيْنَ يَظْلِمُوْنَ النَّاسَ يبتدؤنهم بالاضرار
او يطلبون ما لا يستحقون بجرا عليهم وَيَبْغُوْنَ فِى الْاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
اُولٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ على ظلمهم وبغيهم وَلَمَنْ صَبَرَ على الاذى وَغَفَرَ
ولم ينتصر اِنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْاُمُوْرِ اى ان ذلك منه فحذف كما حذف
فى قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به وَمَنْ يُّضْلِلِ اللّٰهُ فما له مِنْ وَّلِيٍّ
مِّنْۢ بَعْدِهٖ من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه وَتَرَى الظّٰلِمِيْنَ لَمَّا رَاَوُا الْعَذَابَ
حين يرونه فذكر بلفظ الماضى تحقيقا يَقُوْلُوْنَ هَلْ اِلٰى مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيْلٍ اى الى
رجعة الى الدنيا وَتَرٰىهُمْ يُعْرَضُوْنَ عَلَيْهَا على النار ويدل عليها العذاب خٰشِعِيْنَ
متذللين متقاصرين مما يلحقهم مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُوْنَ مِنْ طَرْفٍ خَفِىٍّ اى يبدئ
نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمقول ينظر الى السيف
وَقَالَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اِنَّ الْخٰسِرِيْنَ الَّذِيْنَ خَسِرُوْٓا اَنْفُسَهُمْ وَاَهْلِيْهِمْ بالتعريض
للعذاب المخلد يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ظرف لخسروا والقول فى الدنيا او لقالوا اى يقولون
اذا رأوهم على تلك الحال اَلَآ اِنَّ الظّٰلِمِيْنَ فِىْ عَذَابٍ مُّقِيْمٍ تمام كلامهم
او تصديق من الله لهم وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ اَوْلِيَآءَ يَنْصُرُوْنَهُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَمَنْ
يُّضْلِلِ اللّٰهُ فَمَا لَهٗ مِنْ سَبِيْلٍ الى الهدى او النجاة اِسْتَجِيْبُوْا لِرَبِّكُمْ مِّنْ قَبْلِ اَنْ يَّاْتِىَ
يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهٗ مِنَ اللّٰهِ لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة يأتى
اى من قبل ان يأتى يوم من الله لا يمكن رده مَا لَكُمْ مِّنْ مَّلْجَاٍ يَّوْمَئِذٍ مفر وَمَا لَكُمْ
مِّنْ نَّكِيْرٍ انكارا لما اقترفتموه لانه مدون فى صحايف اعمالكم يشهد عليه السنتكم
وجوارحكم فَاِنْ اَعْرَضُوْا فما ارسلناك عَلَيْهِمْ حَفِيْظًا رقيبا او محاسبا اِنْ عَلَيْكَ
اِلَّا الْبَلٰغُ وقد بلغت وَاِنَّآ اِذَآ اَذَقْنَا الْاِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا اراد بالانسان

بالانسان الجنس لقوله وَاِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيْهِمْ فَاِنَّ الْاِنْسَانَ كَفُوْرٌ بليغ
الكفران ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يناملها سببها وهذا وان اختص
بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية
الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققه من حيث انها عادة مقضية
بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع
الضمير فى الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ
وَالْاَرْضِ فله ان يقسم النعمة والبلية كيف يشاء يخلق ما يشاء من غير لزوم ومجال
اعتراض يَهَبُ لِمَنْ يَّشَآءُ اِنَاثًا وَّيَهَبُ لِمَنْ يَّشَآءُ الذُّكُوْرَ اَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَّاِنَاثًا
وَيَجْعَلُ مَنْ يَّشَآءُ عَقِيْمًا بدل من يخلق بدل البعض من البعض والمعنى يجعل احوال
العباد فى الولاد مختلفة على مقتضى المشية فيهب لبعض اناثا صرفا واحدا من
ذكرا وانثى والصنفين جميعا ولبعض آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر
للتكثير النسل اولان مساق الاية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشية
الله لا مشية الانسان والاناث كذلك اولان الكلام فى البلاء والعرب تعد من
بلاء اولتطييب قلوبهم ابائهن اولمحافظة على الفواصل ولذلك عرف المذكور اولجبر
التاخير وتغيير العاطف فى الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يخل
اليه الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المقدمة اِنَّهٗ عَلِيْمٌ قَدِيْرٌ
فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ وما صح له ان يكلم الله الا وحيا
كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس فى ذاته مركبا من حروف مقطعة تتوقف
على عوجات الصلوق والامتعاقية وهو ما يتم المشافهة به كما روى فى حديث المعراج
وما وعد به فى الرؤية واملهف به كما اتفق لموسى عم فى طوى والطور لكن عطف
اَوْ مِنْ وَّرَآئِ حجاب عليه يخصه بالاول فالاية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها
وقيل المراد به الالهام والالقاء فى الروع او الوحى المنزل به الملك الى الرسل
فيكون المراد به اَوْ يُرْسِلَ رَسُوْلًا فَيُوْحِىَ بِاِذْنِهٖ مَا يَشَآءُ او يرسل اليه بينا فبلغ
اليه وجه كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الوحى الى الرسول ووحيا
بما عطف عليه نصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والاصل
نوع من الكلام ويجوز ان يكون وَحْيًا وبرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا
وقعا حالا اَنَّهٗ عَلِيٌّ عن صفات المخلوقين حَكِيْمٌ يفعل ما يقتضيه حكمته
فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسطا ما عيانا واما من وراء حجاب وَكَذٰلِكَ
اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ وَحْيًا مِّنْ اَمْرِنَا يعنى ما اوحى اليه ما يوحى مَا كُنْتَ تَدْرِىْ مَا الْكِتٰبُ

ولا الايمان اى قبل الوحى وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا التسمع ولكن جعلناه نورا اى الروح او الكتاب او الايمان نهدى به من نشاء من عبادنا ما التوفيق المقبول والقاطر فيه انك لتهدى الى صراط مستقيم هو الاسلام وقرئ لتهدى اى لتهديك صراط الله بدل من الاول الذى له ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا الا الى الله تصيرا لامور يارتفاع الوسايط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبى صلى الله عليه وسلم من قراء سورة الزخرف مخ يقال له يوم القيمة يا عبادى لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون دخل الجنة بغير حساب سورة الزخرف مكية وقيل الا قوله وسئل من ارسلنا او اسها تسع وثمانون اية

سورة الزخرف مكية وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا اقسم بالقران على امة جعله قرانا عربيا وهو من البدايع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابى غام وثنايا ك انها غر يض ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقران من حيث انه معجز مبين طريق الهدى وما يحتاج اليه فى الديانة او بين المعرب يدل عليه انه تحاصبره كذلك لعلكم تعقلون لكى تفهموا معانيه وانه عطف على انا وقراء وحمزة والكسائى بالكسر على الاستيناف فى ام الكتاب فى اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب لدينا محفوظا عندنا عن التغيير لعلى رفيع الشان فى الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة او محكم لا نسخة غيره وهو خبران لان وفى ام الكتاب متعلق بعلى واللام لا تمنعه او حال منه ولدينا بدل منه او حال من الكتاب افنضرب عنكم الذكر صفحا افنذوه وننحيه عنكم مجازا من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال الطرف اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قوس الفرس والفاء للعطف على محذوف اى انهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير اللفظ فان تنحية الذكر عنهم اعراض ومفعول له او بمعنى صافحين واصله ان تولى الشئ صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا او يؤيده انه قرئ صفحا وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيفا صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على امتهم ليفهموا ان كنتم قوما مسرفين اى لان كنتم وهو فى الحقيقة علة منقضية لترك الاعراض

الاعراض وقراءنا فع وحمزة والكسائى ان بالكسر على ان الجملة الشرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء وكم ارسلنا من نبى فى الاولين وما ياتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه وانما اهلكنا اشد منهم بطشا اى من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم ومضى مثل الاولين وسلف فى القران قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعد لهم صلعم بمثل ما جرى على الاولين ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم لعله الزم مقولهم او ما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكانهم قالوا لله كما حكى عنهم فى مواضع اخر وهو الذى من صفته ما سوومن الصفات ويجوز ان يكون مقولهم وما بعد استيناف الذى جعل لكم الارض مهادا فتستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها لعلكم تهتدون لكى تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر فى ذلك والذى نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فانشرنا به بلدة ميتا ما عند الماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك مثل ذلك الانشار تخرجون تنشرون من قبوركم وقراء ابن عامر وحمزة والكسائى تخرجون بفتح التاء وضم الواء والذى خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدى بنفسه على المتعدى بغيره اذ يقال ركبته الدابة وركبت فى السفينة او المخلوق المركوب على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك قال تستووا على ظهوره ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم فيه تذكروها بقلوبكم مقرين بها حامدين عليها وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين من اقرن الشئ اذا اطاقه واصله وجده وقرنه اذا صعب لا يكون قرينة الضعيف وقراء بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه السلام انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اى راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للبعد والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله ولانه محطى فينبغى للراكب لا يغفل عنه وليستعد للقاء الله وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سالتهم اى وجعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزءا كما سمى بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالة على الواحد الحق فى ذاته وقراء جزءا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران من ذلك نسبة الولد الى الله لانها من فرط الجهل

والتحقير لشانه او اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين معنى الهمزة فى ام الانكار والتعجيب من شانهم حيث لم يصفوا ايمان جعلوا له من مخلوقاته لجزاء لحسر مما اختصهم وابغض لاجزاء اليهم بحيث اذا بشر احدهم اشد غمهم بها كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذى جعل له محالا اذ الولد لابد وان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود فى الغاية لما يفتر به من الكآبة وهو كظيم علو قلبه من الكرب وفى ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر فى الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان فى ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا اومن ينشأ فى الحلية اى اوجعلوا له لانه اتخذ من يتربى فى الزينة يعنى البنات وهو فى الخصام فى المجادلة غير مبين مقدر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأى ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر اى من هذا حاله ولدى فى الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا يمنعه كما عرفت وقرئ جزء والكسا وحفص ينشاء اى يربى وقرئ ينشؤه وينا شا بمعناه ونظيره ذلك اغلاه وغلاه وغالاه بمعنى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كفر اخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انعصم رأيا واحصهم ضبطا وقرئ عبيد وقرئ الحجازيان والبصريان عند على عثيل زلفاهم وانشاء وهو جمع لحم اشهدوا خلقهم احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو بتجهيل وتهكم بهم وقرأ شهد وا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين والاشهد وا بمدة بينهما ستكتب شهادتهم التى شهدوا بها على الملائكة ويسئلون اى عنها يوم القيمة وهو وعيد وقرئ ستكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهى ان الله جزاه وان له بنات وهن الملائكة ويسئلون من المسئلة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اى لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفى مشيته عدم العبادة على امتناع النهى عنها او على بنفى ذلك باطلا وعلى ان المشيئة ترجح بعض الممكنات على بعض ما مورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم من ذلك من علم ان هم الا يخرصون يتخاوون تحالا باطلا ويجوز ان تكون الاشارة الى اصل الدعوى كانه لما ابداء وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة بنى ان يكون بها من طريق العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال ام اتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن اوادعاتهم ينطق على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك الكتاب مستمسكون بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون اى لا حجة

اى لا حجة لهم عقلية ولا نقلية وانما جحوا فيه الى تقليد اباءهم الجملة والامة الطائفة التى يؤم كالرجلة للموحول اليه وقرئت بالكسر وهى الحالة التى تكون عليها الام اى القاصد منها الدين وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان التقليد فى نحو ذلك ضلال قديم وان مقديهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان سنتهم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اى اتتبعون اباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين اباءكم وهو حكاية امرها ض الى النذير او خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبؤيد الاول انه قرئ ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اى وان كان اهدى افاطا للنذير من ان ينظروا ويتفكروا فيه فانتقمنا منهم بالاستيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم واذ قال ابراهيم واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل وليقتدوه ان لم يكن بد من التقليد فانه اشرف اباءهم لابيه وقومه انى براء مما تعبدون برئ من عبادتكم ومعبودكم نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برئ وبراء كريم وكرام الا الذى فطرنى استثناء منقطع او متصل على ان ما يعم اولى العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة على ان ما موصوفة اى انني برآء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى فانه سيهدين سيثبتنى على الهداية او سيهدين الى مواراة ماهيانى وجعلها وجعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام والله تعالى كلمة التوحيد كلمة باقية فى عقبه فى ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة فى عقبه بالتخفيف فى عاقبه اى فيمن عقبه لعلهم يرجعون يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحده بل متعت هؤلاء هؤلاء العاصرين الرسول صلى الله عليه وسلم من قريش واباءهم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا فى الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة فى تغييرهم حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد والقرآن ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد بالحج والايات ولما جاءهم الحق لبتهم على غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به كافرون زاد واشراره نصوا على شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحرا وكفروا به

واستحقروا الرسول وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين من احدى القريتين
مكة والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد ابن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي
فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا انها زينة روحانية يستدعي
عظيم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية لا الترحرف بالزخارف
الدنيوية اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل وتعجيب لتحكمهم والمراد بالرحمة
النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها فكيف
حويصة امرهم في دنياهم فمن اين لهم ان يتدبروا امر النبوة التي هي اعلا المراتب
الانسية واطلاق الحسية يقتضي ان يكون حلالها وحرامها من الله تعالى ورفعنا
بعضهم فوق بعض درجات واوقفنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ليتخذ
بعضهم بعضا سخريا يستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف ونظام
ينتظم بذلك نظام العالم لا الكمال في الموضع ولا النقص في المقترح ان لا اعتراض
لهم علينا ولا تقترح فكيف يكون فيما هو على منه ورحمة ربك هذه يعني النبوة
وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام الدنيا والعظيم من رزق لامنها لا منه ولولا
ان يكون الناس امة واحدة لولا ان يرغبوا في الكفر اذا راوا الكفار في سعة وتنقم
لحبهم الدنيا يجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج
ومصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون يعلون السطوح
لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال وعلة كقولك وهب له ثوبا
لقميصه وقراء ابن كثير وابو عمرو وسقفا كشفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا
بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو في سقف لبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكؤن
اي ابوابا وسررا من فضة وزخرفا وزينة عطف على سقفا او ذهبا عطف على
محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ان هي المخففة واللام هي الفارقة
وقرئ عاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ مع ان وما والاخرة عند
ربك للمتقين عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على ان العظيم وهو العظيم في الاخرة لا
في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجمع الناس على الايمان وهو انما
يمنع قليلا بالاضافة الى ما لهم في الاخرة متحلية في الاغلب لما فيه من الافات
قل من تخلص عنها كما ارشا اليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام ويعرض
عنه لغرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح اي يعمى
يقال عشي اذا كان في اثر بصره آفة وعشي اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ
يعشى على ان موصولة نقيض له شيطانا يوسوسه ويقويه قائما وقراء يعقوب

بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن وقع بعشوا ينبغي ان يرفعه فهو له
قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذي من حقه ان يسلك وجمع الضمير
للمعنى اذ المراد جنس العاصي والشياطين المقبوض له ويحسبون انهم مهتدون
الظاهر الثلثة الاول والباقيات للشيطان حتى اذا جاءنا اي العاشي وقرئ
الحاء ذيان وابن عامر وابو بكر جانا اي العاشي والشيطان قال اي العاشي للشيطان
يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين بعد المشرقين من المغرب فغلب المشرق وثنى
واضيفا للبعد الهما فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم اي ما انتم عليه من التمني
اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا بدل من اليوم انكم في العذاب مشتركون لان
حقكم ان تشتركوا وشياطينكم في العقاب كما كنتم مشتركون في سببه ويجوز ان يسند
الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراكهم في العذاب كما ينفع الواقعين في امر صعب
معاونتهم في تحمل اعبائه وتنقسمهم بكابده عنابه اي لكل ما لا يسعه طاقة وقرئ انكم
بالكسر وهو يقوي الاول افانت تسمع الصم او تهدي العمي انكار يعجب من ان يكون
هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث
صار عشاهم عما مقرونا بالصميم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبه في دعاء
قومه وهم لا يزيدون الا عتوا فنزلت ومن كان في ضلال مبين عطف على المعنى باعتبار
تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى فاما نذهبن
بك اي فان قبضناك ان ينصرك عذابهم وما من مدة موكدة بمنزلة لام القسم في
استجلاب النون المؤكدة فانا منهم منتقمون بعذاب في الدنيا والاخرة او نرينك الذي
وعدناهم اوان اردنا ان نريك ما وعدناهم من العذاب فانا عليهم مقتدرون
لا يفوتنا فاستمسك بالذي اوحي اليك من الايات والشرايع وقرئ اوحي على البناء
للفاعل وهو الله تعالى انك انك على صراط مستقيم لا عوج له وانه لذكر لشرفك
ولقومك وسوف تسئلون اي عنه يوم القيمة وعن قيامكم بموجبه واسئل
من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي اسئل امهم وعلماء دينهم اجعلنا من دون
الرحمن الهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من ملتهم
والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع
ابتدعه فيكذب ويعاند له فانه كان اقوى ما هم على التكذيب والمخالفة ولقد
ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين يريد باقتصاصه
تسلية الرسول ومنافضة قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد فلما جاءهم بآياتنا اذا هم

منها يضحكون فاذا جاؤا وقت ضحكهم منها اى استهزؤا بها اول ما راوها ولم يتأملوا
فيها وما نريهم من اية الا هى اكبر من اختها الا وهى بالغة اقصى درجات الاعجاز بحيث
يجب النظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الايات والمراد وصف الكل بالكبر
كقولك رايت رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله من منهم بقتل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التى يسرى بها الساري او الا وهى مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها
بذلك الاعتبار وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ كالسنين والطوفان والجراد لعلهم يَرْجِعُونَ
على وجه يرجى رجوعهم وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ناروه بذلك فى تلك الحال لشدة
شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم يسمون العالم الباهر ساحرا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا
عَهِدَ عِندَكَ من النبوة او من يستجيب دعوتك وان يكشف العذاب عنا عمى اهتدى
او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ فلما كشفنا عَنْهُمُ
الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ فاجاؤا نكث عهدهم بالاهتداء وَنَادَى فِرْعَوْنُ بنفسه او ينادبه
فِي قَوْمِهِ فى مجمعهم او فيما بلغهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم قَالَ
يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ انها والنيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر
طولون ونهر دمية ونهر يشبس تجرى من تحتى تحت قصرى وامرى وبين يدى
فى جنانى والواو اما عاطفة لهذه على الملك وتجرى حال منها او واو حال
وهذه مبتداء والانهار صفتها وتجرى خبرها أَفَلَا تُبْصِرُونَ ذلك أَمْ أَنَا خَيْرٌ مع
هذه المملكة والبسطة مِّنْ هَذَا الذى هو مهين ضعيف حقير لا يستعد للرياسة
من المهانة وبنى القلة وَلَا يَكَادُ يُبِينُ الكلام لما به من الرشد فكيف يصلح للرياسة
وامر اما منقطعة والهمزة فيها للتقدير اد من اسباب فضله او متصلة على
اقامة المسبب مقام السبب والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون انا خير منه فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ اى فهلا القى عليه مقاليد الملك ان كان
صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب واساوير
جمع اسوار بمعنى السوار واساورة على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ به
وقرئ يعقوب وحفص اسورة وهى جمع اسوار التى عليه اسورة واساور على البناء
للفاعل وهو الله تعالى أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ مقرونين بعضهم ببعض او يصدقونه
من قرنه فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فَاسْتَخَفَّ قومه فطلب منهم
الخفة فى مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ فلذلك اطاعوه ذلك الفاسق فَلَمَّا آسَفُونَا اغضبونا بالافراط وفى
العضاد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ

فاغرقناهم اجمعين فى اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم فى
استحقاق مثل عقباهم مصدر نعت او جمع سالف كخدم وخادم وقراء حمزة والكسائى
بضم السين واللام جمع سليف كرغف وسالف كصبر او سالف كحدث وقرئ سلفا
بابدال الضم اللام فتحة او على انه جمع سلفة اى ثلة سلفت وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ اى عظة لهم
او قصة عجيبة تسير سير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون فلما ضرب ابن مريم
مَثَلًا اى ضربه ابن الزبعرى لما دل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى اهل كتاب وهم يعبدون
عيسى ويزعمون له ابن الله والملائكة اولى بذلك وعلى قوله واسئل من ارسلنا قبلك من رسلنا
او ان محمدا يزعم انه يعبد كما عبد المسيح إِذَا قَوْمُكَ قريش مِنْهُ من هذا المثل يَعْدِلُونَ
يعجون فرحا لظنهم ان الرسول صار ملزما به وقراءة نافع وابن عامر والكسائى بالضم
من الصدود اى يصدون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف
وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ اى الهتنا عندك ام عيسى فان كان فى النار فلتكن الهتنا معه
او الهتنا الملائكة خيرا او عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت الهتنا اولى
بذلك او الهتنا خيرا ام محمد فنعبده وندع الهتنا ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا لاما ضربوا هذا
المثل الا لاجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ شداد
الخصومة حراص على اللجاج انهوا لا عبد انتمنا عليه بالنبوة وَجَعَلْنَاهُ لبنى اسرائيل امرا
عجبا كالمثل السائر لبنى اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا
مِنكُم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب ولجعلنا بدلكم ملائكة فِي الْأَرْضِ
يَخْلُفُونَ يخلفونكم فى الارض والمعنى ان حال عيسى وان كانت عجيبة فالله تعالى
قادر على ما هو اعجب من ذلك وان سبحانه والملائكة مثلكم من حيث انهما ذوات ممكنة
يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب
الى الله تعالى وَإِنَّهُ وان عيسى لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ لان حدوثه او نزوله من اشراط الساعة
يعلم به دنوها او لان احياء الموتى يدل على قدرة الله عليه وقرئ لعلم اى لعلامة ولذكر
على تسميته ما يذكر به ذكرا وفى الحديث ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها
افيق وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتى بيت المقدس والناس فى صلوة الصبح فتأخر
الامام فيتقدمه عيسى ويصلى على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير
ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنايس ويقتل النصارى الا من امن به وقيل الضمير
للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا فلا تشكن فيها
واتبعونى وابتغوا هداى وشرعى او رسولى وقيل هو قول الرسول امر ان بقوله هذا

الذى ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل سالكه ولا يصدنكم الشيطان عن المبالغة
انه لكم عدو مبين ثابت عداوته بان اخرجكم عن الجنة وعرضكم للمسبة ولما جاء عيسى
بالبينات بالمعجزات او بايات الانجيل او بالشرايع الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة
بالانجيل والشريعة ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين
لا يتعلق بامر الدنيا فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه الصلوة والسلام
انتم اعلم بامر دنياكم فاتقوا الله واطيعون فيما ابلغه عنه انه هو ربى وربكم
بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرايع هذا صراط
مستقيم بالاشارة الى مجموع الامرين هو تمة كلام عيسى او استيناف من الله يدل على ما
هو المقتضى للطاعة فى ذلك فاختلف الاحزاب من بينهم من بين النصارى واليهود
والنصارى من بين قومه المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم اليم
هو يوم القيمة هل ينظرون الا الساعة الضمير لقريش او للذين ظلموا ان تاتيهم
بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة بغتة فجاءت وهم لا يشعرون
غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها الاخلاء الاحباء يومئذ
بعضهم لبعض عدو اى يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتحابون له
سببا للعذاب الا المتقين فان تظنهم لما كانت فى الله تبقى نافعة ابدا الا يا عبادى
لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون
فى الله يومئذ الذين امنوا بايات تناصفة المنادى وكانوا مسلمين حال من الواو والى
الذين امنوا مخلصين غير ان هذه العبارة اكد ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم
المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر جارة اى اثره على وجوهكم او تدينون
من الحبرى حسن الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه والجوق المبالغة فيما وصف
بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب الصحاف جمع صحيفه والاكواب
جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها وفى الحفة ما يشتهى الانفس وقرا نافع وابن
عامر وحفص ما تشتهيه على الاصل وتلذ الاعين بمشاهته وذلك تتميم
بعد تخصيصه ما بعد من الزوايد فى النعم والتلذذ وانتم فيها خالدون فان كل
نعيم زائل موجب الكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحزن فى ثانى الحال
وتلك الجنة التى اورثتموها تبتة جزاء العمل الميراث لانه يخلفه عليه العامل
وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقف مبتداء والجنة خبرها والتى اورثتموها
صفة او الجنة صفة لتلك والتى خبرها او صفتها والخبر بما كنتم تعملون
وعليه يتعلق الباء بمحذوف لا بما ورثتموها لهم فيها فاكهة كثيرة

كثيرة منها تاكلون بعضها تاكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تقصيل الشتم بالمطاعم
والملابس ونكرين فى القران وهو حقير بالاضافة الى سائر نعائم الجنة لما كان بهم
من الشدة والناقة ان المجرمين الكاملين فى الاجرام وهم لانه جعل قسيم المؤمنين بالايات
وحكى عنهم ما يحصل بالعكس فى عذاب جهنم خالدون خبران وخالدون خبر والظرف متعلق
لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب وهم فيه
فى العذاب مبلسون ايسون من الخيرة وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمون من مثله غيره
منه وهم فعل ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا ومضموما ولعله اشعار
بانهم لضعفهم لا يستطيعون نادية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا ليقض
علينا ربك والمعنى سل ربنا ان يقضى علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لا ينافى
بلاسهم فانه جواب وتمنى للموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون لا خلاص لكم بموت
ولا غيره لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان فى قال ضمنا
والا فجواب منه ولعله تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك ولكن اكثركم للحق كارهون
لما فى اتباعه من تعاب النفس واداب الجوارح ام ابرموا امرا فى الحق وده ولم يقصدوه
على كراهته فانا مبرمون ام فى مجازاتهم والعدول من الخطاب للاشعار بان ذلك انبوء
من كراهتهم او احكم المشركون امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدا بهم وتوبيخ قوله
ام يحسبون اما لا نسمع سرهم حديث نفسهم بذلك ونجواهم وتناجيهم بلى نسمعها
ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازموهم يكتبون ذلك قل ان كان للرحمن ولد
فانا اول العابدون منكم فان النبى صلى الله عليه وسلم يكون اعلم بالله وبما يصح له
وما لا يصح واولى بتعظيمهم ما يوجب بعظيمه ومن يعظم الوالد يعظم ولده ولا يلزم
من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيها على
ابلغ الوجوه كقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا يعبرون لو لم مشعرة بانتفاء
الطرفين وانتفاء هنا لا يشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية معلوم اللازم الدال
على ان نكاره للولد ليس بعناد ومراغمة لو كان انكاره اولى الناس بالاعتراف به
وقيل بعناه ان كان له ولد فى زعمهم فانا اول العابدين لله الموحدين له والانعبد
منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا استنكفه او ما كان له فانا اول الموحدين
من اهل مكة وقراء حمزة والكسائى ولد بالضم وسكون اللام سبحان رب السموات
والارض رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا
ذات استمرار تبرات عما يتصف به سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها
وخالقها فذرهم يخوضون فى باطلهم ويلعبوا فى دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذى

يوعدون وهو لفيمة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى فانهم مطبوع قلوبهم
معذبون فى الاخرة وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله مستحق لان يعبد فيهما والظرف
متعلق به لانه بمعنى المعبود او تضمن معناه كقولك هو خاتم فى البلد وكذا من قرأ الله
الراجع مبتداء محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله
خبر اله لانه لا يبقى عائد لكن لو جعل صلة وقد دلا له مبتداء محذوف يكون به جملة
مبينة للصلة دلالة على ان كونه فى السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفى
الالهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالهية وهو الحكيم العليم
كالدليل عليه وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما كالهوى وعنده
علم الساعة العلم بالساعة التى تقوم القيمة فيها واليه يرجعون للجزاء قراء نافع وابن
عامر وابو عمرو وعاصم ويروح بالتاء على الالتفات للتهديد ولا يملك الذين يدعون
من دونه الشفاعة كما زعموا انهم شفعاء هم عند الله الا من شهد بالحق وهم يعلمون
بالتوحيد والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج
الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم
سألت العابدين الى المعبودين ليقولن الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره
فانى يؤفكون يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره وقيله وقول الرسول ونصبه للعطف
على سرهم او على محل الساعة او الاضمار فعله اى وقال وقيله وجره عاصم وحمزة عطفا
على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتداء خبره يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون او
معطوف على علم الساعة بتقدير ومضاف وقيل هم قسم منصوب بحذف الجار او
مجرور باضماره او مرفوع بتقدير وقيله يا رب قسمى وان هؤلاء حواله فاصفح عنهم
فاعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم وقل سلام تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون
تسلية الرسول وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالياء على انه من المأمور بقوله عن النبى
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف من كان ممن
يقال له يوم القيمة يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون

سورة الدخان تسع وخمسون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين القرآن والواو للعطف ان كانت
مقسما بها والا فللقسم والجواب قوله انا انزلناه فى ليلة مباركة فى القدر او البراءة ابتدئ
فيها انزاله او انزال فيها جملة الى سماء الدنيا فى الموج ثم انزل الى الرسول صلى الله
عليه وسلم نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية

اولها فيها من نزول الرحمة والملائكة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الافضية
انا كنا منذرين استيناف تبين به المقتضى للانزال وكذلك قوله فيها يفرق كل امر
حكيم فان كونها مفرق الامور المحكمة والملتبسة بالحكمة يستدعى ان ينزل فيها
القرآن الذى هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما اعتراض
وهو يدل على ان ليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تعالى تنزل الملائكة والروح
فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل اى يفرقه الله وتفرق
بالنون امرا من عندنا اى عنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمنا وهو
مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل امر وضميره المستكن فى حكيم لانه موصوف
وان يكون المراد به مقابل النهى وقع مصدرا ليفرق او لفعله مضمرا من حيث
ان الفرق به اوحالا من احدى ضميرى انزلناه بمعنى امرنا وما مورا انا كنا مرسلين
رحمة من ربك بدل من كنا منذرين اى انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل
بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان
التربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية او علة ليفرق او امرا ورحمة
مفعول به اى يفصل فيها كل امر ويصدر الاوامر من عندنا الان من شأننا ان نرسل
رحمة فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة
وقرئ رحمة اى تلك رحمة انه هو السميع العليم يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو وما
بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه صفاته رب السموات والارض وما بينهما
خبر اخر واستيناف وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين ان كنتم
من اهل الايقان فى العلوم وان كنتم موقنين فى اقراركم اذا سألتم من خلقهما فقلتم
الله علمتم ان الامر كما بيناه او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو
اذ لا خالق سواه يحيى ويميت كما تشاهدون ربكم ورب اباءكم الاولين وقرئا
بالجر بدلا بل هم فى شك يلعبون رد لكونهم موقنين فارتقب فانتظرهم يوم تأتى
السماء بدخان مبين يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان
من ضعف بصره ولان الهوى يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار ولان
العرب تسمى الشر الغالب دخانا وقحطوا حتى كلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد
الاتيان الى السماء لان ذلك بكفه عن الامطار ويوم ظهور الدخان المعدود فى
اشراط الساعة لما روى انه عليه الصلوة والسلام لما قال ذات الايات الدجال
ونزول عيسى ونارا تخرج من قعر عدن اباين تسوق الناس الى المحشر وما الدخان
قتلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب

تمكثا اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران
يخرج من منخريه واذنيه ودبره او يوم القيمة والدخان يحمل المعنيين يغشى الناس يحيط
بهم صفة الدخان وقوله هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون بمقدر
تقول تقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم انى لهم الذكرى
من اين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحال وقد جاءهم رسول مبين بين لهم ما هو
اعظم منها فى ايجاب الاذكار من الايات والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون
قال بعضهم بعلمه غلام اعجمى لبعض ثقيف وقال اخرون انه مجنون انا كاشفوا العذاب
بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا
قليلا وهو ما بقى من اعمارهم انكم عائدون الى الكفر عند الكشف من فسر الدخان
بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم
بعد الاربعين فربما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسر بما فى القيمة اوله بالشرط
والتقدير يوم نبطش البطشة الكبرى يوم القيمة او يوم بدر ظرف لفعل دل
عليه انا منتقمون لا المنتقمون فان ايجزه عنه او بدل من يوم يأتى وقرئ نبطش
بجعل البطشة الكبرى باطشة بهم او بحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول
بصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحنا ما دساموسى اليهم او اتعناهم
فى الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتاكيد او لكثرة
القوم وجاءهم رسول كريم على الله لو على المؤمنين او فى نفسه لشرف نسبه
وفضل حسبه ان ادوا الى عباد الله بان ادوا الى وارسلوهم معى وبان ادوا الى
حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز ان يكون ان مخففة ومفسرة
لان مجئ الرسول يكون برسالة ودعوة انى لكم رسول امين غير منهم لدلالة
المعجزات على صدقه او لايتمان الله اياه على وجه وهو علة الامر وان لا تعلوا
على الله ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وان كان الاولى فى
وجوهها انى اتيكم بسلطان مبين علة للنهى ولذكر الامين مع الاداء والسلطان
مع العلامتان لا يخفى وانى عذت بربى وربكم النجاة اليه وتوكلت عليه ان ترجمون
ان تؤذون ضربا او شتما او ان تقتلونى وقرئ بالادغام وان لم تؤمنوا فاعتزلون
فكونوا بمعزل منى لا على ولا لى ولا تتعرضوا الى بسوء فانه ليس جزاء من دعاءكم الى ما فيه
فلاحكم فدعا ربه بعد ما كذبوه ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون وهو التعريض
بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر اضمار القول
فاسر بعبادى ليلا اى فقال اسر وقال ان كان الامر كذلك فاسر وقرئ ابو عمرو

ابو عمرو ويوصل الهمزة من سرى انكم متبعون مقتوحا نافية واسعة او ساكنا على
بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تفزم منه شيئا ليدخله القبط انهم جند مغرقون
وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا كثيرا تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم
محافل مزينة ومنازل حسنة ونعمة وتنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين كانوا وقرئ فكهين
كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك واورثناها عطف على الفعل
المقدر او على تركوا قوما اخرين ليسوا منهم فى شئ وهم بنى اسرائيل وقيل غيرهم لانهم
لم يعودوا الى مصر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكثرات بهلاكهم
والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليه السماء وكشفت لهلكه الشمس فى نقيض
ذلك ومنه ما روى فى الاخبار ان المؤمن يبكى عليه مصلاه وموضع عبادته
ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقدير فما بكت عليهم اهل السماء والارض وما كانوا
منظرين ممهلين الى وقت اخر ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من استعباد فرعون
وقتله ابناءهم من فرعون بدل من العذاب على حذف المضاف وجعله عذابا لافراطه فى
التعذيب او حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من ونعون على الاستفهام تكيرا
لتكبره ما كان عليه من الشيطنة انه كان عاليا متكبرا من المسرفين فى العتو والشرارة وهو
خبر ثان اى كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير فى عاليا اى كان رفيع الطبقة من بينهم ولقد
اخترناهم اخترنا بنى اسرائيل على علم عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون
فى بعض الاحوال على العالمين لكثرة الانبياء فيهم او على زمانهم واتيناهم من الايات كفلق
البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ما فيه بلاء مبين نعمة جليلة او اختبار ظاهر
ان هؤلاء كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم
مثلهم فى الاصرار على الدلالة والانذار عن مثل ما حل ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى
ما الغاية ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد فيه الى
الى اثبات مابية كما فى قولك جد زيد لجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون
موتة يعقبها حيوة كما يقتد منكم موتة كذلك قالوا ان هى الا موتتنا الاولى وما نحن
بمنشرين بمبعوثين فاتوا بابائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين
ان كنتم صادقين فى وعدكم ليدل عليه اهم خير فى القوة والمنعة ام قوم تبع تبع
الحميرى الذى سار بالجيوش وغير الحبر وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه
كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه الصلوة والسلام ما ادرى كان تبع نبيا
او غير نبى وقيل الملوك اليمن اتبعوه لانهم يتبعون كما قيل الا تبابعة لانهم يتقيلون
والذين من قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم استيناف بال قوم تبع والذين من بعدهم

هم وبه كفار قريش وحال باضمار قد اخبر من الموصول ان استونف به انهم كانوا مجرمين بيان الجامع المقتضى لاهلاكه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعيين لاعبين وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الانبياء وغير ما خلقناها الا بالحق الا بسبب الحق الذى اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة والبعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم ان يوم الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء وفصل الرجل عن اقاربه واجتثاثه بميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اى ميعاد جزائهم في يوم الفصل يوم لا يغنى بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا له للفصل مولى من قرابة او غيرها عن مولى اى مولى كان شيئا شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين وبمعنى الزقوم سبق في الصافات طعام الاثيم الكثير الاثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يعمل في النار حتى يذوب وقيل دردى الزيت يغلى في البطون وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا للمهل اذ لا يظهر ان الجملة حال من احدها كغلى الحميم غليانا مثل عليه خذوه على ارادة القول والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه العتل اخذ بمجامع الشئ وجوه يقهر وقرئ بالحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان الى سواء الجحيم وسطه ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم كأن احدا يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من دلالة على ان المنصوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اى وقوله ذلك استهزاء به وتقريعا على ما كان يزعمه وقرئ الكسائى انك بالفتح اى ذق لانك او عذاب انك ان هذا اى العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه ان المتقين في مقام في موضع اقامة وهو قراءة نافع وابن عامر والباقون بفتح الميم امين يأمن صاحبه من الافة والانتقال في جنات وعيون بدل من مقام جئ به للدلالة على تزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استيناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معربان ومشتق من البراقة متقابلين في مجالس السهم

في مجالس بعضهم ببعض كذلك الامر او اتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن ولذلك عدى بالباء والحور البيض والعين عظيمة العين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرهن يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويأمرون باحضارها يشتهون من الفواكه ولا يخصص شئ منها بمكان ولا زمان امنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يخلدون فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل والضمير للاخرة والموت اول احوالها والجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشارها عنده فكأنه فيها والاستثناء للمبالغة في تعميم البقى وامتناع الموت وكأنه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ ووقيهم عذاب على المبالغة فضلا من ربك اى عطف كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع اى ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص على المكان موفر بالمطالب فانما يسرناه بلسانك سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو تذكرة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكرون بما لم يتذكروا فارتقب ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك عن النبى عليه السلام من قراءة سورة الدخان ليلة الجمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية سبع وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديد الحروف كان تنزيل مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان في السموات والارض لايات للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان لا يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف اليه باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستحماعه مما يتم به معاشه الى تيسير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار ايات لقوم يوقنون محمول على محل ان واسمها وقراء حمزة والكسائى ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به الارض بعد موتها بعد يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرئ حمزة والكسائى وتصريف الريح ايات لقوم يعقلون فيه الفرأتان ويلزمها العطف على عاملين وفي الابتداء او ان الا ان يضمر في او ينصب ايات على الاختصاص او رفع باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلث لاختلاف الايات الثلث في الوقة والظهور تلك ايات الله تلك الايات دلائله نتلوها عليك حال عاملها معنى

الاشارة بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون
اى بعد ايات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما فى قولك اعجبنى زيد وكرمه
او بعد حديث الله وهو القران لقوله تعالى الله نزل احسن الحديث وآياته دلائله
المتلوة او القران والعطف لتغاير الوصفين وقراء الحجازيان وحفص وروح يؤمنون
بالياء لبوافق ما قبله ويل لكل افاك اثيم كذاب آثم كثير الاثام يسمع آيات الله تتلى
عليه ثم يصر يقيم على كفره متكبرا عن الايمان بالايات وثم لاستبعاد الاصرار بعد
سماع الايات كقوله يرى عمرات الموت ثم يزورها كان لم يسمعها اى كانه فخفف وخفف
ضمير الشان والجملة فى موقع الحال اى يصير مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره
والبشارة على الاصل والتهكم واذا علم من اياتنا شيئا واما بلغه شئ من اياتنا وعلم انه
منها اتخذها هزوا كذلك من غير ان يرى فيها ما يناسب الهمزة والضمير لاياتنا وفائدته
الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من الايات بادر الى الاستهزاء بالايات كلها
ولم يقتصر على ما سمعه اولشئ لانه بمعنى الايات اولئك لهم عذاب مهين من وراءهم
جهنم من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانه بعد اجالهم ولا يغنى عنهم
ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون
الله اولياء اى الاصنام ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه هذا هدى الاشارة الى القران
ويدل عليه قوله والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقراء ابن كثير ويعقوب
وحفص برفع الميم والرجز اشد العذاب الله الذى سخر لكم البحر بان جعله اماسا للسطح
يطفوا عليه ما يتحمل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجرى الفلك بامره بتسخيره
وانتم راكبوها ولعلكم تشكرون هذه النعم وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض
جميعا بان خلقها نافعة لكم منه حالا اى سخر لكم هذه الاشياء كائنة منه او خبر
لمحذوف اى هى جميعا منه اولما فى السموات وقرئ منه على المفعول له ومنه على انه
فاعل سخر على الاسناد المجازى او خبر محذوف ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون
فى صنايعه قل للذين امنوا يغفروا حذف المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم
اغفروا يغفروا اى يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائعه
باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعهم اولا يأملون الافات التى وقتها لنصر
المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والاية نزلت فى عمر شتمه عفاري فهم ان يبطش به
وقيل انها منسوخة باية القتال ليجزى قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والمعنى
هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع
والكسب للمغفرة او الاساءة او يعمهما وقراء ابن عامر وحمزة والكسائى ليجزى

ليجزى بالنون وقراء ليجزى قوم وليجزى قوما اى ليجزى الخير والشر والجزاء اعنى
ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه سيتامع به ضعيف من عمل صالحا فلنفسه
ومن اساء فعليها اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون فيجازيكم
على اعمالكم ولقد اتينا بنى اسرائيل الكتاب التورية والحكم النظر والعلمة او فصل
الخصومات والنبوة اذ اكثر فيهم الانبياء ما لم يكثر فى غيرهم ورزقناهم من الطيبات
مما احل الله من اللذائذ وفضلناهم على العالمين حيث اتيناهم ما لم نوت غيرهم
واتيناهم بينات من الامر ادلة فى امر الدين وتندرج فيها المعجزات وقيل ايات
من امر النبى صلى الله عليه وسلم مبينة لصدقه فما اختلفوا فى ذلك الامر بعد ما
جاءهم العلم بحقيقة الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون بالواحدة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر
امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهوا الذين لا يعلمون اراء
الجهال التابعة للشهوات وهم رؤسا القريش قالوا له ارجع الى دين اباءك
انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك وان الظالمين بعضهم اولياء بعض
اذ الجنسية علة الانظام فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولى المتقين فواله
بالنصر واتباع الشريعة هذا اى القران او اتباع الشريعة بصائر للناس بينات
تبصرهم وجه الفلاح وهدى من الضلال ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون بطلوب
اليقين ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار
الحسبان والاحتراز الاكتساب ومنه الخارجة ان تجعلهم ان نصيرهم
كالذين امنوا وعملوا الصالحات مثلهم وهو ثانى مفعول بجعل وقوله سواء محياهم
ومماتهم بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون
حيوتهم ومماتهم بيان فى البهجة والكرامة كما هو للمؤمن وبدل عليه قراءة حمزة والكسائى
وحفص سواء بالنصب على البدل والحال من الضمير فى الكاف والمفعولية والكاف
حال وان كان الثانى فحال منه او استيناف مبين لمقتضى الانكار وان كان لهما
فبدل وحال من الثانى وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات فى الكرامة
او ترك المواخذة كما استووا فى الرزق والصحة فى الحيوة او استيناف مقرر لتساوى
محيا كل صنف ومماته فى الهدى والضلال وقرئ ومماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم
ظرفان كقدم الحاج سواء ما يحكمون ساء حكمهم هذا بالحق او بشئ حكموا به ذلك
وخلق الله السموات والارض بالحق كانه دليل علم الحكم السابق من حيث ان خلق
ذلك المقتضى للعدل يستدعى على انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت

بين المسيء والمحسن واذا لم يكن في الجزا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت
عطف على ما الحق لانه في معنى العلة او علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته
او ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون بنقص ثوابه وتضعيف عذابه وتسمية ذلك
ظلما ولو فعله الله لم يكن ذلك منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء
والاختبار افرأيت من اتخذ الهه هواه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى
فكانه يعبده وقرئ واذا راى احسن منه رفضه اليه واضله الله وخذله على علم
عالما بضلاله وفساد جوهره ووجه وختم على سمعه وقلبه فلا يبالي بالمواعظ
ولا يتفكر في الايات وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار
وقرئ حمزة والكسائي غشوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله افلا تذكرون
وقرئ تذكرون وقالوا ما هي ما الحيوة او الحال الا حيوتنا الدنيا نحن التي فيها
نموت اي لكون اموات نطفا وما قبلها ونحيى من بعد ذلك او نموت بانفسنا
ونحيى بابقاء اولادنا او يموت بعضا ويحيا بعض ويصيبنا الموت والحيوة فيها
وليس وراء ذلك حيوة ويحتمل انهم اراد وا به الشائع فانه عقيدة اكثر عبدة
الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الامرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم
من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما
يتعلق بها على الاستقلال وانكار البعث وكليهما انهم الا يظنون اذ لا دليل لهم
عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او مبينات له ما كان حجتهم ما كا
لهم متشبث يعارضونها به الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين انما سماه
حجة على حسبانهم ومساقهم او على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه
من عدم حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دل عليه
الحج ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه فان من قدر على الابتداء قدر على الاعادة
والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما قدر مرارا والوعد المصدق بالايات دل على
وقوعها واذا كان كذلك امكن الايتان بابائهم لكن الحكمة اقتضت بعادا يوم
الجمع للجزاء ولكن اكثر هم لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه ولله
ملك السموات والارض تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة يومئذ
يخسر المبطلون اي ويخسر يوم الساعة ويومئذ بدل منه وترى كل امة جاثية
تجمعه من الجوة وهي الجماعة او بادكة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية
اي جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة تدعى الى كتابها صحيفة

صحيفة اعمالهم وقراء يعقوب كل على انه بدل الاول وقد عدي صفة او مفعول ثان لتدعى اليوم تجزون
ما كنتم تعملون محمول على قول هذا كتابنا اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر
الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان
انا كنا نستنسخ فنستكتب الملائكة ما كنتم تعملون اعمالكم فاما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته التي من جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين
الظاهر الخلوصة عن الشوائب واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم اي فيقال
لهم الم يأتكم رسلي فلم تكن اياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود
واستغناء بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين قوما عادتهم
الاجرام واذا قيل ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق كائن هو ومتعلقه لا محالة
والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود وقراء حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم
ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة استغرابا لها ان نظن الا ظنا اصله نظن ظنا
فادخل حرفا النفي والاستثناء لاثبات الظن ونفي ما عداه كانه قال ما نحن الا نظن ظنا
او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكد بقوله وما نحن بمستيقنين اي لامكانه ولعل
ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من اباءهم وما تليت عليهم من الايات في امر الساعة
وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها
او جزاؤها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وهو الجزاء وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب
ترك المنسي كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم
اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم
ايات الله هزوا استهزاتم بها ولم تتفكروا فيها وغركم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حيوة
سواها فاليوم لا يخرجون منها وقراء حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون
يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض
رب العالمين اذ الكل نعمته منه الدال على كمال القدرة وله الكبرياء في السموات والارض
اذ ظهر فيها اثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم في ما قضى فاحمدوه وكبروه واطيعوا له
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف وهي ثلاث وثلاثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما يقتضيه الحكمة والعدالة
وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا واجل مسمى وبتقدير

اجل مسمى ينتهى اليه الكل وهو يوم القيمة او كل واحد وهو مدة بقائه المقدر له والذين
كفروا عما انذروا من هول ذلك الوقت ويجوز ان يكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون
فيه ولا يستعدون لحلوله قل ارايتم ما تدعون من دون الله ارونى ماذا خلقوا من الارض
ام لهم شرك فى السموات اى اخبرونى عن حال الهتكم بعد تامل فيها هل يعقل ان يكون لها
فى نفسها مدخل فى خلق شئ من اجزاء العالم فيستحق به العبادة وتخصيص الشرك
بالسموات احتراز عما يتوهم ان الوسائط شركة فى ايجاد الحوادث السفلية ائتونى
بكتاب من قبل هذا من قبل هذا الكتاب يعنى القران فانه ناطق بالتوحيد او اثارة من علم
او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة
او الامر به ان كنتم صادقين فى دعواكم وهو الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما بعد
بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ اثارة بالكسر اى مناظرة فان المناظرة تثير
المعانى واثرة اى شئ او ثرتم به بالحركات الثلاث فى الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة
للمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم ما يوثر
ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له انكارا ان يكون احد اضل من
المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم
او يسمع دعائهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعى مصالحهم الى يوم القيمة ما دامت الدنيا
وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشغولون
باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا
بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال والمقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله
تعالى والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات مبينات
قال الذين كفروا للحق لاجل وفى شانه والمراد به الايات ووضعه موضع ضميرها
ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم المتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر
والانهماك والضلالة لما جاءهم حين ما جاءهم من غير نظر وتامل هذا سحر مبين
ظاهر بطلانه ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع
منه وانكار له وتعجيب قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لى من الله شيئا اى ان
عاجلنى الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شئ منها فكيف اجترئ عليه واعرض نفسى
للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم بما تفيضون فيه تندفعون
فيه من القدح فى اياته كفى به شهيدا بينى وبينكم يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم
بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة
والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم قل ما كنت بدعا من الرسل

من الرسل بديعا منهم ادعوكم الى ما يدعونا اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو
الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم
او مقدرا بعضا فاى ذا بدع وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم فى الدارين على التفصيل اذ لا علم لى
بالغيب ولا لتاكيد النفى المشتمل على ما يفعل بى وما اما موصوله منصوبة او استفهامية
مرفوعة وقرئ يفعل اى يفعل الله ان اتبع الا ما يوحى الى لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم
الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين وما
انا الا نذير عن عقاب الله تعالى مبين يبين الانذار بالشواهد المبنية والمعجزات
المصدقة قل ارايتم ان كان من عند الله اى القران وكفرتم به اى وقد كفرتم به ويجوز ان يكون
الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو فى قوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل لانها تعطفه
بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه السلام
وشهادته ما فى التورية من نعت الرسول صلى الله عليه وسلم على مثله مثل القران وهو ما فى
التورية من المعانى المصدقة للقران المطابقة له او مثل ذلك وهو كونه من عند الله تعالى
فامن اى بالقران لما راه من جنس الوحى مطابقا للحق واستكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدى
القوم الظالمين استيناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على
الجواب المحذوف مثل الستم ظالمين وقال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم لو كان الايمان
او ما اتى به محمد عليه الصلوة والسلام خيرا ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم
فقراء وموال ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو غامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم
جهينة ومزينة واسلم وغفار واليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا
به ظرف بمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه وهو
كقولهم اساطير الاولين ومن قبله ومن قبل القران وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب لقوله
اماما ورحمة على الحال وهذا كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا
حال من ضمير كتاب فى مصدق او منه لتخصصه بالصفة وعالمها معنى لاشارة وفائدتها الاشعار
بالدلالة على ان كونه مصدقا للتورية كما دل على انه حق دل على انه وحى وتوفيقه من الله تعالى
وقيل مفعول مصدق اى يصدق ذا لسان عربى باعجازه لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه
ضمير الكتاب او الله تعالى او الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر
والبزى بخلاف عنه وبعقوب بالتاء وبشرى للمحسنين عطف على محله ان الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى الامور التى
هى منتهى العمل وثم الدلالة على تاخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف
عليهم عن محتوم مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط

اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن فى اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اى يجزون اجزاء ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقراء الكوفيون احسانا وقرئ حسنا اى ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها اذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقراء الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله مدة حمله وفصاله والفصال العظام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال كل حى مستكمل مدة العمر ومودا اذا انتهى امده ثلثون شهرا كل ذلك بيان لما نكابده الام فى تربية الولد مبالغة فى التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقى ذلك وبه قال الاطباء واقل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطها او تحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبى لاربعين قال رب اوزعنى الهمنى واصله اوزعنى من اوزعه بكذا ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى يعنى نعمة الدين وما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ما روى انها نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه وان اعمل صالحا ترضاه نكرة للتعظيم اولانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضاء الله تعالى واصلح لى فى ذريتى واجعل لى شاريا فى ذريتى راسخا فيهم ونحوه تخرج فى عرافيها يصلى اتى تبت اليك عما لا ترضاه اويشغل عنك وانى من المسلمين المخلصين لك اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا بمعنى طاعاتهم فان المباح حسن والاثاب عليه ويتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرئ حزة والكسائى وحفص بالنون فيهما فى اصحاب الجنة كائنين فى عدادهم او مثابين او معدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل ويتجاوز وعد الذى كانوا يوعدون اى فى الدنيا والذى قال لوالديه افا كما مبتدا خبره اولئك والمراد به الجنس وان صح نزولها فى عبد الرحمان بن ابى بكر قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفى اف قراءات ذكرت فى سورة بنى اسرائيل اتعدانى ان اخرج ابعث وقراء هشام اتعدانى بنون واحدة مشددة وقد خلت القرون من قبلى فلم يرجع احد منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغيات بالله منك او سئالا له ان يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك امن اى يقولان له ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اباطيلهم التى كتبوها

كتبوها اولئك الذين حق عليهم القول بانهم اهل النار وهو يوم النزول فى عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان لاسلامه فى امم قد خلت من قبلهم كقوله فى اصحاب الجنة من الجن والانس بيان للامم انهم كانوا خاسرين تعليل للحكم على الاستئناف ولكل من الفريقين درجات مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا او الدرجات غالبة فى المثوبة وهنا جاءت على التغليب وليوفيهم اعمالهم جزاءها وقراء نافع وحمزة والكسائى وابن ذكوان بالنون وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب ويوم يعرض الذين كفروا على النار يعذبون بها وقيل يعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض اذهبتم اى يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقراء ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقراه بهمزة ممدودة وهما يقراءان بها وبهمزتين ومحققتين طيباتكم لذاتكم فى حياتكم الدنيا باستيفائها واستمتعتم بها فما بقى لكم منها شئ فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله تعالى وقرئ تفسقون بالكسر واذكر اخا عاد يعنى هودا اذ انذر قومه بالاحقاف فى جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن وقد خلت النذر الرسل من بين يديه ومن خلفه قبل هود وبعده والجملة حال او اعتراض الا تعبدوا الا الله اى لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهى عن الشئ انذار عن مضرته انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم قالوا اجئتنا لتأفكنا لتصرفنا عن الهتنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا من العذاب على الشرك ان كنت من الصادقين فى وعدك قال انما العلم عند الله لا اعلم لى بوقت عذابكم ولا مدخل لى فيه فاستعجابه وانما علمه عند الله فيأتيكم به فى وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به وما على الرسول الا البلاغ ولكنى اريكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين قلما راوه عارضا سحابا عرض فى افق من اتلتهم مستقبل اوديتهم متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا فى قوله قالوا هذا عارض ممطرنا اى ياتينا بل المطر بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقرئ قل بل ريح هى ريح ويجوز ان يكون بدلا مما فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله تدمر تهلك كل شئ من نفوسهم واموالهم بامر ربها اولا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشية وفى ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شئ من دمر وما وراذا هلك فيكون العائد محذوفا

او الهاء فى ربها ويحتمل ان يكون استينافا للدلالة على ان لكل ممكن فناء ومقضيا
لا يتقدم ولا يتاخر ويكون الهاء لكل شئ فانه بمعنى الاشياء فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم
اى فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرئ
عاصم وحمزة والكسائى لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزى
القوم المجرمين روى ان هودا عليه السلام لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين فى الحظيرة
وجاءت الريح فاماتت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم
كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم فى البحر ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ان نافية
وهى احسن من ما ههنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت الفها ها فى فيهما او شرطية
محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم فى الذى او فى شئ ان مكناكم فيه كان بغيكم
اكثر او صلة كما فى قوله يرجى المرء ما ان لا يراه ويعرض دون ادناه الخطوب والاول
اظهر واوفق لقوله تعالى لهم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا وجعلنا لهم
سمعا وابصارا وافئدة ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها
فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شئ من الاغناء وهو الفليل اذ كانوا
يجحدون بايات الله صلة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب
على ما اضيف اليه وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن من العذاب ولقد اهلكنا
ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الايات نكرر لها
لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة فهلا
منعهم من الهلاك الهتهم الذين يتقربون الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله
واول مفعولى اتخذوا الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا والهة بدل او عطف
بيان او الهة وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء
بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضلال
وذلك افكهم وذلك الاتخاذ الذى هذا اثره صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد
للمبالغة وافكهم اى يجعلهم افكين وافكهم اى قولهم الافك اى ذوا لافك وما
كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الملهم اليك والنفر دون العشرة
وجمعه انفار يستمعون القران حال محمولة على المعنى فلما حضروه اى القران
او الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا انصتوا قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه
فلما قضى اى اتم وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول ولوا الى قومهم
منذرين اى منذرين اياهم بما سمعوا روى انهم اوفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بوادى النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ تهجده فقالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل

انزل من بعد موسى قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا اما سمعوا بامر عيسى مصدقا لما بين
يديه يهدى الى الحق من العقائد والى طريق مستقيم من الشرايع يا قومنا اجيبوا داعى الله وامنوا
به يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما يكون فى خالص حق الله فان المظالم لا تغفر بالايمان
ويجركم من عذاب اليم هو معد للكفار واجيج ابو حنيفه باقصارهم على المغفرة والاجارة على
ان لا ثواب لهم والاظهر انهم فى توابع التكليف كبنى ادم ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى
الارض اذ لا ينجى منه مهرب وليس له من دونه اولياء يمنعونه اولئك فى ضلال مبين
حيث اعرضوا عن اجابت من هذا شانه اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى
بخلقهن ولم تتعب ولم يجز والمعنى ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد
ابدا لا يادة بقادر على ان يحيى الموتى اى قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء
مزيدة لتاكيد النفى فانه مشتمل على ان وما فى خبرها ولذلك اجاب عنه بقوله بلى انه
على كل شئ قدير تقدير للمقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدر
السورة بتحقيق المبداء اراد ختمها باثبات المعاد ويوم يعرض الذين كفروا على النار
منصوب بقول مضمر مقوله اليس هذا بالحق والاشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا
قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم فى الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة
بهم والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات والجد منهم
فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرايع اجتهدوا
فى تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها و
مشاهيرهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام وقيل الصابرون
على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على
النار وذبح ولده والذبح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف
على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان
معى ربى سيهدين واود وبكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة ولا
تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم فى وقته لا محالة كانهم يوم يرون
ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا من هوله مدة لبثهم فى الدنيا حتى
يحسبونها ساعة بلاغ هذا الذى وعظتم به او هذه السورة بلاغ اى كفاية او تبليغ
من الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده انه قرئ بلغ وقيل مبتداء خبره لهم وما بينهما
اعتراض اى لهم وقت يبلغون اليه كانهم اذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم
وقرئ بالنصب اى بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون عن الانقياد
او الطاعة وقرئ نهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم على التخ

صلى الله عليه وسلم من قراء سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

سورة محمد عليه السلام مدنية وثلاثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول
فى الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر او شياطين قريش
او المصرين من اهل الكتاب او عام فى جميع من كفر وصد اضل اعمالهم جعل مكارمهم كصلة
الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اى ضايعة محبطة بالكفر او مغلوبة معمورة
فيه كما يضل الماء فى اللبن او ضلا لا حيث لم يقصد وابه وجه الله تعالى او ابطل ما عملوه من
الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله بنصر رسوله صلى الله عليه
وسلم واظهار دينه على الدين كله والذين امنوا على محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب
الايمان به تعظيما له واشعارا بان لا يمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده
بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقة المصر وحقيقته بكونه ناسخا لا يتسخ وقرئ
نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين وتنزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم
سترها بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم حالهم فى الدين والدنيا بالتوفيق والثنا
ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير والاضلال وهو مبتدا خبره بان الذين
كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل
واتباع هؤلاء الحق وهذا تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك سمى تفسيرا كذلك مثل
ذلك الضرب يضرب الله للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين او احوال الناس
او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم
واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوز فاذا لقيتم الذين كفروا فى المحاربة
فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه
مضافا الى المفعول اضما الى التاكيد والاختصار والتعبير عن القتل اشعارا بانه ينبغى ان يكون
بضرب الرقبة حيث امكن وتصويرا له باشنع صورة حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم
واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق
بالفتح والكسر ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء اى فامنون منا واما تفدون
فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا
فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق
منسوخ عند الحنفية او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا بتعين القتل والاسترقاق
وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها الانها واثقالها التى لا تقوم الا بها كالسلاح

كالسلاح والكراع اى تنقضى الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل اثامها والمعنى حتى يضع اهل الحرب
شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد او المن والفداء او للجموع بمعنى ان هذه الاحكام
جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى عليه السلام ذلك
اى الامر ذلك امرا فعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم بالاستيصال ولكن
ليبلو بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهد وهم فيستوجبوا
الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم
عن الكفر والذين قاتلوا فى سبيل الله اى جاهدوا وقرئ البصريان وحفص قتلوا اى استشهدوا
فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها وقرئ يضل من فعل ويضل على البناء للمفعول ليشهد بهم الى الثواب
او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم فى الدنيا حتى
اشتاقوا اليها فعلوا ما استحقوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدى كانه
كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرايحة او حددها لهم بحيث يكون لكل
خبة مفرزة يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ان تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم
ويثبت اقدامكم فى القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم
فعثورا لهم وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى فالتعس اولى لها من قول لعا وانتصابه
بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مقره لناصبه واضل اعمالهم
عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله القران لما فيه من التوحيد والتكاليف
المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقران
للتعس والاضلال فاحبط اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقران ولا ينفك عنه
بحال افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم استاصل
عليهم ما اختص بهم من نفسهم واهليهم واموالهم والكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر امثالها
امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله على سنة
الله التى قد خلت ذلك بان الله تعالى الذين امنوا ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين لا مولى
لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى
المالك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين
كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الدنيا ويأكلون ما تاكل الانعام جريصين غافلين عن العاقبة
والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك على
حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب اهلكناهم
بانواع العذاب فلا ناصر لهم يدفع عنهم وهو كالحال المحكية افمن كان على بينة من ربه
حجة من عنده وهو القران اما بعه والحجج العقلية كالنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين

كمن زين سوء عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا اهواءهم في ذلك لاشبهة لهم عليه فضلا
عن حجة مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتداء
خبره كمن هو خالد في النار وتقدير الكلام امثل اهل الجنة كمثل من هو خالد او مثل الجنة
كمثل جزاء من هو خالد فقرى عن حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء مثله تصوير المكابرة
من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة والنار وهو
على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار او بدل من قوله
كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما بمتنازيه من على بينة في الاخرة وتقرير الانكار المساواة
فيها انهار من ماء غير اسن استيناف لشرح المثل او حال من العائد المحذوف او خبر المثل او اسن
من اسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقراء ابن كثير اسن
وانهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا وانهار من خمر لذة للشاربين
لذيذة لا يكون فيها كراهة غائلة ريح ولا غائلة سكر وخمار تانيث لذا ومصدر نعت به
باضمار او بتجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة وانهار من عسل
مصفى لم يخالط الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة في
الجنة بانواع ما يستلذ منها في التجريد عما ينقصها ويغضها والتوصيف بما يوجب غزارتها
واستمرارها ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم عطف
على الصنف المحذوف او مبتداء خبره محذوف اي لهم مغفرة كمن هو خالد في النار وسقوا
ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى
اذا خرجوا من عندك يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم
ويسمعون كلامه فاذا خرجوا قالوا للذين اوتوا العلم اي لعلماء الصحابة ما ذا قال انفا
ما الذي قال الساعة استهزاء او استعلاما اذ لم يلقوا له اذانهم تها ونابه وانفا من قولهم
انف الشئ لما تقدم منه مستعار من الحارجة ومنه استانف واتنف وهو ظرف بمعنى
وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا
اهواءهم فلذلك استهزؤا وتها وتوا بكلامه والذين اهتدوا زادهم هدى اي زادهم
الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول صلى الله عليه وسلم واتاهم تقويهم يتبين لهم
ما يتقون او اعانهم على تقويهم واعطاهم جزاءها فهل ينظرون الا الساعة فهل
ينتظرون غيرها ان تاتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة وقوله فقد جاء اشراطها
كالعلة له وقرئ ان تاتيهم على انه شرط مستانف جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم ذكريهم
والمعنى ان تاتيهم الساعة لانه قد ظهر امارتها كمبعث النبي صلى الله عليه وسلم
وانشقاق القمر فكيف لهم ذكريهم اي تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وحينئذ لا يفزع

لا يفزع له ولا ينفع فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك اي اذا علمت سعادت
المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس
باصلاح احوالها وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
ولذنوبهم بالدعاء لهم بالتخريص على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف
المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس اخر فان الذنب ما له
تبعة ما بترك الاولى والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لابد من قطعها ومثواكم
في العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا المعاد كم ويقول الذين
امنوا لولا نزلت سورة اي هلا انزلت سورته في امر الجهاد فاذا انزلت سورة محكمة
مبنية لا تشابه فيها وذكر فيها القتال اي لامره رايت الذين في قلوبهم مرض ضعف
في الدين وقيل نفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت جبنا ومخافة فاولى لهم
قيل لهم افعل من الولى وهو القرب وفعلى من ال ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه
او يؤول اليه امرهم طاعة وقول معروف استيناف اي امرهم طاعة او طاعة وقول معروف
خير لهم او حكاية قولهم لقراءة ابي يقولون طاعة فاذا عزم الامر اي جد وهو لاصحاب
الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل ولو صدقوا الله اي فيما زعموا
من الحرص على الجهاد او الايمان لكان اصدق خيرا لهم فهل عسيتم فهل يتوقع منكم ان
توليتم امور الناس ونأمر تم عليهم واعرضتم وتوليتم عن الاسلام ان تفسدوا في الارض
وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الولاية وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية
من التغاور وقتالة الاقارب والمعنى انهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا احقاء
بان يتوقع ذلك منهم من عرف خالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بني تميم
لا يلحقون الضمير وفيه خبره ان تفسدوا او ان توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم اي ان تولاكم
ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وتقطيعه الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ
وتقطعوا من التقطع اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم وتقطعهم
الارحام فاصمهم عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله افلا يتدبرون القران
يتصفحون ما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجبروا على المعاصي ام على قلوب اقفالها
لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير
القلوب لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهامر امرها في القساوة او
لغرطها لتها ونكرها كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال
مناسبة لها مختصة بها لا يجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر ان الذين
ارتدوا على ادبارهم الى ما كانوا عليه من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الواضحة

والمعجزات الظاهرة الشيطان سول لهم سهل لهم افتراضه الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل
حلهم على الشهوات من السول وهو التمني وفيه ان السول مهموز قلبت همزته واوا لانضم ما قبلها
ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم هما يتسانا ولان وقرئ سول على تقدير مضاف اى كيد
الشيطان سول لهم وأملى لهم ومد لهم في الآمال والاماني وامهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة
لقراءة يعقوب واملى لهم اى وانا املى لهم فيكون الواو للحال او للاستيناف وقراء ابو عمرو
واملى لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما انزل
الله اى قال اليهود الذين كفروا بالنبي بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين او المنافقون لهم
او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في بعض الامر في بعض اموركم او في بعض ما تأمرون به
كالعقود عن الجهاد والموافقة في الخروج معهم ان اخرجوا او التضافر على الرسول والله
يعلم اسرارهم ومنها قولهم هذا الذي افشاه الله عليهم وقرا حمزة والكسائي وحفص اسرارهم
على المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم
وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم تصوير
لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له ذلك اشارة الى التوفي الموصوف بانهم
اتبعوا ما اسخط الله من الكفر وكتمان نعت الرسول صلى الله عليه وسلم وعصيان
الامر وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيرها من الطاعات فاحبط
اعمالهم لذلك ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله ان لن يبرز الله لرسوله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اضغانهم احقادهم ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم
بدلائل تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي يسمهم بها والام لام
الجواب كررت في المعطوف ولتعرفنهم في لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول
اسلوبه وابالته الملجمة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل الكلام من الصواب
والله يعلم اعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم ذوا الاعمال بالنيات ولنبلونكم بالامر بالجهاد
وسائر التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها ونبلو اخباركم
ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها او اخباركم عن بواطنهم وموالاتهم المؤمنين في صدقها
وكذبها وقراء ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء لموافقة ما قبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو
على تقدير ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما
تبين لهم الهدى هم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم
وصدهم او لن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط
اعمالهم ثواب حسنات اعمالهم بذلك ومكائدهم التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون بها
الى مقاصدهم ولا تضرهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله

الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء
والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم عام في كل من مات على كفره وان صح نزوله
في اصحاب القليب وبدل بمفهومه على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا
فلا تضعفوا وتدعوا الى السلم ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا وبجوز نصبه باضمار ان
وقرئ ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وقراء ابو بكر وحمزة بالكسر السين وانتم الاعلون الاغلبون
والله معكم ناصركم ولن يتركم اعمالكم ولن ينقصكم من وتره حقه اذا قتلت متعلقا
له من قريبا وحميما فافرد نه عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه انما الحيوة
الدنيا لعب ولهو لانبات لها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا
يسئلكم اموالكم جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشره ان يسئلكموها
فيحفكم فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه
اذا استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم ويصغنكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
والضمير في يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ ويخرج بالياء
والتاء ورفع اضغانكم ها انتم هؤلاء اى انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا
في سبيل الله استيناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو
والزكوة وغيرها فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على الاية المتقدمة ومن يبخل فانما يبخل
عن نفسه فان نفع الانفاق وضر البخل عائدان اليه والبخل متعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك
والغنى فانه امساك عن مستحق والله الغني وانتم الفقراء مما امركم به فهو لاحتياجكم فان
امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وان تتولوا عطف على ان تؤمنوا يستبدل قوما غيركم بقيم
مقامكم قوما اخرين ثم لا يكونوا امثالكم في التولي والزهد في الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه
الصلوة والسلام عنه وكان سلمان رضي الله عنه الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه
وقومه والانصار والله والايمان والملائكة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
من قراء سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح اربع وعشرون اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد فتح مكة والتعبير عنه
بالماضي لتحققه او بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وقدك او اخبار عن صلح حديبية وانما
سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى ساتوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به
رسول الله صلى الله عليه وسلم لسائر العرب فقراهم وفتح مواضع وادخل في الاسلام

خلقا عظيما وظهر له فى الحديبية آية عظيمة وهى انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه
فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا على الفرس فى تلك السنة
وقد عرف كونه فتحا للرسول صلى الله عليه وسلم فى سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء
اى قضينا لك ان تدخل مكة من قابل ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه مسبب
عن جهاد الكفار والسعى فى اعلاء الدين وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة
قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن ايدى الظلمة ما تقدم من ذنبك
وما تأخر جميع ما فرط منك مما يصح ان يعاتب عليه ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم
الملك الى النبوة ويهديك صراطا مستقيما فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة
وينصرك الله نصرا عزيزا نصرا فيه عز ومنعة او ينعز به المنصور فوصف بوصفه
مبالغة هو الذى انزل السكينة الثبات والطمانينة فى قلوب المؤمنين حتى تثبتوا
حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم
برسوخ العقيدة واطمينان النفس عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول
ليزدادوا ايمانا بالشرايع مع ايمانهم بالله واليوم الاخر ولله جنود السموات والارض
يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما يقتضيه
حكمته وكان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها علة بما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود
السموات والارض من معنى التدبير اى دبرها دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا انعام الله
فيه ويشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحا
او انزل ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم
بعفوها ولا يظهرها وكان ذلك اى الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لانه منتهى
ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من فوزا ويعذب المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات عطف على يدخل لا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على المبدل
الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم دائرة
السوء دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لانتظاهم وقراء ابن كثير وابو عمرو
السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب فى ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم
جرى مجرى الشر وكلاهما فى الاصل مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم
جهنم عطف لما استحقوه فى الاخرة على ما استوجبوه فى الدنيا والواو فى الاخيرين
والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال
الكل فى الوعيد بلا اعتبار السببية وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات

والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا
على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والامة
اولهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه وتقووه وتقوه وبتقويه دينه وتوقروه
وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له بكرة واصيلا غدوا او عشيا او دائما وقراء ابن
كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقراء تعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء
وضم الزاء وكسرها وتعزروه بزايين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته يد الله فوق ايديهم حال او استيناف موكد
على سبيل التخييل فمن نكث فما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا
عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله ويوفى فى مبايعته فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة
وقرئ عهد وقراء حفص عليه بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه
بالنون والاية نزلت فى بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اسلم
وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهاليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة
والخوف عن مقاتلة قريش ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من
يقوم باشغالهم وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون
بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم تكذيب لهم فى الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم
من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيته وقضاله ان اراد بكم ضرا ما يضركم كقتل او هزيمة
وخلل فى المال والاهل وعقوبة على التخلف وقراء حمزة والكسائى بالضم او اراد بكم
نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض بالبرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم
فيه بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا لظنكم ان المشركين
يستأصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع اهلات كارضات على ان اصله اهلة واما
اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك فى قلوبكم فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو
الله تعالى او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء
او هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور الزايغة وكنتم قوما بورا هالكين عند الله
لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر
وانه مستوجب للتسعير بكفره وتنكير سعير للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله
ملك السموات والارض يدبر كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب
عليه وكان الله غفورا رحيما فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه

بالعرض ولذلك جاء في الحديث الهي سبقت رحمتي غضبي سيقول المخلفون يعني المذكورين اذا
انطلقتم الى مغانم لتاخذوها يعني مغانم خيبر فانه صلى الله عليه وسلم رجع من الحديبية
في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم ثم غزا خيبر ممن شهد
الحديبية ففتحها وغنموا الاكثيرة فخصها بهم ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام
الله ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل
قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة
وقراء حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي كذلكم قال الله
من قبل من قبل تهيؤهم للخروج الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنايم
وقرئ بالكسر بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم
لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات
الحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين قل للمخلفين من الاعراب
كرر ذكرهم بهذا الاسم تبالغة في الذم واشعارا باستتباعه التخلف ستدعون الى قوم
اولي بأس شديد بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
او المشركين فانه قال تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او
الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطى الجزية
وهو يدل على امامة ابي بكر رضي الله عنه اولم يتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم
ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون
ينقادون ليستاولوا تقليهم اجرة فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وهو الغنيمة
في الدنيا والجنة في الاخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا
اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض
حرج لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فضل الوعد واجمل الوعيد
مبالغة في الوعد سبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ومن يتول
يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب وقراء نافع وابن عامر ندخله
ونعذبه بالنون لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه
عليه السلام لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به
فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان فحسبوه فاراد ان يقتله فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم
على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة او سدرة فعلم ما في

في قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح
واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة ياخذونها يعني
مغانم خيبر وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها
وهي ما يفتح على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم
ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان او ايدي قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة
او الغنيمة اية للمؤمنين امارة يعرفون بها انهم من الله تعالى بمكان او صدقا لرسوله في وعده
فتح خيبر في حين رجوعه عن الحديبية او وعد الغنايم او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف
هو علة لكف او عجل مثل لتسلموا او لتاخذوا او العلة بمحذوف مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا
مستقيما هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه واخرى ومغانم اخرى معطوفة على هذه
او منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة
وجرها ياضمار رب لم تقدروا عليها بعد لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها استولى فاظفر
بها وهي مغانم هوازن او فارس وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته ذاتيه لا تختص بشيء
دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا منكم
لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن غلبة انبيائه
سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال لاغلبن انا ورسلي ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا
وهو الذي كف ايديهم عنكم ايدي كفار مكة وايديكم عنهم بطن مكة في داخل مكة
من بعد ان اظفركم عليهم اظهركم عليهم وذلك ان مكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة
الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم
حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على ان مكة فتحت
عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم او الطاعة
لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقراء ابو عمرو بالياء بصيرا فيجازيهم عليه هم
الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ محله بدل على ان ذلك
كان عام الحديبية والهدى ما يهدى الى مكة وقرئ الهدي وهو نعيل بمعنى مفعول ومحله
مكانه الذي يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذي لا يجوز ان ينحر
في غيره والا لما نحره الرسول صلى الله عليه وسلم حيث حصر فلا ينتهض حجة للحنفية
على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم
تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ان تطؤهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال وطئتنا
وطاء على خق وطاء المفيد نابت الهمز وقال عليه الصلوة والسلام ان آخر وطاة وطئها
الله بوج وهو واد بطائف كان آخر وقعة النبي صلى الله عليه وسلم بها واصله الدوس

وهو بدل اشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم فى تعلموهم فتصيبكم منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير فى البعث عنهم مفعلة من عره اذا عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤهم اى تطؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم ليدخل الله فى رحمته علة لما دل عليه كف الايدى من اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين اى كان ذلك ليدخل الله فى رحمته اى فى توفيقه لزيادة الخير والاسلام من يشاء من مؤمنيهم او مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا او تميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بالقتل والسبى اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او صد وكم فى قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية التى تمنع اذعان الحق فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فانزل عليهم الوقار والثبات وذلك ما روى انه عليه السلام لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسألوه ان يرجع من عامه على ان تخلى له قريش مكة من القابل ثلاثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلوة والسلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه الصلوة والسلام اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يابوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحملوا والزمهم كلمة التقوى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم او محمد رسول الله اختارها لهم او الثبات والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا احق بها من غيرهم واهلها والمستاهل لها وكان الله بكل شئ عليما فيعلم اهل كل شئ ويسيره له لقد صدق الله رسوله الرؤيا راى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه واصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا وحسبوا ان ذلك يكون فى عامهم فلما تاخر قال بعضهم والله ما خلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت فنزلت والمعنى صدقه فى رؤياه بالحق ملتبسا به فان ما راه كائن لا محالة فى وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف اى صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى المتميز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما باسم الله وينقبض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية تعليما للعباد اذ اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت

لموت وغيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا او النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه آمنين حال من الواو والشرط معترض محلقين رؤسكم ومقصرين اى محلقا بعضكم ومقصرا اخرون لا تخافون حال مؤكدة او استيناف اى لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا من الحكمة فى تاخير ذلك فجعل من دون ذلك من دون وخولكم المسجدا وفتح مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتسر الموعود هو الذى ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين الحق ودين الاسلام ليظهره على الدين كله ليعليه على جنس الدين كله بسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط على اهله اذا من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تاكيد لما وعده من الفتح وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات محمد رسول الله جمله مبنية للشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او مبتداء والذين معه معطوف عليه وخبرها اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا لانهم مشتغلون بالصلوة فى اكثر اوقاتهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضاء سيماهم فى وجوههم من اثر السجود يريد السمة التى تحدث فى جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا علمه وقد قرئت ممدودة ومن اثر السجود بيانها او حال من المستكن فى الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسرها كزرع مثلهم فى التوراة صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها ومثلهم فى الانجيل عطف عليه اى ذلك مثلهم فى الكتابين وقوله كزرع تمثيل مستانف او تفسير او مبتداء وكزرع خبره اخرج شطاه قراخه يقال اشطا الزرع اذا افرخ وقراء ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطاه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاء بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا فآزره فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الازار وهى الاعانة وقراء ابن عامر برواية ابن ذكوان فآزره كآجر فى آجر فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظه فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سوقه بالهمزة يعجب الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله للصحابة قلوا فى بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس ليغيظ بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكامه او لقوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوه ظاهره ذلك ومنهم البيان عن النبى صلى الله عليه وسلم من قراء سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات ثمان عشرة اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تقدموا اى لا تقدموا امر الخ فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفى التقديم رأسا اولا تقدموا ومنه مقدمة الجيش لتقدمهم ويؤيد قراءة يعقوب لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم بين يدى الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدى الانسان تبجيلا لما نهوا عنه والمعنى لا تفتاتوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدى رسول الله وذكر الله تعظيم له واشعار بانه من الله بمكان يوجب اجلاله واتقوا الله فى التقديم او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى اى اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترجيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوا باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبى والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستيصار والمبالغة فى الامتثال و الدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط فيكون علة للنهى ولان تحبط على ان النهى عن الفعل المعلل باعتبار التأدية لان فى الجهر والرفع استخفافا قد يؤدى الى الكفر المحيط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روى ان ثابت بن قيس كان فى اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الاية وانى رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون على قد حبط فقال عليه الصلوة والسلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله مراعات للادب ومخافة عن مخالفة النهى قيل كان ابو بكر وعمر رضى الله عنهما بعد ذلك كانا يسارانه حتى يسئلهما اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى جرحها للتقوى وقوتها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وتميز ابرزه من حشه لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم بعضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ان لان او استيناف لبيان ما هو جزاء الغاضين احماد الحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتداء والمبتداء اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلته دلت على بلوغهم اقصى الكمال لمبالغة فى الاعتداد بعضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائيته فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة اذ لا يدان يختلف المبتدآ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلثتها جمع حجرة وهى القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة فهى فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبى صلى الله عليه وسلم وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل البعض الى الكل وقيل ان الذى ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد ففقا لا يا تحجر اخرج الينا وانما اسند الى جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضى حسن الادب ومراعات الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اى ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما فى خبرها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغى ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشئ فى نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفى اليهم اشعار بانه لو خرج لاجلهم ينبغى ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤل اذ روى انهم وفدوا شافعين فى اسارى بنى العنبر فاطلق النصب وفادى النصب والله غفور رحيم حيث اقصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روى انه عليه السلام بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوا به فهيبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم بعد خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والبناء للتعميم وتعليق الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضى جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شئ بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد لو وجب

تبيّنه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسوق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرئ حزة والكسائى فتثبتوا اى فتوقفوا الى ان تبيّن لكم الحال ان تصيبوا كراهة اصابتكم قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصيحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين مغتمين عنا لازما متمثين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثه دائر مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما فى خبره سادّ مسدّ مفعولى اعلموا باعتبار ما قيد به الحال وهو قوله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد ضميرى فيكم ولو جعل استينافا لم يظهر للام فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهى انكم تريدون ان يتبع رأيكم فى الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اى لوقعتم فى الجهد من العنت وفيه اشعار بان بعضهم اشار اليه بالايقاع بنبى المصطلق وقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان استدراك ببيان عذرهم وهو انهم من وفرط حبهم الايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفته من لم يفعل ذلك منهم احاد الفعلهم وتعريضا بذم من فعل وتوبيخه قوله اولئك هم الراشدون اى اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوى وكره معدى بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له الاخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل كره منزلة بغضكم فعدى الى اخر بالى والكفر تغطية نعم الله تعالى بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد فضلا من الله ونعمة تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض للراشدون فان الفضل فعل الله والراشدون كان سببا من فعله مسندا الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب والترشد فضل من الله وانعامه والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى فان بغت احديهما تعدت على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله ترجع الى حكمه او الى امره وانما اطلق الفىء على الظل رجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لوجوعها من الكفار الى المسلمين فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على ما حكم الله من تقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا واعدلوا فى كل الامور ان الله يحب المقسطين بحمد فعلهم بحسن الجزاء والاية نزلت فى قتال حدث بين الاوس والخزرج فى عهده عليه السلام بالسعف والنعال وهى تدل على ان للبغى مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء فى الحديث لانه فاء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعى فى المصالحة انما المؤمنون اخوة من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد وهو الايمان الموجب للحق الابدية وهو

وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا بين اخويكم ووضع الظاهر موضع المضمر مضافا الى الماءورين للمبالغة فى التقرير والتخصيص وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم ولخوانكم واتقوا الله فى مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن اى لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع فى الجمع او جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلتين كقوم عاد وفرعون فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب فى المجامع وعسى باسمها استيناف بالعلة الموجبة للنهى ولاخبرها لاعتناء الاسم عنه وقرئ عشوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهى على هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم اى ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة اولا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرئ بالضم ولا تنابزوا بالالقاب ولا يدع بعضكم بعضا بقبيح السوءى فبئس الاسم الفسوق بعد الايمان اى بئس المذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم والمراد اما نهيهم نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روى ان الاية نزلت فى صفية بنت حيى انت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لى يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابى هرون وعمى موسى وزوجى محمد والدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستبعج ومن لم يتب عما نهى عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا منه على جانب وابهام الكثير لاحتياط فى كل ظن ويتامل حتى يعلم انه من اى القبيل كان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن فى الالهيات والنبوات وحيث وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن فى الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل مستانف للامر والاثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه من الواو كانه يثئم الاعمال اى يكسرها ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الجس الذى هو اثر الجس وضايته ولذلك قيل للحواس الجواس وفى الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا

بالسوء فى غيبته سئل عليه السلام عن الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب له على المخش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم والاخ وشدده نافع واتقوا الله ان الله توابٌ رحيم لمن اتقى ما نهى عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة فى التواب لابلغ فى قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب ولكثرة المتوب عليهم اولكثرة ذنوبهم روى ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما ادما وكان اسامه على طعامه فقال لما عندى شئ فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لى ارى حضرة اللحم فى افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحوا او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء فى ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب لجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة يجمع العمائر والعمارة يجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ان الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب امنا نزلت فى نفر من بنى اسد قدموا المدينة فى سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة قلب ولم يحصل لكم والا لما منتم على رسول الله بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه اخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به وكان نظم

نظم الكلام ان يقال لا تقولوا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل عنه الى هذه النظم احترازا من النهى عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم توقيت لقولوا فانه حال من ضميره اى ولكن قولوا اسلمنا ولم يواطئ قلوبكم السنتكم بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم اعمالكم لا ينقصكم من اجورها شيئا من لات يلتا اذا نقص وقراء البصريان لا يألتكم من الالت وهو لغة عطفان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب طاوع رابه اذا اوقعه فى الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفى الايمان عنهم وشمل للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الايمان ليس لحال الايمان فقط بل وفيما يستقبل فهى كما فى قوله ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسكم فى سبيل الله فى طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح المعبادات المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا فى ادعاء الايمان قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم امنا والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روى انه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه يمنون عليك ان اسلموا يعدون اسلامهم عليك منة وهى النعمة التى لا يستثيب مولاها من يزلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا على اسلامكم اى باسلامكم فحذف بنزع الخافض او تضمين الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هديكم بالكسر واذ هديكم ان كنتم صادقين فى ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اى فلله المنة عليكم وفى سياق الآية لطف وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون فى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وقراء ابن كثير بالياء لما فى الآية من الغيبة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قراء سورة الحجرات اعطى من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق وآياتها خمس واربعون وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد الكلام فيه كما مر فى ص والقرآن

ذى الذكر والمجد ذو المجد والشرف على سائر الكتب اولانه كلام المجيد اولان من علم معاينه
وامثل احكامه مجد بل يعجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان
ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شئ عجب حكاية
لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار
بتعينهم بهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك وعطف تعجبهم من البعثة والمبالغة
فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم بهما ان كانت الاشارة الى مبهم
يفسره ما بعده او مجملا ان كانت الاشارة الى محوف دل عليه منذر ثم تفسيره
او تفصيله لانه ادخل في الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثاني
استقصار لقدرة الله عما هو اهون مما يشاهدون من صنعه أئذا متنا وكنا ترابا اى
ارجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد اى بعيد عن الوهم
او العادة او الامكان وقيل الرجع لمعنى المرجوع قد علمنا ما تنقص الارض منا منهم تاكل
من اجسادهم وهو رد لاستبعادهم باز احة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب
القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء
كلها او محفوظ عن التغير والمراد اما غيثل عليه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب
محفوظ يطالعه او تاكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح والمحفوظ عنده بل كذبوا بالحق يعني
النبوة الثابتة بالمعجزات او القران لما جاءهم وقرئ لما بالكسر فهو في امر مريج
مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه اذا خرج وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر
وتارة انه كاهن أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم الى اثار قدرة الله
في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فروج
فتوق بان خلقها املساء متلاصقة الطباق والارض مددناها بسطناها وألقينا
فيها رواسي جبالا اثوابت وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن بصيرة
وذكرى لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر في بدايع صنعه وهما علتان للافعال
المذكورة معنى وان انتصبنا عن الفعل الاخير ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير النفع
فانبتنا به جنات اشجارا وثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذى من شانه ان يحصد
كالبر والشعير والنخل باسقات طوالا او حوامل من اسبقت الشاة اذا حملت فيكون من
افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصفات لاجل
القاف لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه
من الثمر رزقا للعباد علة لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق وأحيينا به بذلك
الماء بلدة ميتا ارضا جدبة لا نماء فيها كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة يكون

يكون خروجكم احياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون اراد
بفرعون اياه وقومه ليلايم ما قبله وما بعده واخوان لوط وانما قال اخوانه لانهم كانوا اصهاره
واصحاب الايكة وقوم تبع سبق في الجحر والدخان كل كذب الرسل اى كل واحد وقوم منهم او جميعهم
وافراد الضمير لافراد لفظه فحق وعيد فوجب وحل عليه وعيدى وفيه تسلية للرسول الله صلى الله
عليه وسلم وتهديد لهم أفعيينا بالخلق الاول افعجزنا عن الايداء حتى نعجز عن الاعادة من عيى
بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار بل هم في لبس من خلق جديد اى هم لا ينكرون
قدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير
الخلق الجديد لتعظيم شانه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا
الانسان ونعلم ما توسوس ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت
الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والياء مثلها في صوت بكذا والا شان
ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اى ونحن اعلم بحاله ممن
كان اقرب اليه من حبل الوريد يجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد
مثل في القرب قال والموت ادنى لي من الوريد والحبل عرق واضافته للبيان والوريدان
عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل
سمي وريدا لان الروح يرده اذ يتلقى المتلقيان مقدرا باذكر ومتعلق باقرب اى هو اعلم
بحاله من كل قريب حين يتلقى اى يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه غني عن استحفاظ
الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه بحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد
يثبط العبد عن المعصية وتاكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام الحجة يوم يقوم الاشهاد
عن اليمين وعن الشمال قعيد اى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اى مقاعد كالجليس فحذف
الاول لدلالة الثاني عليه كقوله والى وقيا بها لغريب وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد
كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه الا لديه رقيب ملك
يرقب عمله عتيد معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب وعقاب وفي الحديث كاتب
الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة
قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت
سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم البعث الجزاء واراح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه
اعلمهم بانهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة وبنبه على اقترابه بان
عبر عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك
جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر والموعود الحق والحق الذى
ينبغي ان يكون من الموت والجزاء فان الانسان خلق له او مثل الباء في تنبت بالدهن وقرئ

سكرة الحق بالموت على انها لشدتها اقتضت الزهوق لا استقعابها له كانها جاءت به او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اى الموت ما كنت منه تحيد تميل وتفر عنه والخطاب للانسان ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اى وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لمكان احدهما يسوقه والاخر يشهد بعمله وملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل بعها النصب على الحال من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من هذا على اضمار القول والخطاب لكل نفس ادنما من احد الا وله اشتغالا عن الاخرة او للكافر فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالفها وقصور النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع الابصار وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون وتؤيد الاول قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس وقال قرينه قال الملك الموكل عليه هذا ما لدي عتيد هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي وفي ملكي عتيد لجهنم هيأته لها باغوائي له واضلالي وما ان جعلت موصوفة فقيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف ألقيا في جهنم كل كفار خطاب من الله للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله فان تزجراني يا بن عفان انزجر وان تدعاني أخ عرضا ممتعا او الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ في الغين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق متباع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت في الوليد بن مغيرة لما منع بني اخيه عنه معتد معتد مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها اخر مبتدأ متضمن بمعنى الشرط وخبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اى الشيطان المقيض له وانما استؤنف كما نستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه ربنا ما اطغيته كان الكافر قال هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان في ضلال بعيد فاعتنه عليه

عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الراى مايلا الى الغي كما قال الله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فالاى الله تحتصموا لدي اى في موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استيناف مثل الاول وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فلم يبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهي اى لا تختصموا عالمين باني اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا او الفعل واقعا على قوله ما يبدل القول لدي اى بوقوع الخلف فيه فلا تظنوا ان ابدل وعيدي وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس له تعذيبه يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله تعالى لاملأن جهنم او انها او السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ او انها من شدة زفيرها او حدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم وقراءة نافع وابي بكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمجيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف وازلفت الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا او تذكيره لانه صفة محذوف اى شيئا غير بعيد او على زنته المصدر او لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على اضمار القول والاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت وقراءة ابن كثير بالياء لكل اواب رجاع الى الله بدل من المتقين باعاده الجار حفيظ حافظ محدوده من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف واب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به او مبتدأ خبره ادخلوها على تاويل يقال لهم ادخلوها فان من المعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل او المفعول او صفة لمصدر اى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائبا والعقاب بعد غيب او هو غائب عن الابصار لا يراه احد وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم يرجون رحمته ويخافون عذابه او بانهم يخشون خشية مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذا لاعتبار يرجوعه الى الله تعالى بسلام سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم من الله وملائكته ذلك يوم الخلود يوم تقدير الخلود كقوله تعالى ادخلوها خالدين لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا قوة كعاد وفرعون فنقبوا في البلاد تخرقوا في البلاد وتصرفوا فيها او جالوا في الارض

كل محال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبب وعلى الثانى لمجرد التعقيب التنفير
عن الشئ والبحث عنه هل من محيص اى هل لهم من الله او من الموت وقيل الضمير فى
نقبوا لاهل مكة اى سافروا فى اسفارهم فى بلاد العرب فهل راوا لهم محيصا حتى يتوقعوا
مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو
ان ينتقب خف البعير اى اكثروا السير حتى نفيت اقدامهم واخفاف ركابهم ان فى
ذلك فيما ذكر فى هذه السورة لذكرى لتذكرة لمن كان له قلب اى قلب واع يتفكر
فى حقايقه او القى السمع اى اصغى لاستماعه وهو شهيد حاضر بذهنه ليفهم معانيه
او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وتبزجر بزواجره وفى تنكير القلب وابهامه تفخيم
واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
فِى سِتَّةِ اَيَّامٍ مر تفسيره مرارا وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ من نقب واعياء وهو رد لما زعمت
اليهود من انه تعالى بدا خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم
السبت واستلقى على العرش فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون من انكارهم
البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم او ما
يقول اليهود من الكفر والتشبيه وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ونزهه عن العجز عما يمكن
والوصف بما يوجب التشبيه حامدا لله على ما انعم عليك من اضاءة الحق وغيرها
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ يعنى الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين
وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وسبحه بعض الليل وَاَدْبَارَ السُّجُودِ واعقاب الصلوة جمع دبر
وقراء الحجازيان وحمزة وخلف بالكسر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وقيل المراد
بالتسبيح الصلوة فالصلوة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل
العشاءان والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء
وَاسْتَمِعْ لما اخبرك به من احوال القيمة وقيل تهويل وتعظيم للمخبر به يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ
اسرافيل او جبرئيل فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة
ان الله يامركن ان يجتمعن لفصل القضاء مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ بحيث يصل نداؤه الى الكل
على سواء ولعله فى الاعادة نظير كن فى الايداء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج يَوْمَ
يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بدل منه والصيحة النفخة الثانية بِالْحَقِّ متعلق بالصيحة والمراد به
البعث للجزاء ذٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ من القبور وهو من اسماء يوم القيمة وقد يقال للعبد
اِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ فى الدنيا وَاِلَيْنَا الْمَصِيرُ للجزاء فى الاخرة يَوْمَ تَشَقَّقُ تتشقق وقراء عاصم
وحمزة والكسائى وخلف وابو عمرو بتخفيف الشين الْاَرْضُ سِرَاعًا مسرعين ذٰلِكَ حَشْرٌ
بعث وجمع علينا بسيرهين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك يتيسر الا على العالم

العالم القادر لذاته الذى لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
نَحْنُ اَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ تسلية لرسول الله وتهديد لهم وَمَا اَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ بمسلط تقسرهم على
الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع فَذَكِّرْ بِالْقُرْاٰنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ فانه لا ينتفع به
غيره عن النبى صلى الله عليه وسلم من قراء سورة ق هون الله عليه نازلة الموت وسكراته

سُورَةُ وَالذّٰرِيٰتِ مِائَتَانِ وَسِتُّونَ اٰيَةً مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ وَالذّٰرِيٰتِ ذَرْوًا يعنى الرياح تذرو التراب
وغيره او النساء الولود فانهن بذرن الاولاد او الاسباب التى تذرى الخلايق من الملائكة
وغيرهم وقراء ابو عمرو وحمزة باد غام التاء فى الذال فَالْحٰمِلٰتِ وِقْرًا السحب الحاملة
للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك وقرئ وقرا على
تسمية المحمول بالمصدر فَالْجٰرِيٰتِ يُسْرًا فالسفن الجارية فى البحر سهلا او الرياح الجارية
فى مهابها او الكواكب التى تجرى فى منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف اى جريا ذا يسر
فَالْمُقَسِّمٰتِ اَمْرًا الملائكة التى تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمهم
وغيرهم من اسباب القسمة او الرياح تقسم الامطار بتصريف السحاب فان حملت على
ذوات مختلفة فالفاء للترتيب لاتسامها بها باعتبار ما بينها من التفاوت فى
الدلالة كمال القدرة والافالفاء للترتيب الافعال اذا الريح مثلا تذرو الابخرة الى
الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجرى به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر اَنَّمَا تُوعَدُونَ
لَصَادِقٌ وَاِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ جواب للقسم كانه استدل باقتداره على هذه الاشياء
العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة او
مصدرية والدين بالجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك ذات الطرائق والمراد
اما الطرائق المحسوسة التى هى مسير الكواكب او المعقولة التى تسلكها الانظار وتتوصل
بها الى المعارف او النجوم فان لها طرائق او انها تزينها كما يزين الموشى طرائق الوشى
جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل وقرئ احباك بالسكون واَلْحِبَاكِ
كالابل والحبك كالسبل والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق اِنَّكُمْ لَفِى
قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ فى الرسول وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون
او فى القران او القيمة او امر الديانة واعل النكتة فى هذا القسم تشبيه اقوالهم
فى اختلافها وتنافى اغراضها بالطرائق للسموات فى تباعدها واختلاف غاياتها
يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ اُفِكَ يصرف عنه والضمير للرسول والقران او الايمان من صرف
اذ لا صرف اشد منه فكانه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف فى علم الله

وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من افك عن القول
المختلف وبسببه كقوله ينهون عن كل وعن شرب اى يصدر تناهيهم عنها وبسببهما
وقرئ افك بالفتح اى من افك الناس وهم قريش كانوا يعتدون الناس عن الايمان
قتل الخراصون الكذابون من اصحاب القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجرى مجرى
اللعن الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسئلون ايان
يوم الدين اى فيقولون متى يوم الجزاء اى وقوعه وقراء ايان بالكسر يوم هم على النار
يفتنون يحرقون جواب للسؤال اى يقع يوم هم على النار يفتنون او هو بدل من يوم هم على النار
يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اى
مقولا لهم هذا القول هذا الذى كنتم به تستعجلون هذا العذاب هو الذى كنتم به
تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والذى حصلته ان المتقين في جنات
وعيون اخذين ما اتيهم ربهم قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما اتاهم
حسن مرضى متلقى بالقبول انهم كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا اعمالهم وهو
يقلل استحقاقهم ذلك كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما
مزيدة اى يهجعون في طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة
اى في قليل من الليل هجوعهم وما يهجعون فيه ولا يجوز ان يكون نافية لان ما بعدها
لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذى
هو وقت السبات والهجوع الذى هو الغرار من النوم وزيادة وبالاسحار هم يستغفرون
اى انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا
في ليلهم الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله
وخشيتهم منه وفي اموالهم حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا
على الناس للسائل والمحروم للمتجدى والمتعفف الذى يظن غنيا فيحرم الصدقة
وفي الارض ايات للموقنين اى فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان ووجوه دلالات
من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزاءها في الكيفيات والخواص
والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته وفي
انفسكم اى وفي نفسكم ايات ادما في العالم شئ الا وفي الانسان له نظير يدل دلالته
مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن
من الافعال الغريبة واستنباط الصنايع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة
افلا تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفي السماء رزقكم اسباب رزقكم او تقديره وقيل
المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان

لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة ومقدرة في السماء وقيل انه
مستانف غيره فورب السماء والارض انه لحق وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له
ولما ذكر من امر الآيات والرزق والموعد مثل ما انكم تنطقون اى مثل نطقكم كما انه لا شك لكم
في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن في لحق او الوصف
لمصدر محذوف اى انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو
ما ان كانت بمعنى شئ وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده
قراءة حمزة والكسائي وابي بكر بالرفع هل اتيك حديث ضيف ابراهيم فيه تفخيم لشان
الحديث وتنبيه على انه اوحي اليه والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد
والمتعدد قيل كانوا اثني عشر ملكا وقيل ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل سماهم
ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف المكرمين اى مكرمين عند الله او عند ابراهيم
اذ خدوهو بنفسه وزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او الضيف او المكرمين
فقالوا سلاما اى نسلم عليك سلاما قال سلام اى عليكم سلام عدل به الى الرفع
بالابتداء لقصد الثبات حتى تكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقراء حمزة
والكسائي قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون اى انتم قوم منكرون
وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو آدم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه
علم الاسلام وهو كالتعرف منهم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيفه فان من ادب
الضيف ان يبادره بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يبصر منتظرا مجاءه بعجل سمين لانه
كان غالب ماله البقر فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم قال الا تاكلون اى منه وهو مشعر
بكونه حنيذا او الهمزة فيه للعرض ولحث على الاكل على طريقة الادب لنحاله اول ما وضعه
والانكار ان قال حيث ما رأى اعراضهم فاوجس منهم خيفة فاضمر منهم خوفا لما رأى اعراضهم عن
طعامه لظنه انهم جاؤه لشر وقيل وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا لعذاب قالوا لا تخف
انا رسل الله وقيل سبح جبرئيل فهجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم
وبشروه بغلام هو اسحق عليم يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امرأته سارة الى بيتها وكانت في زاوية
تنظر اليهم في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول ان اول
فاقبلت باخذت فصكت وجهها فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل
وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء وقالت عجوز عقيم اى انا عجوز عاقر
فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك الذى بشرنا به قال ربك وانما تخبرك به عنه انه هو
الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله محكما فما لما خطبكم ايها المرسلون فلما علم انهم
ملائكة وانهم لا يتزلون مجتمعين الا لامر عظيم سال عنه قالوا انا ارسلنا الى قوم

مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة
مرسلة من اسمت الماشية اومعلمة من السومة وهي العلامة عند ربك للمسرفين المجاوزين
الحد في الفجور فاخرجنا من كان فيها في قرئ قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة
من المؤمنين ممن امن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير اهل بيت من المسلمين
واستدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضي الا صدق المؤمن
والمسلم على من اتبعه وذلك لا يقتضي اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة
على ذات واحدة وتركنا فيها اية علامة للذين يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون
بها وهي تلك الاحجار او محل منضود فيها او ماء اسود منتن وفي موسى عطف على وفي
الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا في موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ
ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين هو معجزاته كاليد والعصا فتولى بركنه فاعرض
عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن
اليه الشئ ويتقوى به وقرئ بضم الكاف وقال ساحر اى هو ساحر او مجنون كانه
جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في انه حصل ذلك باختياره
وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فاغرقناهم في البحر وهو مليم
بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير في اخذناه وفي عاد اذ ارسلنا
عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن
منفعة وهي الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شئ اتت عليه من عليه الا
جعلته كالرميم كالرمة من الرمم وهو البلى والنفتت وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى
حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن
امتثاله فاخذتهم الصاعقة اى العذاب بعد الثلاث وقراء الكسائي الصعقة وهي
المرة من الصعق وهم ينظرون اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا من
قيام كقوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن
دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين منه وقوم نوح اى واهلكنا قوم نوح لان ما قبله
يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل في عاد وثمود قراءة ابي عمرو وحمزة
والكسائي بالجر من قبل من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن
الاستقامة بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوة وانا لموسعون لقادرون
من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها
وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها لتستقروا عليها فنعم الماهدون
اى نحن ومن كل شئ من الاجناس خلقنا زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلموا ان المتعدد من

من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام ففروا الى الله
من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة اني لكم منه اى من عذابه المعد لمن
اشرك او عصى نذير مبين بين كونه منذرا من الله تعالى بالمعجزات او مبين ما يجب ان
يحذر عنه ولا تجعلوا مع الله الها اخر افراد لاعظم ما يجب ان يفر عنه اني لكم منه
نذير مبين تكرير للتاكيد والاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثاني على الاشراك
كذلك اى الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم وتسميتهم
اياه ساحرا ومجنونا وقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون
كالتفسير له ولا يجوز نصبه ياتي او بما يفسره اى كذلك لان ما بعد ما النافية لا يعمل
فيما قبلها اتواصوا به اى كان الاولين والآخرين منهم او صى بعضهم بعضا بهذا القول
حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن التواصي جامعهم لتباعدايامهم الى
ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه فتول عنهم فاعرض
عنه مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد فما انت بملوم
على الاعراض بعد ما بذلت جهدك في البلاغ وذكر ولا تدع التذكير والموعظة فان
الذكرى تنفع المؤمنين من قدر الله ايمانه او من آمن فانه يزداد بها بصيرة وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم
مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنا في ظاهر قوله ولقد
ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لنامرهم بالعبادة او ليكونوا عبادا
لي ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون امي ما اريد ان اصرفكم في تحصيل
رزقي فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمامورين به فالمراد ان بين ان شانه
مع عباده ليس شان السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم يستعينوا بهم في تحصيل
معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسئلكم عليه اجرا ان الله هو
الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ اني انا
الرزاق ذو القوة المتين شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة فان للذين ظلموا ذنوبا
اى للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم
مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة
الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوا فلا يستعجلون جوابه قولهم
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا من يومهم الذي
يوعدون من يوم القيمة او يوم بدر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قراء
سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور اربعون في الكوفي وتسع اية

بسم الله الرحمن الرحيم والطور يريد طور سنين وهو جبل بمدين سمع فيها موسى كلام الله تعالى والطور الجبل بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القران او ما كتبه الله في اللوح المحفوظ او الواح موسى او في قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما يكتبه الحفظة في رق منشور الرق والجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت المعمور يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين والضراح وهو في السماء الرابعة وعمارته كثرة غاشية من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف المرفوع يعني السماء والبحر المسجور اي المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت روي ان الله يجعل يوم القيمة البحار نارا يسجر بها جهنم او المختلط من السجير وهو الخليط ان عذاب ربك لواقع لنازل ما له من دافع يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك لنها امور تدل على كمال قدرة الله وحكمته وصدق اخباره وضبط اعمال العباد لمجازاة يوم تور السماء مورا تضطرب اضطرابا والمور تردد في الجو والذهاب وقيل تتحرك في تموج ويوم ظرف وتسير الجبال سيرا اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك فويل لهم الذين هم في خوض يلعبون اي في تخوض في الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون اليها يعنف وذلك بان يغل ايديهم الى اعناقهم ويجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم قبله وظرف لقول مقدر محكيه هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي يقال لهم ذلك افسحر هذا اي كنتم تقولون للوحي هذا سحر ام هذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه وهو تفريع وتهكم اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها على اي وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم اي الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجبا لوقوع كان الصبر وعدمه سيين في

في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم او في جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين متلذذين بما اتيهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على انهم انجعل ما مصدرية او في خبات او حال باضمار قد من المستكن في الظرف او الحال او من فاعل اتى او مفعوله او منهما كلوا واشربوا هنيئا اي اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بدله وقيل الباء الزائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنا كم ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين الياء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن او لما في التزويج من معنى الالصاق والقرن ولذلك عطف والذين امنوا على حور اي قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم ذريتهم بايمان اعتراض للتعليل وقراء ابن عامر ويعقوب ذرياهم بالجمع وضم التاء لتلبا لغة في كثرتهم والتصريح فان الذرية تقع على الواحد والكثير وقراء ابو عمرو واتبعناهم ذرياهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم او الاشعار بانه يكفي للالحاق المتابعة في اصل الايمان الحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة او الدرجة لما روي انه عليه السلام قال ان الله يرفع ذرية المؤمنين في درجته وان كانوا دونه متقربهم عينه ثم تلا هذه الاية وقراء نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم وما التناهم وما نقصناهم من عملهم من شئ بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الاباء باعطاء الابناء بعض ما يتم بهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللايق بكمال لطفه وقراء ابن كثير بكسر اللام من الت يالت وعنه لتناهم من لات يليت والتناهم من الت يولت ولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله فان عمل صالحا فكها والا اهلكها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اي وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع التنعم يتنازعون فيها يتعاطون هم وجلساؤهم تجاذب كاسا خمر اسماها باسم محلها ولذلك انث الضمير في قوله لا لغو فيها ولا تاثيم اي لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول وقراء ابن كثير والبصريان بالفتح ويطوف عليهم اي بالكاس غلمان لهم اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه الصلوة والسلام والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسال

بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين خائفين في عصبان الله
معتنين بطاعته اوجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق ووقانا عذاب السموم
عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل من قبل
ذلك في الدنيا ندعوه نعبده او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن وقراء نافع والكسائي بفتح
همزة انه الرحيم الكثير الرحمة فذكر فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم فما انت بنعمت
ربك بحمد الله وانعامه بكاهن ولا مجنون كما يقولون ام يقولون شاعر نتربص به ريب
المنون ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه
قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تأمرهم
احلامهم عقولهم بهذا التناقض في القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر
والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من
المجنون وامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في
العناد وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فيرمون
بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن ان كانوا صادقين
في زعمهم اذ فيهم كثير من عدوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدي ويجوز ان يكون
ردا للتقول فان سائر الاقسام ظاهر الفساد ام خلقوا من غير شيء ام احدثوا وقدروا من غير
محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه او من اجل لا شيء من عباده ومجازاة ام هم الخالقون يؤيد
الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله ام خلقوا السموات والارض
وام في هذه الايات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون اذ استلوا من خلقكم
ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما عرضوا عن عبادته ام عندهم
خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من
اختاره حكمة ام هم المسيطرون الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤا ام لهم سلم
مرقى الى السماء يستمعون فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم
الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة يصدق استماعه
ام له البنات ولكم البنون فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعده من العقلاء
فضلا ان يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيتطلع على الغيوب ام تسألهم اجرا على تبليغ
الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم مثقلون محملون الثقل فذلك زهدوا في اتباعك
ام عندهم الغيب اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه ام يريدون
كيدا وهو كيدهم في دار الندوة به رسول الله صلى الله عليه وسلم فالذين كفروا يحتمل
العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه

انه الموجب للحكم المذكور وهم المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد ويعود عليهم وبال كيدهم
وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم
من عذابه سبحان الله عما يشركون من اشراكهم او شركة ما يشركونه به وان يروا كسفا
من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضها
على بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي
فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقراء ابن عامر وعاصم يصعقون
على المبني للمفعول من صعقه او اصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء
في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله وان للذين ظلموا يحتمل العموم
والخصوص عذابا دون ذلك اي دون عذاب الاخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة في
الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك
واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك في عنائهم فانك باعيننا في حفظنا
بحيث نراك ونكلاءك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ
وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان قمت او من منامك او الى الصلوة ومن
الليل تسبحه فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء ولذلك افرده بالذكر وقدمه
على الفعل وادبار النجوم واذ ادبر النجوم من اخر الليل وقرئ بالفتح او في اعقابها اذا غربت وخفيت
وعنه عليه السلام من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة والنجم وهي مكية وآياتها ٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه
غلب فيه اذا غرب او انتشر يوم القيمة او انقض وطلع فانه يقال هوى هويا بالفتح
اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل او البنات
اذا سقط على الارض او اذا نهى وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد
صلى الله عليه وسلم عن الطريق المستقيم والخطاب لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا
والمراد نفي ما ينسبون اليه وما ينطق عن الهوى وما يصدر نطقه بالقرآن عن
الهوى ان هو ما القرآن او الذي ينطق به الا وحي يوحى الا وحي يوحيه الله اليه
واحتج به من لم ير الاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا اوحي اليه بان يجتهد كان اجتهاده
وما يستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي علمه شديد
القوى ملك شديد قواه وهو جبرئيل فانه الواسطة في ايداء الخوارق روي انه قلع
قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة ثمود فاصبحوا جاثمين

ذو مرة حصافة فى عقله ورأيه فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية التى
خلقه الله عليها قبلما راه احد من الانبياء فى صورته غير محمد صلى الله عليه وسلم
مرتين مرة فى السماء ومرة فى الارض وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر
وهو بالافق الاعلى افق السماء والضمير لجبريل ثم دنا من النبى صلى الله عليه وسلم
فتدلى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا
من الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله وتقديره
لشدة قوته فان التدلى يسترسل مع تعلق كتدلى الثمرة ويقال دلى رجله من السرير
وادلى دلوه والدوالى للثمر المعلق فكان جبريل كقوتك هو متى معقدا لازارا و
المسافة بينهما قاب قوسين مقدارها او ادنى على تقديركم كقوله تعالى او يزيدون
والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفى البعد
الملبس فاوحى جبريل الى عبده عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما
كقوله تعالى على ظهرها ما اوحى جبريل وفيه تفخيم للموحى به او الله اليه وقيل
الضمائر كلها لله تعالى وهو المغنى بشديد القوى كما فى قوله تعالى هو الرزاق
ذو القوة المتين ودنوه منه برتبة مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب
القدس ما كذب الفؤاد ما رأى ما رأى بصره من صورة جبريل او الله تعالى
او ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل
منه الى البصر او ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه
عرفه بقلبه كما راه ببصره او ما راه بقلبه والمعنى انه لم يكن تخيلا كاذبا ويدل
عليه انه عليه الصلوة والسلام سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادى
وقرئ هشام ما كذب اى صدقه ولم يشك فيه افتمارونه على ما يرى افتجادلونه
عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من قرى الناقة فان كلا من المتجادلين يمرى
ما عند صاحبه وقراء حمزة والكسائى وخلف ويعقوب افتمرونه اى افتغلبونه
فى المراد من مماراته فمريته او افتجحدونه من راه حقه اذا جحده وعلى التضمين
الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم ولقد
راه نزلة اخرى مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها
اشعارا بان الرؤية فى هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو والكلام فى المرئى و
الدنو ما سبق وقيل بتقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمعنى
به نفى الريبة عن المرة الاخيرة عند سدرة المنتهى التى ينتهى اليها علم الخلائق واعلم
او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهى شجرة النبق لانهم

لانهم يجتمعون فى ظلها وروى مرفوعا انها فى السماء السابعة عندها جنة المأوى
الجنة التى يأوى اليها المتقون وارواح الشهداء اذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير
لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها اجم الغفير من
الملائكة يعبدون الله عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه
وسلم عما رآه وما طغى وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما صدل عن
رؤية العجائب التى امر برؤيتها وما جاوزها لقد راى من آيات ربه الكبرى اى والله
لقد راى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها
المعنية بما راى ويجوز ان يكون الكبرى صفة للايات على انها المفعول محذوف
اى شيئا من ايات ربه او من مزيدة افرأيتم اللات والعزى ومنوة الثالثة الاخرى
هى اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف ولقريش بنخله وهى فعلة من
لوى لانهم كانوا يلوون عليها اى يطوفون وقراءة الله عز البزى ورويس عن
يعقوب اللات بالتشديد اسمى به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم
الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه
وسلم خالد الوليد فقطعها واصلها تانيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة
او لثقيف وهى فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين
ومنه منى وقراء ابن كثير مناءة مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون الانواء
عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان لاتاكيد كقوله بطير بجناحيه او
الاخرى من التاخر فى الرتبة الكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملائكة بنات
الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته او هيا كل الملائكة وهو المفعول
الثانى لقوله افرأيتم تلك اذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون
منه وهى فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل فى بيض
فان فعلى بالكسر لم يأت وصفا وقراء ابن كثير بالهمزة من ضاره اذا ظلمه على انه مصدر
نعت به ان هى الا اسماء الضمير للاصنام اى ما هى باعتبار الالوهية الا اسماء
تطلقونها عليها لانكم تقولون انها آلهة وليس فيها شئ من معنى الالوهية او للصفة
التى تصفونها بها من كونها آلهة وبناتا وشفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا
يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها
ومناة اعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين سميتموها انتم وآباؤكم
بهواكم ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون
وقرئ بالتاء الا الظن الا توهمهم انها هو عليه حق تقليدا وتوهما باطلا وما تهوى

الانفس وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول والكتاب فتركوه
ام للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه
والمراد نفى طمعهم فى شفاعة الآلهة وقولهم لئن رجعت الى ربى ان لى للحسنى وقولهم لولا
نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ونحوها فلله الآخرة والاولى يعطى منهما ما يشاء
لمن يريد وليس لاحد ان يحكم عليه فى شئ منهما وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم
شيئا وكثير من الملائكة لا تغنى شفاعتهم شيئا ولا تنفع الا من بعد ان يأذن الله فى الشفاعة
لمن يشاء من الملائكة ان يشفع ومن الناس ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا لذلك
فكيف يشفع الاصنام لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة اى كل
واحد منهم تسمية الانثى بان سموه بنتا وما لهم به من علم اى بما يقولون وقرئ بها
اى بالملائكة والتسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا فان
الحق الذى هو حقيقة الشئ لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له فى المعارف
الحقيقية وانما العبرة به فى العمليات وما يكون وصلة لوليها فاعرض عن من تولى
عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام بشانه فان من
غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك فى الدنيا بحيث كانت منتهى همته وبلغ
علمه لا يزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اى امر الدنيا او كونه شهيته
مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصورهم همهم بالدنيا
وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض
اى انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تغب نفسك فى دعوتهم انما عليك البلاغ
وقد بلغت ولله ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا ليجزى الذين اساؤا بما عملوا
بعقاب ما عملوا من السوء ومثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل
عليه ما قبله اى خلق العالم وسواه للجزاء وميز الضال عن المهتدى وحفظ احوالهم
لذلك ويجزى الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهو الجنة او باحسن من
اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم ما يكبر عقابه
من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقراء
حمزة والكسائى وخلف كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما
فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبى الكبائر
والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة او المدح او الرفع على انه
خبر محذوف ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر او له
ان يغفر ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقيب وعيد المسيئين

المسيئين ووعد المحسنين لئلا يبأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب
العقاب على الله هو اعلم بكم اعلم باحوالكم منكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم
اجنة فى بطون امهاتكم علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتداء خلقكم من التراب
بخلق آدم وحين صوركم فى الارحام فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا عليها بزكاء العمل
وزيادة الخير وبالطهارة عن المعاصى والرذائل هو اعلم بمن اتقى فانه يعلم التقى وغيره منكم
قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه السلام افرايت الذى تولى عن اتباع الحق والثبات عليه
اعطى قليلا واكدى وتقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهى الصخرة الصلبة
فترك الحفر والاكثر على انها نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب
الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم
بخل بالباقى اعنده علم الغيب فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ام لم ينبأ بما فى صحف
موسى وابرهيم الذى وفى وقرأ نافع ما التزمه او امر به او بالغ فى الوفاء بما عاهد الله
وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبريل حين يلقى
فى النار فقال لك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشى كل يوم فرسخا
برنادضيفا فان واقفه اكرمه والاتوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهى التورية
كانت اشهر واكثر عندهم الا تزر وازرة وزر اخرى ان هى المخففة من الثقيلة وهى ما
بعدها فى محل الجر بدل من ما فى صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كانه قيل ما فى صحفهما
فاجاب به والمعنى انه لا يؤخذ احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى وكتبنا على
بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا
وقوله عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة
فان ذلك للدلالة والتسبب الذى هو وزره وان ليس للانسان الا ما سعى وان
سعيه سوف يرى الا سعيه اى كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا اثبات بفعله وما
جاء فى الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون التاوى له كالباشر عنه
ثم يجزاه الجزاء الاوفى اى يجزى العبد سعيه بالجزاء الاوفر فنصب بنزع الخافض
ويجوز ان يكون مصدرا وان يكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله
وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع
عما فى الصحف وكذلك ما بعده وانه هو اضحك وابكى وانه هو اماتا واحيى لا يقدر
على الاماتة واحياء غيره فان القائل بنقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله
تعالى على سبيل العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر روى ان الكفار سئالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق فى يوم القيمة ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر اى اقتربت الساعة وقد حصل من ايات اقترابها وانشقاق القمر وقوله وان يروا آية يعرضوا عن تأملها والايمان بها ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على انهم رأوا قبله ايات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امرر ته فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع من استمر اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى وكذبوا واتبعوا اهواءهم وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرها بلفظ الماضى للاشعار بانهما من عادتهم القديمة وكل امر مستقر منته الى غاية من خذلان او نصر فى الدنيا وشقاوة او سعادة فى الاخرة فان الشئ اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اى ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة ولقد جاءهم فى القرآن من الانباء انباء القرون الخالية او انباء الاخرة ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاى للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها حكمة بالغة غايتها الاخلال فيها وهى بدل من ما او خبره لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها فما تغن النذر نفى او استفهام انكارى فاى غناء تغنى النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او المصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك بان الانذار لا يغنى فيهم يوم يدع الداع اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر فى قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بمضمر يخرجون او باضمار اذكر الى شئ نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول القيمة وقرئ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث اى يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقى التانيث وقرئ خاشعة على الاصل وقراء ابن كثير وابن عامر ونافع وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صفة تشبيه الفعل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فيكون الجملة حالا كانهم جراد منتشر فى الكثرة والتموج والانتشار فى الامكنة مهطعين الى الداع مسرعين مادى اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم قوم نوح قبل قومك فكذبوا عبدنا نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب وكذبوه بعد ما كذبوا الرسل وقالوا مجنون وهو مجنون وازدجر وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اى هو مجنون وقد ازدجر الجن وتخبطته فدعا ربه انى بانى وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب فانتصر فحمى

سورة القمر خمس وخمسون اية مكية

فى الرحم او يخلق او يقدر منها الولد من منى واذا قدر وان عليه النشاءة الاخرى الاحياء بعد الموت وقراء ابو عمر والنشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشاء وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهو ما يتأثل من الاموال وافرادها لانها اشف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضاء له قنية وانه هو رب الشعرى يعنى العبور وهى اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول عليه الصلوة والسلام وخالف قريشا فى عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول صلى الله عليه وسلم ابن ابى كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه السلام وان وافق ابا كبشة فى مخالفتهم خالفه ايضا فى عبادتها وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وعادا الاولى بادغام التنوين فى اللام وثمود عطف على عاد الاولى ما بعده لا يعمل فيه وقرئ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الالف والباقون بالتنوين ويقفون بالالف فما ابقى الفريقين وقوم نوح ايضا معطوف عليه من قبل من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرونه عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك والمؤتفكة والقرى التى ائتفكت باهلها اى انقلبت وهى قرى قوم لوط اهوى بعد ان رفعها فقلبها فغشاها ما غشى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم فبأى آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما سماها آلاء من قبل ما فى نفسه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين هذا نذير من النذر الاولى اى هذا القرآن نذير من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين ازفت الازفة دنت الساعة الموصوفة بالدنو فى قوله اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها الا الان بتأخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية افمن هذا الحديث يعنى القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون تحزنا على ما فرطتم وانتم سامدون لاهون او مستكبرون من سمد البعير فى سيره اذا رفع رأسه او تغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء فاسجدوا لله واعبدوا اى واعبدوه دون الآلهة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد ومحمد تبكة

فانتصر فانتقم لى منهم و ذلك بعد يأسه منهم فقد روى ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه
حتى يخر مغشيا عليه فيفيق فيقول اللهم اغفر فانهم لا يعلمون ففتحنا أبواب السماء بماء
منهمر منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقراء ابن عامر
و يعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض
كلها كانها عيون منفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير مبالغة فالتقى الماء ماء
السماء وما الارض وقرئ الماء آن لاختلاف النوعين والماوان يقلب همزة واوا
على امر قد قدر على حال قدرها الله فى الازل من غير تفاوت وعلى حال قدرت وسويت
وهو ان قدرها انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان
وحملناه على ذات الواح ذات اخشاب عريضة وتسمى سفائن جمع دسار من الدسر
وهو الدفع الشديد وهى صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها يؤدى
مؤداها تجرى بأعيننا بمرأى منا اى محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفرا اى نعلنا ذلك جزاء
لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبى نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف
الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اى لاكافرين ولقد تركناها اى السفينة
او الفعلة اية يعتبر بها اذ شاع خبرها واستمر فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر على الاصل
ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام بها فكيف كان عذابى ونذر واستفهام تعظيم
ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع ولقد يسرنا القرآن سهلناه او هيأناه من
يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للاذكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ
والعبر والحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ كذبت عاد فكيف
كان عذابى ونذر وانذارا لهم بالعذاب قبل نزوله اولمن بعدهم فى تعذيبهم انا ارسلنا
عليهم ريحا صرصرا باردا او شديد الصوت فى يوم نحس شوم مستمر استمر
عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احدا او استمر مرارته
وكان يوم الاربعاء اخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روى انهم دخلوا فى الشعاب والحفر
وتمسك بعضهم ببعض فتنزعهم الريح منها وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر
اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض قيل شبهوا بالاعجاز لان الريح
طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتانيث فى
قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان عذابى ونذر للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم
فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الاخرة كما قال ايضا فى قصتهم لنذيقهم عذاب الخزى
فى الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت
ثمود بالنذر وبالانذارات والمواعظ والرسل فقالوا أبشرا منا نتبعه منا واحدا من جنسنا او من جملتنا

او من جملتنا لافضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء
والاول وجه للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له او من احادهم دون اشرافهم نتبعه
انا اذا لفى ضلال وسعر جمع سعير كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه مارتبه
على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة ءالقى الذكر الكتاب
والوحى عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره على
الترفع علينا بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة من الكذاب
الاشر الذى حمله اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل اصالح ام من كذبه
وقراء ابن عامر وحمزة و رويس ستعلمون على الالتفات وحكاية ما اجابهم به صالح
وقرئ الاشر كقولهم فلان خذر فى خذر والاشر اى الابلغ فى الشرارة وهو اصل مرتوض
كالاخير انا مرسلوا الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم
فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم
مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغلب العصلاء كل شرب محتضر يحضره
صاحبه فى نوبته او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف اجمر ثمود فتعاطى
فعقر فاجتراء على تعاطى قتلها فقتلها او تعاطى على السيف فقتلها والتعاطى
تناول الشئ بتكلف فكيف كان عذابى ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة
صيحة جبريل فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المنكسر الذى يتخذ من يعمل
الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لما شبيته
فى الشتاء وقرئ بالحاء اى كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا
ريحا تحصبهم بالحجارة اى ترميهم الا ال لوط نجيناهم بسحر فى سحر وهو اخر الليل
او مسحرين بنعمة من عندنا انعاما منا وهو علة لنجيناهم كذلك نجزى من شكر نعمتنا
بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر
فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه فصدوا الفجور بهم فطمسنا
اعينهم فسخناها وسويناها كسائر الوجه روى انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم
جبريل صفقة فاعماهم فذوقوا عذابى ونذر فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة
او ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول
نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابى ونذر
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كرر ذلك فى كل صفة اشعارا بان تكذيب
كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للاذكار والاتعاظ

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشأ الشرع واعظم الوحي واغزر الكتب ذهوبا عجاز واشتماله على اخباره مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان اي ما به خلق البشر وما تميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير وافهام الغير بما ادركه لتلقي الوحي وتعرف الخلق وتعلم الشرع ولهذا الجمل الثلث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العناصر لجيئها على نهج التعديد الشمس والقمر يجريان بحسبان بحسبا معلوم مقدر في نير وجهما ومنازلهما ويتسق بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب والنجم والنبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر والذي له ساق يسجدان ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانهما والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اقتضائهما بالرحمن لكنهما جردا عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على ان ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره والسماء رفعها خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ اقتضيته ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه وفي كل ذي حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال عليه الصلوة والسلام بالعدل قامت السموات والارض وما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كان لما وصف السماء بالرفعة التي هي من حيث انها مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف به المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب ألا تطغوا في الميزان ان لا تطغوا فيه اي لا تفسدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها ونحتها على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها خفضها مدحوة للانام للخلق وقيل الانام كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام اوعية التمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع والجمار والتمر والحب ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن والريحان يعني المشموم او الرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان الله وقرئ ابن عامر والحب ذو العصف والريحان

واستبنا فا للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبای الاء ربکما تکذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوها ولقد جاءآل فرعون النذر الكتى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك كذبوا بايانتا كلها يعني الايات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شئ اكفاركم يا معشر العرب خير من اولئكم الكفار المعد ودين قوة وعدة او مكانة ودينا عند الله ام لكم براءة في الزبر ام نزل لكم في الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو في امان من عذاب الله تعالى ام يقولون نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لانتزام او منتصر من الاعداء لا تغلب او مناصر ينصر بعضنا والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون الدبر اي الادبار وافراده لارادة الجنس ولان كل واحد يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر انه نزلت قال لم اعلم ما هي فلما كان يوم بدر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمت تاويلها يوم بدر والساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلي وما يحتمل بهم لدينا مترقب يعه والساعة ادهى واشد والداهية امر فظيع لا يهتدى لدوائه وامر مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الاخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس سقر اي يقال لهم ذوقوا حر النار والمها قال مسها سبب المتألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم ينصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته انا كل شئ خلقناه بقدر اي انا خلقنا كل شئ مقدرا مرتبا مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شئ منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه وصفا لا نعتا ليطابق المشهورة في الدلالة على ان كل شئ مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من التنصيص على المقصود وما امرنا الا واحدة الافعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة او الا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة الا كلمح بالبصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشياهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر متعظ وكل شئ فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح ان المتقين في جنات ونهر انهار واكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء وبضم النون والهاء وبضم النون وسكون الهاء جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عنده من تحلى امره في الملك والاقتدار بحيث يهم ذوا الافهام عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر

سورة الرحمن جل وعلا تسع وسبعون اية

اى وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف وقرئ حمزة
والكسائى والريحان بالخفض والباقون بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو ياء
وادغم ثم خفف وقيل روحان قلب واوه ياء للتخفيف فبأى الاء ربكما تكذبان الخطاب
للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار
الصلصال الطين اليابس الذى له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله
طينا ثم حماء مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه وخلق الجان
الجن او بالجن من مارج من صاف من الدخان من نار بيان لمارج فانه فى الاصل المضطرب من مرج
اذا اضطرب فبأى الاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما فى اطوار خلقتكما حتى صيركما افضل
المركبات وخلاصة الكائنات رب المشرقين ورب المغربين مشرقى الشتاء والصيف
ومغربيهما فبأى الاء ربكما تكذبان مما فى ذلك من الفوائد التى لا تحصى كاعتدال الهواء
واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين
ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان
تجاورا وتماسا سطوحهما او بحرى فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانهما جليجان
ينشقيان منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله او من الارض لا يبغى احدهما
على الاخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فبأى
الاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر وصغاره وقيل المرجان
الخرز الاحمر وان صح ان الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من
مجتمع الملح والعذب او لانهما لما اجتمعا صارا كالشئ الواحد وكان المخرج من احدهما
كالمخرج منهما وقراء نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ ونخرج ويخرج ينصب اللؤلؤ والمرجان
فبأى الاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء
كقوله لها اثايا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشئات المرفوعات الشرع او المصنوعات
وقراء حمزة وابو بكر بكسر الشين اى الرافعات الشرع او اللاتى ينشئن الامواج او السير
فى البحر كالاعلام كالجبال لجمع علم وهو الجبل الطويل فبأى الاء ربكما تكذبان من خلق
مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها فى البحر باسباب لا يقدر على
خلقها وجمعها غيره كل من عليها من على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب
او من الثقلين فان وبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت
ووجوهها وجدتها باسرها فانية فى حد ذاتها الا وجه الله اى الوجه الذى لجهته تعالى
ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فبأى الاء ربكما تكذبان اى مما
ذكرنا قبل من بقاء الرب وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وتفضلا ومما ترتب

ترتب على افناء الكل من الاعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم يسأله من فى السموات والارض فانهم
مفتقرون اليه فى ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل
على الحاجة الى تحصيل الشئ نطقا كان او غيره كل يوم هو فى شأن كل وقت يحدث اشخاصا و
يجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفى الحديث من شانه ان يغفر ذنوبا ويفرج كربا ويرفع
قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضى يوم السبت شيئا فبأى الاء ربكما
تكذبان اى مما يسعف به سؤلكما ويخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ لكم
ايها الثقلان اى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة فانه تعالى لا يفعل فيه
غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سافرغ لك فان المتجرد للشئ كان اقوى
عليه واجتنبه وقراء حمزة والكسائى بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اى سنقصد اليكم
والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهم وقدرهم
او لانهما مثقلان بالتكليف فبأى الاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموت والارض
هاربين من الله فارين من قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ
الا بسلطان الا بقوة وقهر وانى لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا تعلموا ما فى السموت
والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا بينة نصبها الله فتعرجون عليها
بافكاركم فبأى الاء ربكما تكذبان اى من البينة والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال
القدرة او ما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق
السموات العلى يرسل عليكما شواظ لهب من نار ونحاس ودخان قال قتادة كضوء
سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا او صفر مذاب يصب على رؤسهم وقراء ابن كثير
شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب
فى روايته وقرئ ونحس وهو جمع كحمة فلا تنتصران فلا تمتنعان فبأى الاء ربكما تكذبان
فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصى بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء
فاذا انشقت السماء فكانت وردة اى حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة
فيكون من باب التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن بغرة تحوى الغمام او بون كوردة
كالدهان مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالخزام اوجمع دهن وقيل هو الاديم
الاحمر فبأى الاء ربكما تكذبان اى مما يكون بعد ذلك فيومئذ اى تنشق السماء
لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من
قبورهم ويحشرون الى الموقف ذود اذ على اختلاف مراتبهم واما قوله تعالى
فوربك لنسئلنهم ونحوه فحين يحاسبون فى الجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه

وان تأخر لفظا تقدم رتبة فبأي آلاء ربكما تكذبان اى مما انعم الله على عباده المؤمنين
وفي هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ
بالنواصي والاقدام مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالاقدام اخرى
فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها بين النار
يحرقون بها وبين حميم اما حار ان بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم او يسقون منه
وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه
موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب او قيامه على حواله من قال عليه اذا راقبه
او مقام الخائف عند ربه للحساب احد العينين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا
او ربه ومقام مقحم للبيان لغة كقوله ذعرت به القطا ونقيت عنه مقام الذئب
كالرجل للعين جنتان جنة للخائف الانسي والاخرى للخائف الجني فان الخطاب
للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله
او جنة الفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي او جنة ثواب بها واخرى يتفضل بها
عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فبأي آلاء ربكما تكذبان
ذواتا افنان انواع من الاشجار والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهي الغصنة التي
تنشعب من فرع الشجرة وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر ومد الظل فبأي آلاء
ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان حيثما شاؤا في الاعالي والاسافل قيل احديهما التسنيم
والاخرى السلسبيل فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان غريب
ومعروف ورطب ويابس فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من
استبرق من ديباج تخنن واذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح
للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع وجنى الجنتين دان قريب منال القاعد
والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجنى وقرئ بكسر الجيم فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن في
الجنان فان جنتان تدل على جنان هي للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او في
هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف
نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان لم يمسسهن
الا نسيات انس ولا الجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقراء الكسائي بضم
الميم فبأي آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان اى في حمرة الوجنة وبياض
البشرة وصفائها فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان
في الثواب وهو الجنة فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان ومن دون تينك
الجنتين الموعودتين للخائفين للمقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين فبأي آلاء

آلاء ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان يضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار
بان الغالب على هاتين الجنتين الجنات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين
الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان
فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين وكذا ما بعده فبأي آلاء ربكما تكذبان
فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفها على الفاكهة بيانا لفضلها فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء
وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة على ان من حلف لا يأكل فاكهة فاكل رطبا
او رمانا لم يحنث فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات اى خيرات الخلق فخفف لان خير الذي
بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل خيرات حسان الخلق والخلق فبأي آلاء ربكما
تكذبان حور مقصورات قصرن في خدورهن يقال امراة قصيرة وقصورة اى محذورة او
مقصورات الطرف على ازواجهن في الخيام فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
كمورد الاولين وهم في قبلهم لاصحاب الجنتين فانهما تدلان عليهم فبأي آلاء ربكما تكذبان
متكئين على رفرف وسائدا ونمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل
الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقري حسان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب
انه سم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حلا على المعنى
فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه مطلق على
ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او معجم كما في قوله الى الحول ثم اسم
السلام عليكما ذي الجلال والاكرام وقرئ ابن عامر بالرفع صفة الاسم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من قراء سورة الرحمن اداى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيمة سماها واقعة لتحقق
وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اى لا
يكون حين تقع نفس تكذب على الله او تكذب في نفسها كما تكذب الآن واللام مثلها في قوله
تعالى قدمت لحياتي وليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق وليس لها حينئذ
نفس تحدث صاحبها باطافة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا
نفسه في الحطب العظيم اذا سجعته عليه وسولت له انه يطيقه خافضة رافعة
تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقايع العظام كذلك او بيان لما يكون
حينئذ من خفض اعداء الله ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن مجازها بشتر الكواكب
وتسيير الجبال في الجو وقرئ بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا

شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة او بدل من اذا وقعت وبست
الجبال بسا اى فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت و
سيرت من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا
ثلاثة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف اخر زوج فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب
المشأمة ما اصحاب فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من يمنتهم بالميامن
وتشأمتهم بالشمائل او اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحايفهم بايمانهم
والذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليمن والشوم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم
والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان اخبران لما قبلهما باقامة
الظاهر مقام الضمير ومعناها التعجيب من حال الفريقين والسابقون السابقون والذين
سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا فى حيازة الفضل
والكمالات او الانبياء فانهم مقدموا اهل الايمان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم
كقول ابى النجم انا ابو النجم وشعرى شعرى او الذين سبقوا الى الجنة اولئك المقربون
فى جنات النعيم الذين قربت درجاتهم فى الجنة واعليت مراتبهم ثلة من الاولين وقليل
من الاخرين اى هم كثير من الاولين يعنى الامم السالفة من لدن آدم الى محمد عليهما الصلوة
والسلام وقليل من الاخرين يعنى امة محمد ولا يخالف ذلك قوله عليه السلام ان امتى
يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقى هذه الامة ونابعوا
هذه اكثر من نابعيهم ولا يرده قوله فى اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين
لان كثرة الفريقين لا تنافى اكثرية احدهما وروى مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها
من الثل وهو القطع على سرر موضونة خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة
بالذهب مشتبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع متكئين
عليها متقابلين حالان من الضمير فى على سرر يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون
مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم باكواب وأباريق حال الشرب وغيره والكوب
اناء الاعروة له ولا خرطوم له والابريق اناء له ذلك وكأس من معين من خمر لا يصدعون
عنها بخمار ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم او لا ينفد شرابهم وقراء الكوفيون بكسر الزاء
وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون اى لا يتفرقون وفاكهة مما يتخيرون اى
يختارون ولحم طير مما يشتهون يثنون وحور عين عطف ولدان او مبتداء محذوف
الخبر اى وفيها او ولهم حور وقراء حمزة والكسائى بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف
اى هم فى جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون
باكواب ينعمون باكواب وقرئا بالنصب على ويؤتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون

المكنون المصون عما يضربه فى الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا يعملون اى يفعل ذلك كله بهم
جزاء باعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تأثيما ولا نسبة الى الاثم اى لا يقال لهم
الا قيلا الا قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما
او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة على تفاوت ما
بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فى سدر مخضود لا
شوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثنى اعضانه من كثرة حمله من خضد الغصن
اذا ثناه وهو رطب وطلح شجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرايحة وقرئ
بالعين منضود نضد حمله من اسفله الى اعلاه وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا
يتفاوت وماء مسكوب يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب ومصبوب سائل
كانه لما شبه حال السابقين فى التنعم بما علما يتصور لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين
باكمل ما يتناه اهل البوادى اشعارا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة الاجناس
لا مقطوعة لا تنقطع فى وقت ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولهم بوجه وفرش مرفوعة
رفيعة القدر او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انهن على الارائك
ويدل عليه قوله انا انشأناهن انشاء اى ابتدأنا هن ابتداء جديدا من غير ولادة
ابداء او اعادة وفى الحديث هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن
الله بعد الكبر ابكارا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فجعلنا هن
ابكارا عربا متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه خمرة وروى عن نافع
وعاصم مثله اترابا فان كلهن بنات ثلث وثلثين وكذا ازواجهن لاصحاب اليمين
متعلق بانشاءنا او جعلنا او صفة لابكارا او خبر لمحذوف مثل هن او لقوله ثلة
من الاولين وثلة من الاخرين وهى على الوجوه الاول خبر محذوف واصحاب الشمال
ما اصحاب الشمال فى سموم فى حر نار تنفذ فى المسام وحميم وما متناه فى الحرارة وظل
من يحموم من دخان اسود بفعول من الحمة لا بارد كسائر الظل ولا كريم ولا نافع
نفى بذلك ما اوهم الظل من الاستراحة انهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين فى
الشهوات وكانوا يصرون على الحنث العظيم الذنب العظيم يعنى الشرك ومنه بلغ الغلام
الحنث اى العلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث فى يمينه خلاف برها وتحنث اذا تأثم
وكانوا يقولون اذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون كررت الهمزة للدلالة
على انكار البعث مطلقا وخصوصا فى هذا الوقت كما دخلت العاطفة فى قوله او آباؤنا
الاولون للدلالة على ان ذلك اشد انكارا فى حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها
حسن العطف على المستكن فى المبعوثون وقراء نافع وابن عامر او بالسكون وقد سبق

مثله والعامل فى الظرف ما دل عليه مبعوثون لا هو للفصل بان والهمزة قل ان
الاولين والاخرين لمجموعون وقرئ لمجموعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقت به الدنيا
وحد من يوم معين عند الله معلوم له ثم انكم ايها الضالون المكذبون اى بالبعث
والخطاب لاهل مكة واضرابهم لاكلون من شجر من زقوم من الاولى للابتداء والثانية
للبيان فمالئون منها البطون من شدة الجوع فشاربون عليه من الحميم لغلبة العطش
وتانيث الضمير فى منها وتذكيره فى عليه حملا على المعنى ولفظه وقرئ من شجرة فيكون
التذكير للزقوم فانه تفسيرها فشاربون شرب الهيم الابل التى بها الهيام وهو واز
يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت كاليهماء لا الماء مبرد
صداها ولا يقضى عليها هيامها وقيل الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل
الذى لا يتماسك جمع على هيم كسجب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف
والمعطوف عليه اخص من الاخر من وجه فلا اتحاد وقراء نافع وعاصم وحمزة شرب
بضم الشين هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا
فى الجحيم وفيه تهكم كما فى قوله فبشرهم بعذاب اليم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له
وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالخلق مبقين محققين
للتصديق بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة
افرايتم ما تمنون اى ما تقذفونه فى الارحام من النطف وقراء بفتح التاء من منى النطفة
بمعنى امناها ءانتم تخلقونه تجعلونه بشرا سويا ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم
الموت قسمنا عليكم واقتنا موت كل وقت معين وقراء ابن كثير بتخفيف الدال
وما نحن بمسبوقين لا يسبقنا احد فيهرب من الموت او بغير وقته او لا يغلبنا احد
من سبقته على كذا اذا غلبته عليه على ان نبدل امثالكم على الاول حال او علة
لقدرنا وعلى بمعنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثانى فى صلة والمعنى
على ان مبدل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع
مثل وننشئكم فى ما لا تعلمون فى خلق او صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشاة
الاولى فلولا تذكرون ان من قدر على النشاة الاخرى فانها اقل صنعا
لحصول المواد وتخصيص لاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس افرايتم
ما تحرثون تبذرون حبه ءانتم تزرعونه تنبتونه ام نحن الزارعون المنبتون
لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون على اجتهادكم
فيه او على ما اصبتم لاجله من المعاصى فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة
وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظللتم بالكسر وفظلتم على الاصل انا لمغرمون لملزمون

بل نحن محرومون حرمنا رزقنا او محدودون لا حظ لنا افرايتم الماء الذى تشربون
اى العذب الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من المزن من السحاب واحده فرقه وقيل
المزن السحاب الابيض وماؤه عذب ام نحن المنزلون بقدرتنا والرويتان كانت بمعنى
العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم
وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يختص للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانها
او الاكتفاء بسبق ذكرها او تخصيص بقصد لذاته ولكون اهم وفقده اصعب بمزيد
التاكيد فلولا تشكرون امثال هذه النعم الضرورية افرايتم النار التى تورون
تقدحون ءانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون يعنى الشجرة التى منها الزناد
نحن جعلناها جعلنا نارا والزناد تذكرة تبصرة فى امر البعث كما مر فى سورة يس
او فى الظلام او تذكيرا او نموذجا لنار جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون
القواء وهى القفر او للذين خلت بطونهم او نوادرهم من الطعام او من قوت الدار
اذا خلت من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر اسمه فان اطلاق
الاسم للشئ ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدد
من بدايع صنعه وادغامه اما التنزيه تكفا عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون
لنعمته او للتعجب من امرهم فى غمط نعمه او للشكر على ما عداه من النعم فلا اقسم ان لا
اوضح من ان يحتاج الى قسم او فا قسم ولا مزيدة للتاكيد كما فى لئلا يعلم او فلا نا
اقسم فحذف المبتداء واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه قراءة فلا اقسم او فلا
رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب لما فى
غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تاثيرا وبمنزلها ومجاريها
وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقراءة حمزة والكسائى بموقع وانه
لقسم لو تعلمون عظيم لما فى المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط
الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض فى اعتراض فانه
اعتراض بين القسم والمقسم عليه لو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة انه
لقرآن كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة فى اصلاح المعاش والمعاد
اوحسن مرضى فى جنسه فى كتاب مكنون مصون وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون
لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة او ليس
القرآن الا المطهرون عن الاحداث فيكون فيه نهى او لا يطلبه الا المطهرون
من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون
اى نفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة

او رابعه للقران وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب اى نزل تنزيلا أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ
يعنى القران أَنتُم مُّدْهِنُونَ متهاونون به كمن يدهن فى الامر اى يلين جانبه ولا يصلب
فيه تهاونا به وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ اى شكر رزقكم أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ اى بما يحث تنسبونه
الى الانواء وقرئ شكركم اى تجعلون شكركم لنعمة القران انكم تكذبونه وتكذبون
اى بقولكم فى القران انه سحر وشعر او فى المطر انه من الانواء فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ
اى النفس وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال
وَنَحْنُ أَقْرَبُ ونحن علم إِلَيْهِ الى المحتضر مِنكُمْ عبر عن العلم بالقرب الذى هو اقوى بسبب
الاطلاع وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ لانكم لا تدركون كنه ما يجرى عليه فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ
اى مجزيين يوم القيمة او مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل التركيب
الذل والانقياد تَرْجِعُونَهَا ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه
بامر الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهو اى ترجعون بما حيزها دليل جواب الشرط والمعنى
ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم بآياته إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ فى تعطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم فَأَمَّا إِن
مِّنَ الْمُقَرَّبِينَ اى ان كان المتوفى من السابقين فَرَوْحٌ فلا استراحة وقرئ فروح بالضم
وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحيوة المرحوم وبالجنة الدائمة وَرَيْحَانٌ وزرق طيب وَجَنَّتُ
نَعِيمٍ ذات تنعم وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ يا صاحب اليمين مِّنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ
اى من اخوانك يسلمون عليك وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ يعنى اصحاب الشمال وانما
وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم اوعدهم به فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ
جَحِيمٍ وذلك ما يجد فى القبر من سموم النار ودخانها إِنَّ هَٰذَا اى الذى ذكر فى هذه السورة او فى
شان الفريقين هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ اى خبر حق اليقين فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ فنزهه بذكر اسمه عما لا
يليق بعظمة شانه عز الشيء صلى الله عليه وسلم من قراء سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سُورَةُ الْحَدِيدِ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ذكرهما
وفى الحشر والصف بلفظ الماضى وفى الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من
شان ما استدل به ان يسبحه فى جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف
الحالات ومجئ المصدر مطلقا فى بنى اسرائيل بالغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق
التسبيح من كل شئ وفى كل حال وانما عدى باللام ومع بنفسه مثل نصحت له فى نصحته
اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه وَهُوَ الْعَزِيزُ الحكيم حال لا يشعر بما هو

بما هو المبتدأ للتنبيه لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فانه الموجد لها والمتصرف فيها يُحْيِي وَيُمِيتُ
استيناف او خبر لمحذوف او حال من المجرور فى له وَهُوَ على كل شئ من الاحياء والاماتة وغيرهما
قدير ومن قدرته هُوَ الْأَوَّلُ السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها وَالْآخِرُ
الباقى بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها او هو الاول الذى يبتدى منه
الاسباب وينتهى اليه المسببات والاول خارجا والاخر ذهنا وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ الظاهر
وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا يكتنهها العقول او الغالب على كل شئ
والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يستوى عنده الظاهر والخفى هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يعلم ما يلج فى الارض كالبذور وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا كالزروع وَمَا يَنزِلُ
مِنَ السَّمَاءِ كالامطار وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا كالابخرة وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ لا ينفك علمه وقدرته
عنكم بحال وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه
لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ يعلم كونها
آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ من الاموال التى جعلكم الله خلفاء
فى التصرف فيها فهى فى الحقيقة له لا لكم او التى استخلفكم عمن قبلكم فى تملكها والتصرف فيها
وفيه حث على الانفاق تهوين وتوهين له على النفس فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ
أَجْرٌ كَبِيرٌ وعد به مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق
وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبير وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ اى وما
تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ حال من ضمير لا
تؤمنون والمعنى اى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحج والايات وقد اخذ
مِيثَاقَكُمْ اى وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر
والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرئ ابو عمرو على البناء للمفعول إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ لموجبة
ما قام هذا موجب لامزيد عليه هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم اى الله
او العبد من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ
حيث نبهكم بالرسول والايات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وَمَا لَكُمْ
أَلَّا تُنفِقُوا اى شئ لكم فى ان لا تنفقوا فى سبيل الله فما يكون قربة اليه وَلِلَّهِ مِيرَاثُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يرث كل شئ بنهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان ذلك فانفاقه بحيث
يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ
الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم

من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات حثا على تحري الافضل منها بعد الحث على الانفاق
وذكر القتال للاستطراد وقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه
والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق من الذين
انفقوا من بعد وقاتلوا اى من بعد الفتح وكلا وعد الله الحسنى اى وعد الله كلا من المنفقين
المثوبة الحسنى وهى الجنة وقراء ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء اى وكل وعده الله
ليطابق ما عطف عليه والله بما تعملون خبير عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه
والآية نزلت فى ابى بكر فانه اول من آمن وانفق فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب
ضربا اشرف به على الهلاك من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا من ذا الذى ينفق
ماله فى سبيله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه
وتحري اكرم المال وافضل الجهات له فيضاعفه له اى يعطى اجره اضعافا وله
اجر كريم اى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه ينبغى ان يتوخى
وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرئ عاصم فيضاعفه بالنصب
على جواب الاستفهام باعتبار المعنى وكانه قال ايقرض الله احد فيضاعفه له وقرأ
ابن كثير يضعفه مرفوعا وابن عامر ويعقوب يضعفه منصوبا يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات ظرف لقوله وله او فيضاعفه او مقدرا ذكر ليسعى نورهم ما يوجب
نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف
اعمالهم من هاتين الجهتين بشراكم اليوم جنات اى يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة
بشراكم اى المبشر به جنات وبشراكم دخول جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها
ذلك الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة يوم يقول
المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين امنوا انظرونا انتظرونا فانهم
يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف وانظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم
بوجوههم فيستضيئون بنورهم بين ايديهم وقراء حمزة انظرونا على ان ابتداءهم
ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس من نوركم نصب منه قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا
فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها
او الى الموقف فانه من ثمة يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا اخر فانه
لا سبيل لكم الى هدا اوهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة فضرب
بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط له باب يدخل فيه المؤمنون
باطنه باطن السور والباب فيه الرحمة لانه يلى الجنة وظاهره من قبله العذاب
من جهته لانه يلى النار ينادونهم الم نكن معكم يريدون موافقتهم فى الظاهر قالوا

فالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم وشككتم فى
الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور الشيطان
او الدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقراء ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين
كفروا ظاهرا وباطنا مأويكم النار هى مولاكم هى اولى بكم لقول لبيد فغدت كلا
الفرجين تحسبانه مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته محراكم اى مكانكم الذى
يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو منتة الكرم اى مكان قول القائل انه لكريم او
مكانكم عامر قريب من الولى وهو القرب وناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب
وجيع ومتوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها فى الدنيا وبئس المصير النار الم يأن
للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يأت وقته يقال آنى الامر يأنى انيا وانا
وانا اذا جاء اناه وقرئ الم يأن بكسر الهمزة وسكون النون من ان تبين بالهمزة
بمعنى انى يأنى والما يأن روعان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا
الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وما نزل من الحق اى القرآن وهو
عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الاخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله
وقراء نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ انزل ولا يكونوا كالذين اوتوا
الكتاب من قبل عطف على تخشع وقراء وليس بالنار والمراد النهى عن مماثلة اهل
الكتاب فيما حكى عنهم بقوله فطال عليهم الامد فقست قلوبهم اى فطال عليهم
الزمان بطول اعمارهم او آمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم
وقرئ الامد وهو الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون
لما فى كتابهم من فرط القسوة اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب
القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات ترغيبا فى الخشوع وزجرا عن القساوة
قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون كى يكمل عقلكم ان المصدقين والمصدقات
المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ بها وقراء ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اى
الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل فى المحلى
باللام لان معناه الذين اصدقوا او صدقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو
التصدق المقرون بالاخلاص يضاعف لهم ولهم اجر كريم معناه والقراءة فى يضاعف
مامر غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر والذين
امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم اى ولئك عند الله
بمنزلة الصديقين والشهداء او هم المبالغون فى الصدق فانهم امنوا وصدقوا
جميع اخبار الله ورسله والقايمون بالشهادة لله ولهم او على لامهم يوم القيمة

وقيل والشهداء عندربهم مبتدأ وخبر والمراد بهم الانبياء من قوله تعالى فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم مثل اجر الصديقين
والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور
الموعودان لهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان
الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحة تدل
على الملازمة اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في
الاموال والاولاد لما ذكر حال الفريقين في الاخرة حقر امور الدنيا اعني ما لا يتوصل به
الى الفوز الاجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها
لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدا كتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو
يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية
والمنازل الرفيعة وتفاخر الانساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله
كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل
لحال في سرعة تقضيها وقلة جدوى بحال نبات انبتته الغيث فاستوى واعجب به
الحراث والكافر فوت بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى
معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احتربه
فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اي يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور
الاخرة بقوله وفي الاخرة عذاب شديد تنفيرا عن الانهماك في الدنيا وحثا على ما يوجب
كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا
متاع الغرور اي لمن اقبل عليها ولم يطلب الاخرة بها سابقوا سارعوا مسارعة
المسابقين في المضمار الى مغفرة من ربكم الى موجباتها وجنة عرضها كعرض السماء
والارض اي عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد
به البسطة كقوله تعالى فذو دعاء عريض اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه
دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف في استحقاقه ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب والله ذو الفضل
العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره ما اصاب من مصيبة في
الارض كجدب وعاهة ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب الا مكتوبة في اللوح
مثبتة في علم الله تعالى من قبل ان نبرأها تخلقها والضمير للمصيبة او للارض
او لانفس ان ذلك ان اثبته في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة
والمدة لكيلا تأسوا اي اثبت وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا

ولا تفرحوا بما اتاكم بما اعطاكم الله منها فان من علم ان الكل مقدر هان عليه اللامر و
قراء ابو عمرو بما اتاكم من الايتان ليعادل ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها
يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها
ويبقيها والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال
ولذلك عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال كفور اذ قل من يثبت نفسه حالتي
الضراء والسراء الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال
بالمال يضن به غالبا او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يتول فان الله
هو الغني الحميد لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود
في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره ولا ينفعه التقرب اليه شيء من نعمه وفيه تهديد
واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقراء نافع وابن عامر فان الله الغني لقد
ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم بالبينات بالحجج والمعجزات
وانزلنا معهم الكتاب ليبين الحق ويميز صواب العمل والميزان ليسوي به الحقوق ويقام
به العدل كما قال ليقوم الناس بالقسط وانزاله انزال اسبابه والامر بها عداده وقيل
انزل الى نوح ويجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به الاعداء كما قال
وانزلنا الحديد فيه بأس شديد فان آلات الحروب متخذة منه ومنافع للناس
اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها وليعلم الله من ينصره ورسله بالاستعمال الاسلحة
في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا
او اللام صلة لمحذوف اي انزله ليعلم الله بالغيب حال من المستكن في ينصره ان الله
قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لا يفتقر الى نصرة وانما امرهم بالجهاد ليتفعوا
به ويستوجبوا ثواب امتثاله فيه ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما
النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط
فمنهم ممن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهما ارسلنا مهتد وكثير منهم
فاسقون فارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم
والدلالة على ان الغلبة للضلال ثم قفينا على اثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن
مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى عليه السلام والضمير
لنوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل
لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة
واما هو من امر البرطيل لانه اعجمي وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ
رآفة على فعالة ورحمة ورهبانية اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها

او رهبانية مبتدعة على انها من المجعولات وهى المبالغة فى العبادة والرياضة و
والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ فى الخوف من رهب كالحسبان
من خشى وقرئت بالضم كانها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان
ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اى ولكنهم
ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم
بها وهو كما ينفى الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفى الندب المقصود منه مجرد
حصول رضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا
اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها او لان انهم اخترعوها من تلقاء
انفسهم فما رعوها اى فما رعوا جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد
وقصد السمعة والكفر لمحمد صلى الله عليه وسلم ونحوها اليها فآتينا الذين آمنوا
منوا بالايمان الصحيح وحافظوا حقوقها ومن ذلك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
منهم من المتسمين باعتياعه اجرهم وكثير منهم فاسقون فارجوها عن حال
الاتباع يا ايها الذين آمنوا بالرسل المتقدمه اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا
برسوله محمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد
صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق
وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا فى عصره
ويجعل لكم نورا تمشون به يريد به المذكور فى قوله تعالى يسعى نورهم والهدى
يسلك به الى جناب القدس ويغفر لكم والله غفور رحيم ليئلا يعلم اى ليعلموا
لا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكى يعلم ولا يعلم بادغام النون فى الياء اهل الكتاب
ان لا يقدرون على شئ من فضل الله ان هى المخففة والمعنى انهم لا ينالون شيئا مما ذكر من
فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به اولا يقدرون على
شئ من فضله فضلا ان يتصرفوا فى اعظمه وهو النبوة فيخصونها بمن اراد واويده قوله وان
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقيل لا غير مزيدة والمعنى ليئلا
يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبى والمؤمنون به على شئ من فضل الله ولا ينالونه
فيكون وان الفضل عطفا على ان لا يعلم وقرئ ليئلا ووجهه ان الهمزة حذفت
وادغمت النون فى اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليئلا على الاصل فى الحروف المفردة الفتح
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين امنوا بالله ورسوله

سورة المجادلة اثنتان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى
روى ان خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال انت على حرام فقالت ما طلقنى فقال انت على حرام فاغتمت لصغر
اولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الايات الاربع وقد تشعر بان الرسول والمجادلة
يتوقع اتاله يسمع مجادلتها وشكويها ويفرج عنها كريها وادغم حمزة والكسائى وابو
عمرو وهشام عن ابن عامر دال قد فى السين والله يسمع تحاوركما تراجعكما الكلام وهو
على تغليب الخطاب ان الله سميع بصير للاقوال والاحوال الذين يظهرون منكم من
نسائهم الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت على كظهر امى مشتق من الظهر والحق به
الفقهاء تشبيهها بمحرم وفى منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان الجاهلية
واصل يظهرون يتظهرون وقراء ابن عامر وحمزة والكسائى يظاهرون من اظهار وعاصم
يظاهرون من ظاهر ما هن امهاتهم اى على الحقيقة ان امهاتهم الا اللائى فلا يشبهه
بهن فى الحرمة الا من الحقها الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول صلى الله عليه وسلم
وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو ايضا على لغة من نصب
وانهم ليقولون منكرا من القول اذ الشرع انكره وزورا محرفا عن الحق فان الزوجة
لا تشبه اللام وان الله لعفو غفور لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه
والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اى الى قولهم بالتدارك ومنه المثل
عادة الغيث على ما افسد وهو ينقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعى بامساك
المظاهر عنها فى النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يقتضى التناول حرمته
لصحة استثنائها عنه ظهار وهو اقل ما ينقض به وعند ابى حنيفه باستباحة
استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار
فى الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار واذ كانوا يظاهرون فى
الجاهلية وهو قول الثورى او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية او معنى بان يحلف
على ما قال وهو ابى مسلم او الى المقول فيها بامساكها او استباحة استمتاعها او وطئها
فتحرير رقبة اى فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة
على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على
كفارة القتل من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر لعموم
اللفظ ومقتضى التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم
اى ذلكم الحكم بالكفارة توعظون به لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة
ويروع عنه والله بما تعملون خبير لا يخفى عنه خافية فمن لم يجد اى الرقبة والذى

غاب ماله واجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فان افطر لغير عذر لزمه
الاستيناف وان افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها لئلا لم
ينقطع التتابع عندنا خلافا لابي حنيفه ومالك فمن لم يستطع اى الصوم لهرم
او مرض او شبق مفرط فانه عليه الصلوة والسلام رخص للاعرابي المفطر
ان يعدل لاجله فاطعام ستين مسكينا ستين مدا بمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل في الكفارات جنسه المخرج في الفطر
وقال ابو حنيفة يعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره وانما لم يذكر
التماس مع الطعام اكتفا بذكره مع الاخرين او لجوازه في خلال الطعام كما قاله
ابو حنيفة ذلك اى ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل
معلل بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله اى فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله
في قبول شرايعه وفرض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز
تعديها وللكافرين اى الذين لا يقبلونها عذاب اليم وهو نظير قوله تعالى
ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله يعادونهما
فان كلا من المتعادين في حد غير حد الاخر او يضعون او يختارون حدودا غير
حدودها كبتوا كما كبت اجزوا او اهلكوا واصل الكبت الكب الذين من
قبلهم يعني كفار الامم الماضية وقد انزلنا اياتٍ بيناتٍ على صدق الرسول
وما جاء به وللكافرين عذاب مهين يذهب عزهم وتكبرهم يوم يبعثهم الله
منصوب بمهين او باضمار اذكر جميعا كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين
فينبئهم بما عملوا اى على رؤوس الاشهاد وتشهير احوالهم وتقديرا لعذابهم
احصاه الله احاط به عددا لم يغب منه شئ ونسوه لكثرته او نهاوهم
به والله على كل شئ شهيد لا يغيب عنه شئ الم تر ان الله يعلم ما في السموات
وما في الارض كليا وجزئيا ما يكون من نجوى ثلاثة ما يقع من تناجي ثلثة
ويجوز ان يقدر مضاف او ياول بمخبري بمتناجين ويجعل ثلثه صفة واشتقاقها
من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان السر امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل
احد ان يطلع عليه الا هو رابعهم الا الله يجعلهم اربعة من حيث انه
يشاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة
ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية
نزلت في تناجي المنافقين او لان الله تعالى وتر يحب الوتر والثلاثة اول الاوتار
اولان التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ

٥١٠

وقرئ ثلثة وخمسة بالنصب على المحال باضمار يتناجون او تاويل نجوى بمتناجيين ولا
ادنى من ذلك ولا اقل مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر كالسنة وما فوقها الا هو معهم
يعلم ما يجري بينهم وقرئ يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ولا ادنى
بان جعلت لا التي لنفي الجنس اينما كانوا فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكان حتى يتفاوت
باختلاف الامكنة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من
الجزاء ان الله بكل شئ عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على سواء الم تر
الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا
يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول
اى بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وقراء حمزة وينتجون وروى
عن يعقوب مثله وهو يفتعلون من النجوى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله
فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على عباده المؤمنين
اصطفى ويقولون في انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول هلا يعذبنا الله
بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير
جهنم يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت
الرسول كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا بالبر والتقوى
بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول واتقوا الله الذي اليه
تحشرون فيما تاتون وتذرون فانه مجازيكم عليه انما النجوى اى النجوى بالاثم
والعدوان من الشيطان فانه المزين لها والحامل عليها ليحزن الذين امنوا بتوهمهم
لانها في نكبة اصابتهم وليس اى الشيطان او التناجي بضارهم بضار المؤمنين
شيئا الا باذن الله الا بمشيته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يناجوا بما
يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس توسعوا فيه وليفسح بعضكم
عن بعض قولهم افسح عني تخ وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل
عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا
يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه فافسحوا يفسح
الله لكم فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها واذا
قيل انشزوا انهضوا للتوسعة او لما امرتم به كصلوة او جهاد او ارتفعوا عن
المجلس فانشزوا وقراء نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله الذين
امنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وابوابهم الى غرف الجنان في الاخرة

وَالَّذِينَ اُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ويرتفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعلم فى افعاله ولا يقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ تهديد لمن لم يمتثل الامر واستكرهه يٰٓاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوٓا اِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوٰىكُمْ صَدَقَةً فتصدقوا قدامها استعارة ممن له يدان وفى هذا الامر تعظيم الرسول وانتفاع الفقراء والنهى عن الافراط فى السوال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب الدنيا واختلف فى انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله تعالى ءاشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن على رضى الله عنه ان فى كتاب الله اية ما عمل بها احد غيرى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم على القول بالوجوب لا يقدح فى غيره فلعله لم يتفق الاغنياء مناجاة فى مدة بقائه اذ روى انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذٰلِكَ اى ذلك التصدق خَيْرٌ لَّكُمْ وَاَطْهَرُ اى لانفسكم من الريبة وجب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله فَاِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ اى لمن لم يجد حيث رخص له فى المناجات بلا تصدق دال على الوجوب ءَاَشْفَقْتُمْ اَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوٰىكُمْ صَدَقَاتٍ اخفتم الفقر من تقديم الصدقة او خفتم التقديم لما بعدكم الشيطان عليه من الفقى وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة التناجى فَاِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما روى منهم فما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا اوان فَاَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ فلا تفرطوا فى ادائهما وَاَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ فى سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط فى ذلك وَاللّٰهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ظاهرا وباطنا اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ يعنى اليهود مَا هُمْ مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وهو ادعاء الاسلام وَهُمْ يَعْلَمُونَ ان الحلوف عليه كذب كمن يحلف بالعموس وفى هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروى انه عليه الصلوة والسلام كان فى حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال صلى الله عليه وسلم له علام تشتمنى انت واصحابك تحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت اعد

اَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا نوعا من العذاب متفاقما اِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فتمرنوا على سوء العمل واصروا عليه اتَّخَذُوٓا اَيْمَانَهُمْ اى التى حلفوا بها وقرئ بالكسر اى ايمانهم الذى اظهروه جُنَّةً وقاية دون دمائهم واموالهم فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللّٰهِ فصدوا الناس فى خلال امنهم عن دين الله بالتخويش والتثبيط فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ وعيد ثان بوصف اخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الاخرة لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ اَمْوٰلُهُمْ وَلَآ اَوْلٰدُهُم مِّنَ اللّٰهِ شَيْـًٔا اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خٰلِدُونَ فدسبق مثله يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّٰهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ اى لله على انهم مسلمون ويقولون كما يَحْلِفُونَ لَكُمْ فى الدنيا انهم لمنكم وَيَحْسَبُونَ اَنَّهُمْ عَلٰى شَىْءٍ لان تمكن النفاق فى نفوسهم بحيث يخيل اليهم فى الاخرة ان الايمان الكاذبة ترويج الكذب على الله كما تروجه عليكم فى الدنيا اَلَآ اِنَّهُمْ هُمُ الْكٰذِبُونَ البالغون الغاية فى الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطٰنُ استولى عليهم من حذت الابل وخرتها اذا استوليت عليها وهو ما جاء على الاصل فَاَنسٰىهُمْ ذِكْرَ اللّٰهِ لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم اُولٰٓئِكَ حِزْبُ الشَّيْطٰنِ جنوده واتباعه اَلَآ اِنَّ حِزْبَ الشَّيْطٰنِ هُمُ الْخٰسِرُونَ لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد اِنَّ الَّذِينَ يُحَآدُّونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُٓ اُولٰٓئِكَ فِى الْاَذَلِّينَ فى جملة من هو اذل خلق الله تعالى كَتَبَ اللّٰهُ فى اللوح لَاَغْلِبَنَّ اَنَا وَرُسُلِى بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلى بفتح الياء اِنَّ اللّٰهَ قَوِىٌّ على نصر انبيائه عَزِيزٌ لا يغلب عليه وفى فراده لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ اى لا ينبغى ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد انه لا ينبغى ان يوادوهم وَلَوْ كَانُوٓا اٰبَآءَهُمْ اَوْ اَبْنَآءَهُمْ اَوْ اِخْوَانَهُمْ اَوْ عَشِيرَتَهُمْ ولو كان المحادون اقرب الناس اليهم اُولٰٓئِكَ اى الذين لم يوادوهم كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْاِيمَانَ اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه وَاَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ اى من عند الله وهو نور القلب والقرآن والنصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحيوة القلب وَيُدْخِلُهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُمْ بطاعتهم وَرَضُوا عَنْهُ بقضائه او بما وعدهم من الثواب اُولٰٓئِكَ حِزْبُ اللّٰهِ جنده وانصار دينه اَلَآ اِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الفائزون بخير الدارين عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سُورَةُ الْحَشْرِ اَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ اٰيَةً

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ روى انه عليه الصلوة والسلام لما قدم المدينة صالح بنى النضير

على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبى المنعوت فى التوية بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكة وحالف ابا سفيان فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صيحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح الى قوله والله على كل شئ قدير هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ اى فى اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك او فى اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام واخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر اليه او فى اول حشر الناس الى الشام واخر حشرهم انهم يحشرون اليه عند قيام الساعة قيدركهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان لاخر مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا لشدة بأسهم ومنعتهم وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ اى ان حصونهم تمنعهم من بأس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على وثوق وثوقهم بحصانتها واعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لما نعتهم فَأَتَاهُمُ اللَّهُ اى عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اى فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اى العذاب والنصر من حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا لقوة وثوقهم وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ واثبت فيها الخوف الذى يرعبها اى يبلأها يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ضنابها على المسلمين واخرابا لما استحسنوا من الاتها وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها تكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين بسبب عن نقضهم فكانهم استعلوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقراء ابو عمرو يخربون بالتشديد وهو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشئ خرابا والتخريب الهدم فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصَارِ فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله واستدل به على ان القياس حجة من انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها فى حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على قررناه فى الكتب الاصولية وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ الخروج من اوطانهم لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ استينافا ومعناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الاخرة ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ الاشارة الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معدلهم والى الاخير مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ اى شئ قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناه النخلة الكريمة وجمعها

وجمعها البيان أَوْ تَرَكْتُمُوهَا الضمير لما وتأنيثه لانه مفسر باللينة قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا وقرئ على اصولها اكتفاء بالضمة عن الواو واو على انه كرهين فَبِإِذْنِ اللَّهِ فبامره وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ علة لمحذوف اى وفعلتم او واذن لكم فى القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم عنه روى انه عليه السلام لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخيل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين مِنْهُمْ من بنى النضير او من الكفرة مِمَّا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فى بنى النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا لا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الابصار منه شيئا الا ثلثة كانت بهم حاجة وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ بقذف الرعب فى قلوبهم وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيفعل ما يريد تارة بالوسايط الظاهرة وتارة بغيرها مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف فى قسم الفئ فقيل يسدس لظاهر الاية ويصرف ويصرف سهم الله فى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه صلى الله عليه وسلم كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والان على الخلاف المذكور كَيْ لَا يَكُونَ اى الفئ الذى حقه ان يكون للفقراء دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ الدولة ما يتداول له الاغنياء ويدور بينهم كما كان فى الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كى لا يكون الفئ ذا تداول بينهم او اخذه غلبة يكون بينهم وقراء هشام دولة بالرفع على كان التامة اى كى لا يقع دولة جاهلية وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ وما اعطاكم من الفئ او من الامر فَخُذُوهُ لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ عن اخذه منه او عن اتيانه فَانْتَهُوا عنه وَاتَّقُوا اللَّهَ فى مخالفة رسوله إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لمن خالفه لِلْفُقَرَاءِ المهاجرين بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوى القربى خصص الابدال بما بعده او الفئ بنى النضير الَّذِينَ

اخرجوا من ديارهم واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم
يبتغون فضلا من الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شانهم
وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك هم الصادقون الذين ظهر
صدقهم فى ايمانهم الذين تبوءو الدار والايمان عطف على المهاجرين والمراد بهم
الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوءو دار الهجرة
ودار الايمان فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الاول وعوض عنه
اللام او تبوءوا الدار واخلصوا الايمان كقولهم علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمى
المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين وقيل
تقرير الكلام والذين تبوءوا الدار من قبلهم والايمان يحبون من هاجر اليهم
ولا يثقل عليهم ولا يجدون فى صدورهم فى انفسهم حاجة بما يحل عليه الحاجة
كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا مما اعطى المهاجرون من الفئ وغيره
ويؤثرون على انفسهم ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده
امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم ولو كان بهم خصاصة حاجة من خصاص
البناء وهى فرجه ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال
وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون الفائزون بالثناء العاجل والثواب
الآجل والذين جاءو من بعدهم هم الذين هاجروا حين قوى الاسلام والتابعون
باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الاية قد استوعب
جميع المؤمنين يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اى
لاخواننا فى الدين ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين امنوا حقد الهم ربنا انك رؤف رحيم
فحقيق بان يجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا
من اهل الكتاب يريد الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر او الصداقة والموالاة لئن
اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم فى قتالكم او خذلانكم احدا
ابدا اى من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وان قوتلتم لننصرنكم
لتعاونكم والله يشهد انهم لكاذبون لعلم بانهم لا يفعلون ذلك كما قال
لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان كذلك فان ابن
ابى واصحابه راسلوا بنى النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة
واعجاز القران ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار انهزاما
ثم لا ينصرون بغلبة يخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير
الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون المنافقين لانتم اشد رهبة اى شد

اى اشد رهوبة مصدر للفعل المبنى للمفعول فى صدورهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم
من المؤمنين من الله على ما يظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة
الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمة الله حتى يخشونه حق خشيته ويعلمون
انه الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقين جميعا مجتمعين الا فى قرى
محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر لفرط رهبتهم وقراءة ابن كثير وابو عمرو جدار
وامال ابو عمرو فتحة الدال بأسهم بينهم شديد اى وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه
يشتد بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب فى قلوبهم ولان الشجاع يجبن
والغر يذل اذا حارب بالله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى
متفرقة لافتراق عقايدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ما فيه
صلاحهم وان نشئت لقلوب بوهن قواهم كمثل الذين من قبلهم اى مثل اليهود كمثل
اهل بدر او بنى قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية
قريبا فى زمان قريب وانتصابه بمثل او التقدير كوجود مثل ذاقوا وبال امرهم سوء
عاقبة كفرهم فى الدنيا ولهم عذاب اليم فى الاخرة كمثل الشيطان اى مثل المنافقين
فى اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اغراه على الكفر
اغراء الآمر المامور فلما كفر قال انى برئ منك تبراء عنه مخافة ان يشاركه فى العذاب
ولم ينفعه ذلك كما قال انى اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما فى النار
خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد بالانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس
يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الاية وقيل راهب حمله على الفجور والارتكاب
وترئى عاقبتهما على انهما الخبر لكان وخالدان على انه الخبر لان وفى النار لغو يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم القيمة سماه به لدنوه او لان الدنيا
كيوم والاخرة غد وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال لا تفس النواظر
فيما قدمت من الاخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة فى ذلك واتقوا الله تكرير للتاكيد والاول
فى اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثانى فى ترك المحارم لاقترانه بقوله ان الله
خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصى ولا تكونوا كالذين نسوا الله نسوا حقه
فانساهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها
او اراهم يوم القيمة من الهول ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون
فى الفسوق لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة الذين استكملوا نفوسهم
فاستاهلوا الجنة والذين استهنوها فاستحقوا النار واحتج به اصحابنا على ان المسلم
لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم لو انزلنا هذا القران على

جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتمثيل وتخييل كما مر في قوله تعالى انا عرضنا
الامانة ولذلك عقبه بقوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون فان
الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القران
لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ متصدعا على الادغام هو الله
الذي لا اله هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ما غاب عن الحس من الجواهر
القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقدم الغيب لتقدمه في الوجود
وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الله الذي لا اله
الا هو الملك القدوس البليغ في التنزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه
السلام ذو السلامة من كل نقص وافة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن
وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شئ مفيعل من الامن
قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذي جبر خلقه على ما اراده او جبر حالهم بمعنى اصلحها
المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا سبحان الله عما يشركون اذ لا يشاركه
في شئ من ذلك هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها
برئا من التفاوت المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب في شرح هذه
هذه الاسماء واخواتها فعليه بكتابي المسمى بمنتهى المنى له الاسماء الحسنى لانها دالة
على محاسن المعاني يسبح له ما في السموات والارض لتنزهه عن النقايص كلها وهو
العزيز الحكيم الجامع للكمالات باسرها فانها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قراء سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر

سورة الممتحنة ثلث عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي
وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة فانه لما علم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يغزوا اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا
حذركم وارسل مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل فبعث رسول الله عليه
وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة
خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوا منها وخلوها فان ابت
فاضربوا عنقها فادركوها ثم فتحرت فسل علي رضي الله عنه السيف فاخرجه
من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك
عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرا

امرا ملصقا في قريش وليس فيهم من يحمي اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي
لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره تلقون اليهم بالمودة
تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء جرت على غير من هي له
فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط في الاسم دون الفعل وقد كفروا بما
جاءكم من الحق حال من فاعل احد الفعلين يخرجون الرسول واياكم اي من مكة
وهو حال من كفروا او استيناف لبيانه ان تؤمنوا بالله ربكم بان تؤمنوا به وفيه
تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان
كنتم خرجتم عن اوطانكم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة للخروج وعمدة
للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة بدل
من تلقون او استيناف معناه اي طائل لكم في اسرار المودة وانا اعلم بما اخفيتم وما
اعلنتم اي منكم وقيل اعلم مضارع لالياء مزيدة وما موصولة او مصدرية ومن يفعله
منكم اي يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل اخطاه ان يثقفوكم يظفروا بكم
يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء المودة اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم
بالسوء ما يسوءكم كالقتل والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيئه
وحده بلفظ الماضي للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شئ وان وداداتهم حاصلة
وان لم يثقفوكم لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين
لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض
فالكم ترفضون اليوم حتى الله لمن يفر عنكم غدا وقرئ يفرق بالتخفيف وحمزة والكسائي بكسر الصاد
والتشديد وفتح الفاء وعاصم يفصل وقراء ابن عامر يفصل على البناء للمفعول مع
التشديد وهو بينكم والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم اسوة
حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به في ابراهيم والذين معه صفة ثانية او خبر كان
ولكم لغو او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت اذ قالوا
لقومهم ظرف لخبر كان انا برءاؤا منكم جمع بريء كظريف وظرفاء وما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نقتدي بشانكم
والهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده
فينقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك
استثناء من قول اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي ان
تأتسوا به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه وما املك لك من الله

من شئ من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع واستثناء جميع اجزائه ربنا
عليك توكلنا اليك انبنا واليك المصير متصل بما قبل الاستثناء اوامر من الله للمؤمنين
بان يقولوه تتميما بما وصاهم به من قطع العلايق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا
فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمله واغفر لنا ما فرط منا
ربنا انك انت العزيز الحكيم ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجبر المتوكل ويجيب الداعي
لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة تكرير بمزيد الحث على التاسي بما يبرهيم ولذلك صدره
بالقسم وابدال قوله لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر منكم فانه يدل على انه
لا ينبغي لمؤمن ان يترك التاسي بهم وان تركه موذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه
بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فانه جدير بوعيده الكفرة عسى الله
ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادي المؤمنين اقاربهم
المشركين وتبرؤا عنهم فوعدهم الله بذلك وانجز اذا سلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء
والله قدير على ذلك والله غفور رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي
في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم اى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لان قوله ان تبروهم بدل من الذين
وتقسطوا اليهم ويفضوا اليهم بالقسط اى العدل ان الله يحب المقسطين اى
العادلين روى ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت
ابوبكر رضى الله عنهما بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت انما
ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم
كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين ان
تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم
لموضعهم الولاية في غير موضعها يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات
فامتحنوهن فاختبروهن يا يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن في الايمان
الله اعلم بايمانهن فانه المطلع على ما قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي
يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما
ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اى الى ازواجهن
الكفرة لقوله لا هن لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير للمطابقة والمبالغة او الاولى
لحصول الفرقة والثانية للمنع عن الاستيناف واتوهم ما انفقوا ما دفعوا
اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه
فلما تعذر عليه ردهن لورودهن النهي عنه لزمه رد مهورهن اذ روى انه عليه الصلو

الصلوة والسلام كان بعد بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة
فاقبل زوجها مسافر المخزومي حتى بلغ بلالها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر ولا جناح عليكم ان تنكحوهن
فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا اتيتموهن اجورهن شرط
ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا
بعصم الكوافر بما يعتصم به الكافرات من عقد سبب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين
عن المقام على نكاح المشركات وقراء البصريان ولا تمسكوا بالتشديد واسئلوا
ما انفقتم من مهور نسائكم الاحقات بالكفار وليسئلوا ما انفقوا من مهور
ازواجهم المهاجرات ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الاية يحكم بينكم استيناف
او حال من الحكم على حذف الضمير وجعل الحكم حكما على المبالغة والله عليم حكيم
يشرع ما تقتضيه حكمته وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شئ من ازواجكم
احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شئ موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم او شئ
من مهورهن الى الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم اى نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم
باداء هؤلاء مهور نساء اولئك نادة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر
يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل
ما انفقوا من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روى انه لما نزلت الاية
المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهر الكوافر فنزلت وقيل معناه فان فاتكم
فاصبتم من الكفار عقبى هي الغنيمة فاتوا بدل الفائت من الغنيمة واتقوا الله الذي
انتم به مؤمنون فان الايمان به مما يقتضي التقوى منه يا ايها النبي اذا جاءك
المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام
لما فرغ عن بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن
يردن به وأد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك
في معروف في حسنة تامرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول لا يامر الا به
تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق فبايعهن اذا يعنك بضمان
الثوب على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين
امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني عامة الكفار او اليهود اذ روى انها
نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقد يئسوا من الاخرة
لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد
بالايات كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول

وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر آيسهم عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قراء سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف اربع عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز
الحكيم سبق تفسيره يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون روى ان المسلمين قالوا
لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله ان الله يحب الذين
يقاتلون فى سبيله قولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والالف
على حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما فى الدلالة على المستفهم
عنه كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد البغض ونصبه على التمييز
للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة
فى المنع عنه ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا مصطفين مصدر وصف به
كانهم بنيان مرصوص فى تراصهم من غير فرجة حال من المستكن فى الحال الاولى
والرص اتصال بعض البناء ببعض واستحكامه واذ قال موسى لقومه مقدر
باذكروا وكان كذا يا قوم لم تؤذونني بالعصيان والرمى بالادرة وقد تعلمون
انى رسول الله اليكم بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان
العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذائه وقد لتحقيق العلم فلما زاغوا عن الحق
ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب والله لا يهدى القوم
الفاسقين هداية موصولة الى معرفة الحق او الى الجنة واذ قال عيسى بن
مريم يا بنى اسرائيل ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم انى رسول
الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التورية ومبشرا فى محال تصديقى لما تقدمنى
من التورية وتبشرى برسول من بعدى والعامل فى الحالين ما فى الرسول من معنى
الارسال الا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل اسمه احمد يعنى محمدا
صلى الله عليه وسلم والمعنى دينى التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اولا
الكتب المشهورة الذى حكم به النبيون والنبى الذى هو خاتم المرسلين فلما جاءهم
بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة
ويؤيده قراءة حمزة والكسائى هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى عليه الصلوة
والسلام ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اى لا احد
اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيقة المقتضى له خير الدارين فيضع موضع اجابته

الاجابة الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية اياته سحرا فانه بعيد اثبات المنفى ونفى الثابت
وقرئ يدعى بمعنى يدعو اذ دعاه وادعاه كلمسه والتمسه والله لا يهدى القوم الظالمين لا يرشدهم
الى ما فيه فلاحهم يريدون ليطفئوا اى يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة لما فيها من معنى
الارادة تاكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تاكيدا لها فى لا ابالك او يريدون
الافتراء ليطفئوا نور الله يعنى دينه او كتابه او حجته بافواههم وطعنهم فيه والله متم
نوره مبلغ غايته بنشره واعلائه وقراء ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص بالاضافة
ولو كره الكافرون ارغاما لهم هو الذى ارسل رسوله بالهدى بالقران او المعجزة
ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليعليه على جميع الاديان ولو كره
الكافرون لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين امنوا هل ادلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقراء ابن عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله
وترسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف مبين للتجارة وهو
الجمع بين الايمان والجهاد المؤدى الى الكمال لغيرهم والمراد به الامر وانما جئ بلفظ الخبر
ايذانا بان ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم يعنى ما ذكر من الايمان والجهاد ان كنتم
تعلمون ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله يغفر لكم ذنوبكم جواب الامر
المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا
وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم ويبعد جعله جوابا لهل ادلكم لان
مجرد دلالته لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن
طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال
الجنة واخرى تحبونها ولكم الهاء النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة
وفى تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم
او تحبون او مبتداء خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب
خبر محذوف وقد قراء بما عطف عليه بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر
وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين امنوا
وبشرا وعلى تؤمنون فانه فى معنى الامر كانه قال امنوا وجاهدوا ايها المؤمنون
وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما آجلا وعاجلا يا ايها الذين امنوا كونوا
انصار الله وقرئ انصارا لله وقرئ انصار بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض
انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصارى الى الله اى من جندى
متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة
الاولى اضافة احد المتشاركين الاخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة

الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى عليه
السلام او كونوا انصارا كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى عليه السلام من انصاري
الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به من الحور وهو البياض وكانوا اثني عشر
رجلا فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة اى عيسى عليه السلام فأيدنا الذين امنوا
على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام فأصبحوا
ظاهرين فصاروا غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

سورة الجمعة احدى عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض
الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح وهو
الذي بعث في الاميين اى في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن رسولا
منهم من جملتهم اميا مثلهم يتلوا عليهم اياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد
منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب
والحكمة القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له
سواه معجزة لكفاه وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية
وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم وازاحة لما ينوهم ان الرسول
تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة واللام تدل عليها وآخرين منهم عطف
على الاميين او المنصوب في يعلمهم وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين
فان دعوته وتعليمه نعم الجميع لما يلحقوا بهم لما يلحقوا بهم بعد وسيلحقون
وهو العزيز في تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة الحكيم في اختياره وتعليله
ذلك فضل الله ذلك الفضل الذي امتاز به عن اقرانه فضله يؤتيه من يشاء
تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم
الاخرة مثل الذين حملوا التوراة علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا
ولم ينتفعوا بما فيها كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع
بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا بئس
مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اى مثل الذين كذبوا وهم المكذبون بآيات الله
الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون صفة للقوم والمخصوص
بالذم محذوفا والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا تهودوا ان

ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه
فتمنوا الموت فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة ان كنتم
صادقين في زعمكم ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي
والله عليم بالظالمين فيجازيهم على اعمالهم قل ان الموت الذي تفرون منه وتخافون
ان تتمنوه بلسانكم ان يصيبكم فتوخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم لا تفوتونه لان
كم والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم يسرع لحوقهم
وقد قرئ بغيرها ويجوز ان يكون الموصل لخبرا والفاء عاطفة ثم ترددون الى عالم الغيب
والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا اذا نودي
للصلوة اى اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه
للصلوة وكانت العرب سميه العروبة وقيل سماه كعب بن لوى لاجتماع الناس فيه
اليه واول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما قدم المدينة نزل
قباء واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف
فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعي دون العدو والذكر
الخطبة وقيل الصلوة والامر بالسعي اليها يدل على وجوبها وذروا البيع واتركوا
المعاملة ذلكم خير لكم اى السعي الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الاخرة خير
وابقى ان كنتم تعلمون الخير والشر الحقيقيين او كنتم من اهل العلم فاذا قضيت
الصلوة اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اطلاق لما حظر
عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفي الحديث وابتغوا من فضل الله وليس
لطلب الدنيا وانما هو عيادة وحضور جنازة وزيارة اخ في الله واذكروا الله كثيرا
واذكروه في مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلوة لعلكم تفلحون بخير الدارين
واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي انه عليه الصلوة والسلام كان يخطب
للجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليها الا اثني عشر رجلا فنزلت وافراد
التجارة يرد الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون
به العير والتزيد للدلالة على ان منهم من انفض بمجرد سماع الطبل ورؤيته
او للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان
مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا
اليها واذا رأوا اللهو انفضوا اليه وتركوك قائما اى على المنبر قل ما عند الله من
الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما ينوهونه من نفعها
والله خير الرازقين فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ

سورة الجمعة اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها فى امصار المسلمين

سورة المنافقون احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الشهادة اخبار عن علم من المشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم فى الشهادة بقوله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم خلفهم الكاذبا وشهادتهم هذه فانها تجرى مجرى الحلف فى التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية عن القتل والسبى فصدوا عن سبيل الله صدا او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم ذلك اشارة الى الكلام المتقدم اى ذلك القول لشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكور من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان بانهم امنوا بسبب انهم امنوا ظاهرا ثم كفروا سرا وامنوا اذا رأوا اية ثم كفروا حيثما سمعوا من شياطينهم شبهة فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم نضحامنها وصباحتها وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابى جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمعه مثله فيجيء بهيكل ثم يصغى الى كلامهم كانهم خشب مسندة حال من الضمير المجرور فى قولهم اى تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهى الخشبة التى نخر جوفها شبهوا بها فى حسن المنظر وقبح المخبر وقراء ابو عمرو والكسائى وروى عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او على انه كيدن فى جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم اى واقعة عليهم بجبنهم وانهامهم فعليهم ثانى مفعولى يحسبون ويجوز ان يكون صلة والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذروهم عليه يدل على ان الضمير المنافقين قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك ورأيتهم يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم فى الكفر ان الله لا يهدى القوم الفاسقين الخارجين الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم فى الكفر والنفاق هم الذين يقولون اى للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين ولله خزائن السموات والارض بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روى ان اعرابيا نازع انصاريا فى بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابى رأسه بخشبته فشكا الى ابن ابى فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القراءات مصدرا وحال على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل وتلله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلوة وسائر العبادات المذكوة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك اى اللهو بها وهو الشغل فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا التعظيم الباقى بالحقير الفانى وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم اذخارا للاخرة من قبل ان يأتى احدكم الموت اى بدل امارات دلائله فيقول رب لولا اخرتنى امهلتنى الى اجل قريب اى امد غير بعيد فاصدق فاصدق وانكن من الصالحين بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرئ ابو عمرو واكون منصوبا عطفا على اصدق وقرئ بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها اذا جاء اجلها اخرعمرها والله خبير بما تعملون فيجازيكم عليه وقرأ ابو بكر بالياء ليوافق ما قبله فى الغيبة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قراء سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن ثمان عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات وما فى الارض بدلالتها على كماله واستغنائه له الملك وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامر به من حيث الحقيقة وهو على كل شئ قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذى خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة وصوركم

فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوت
اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصايص المبدعات وجعلكم انموذج جميع
المخلوقات وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ فاحسنوا سرائركم حتى لا تفضح بالعذاب ظواهركم يَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ فلا
يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان اوجزئيا لان نسبة المقتضى لعلمه الى الكل واحدة
وتقديم تقدير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وعلى
علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الامكنة آلَمْ يَأْتِكُمْ ايها الكافرون نَبَأُ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ كقوم نوح وهود وصالح فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ضرر كفرهم في الدنيا واصله
الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ في الاخرة ذَلِكَ اى المذكور من الوبال والعذاب بِأَنَّهُ بسبب ان الشان
كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بالمعجزات فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا انكروا ونجحوا
ان تكون الرسل بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع فَكَفَرُوا بالرسل وَتَوَلَّوْا عن التدبر
في البينات وَاسْتَغْنَى اللَّهُ عن كل شئ فضلا عن طاعتهم وَاللَّهُ غَنِيٌّ عن عبادتهم
وغيرها حَمِيدٌ يدل على حمد كل مخلوق زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا الزعم ادعاء
العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان مع ما في حيزه قُلْ بلى اى بلى
تبعثون وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ قسم اكد به الجواب ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ بالمحاسبة والمجازاة
وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لقبول المادة وحصول القدرة التامة فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
محمد وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا يعني القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره فما فيه
شرحه وبيانه وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فمجاز عليه يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ ظرف لتنبؤن او مقدر
باذكر وقراء يعقوب نجمعكم لِيَوْمِ الْجَمْعِ لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع
الملائكة والثقلين ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء
منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام
فيه للدلالة على ان التغابن الحقيق هو التغابن في امور الاخرة لعظمها ودوامها
وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا اى عملا صالحا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وقراء نافع وابن عامر بالنون فيهما ذَلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للصالح
من دفع المضار وجلب المنافع وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ كائنها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له مَا
أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ الا بتقديره وارادته وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ

قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام
الفاعل وبالنصب على طريقه سفه نفسه وبهداء بالهمزة اى يسكن وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ حتى القلوب واحوالها وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا
عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ اى فان توليتم فلا بأس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد
بلغ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ لان ايمانهم بان الكل منه يقتضى
ذلك يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ يشغلكم عن طاعة
الله او يخاصمكم في امر الدين او الدنيا فَاحْذَرُوهُمْ ولا تأمنوا غوايلهم وَإِنْ تَعْفُوا
عن ذنوبهم بترك المعاقبة وَتَصْفَحُوا بالاعراض وترك التثريب عليها وَتَغْفِرُوا
باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يعاملكم بمثل ما عملتم
وَيَتَفَضَّلُ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ اختبار لكم وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ
لمن اثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي لهم فَاتَّقُوا اللَّهَ
مَا اسْتَطَعْتُمْ اى ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم وَاسْمَعُوا مواعظه وَأَطِيعُوا
اوامره وانفقوا في وجوه الخير خالصا لوجهه خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ اى افعلوا ما هو
خيرا لها وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر
محذوف تقديره انفاقا خيرا او خبر الكان مقدرا جوابا للاوامر وَمَنْ يُوقَ
شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ سبق تفسيره إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ يصرف المال
فيما امره قَرْضًا حَسَنًا مقرونا باخلاص وطيب قلب يُضَاعِفْهُ لَكُمْ بجعل الكم
بالواحد عشرا الى سبعمائة واكثر وقراء ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه
لكم وَيَغْفِرْ لَكُمْ ببركة الانفاق وَاللَّهُ شَكُورٌ يعطي الجزيل بالقليل حَلِيمٌ
لا يعاجل بالعقوبة عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ لا يخفى عليه شئ الْعَزِيزُ الحكيم تام القدرة
والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قراء سورة التغابن دفع عنه موت الفجاة

سُورَةُ الطَّلَاقِ اثْنَتَا عَشْرَةَ آيَةً مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ خص النداء
وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فتداوه كذاتهم اولان الكلام معه والحكم
يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه
فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ اى وقتها وهو الطهر فان اللام في الازمان وما يشبهها
للتأقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره
يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي ان يكون في الطهر

ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو فى بيته اذ قرع اينه الباب ومعه مائة من الابل غفل
عنها العدو فاستاقها وفى رواية رجع ومعه غنيمات ومتاع وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ
حَسْبُهُ كافيه إِنَّ اللَّهَ بالغ أَمْرِهِ يبلغ ما يريده ولا يفوته مراده وقراء حفص بالاضافة
وقرئ بالغ امره اى نافذ وبالغا على انه حال والخبر قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا تقديرا
تقديرا او مقدارا واجلا لا يتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من
نافيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سيأتى من مقاديرها
وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ لكبرهن إِنِ ارْتَبْتُمْ شككتم فى عدتهن اى
جهلتم فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ روى انه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن
ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائى لا يحضن فنزلت وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ اى واللائى لم يحضن
بعد كذلك وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ منتهى عدتهن أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وهو حكم
يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله
تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات
وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل ههنا بخلافه ثمه ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث
وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
قد حللت فتزوجى ولانه متاخر النزول فتقديمه فى العمل تخصيص وتقديم الاخر بناء
للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فى احكامه فيراعى حقوقها
يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ييسر عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من
الاحكام أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فى احكامه فيراعى حقوقها يُكَفِّرْ عَنْهُ
سَيِّئَاتِهِ فان الحسنات يذهبن السيئات وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا بالمضاعفة أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ
حَيْثُ سَكَنْتُمْ اى مكانا من سكناكم مِنْ وُجْدِكُمْ من وسعكم اى مما تطيقونه وهو
عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ولا تضاروهن فى السكنى لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ
فتلجئوهن الى الخروج وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فيخرجن
من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث
تؤيده فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ بعد انقطاع علقة النكاح فآتوهن اجورهن على الارضاع
وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وليامر بعضكم بعضا بجميل فى الارضاع والاجر وَإِنْ
تَعَاسَرْتُمْ تضايقتم فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى امراة اخرى وفيه معاتبة للاب على
المعاسرة لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ
اى فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا
فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعده

وانه يحرم فى الحيض من حيث ان الامر بالشئ يستلزم النهى عن ضده ولا يدل
على عدو وقوعه اذ النهى لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر لما طلق امراته
حائضا امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجعة وهو سبب نزوله وَأَحْصُوا
الْعِدَّةَ واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ فى تطويل العدة
والاضرار بهن لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضى
عدتهن وَلَا يَخْرُجْنَ باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما
وفى الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمه سكن الفراق
وقوله إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ مستثنى من الاول والمعنى الا ان تبذو على
الزوج فانه كالنشوز فى اسقاط حقها او الا ان تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها او من
الثانى للمبالغة فى النهى والدلالة على ان خروجها فاحشة وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
الاشارة الى الاحكام المذكورة وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بان عرضها
للعقاب لَا تَدْرِي اى النفس او انتها النبى او المطلق لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ
ذَلِكَ أَمْرًا وهو الرغبة فى المطلقة برجعة او استيناف فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ شارفن
آخر عدتهن فَأَمْسِكُوهُنَّ فراجعوهن بِمَعْرُوفٍ بحسن عشرة وانفاق مناسب
أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ بابقاء الحق وانقضاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها
تطويلا لعدتها وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ على الرجعة او الفرقة تبرئا عن
الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعى
وجوبه فى الرجعة وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه
ذَلِكُمْ يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما فى الاية يوعظ به مَنْ كَانَ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فانه للمنتفع به والمقصود تذكيره وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ
مَخْرَجًا ويرزقه مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على
الانتهاء عما نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق فى الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها
من المسكن وتعدى حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل
الله له مخرجا مما فى شان الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلقا من
وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين باخلاص عن مضار الدارين والعود
بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جئ به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعند
عليه الصلوة والسلام انى لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال
يقرؤها ويعيدها وروى ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعى اسره العدو فشكا
ابوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة

بالبسر فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا اى عاجلا وآجلا وكاين من قرية اهل قرية
عتت عن امر ربها ورسله اعرضت عنه اعراض العاتى المعاند فحاسبناها حسابا
شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الاخرة
وعذابها والتعبير بلفظ الماضى للتحقيق فذاقت وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها
وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيه اصلا اعد الله لهم عذابا شديدا نكر للوعيد
وبيان لما يوجب التقوى المامور به فى قوله فاتقوا الله يا اولى الالباب ويجوز ان
يكون المراد بالحسنا استقصاء ذنوبهم واثباتها فى صحايف الحفظة وبالعذاب
ما اصيبوا به عاجلا الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يعنى بالذكر جبريل
لكثرة ذكره اولنزوله بالذكر وهو القران اولانه مذكور فى السموات اوذو ذكر اى
شرف او محمدا صلى الله عليه وسلم لمواظبته على تلاوة القران او تبليغه وعبر عن
ارساله بالانزال ترشيحا اولانه مسبب عن انزال الوحى اليه وابدل عنه رسولا
للبيان اوارادة القران ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل اوذكرا والرسول
مفعوله اوبدله على انه بمعنى الرسالة يتلوا عليكم ايات الله مبينات حال من اسم الله
اوصفة رسولا والمراد بالذين فى قوله ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات الذين
امنوا بعد انزاله اى ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او
ليخرج من علم او قدر انه يؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن
بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقراء نافع وابن
عامر ندخله بالنون قد احسن الله له رزقا فيه تعجيب وتعظيم لما رزقوا من الثواب
الله الذى خلق سبع سموات مبتداء وخبر ومن الارض مثلهن اى وخلق مثلهن
فى العدد من الارض وقراء بالرفع على الابتداء والخبر يتنزل الامر بينهن اى يجرى امر الله
وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ
علما علة لخلق اوتنزل اومضمر بعدهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه عن
النبى صلى الله عليه وسلم من قراء سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم اثنتا عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك
روى انه عليه الصلوة والسلام خلا بمارية فى يوم عايشة اوحفصة فاطلعت
على ذلك حفصة فعاتبته فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة
فواطأت عايشة وسودة وصفية فقلن له انا نشم عنك ريح المغافير فحرم العسل
فنزلت تبتغى مرضات ازواجك تفسير لتحريم او حال من فاعله او استيناف
ببيان الداعى اليه والله غفور رحيم لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما احله
الله لكم تحلة ايمانكم فدشرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدتم بالكفارة او الاستثناء
فيها بالمشية حتى لا يحنث من قولهم حلل فى يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من راى
التحريم مطلقا او تحريم المراة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين
فيه كونه يمينا مع احتمال انه عليه السلام اتى بلفظ اليمين كما قيل والله مولاكم متولى
امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن فى افعاله واحكامه واذ اسر النبى
الى بعض ازواجه يعنى حفصة حديثا تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده
لابى بكر وعمر فلما نبات به اى فلما اخبرت حفصة عايشة بالحديث واظهره الله
عليه واطلع النبى صلى الله عليه وسلم على الحديث اى على افشائه عرف بعضه
عرف الرسول حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض عن اعلام بعض تكرما
اوجازاها على بعضه بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسائى بالتخفيف
فانه لا يحتمل ههنا غير لكن المشدد من باب الاعلام اسم المسبب المسبب والمخفف
بالعكس ويؤيد الاول قوله فلما نباها به قالت من انباك هذا قال نبانى العليم
الخبير فانه اوفق للاعلام ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعايشة رضى الله
عنهما على الالتفات للمبالغة فى المعاينة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما
ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول صلى الله عليه
وسلم بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وان تظاهرا عليه وان تتظاهرا عليه بما يسوؤه
وقراء الكوفيون بالتخفيف فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن يعدم
من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين
وزينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير
متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة
وبقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به عسى ربه ان
طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل
على انه لم يطلق حفصة وان فى النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لا ينافى
تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقراء نافع وابو عمرو يبدله بالتشديد
مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات قانتات مصليات
او مواظبات على الطاعة تائبات عن الذنوب عابدات متعبدات او مذللات لامر

الرسول سائحات صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح بالنهار بلا زاد او مهاجرات ثيبات وابكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما اولانهما فى حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم بترك المعاصى وفعل الطاعات واهليكم بالنصح والتأديب وقرئ اهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلتين على تغليب المخاطبين نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد بهما انفاد غيرها بالحطب عليها ملائكة تلى امرها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل اولا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهى عن الاعتذار لانه لا عذر لهم او العذر لا ينفعهم يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا بالغة فى النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازى مبالغة او فى النصاحة وهى الخياطة كانها تنصح ما خرق الذنب وقراء ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور او النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح او تنصح بصوحا او توبوا نصوحا لانفسكم وسئل على رضى الله عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجبة وان العبد ينبغى ان يكون بين خوف ورجاء يوم لا يخزى الله النبى ظرف ليدخلكم والذين امنوا معه عطف على النبى احمادا لهم وتعريضا لمن ناداهم وقيل مبتدأ خبره نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اى على الصراط يقولون اذا طفئ نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا يا ايها النبى جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق مداه ومأواهم جهنم وبئس المصير جهنم او مأويهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط مثل الله حالهم فى انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبى والمؤمنين من النسبة بحالها كانتا تحت عبدين

عبدين من عبادنا صالحين يريد به تعظيم نوح ولوط فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله شيئا فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج اغناء ما وقيل ادخلا اى لهما عند موتهما او يوم القيمة النار مع الداخلين مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا للذين امنوا امرأت فرعون شبه حالهم فى ان وصلة الكافرين لا يضرهم بحال آسية ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله اذ قالت ظرف للمثل المحذوف رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة قربا من رحمتك او فى علاد رجات المقربين ونجنى من فرعون وعمله من نفسه الخبيث وعمله المنئ ونجنى من القوم الظالمين من القبط التابعين له فى الظلم ومريم ابنت عمران عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل التى احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه فى فرجها وقرئ اى مريم والجملة من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحف المنزلة اوبما اوحى الى انبيائه وكتبه وما كتب فى اللوح من اوجنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اى بعيسى والانجيل وكانت من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فيكون من ابتدائية عن النبى صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم تكمل من النساء الا اربع اسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه عليه الصلوة والسلام من قراء سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك ثلاثون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذى بيده الملك بقدرته التصرف فى الامور كلها وهو على كل شئ قدير على كل ما يشاء قدير الذى خلق الموت والحيوة قدرها او اوجد الحيوة وازالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايكم احسن عملا اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يجل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق العقل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين وهو العزيز الغالب الذى لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذى خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض

مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به او طويقت طباقا اوذات
طباق او جمع طبق بجبل او جبال او طبقة كرحمة وحادب ما ترى فى خلق الرحمن من
تفاوت وقراء حمزة والكسائى من تفوت ومعناها واحد كالتعاهد والتعهد
وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا من التفاوتين فات عنه
بعض ما فى الاخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير
للتعظيم والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا
وان فى ابداعها نعما جليلة لا تحصى والخطاب فيها للرسول صلى الله عليه وسلم
او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على التسبيب
اى قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة اخرى متأملا فيها لتعاما اخبرت به من
تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغى لها والفطور الشقوق والمراد
الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع البصر كرتين اى رجعتين اخريين فى ارتياد الخلل
والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما فى لبيك وسعديك ولذلك اجاب الامر
بقوله ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه
طردا بالصغار وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا
السماء الدنيا اقرب السموات الى الارض بمصابيح بكواكب مضيئة يالليل اضاءة
السرج فيها ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة فى سموات فوقها اذ التزيين
باظهارها عليها والتنكير للتعظيم وجعلناها رجوما للشياطين وجعلناها
فائدة اخرى هى اعدائكم بانقضاض الشهب المتسببة عنها وقيل معناه
وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم
بالفتح وهو مصدر سمى به واعتدنا لهم عذاب السعير فى الاخرة بعد الاحراق
بالشهب فى الدنيا وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وفرى
بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير وبئس المصير
اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمير وهى تفور تغلى بهم غليان
المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة
اشتغالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما القى فيها فوج جماعة
من الكفرة سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ
وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان انتم
الا فى ضلال كبير اى فكذبنا الرسل وافرطنا فى التكذيب حتى نفينا الاتزال
والارسال راسا وبالغنا فى نسبتهم الى الضلال فالنذير اما بمعنى الجمع

الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف اى اهل انذار او منعوت به للمبالغة او الوا
والخطاب له ولامثاله على التغليب واقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على
ان المعنى قالت الافواج قد جاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم
ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال
ما كانوا عليه فى الدنيا او عقابه الذى يكونون فيه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل
فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات ونقعا
فنتفكر فى حكمه ومعانيه نفكر المستبصرين ما كنا فى اصحاب السعير فى عدادهم
ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة
والذنب يجمع لانه فى الاصل مصدر واراد به الكفر فسحقا لاصحاب السعير
فاسحقهم الله سحقا اى ابعدهم من رحمة الله والتغيير للايجاز والمبالغة والتعليل
وقراء الكسائى بالتثقيل ان الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم
يعاينوه بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالمخفى منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة
لذنوبهم واجر كبير يصغر دونه لذائذ الدنيا واسروا قولكم او اجهروا به انه
عليم بذات الصدور بالضمائر فكيف بما تعبر عنها سرا او جهرا الا يعلم من خلق الا يعلم
السر والجهر من اوجد الاشياء جسما قدرته حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل
علمه الى ما ظهر ومن خلقه وما بطن او الا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة و
التقييد بهذه الحال يستدعى ان يكون ليعلم مفعول ليفيد روى ان المشركين كانوا
يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله تعالى به رسوله فيقولون اسروا قولكم لئلا
يسمع اله محمد فنبه الله تعالى على جهلهم هو الذى جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل
لكم السلوك فيها فامشوا فى مناكبها فى جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل
فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض تذل
بحيث يمشى فى مناكبها لم يبق شئ لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله تعالى
واليه النشور للرجع فيسئلكم عن شكر ما انعم عليكم ءامنتم من فى السماء يعنى
الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم او الله على تأويل من فى السماء امره وقضاؤه او على
زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى فى السماء او عن ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى
واوا والانضمام ما قبلها وامنتم بقلب الثانية الفا وهو قراءة نافع وابى عمرو ورويس
ان يخسف بكم الارض فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال
فاذا هى تمور تضطرب والمور التردد فى المجئ والذهاب ام امنتم من فى السماء ان يرسل
عليكم حاصبا ان يمطر عليكم حصباء فستعلمون كيف نذير كيف انذارى اذا شاهدتم

المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان
نكير انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية لرسول الله عليه وسلم وتهديد
لقومه أولم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها
فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن
وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل
للتفرقة بين الاصيل في الطيران والطاري عليه ما يمسكهن في الجو على خلاف
الطبع الا الرحمن الشامل رحمته كل شئ بان خلقهن على اشكال وخصايص
هيأهن للجري في الهواء انه بكل شئ بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب
أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله اولم يروا على معنى
الم ينظروا في امثال هذه الصنايع فلم يعلموا اقدرتنا على تعذيبكم بنحو خسف وارسال
حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله تعالى ام
لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن يقين من ينصرهم واشعارا
بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتداء وهذا خبره والذي بصلته صفته وينصركم
وصف لجند محمول على لفظه إن الكافرون إلا في غرور لامتعادلهم أمن هذا الذي
يرزقكم ام من يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بامساك
المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تماد وا في عتو عناد
ونفور وشراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى
يقال كببته فاكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع والتحقيق انهما
من باب انفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعي كب وقشع بل المطاوع
لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه
واختلاف اجزائه ولذلك قابله لقوله أمن يمشي سويا قائما شاليا من اعتدل على
صراط مستقيم مستوى الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين
والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسلك للاشعار
بان ما عليه المشرك لا يستاهل ان يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان متعاد
غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يتعسف فينكب وبالسوي البصير
وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر
على قويم الى الجنة قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ
والابصار لتنظروا صنايعه والافئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون
باستعمالها فيما خلقت لاجلها قل هو الذي ذرأكم في الارض للجزاء واليه تحشرون

تحشرون ويقولون متى هذا الوعد اي الحشر او ما وعد من الخسف والحاصب ان كنتم صادقين
يعنون النبي والمؤمنين قل إنما العلم اي علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وإنما أنا
نذير مبين والانذار يكفي له العلم بل الظن بوقوع المحذر فيه فلما رأوه اي الوعد فانه بمعنى
الموعود زلفة ذا زلفة اي قريب منهم سيئت وجوه الذين كفروا بان علتها الكآبة
وساءته رؤيته العذاب وقيل هذا الذي كنتم به تدعون به تطلبون وتستعجلون
تفتعلون من الدعاء او تدعون ان لا بعث فهو من الدعوى قل ارايتم ان اهلكني الله
اماتني ومن معي من المؤمنين أو رحمنا بتاخير اجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب
أليم اي لا ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون
قل هو الرحمن الذي ندعوكم اليه مولى النعم كلها امنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا
للوثوق عليه والعلم بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص
والاشعار به فستعلمون من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقراء الكسائي بالياء قل ارايتم ان اصبح
ماؤكم غورا غائرا في الارض يجيب لا يبال بالدلاء مصدر وصف به فمن يأتيكم بماء معين جار
او ظاهر يسهل الماخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر

سورة القلم خمسون وايتان مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ن من أسماء الحروف وقيل اسم الحوت
والمراد بالجنس او البهموت وهو الذي عليه الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج
منه شئ اشد سوادا من النقس يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبته بصورة الحرف والقلم
هو الذي خط اللوح او الذي يخط به اقسم به لكثرة فوائده واخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب
النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا
اتصلت بها وقد روى ذلك عن نافع وعاصم وفرئت بالفتح والكسر كصاد وما يسطرون
وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم او بالمعنى الثاني على ارادة الجنس
واسناد الفعل الى آلته واجرائه مجرى اولي العلم لاقامته مقامه او لاصحابه او
للحفظة وما مصدرية او موصولة ما أنت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى
ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأي والعامل في الحال معنى النفي
وقيل بمجنون والباء لاتمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى وإن لك
لاجرا على الاحتمال او الابلاغ غير ممنون مقطوع او ممنون به عليك من الناس
فانه تعالى يعطيك بلا توسط وإنك لعلى خلق عظيم اذ يحمل من قومك ما لا يحتمله
امثالك وسئلت عايشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن

الست نقراء القران فدا فلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ايكم الذى
فتن بالجنون والباء فريدة اوبايكم لجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او
باى الفريقين منكم لجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اى ايهما يوجد من يستحق
هذا الاسم اِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وهم المجانين على الحقيقه وَهُوَ اَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ من الفائزين بكمال العقل فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ تهييج للتصميم على معاصاتهم
وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك اوتوافقهم فيه احيانا
فَيُدْهِنُونَ فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف اى ودوا التداهن
وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن اوللسببية اى ودوا لوتدهن فهم يدهنون
حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفى بعض المصاحف
فيدهنون على انه جواب لتمنى وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ كثير الحلف فى الحق والباطل مهين
حقير الراى من المهانة وهى الخفاده هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ نقال للحديث على وجه السعاية
مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح مُعْتَدٍ متجاوز فى الظلم
اَثِيمٍ كثير الاثام عُتُلٍّ جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بَعْدَ ذٰلِكَ
بعد ماعد من مثالبه زَنِيمٍ دعى ماخوذ من زنمتى الشاة وهما المتدليتان من اذنها
وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل الاخنس
بن شريف اصله فى ثقيف وعداده فى زهرة اَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ اِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِ
اٰيَاتُنَا قَالَ اَسَاطِيرُ الْاَوَّلِينَ اى قال ذلك حينئذ لان كان متمولا مستظهرا بالبنين
من فرط عزور لكن العامل مدلول قال لانفسه لان ما بعد الشرط لايعمل فيما قبله ويجوز
ان يكون علة للاتطع اى لاتطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقراء ابن عامر وحمزة
ويعقوب وابوبكر ءان كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين
بين اى لِاَنْ كَانَ ذَا مَالٍ كذبا واتطبعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على
ان شرط الغنى فى النهى عن الطاعة كالتعليل بالفقر فى النهى عن قتل الاولاد او ان شرطه
للمخاطب اى لاتطع شارطا يساره لانه اذا اطاع للغنى فكانه شرطه فى الطاعة سَنَسِمُهُ
بالكى عَلَى الْخُرْطُومِ على الانف وقد صاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقى اثره وقيل
هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه وزعم انفه لان السمة
على الوجه سيما على الانف شين ظاهر وتسود وجهه يوم القيمة اِنَّا بَلَوْنَاهُمْ بلونا
اهل مكة بالقحط كَمَا بَلَوْنَا اَصْحَابَ الْجَنَّةِ يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين
وكان لرجل صالح وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطا المنجل
اوالقته الريح اوبعد من التساط الذى يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شئ كثير

كبر فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها وقت
الصباح خفية عن المساكين كما قال اِذْ اَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ يقطعنها داخلين الصباح
وَلَا يَسْتَثْنُونَ ولايقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير
ان المخرج بخلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه اولان معنى لَاَخْرُجَنَّ ان شاء
الله ولااخرج الاان يشاء الله واحدا وولا يستثنون حصة المساكين كما كان
يخرج ابوهم فَطَافَ عَلَيْهَا على الجنة طائف بلاء طائف من ربك مبتداء منه وَهُمْ
نَائِمُونَ فَاَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ كالبستان الذى صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شئ فعيل
بمعنى مفعول اوكالليل باحراقها واسوادها اوكالنهار بابيضاضها من وظ اليبس
سيما بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه اوكالرمال فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ اَنِ
اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ اى اخرجوا اوبان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما
لتضمنه معنى الاقبال اولتشبيه الغدو للصرام بغدو والعدو والمتضمن بمعنى الاستيلاء
اِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ قاطعين له فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ يتسارون فيما بينهم وخفى
وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش اَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ
مِسْكِينٌ ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد نهى المسكين عن
الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقوله لا ارينك ههنا وَغَدَوْا
عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ وغدوا قادرين على نكد لاغير من حارد السنة اذا لم يكن
فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا على ان يتنكدوا
على المساكين فتنكد عليهم بحيث لايقدرون فيها الا على النكد اوغدوا حاصلين
على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد
قرئ به اى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل
القصد والسرعة قال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اى غدوا قاصدين
الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل علم للجنة فَلَمَّا رَاَوْهَا اول
ماراوها قَالُوا اِنَّا لَضَالُّونَ طريق جنتنا وما هى بها بَلْ نَحْنُ اى بعد ما تاملوا
وعرفوا انها هى مَحْرُومُونَ حرمنا خيرها بجنايتنا على انفسنا قَالَ اَوْسَطُهُمْ رَأْيًا
اوسنا اَلَمْ اَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ لولا تذكرون وتتوبون اليه من حيث نيتكم
وقد قاله حين عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا اِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ
اولولا تستثنون فسمى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما فى التعظيم اولانه تنزيه
عن ان يجرى فى ملكه ما لايريد فَاَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ يلوم
بعضهم بعضا فان منهم من شارك بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت

راضيا ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا
ربنا ان يبدلنا خيرا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روى انهم
ابدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف انا الى ربنا راغبون راجون العفو
طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب مثل
الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب فى الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر
اعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب ان للمتقين عند ربهم
اى فى الاخرة او فى جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا نعم الخالص
افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث
كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا
ما لكم كيف تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه
صادر من اختلال فكر واعوجاج راى ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤن
ان لكم فيه لما تخيرون ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح
لانه الممدروس فلما جئت باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس واستينافا
وتخيير الشئ واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا عهود مؤكدة بالايمان بالغة
متناهية فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين
الى يوم القيمة متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا تخرج عن
عهدتها حتى تحكمكم فى ذلك اليوم او ببالغة اى ايمان تبليغ ذلك اليوم ان
لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم
ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم
فى هذا القول فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين فى دعويهم اذ لا اقل من التقليد
وقد نبه سبحانه فى هذه الايات على نفى جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل
او نقل يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب تبينها على
مراتب النظر وترتيبا لما لا استدلال له وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل
المؤمنين فى الاخرة كانه لما نفى ان يكون التسوية من الله تعالى نفى بهذا ان يكون
مما يشركون الله به يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب
وكشف الساق مثل فى ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال
حاتم اخو الحرب ان عضت به عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا ويوم
يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق
الانسان وتنكيره للتهويل او التعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء الفاعل او

المفعول والفعل للساعة او الحال ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود ان كان
اليوم يوم القيمة او يدعون الى الصلوة لاوقاتها ان كان وقت النزع فلا يستطيعون
لذهاب وقته او زوال القدرة عليه خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة يلحقهم ذل
وقد كانوا يدعون الى السجود فى الدنيا او زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه
فذروا العامل فيه فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث كله الى فانى اكفيكه سنستدرجهم
يسندنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث
لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين
واملى لهم وامهلهم ان كيدى متين لا يدفع بشئ وانما سمى انعامه استدراجا بالكيد
لانه فى صورته ام تسألهم اجرا على الارشاد فهم من مغرم غرامة مثقلون بحملها
فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون
ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن
كصاحب الحوت يونس عليه السلام اذ نادى فى بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا فى
الضجرة فابتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه يعنى التوفيق للتوبة وقبولها وحسن
تذكير الفعل للفصل وقراءة تداركته وتداركه اى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى
لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار وهو مذموم
مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ
فاجتباه ربه بان رد الوحى اليه او استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الوقعة
فجعله من الصالحين من الكاملين فى الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى
وفيه على خلق الافعال والآية نزلت حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد
الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ان هى المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة
عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلقونك قدمك او يرمونك من قولهم
نظر الى نظرا يكاد يصرعنى اى لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون
يصيبونك بالعين اذ روى انه كان فى بنى اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفى الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر
ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقراءة نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحرنته فحرن
وقرئ ليزهقونك اى ليهلكونك لما سمعوا الذكر اى القران اى ينبعث عند سماعه بعضهم
وحسدهم ويقولون انه لمجنون حيرة فى امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما حثوه لاجل
القران بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رايا

عن النبى عليه السلام من قرء سورة ن والقلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة مكية وآياتان

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة اى الساعة او الحالة التى تحق وقوعها او التى تحق فيها الامور اى تعرف حقيقتها او تقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاول المجازى وهو مبتداء خبره ما الحاقة واصله ما هى اى شئ هى على التعظيم لشانه والتهويل لها فوضع الظاهر موضع الضمير لانه اهول لها وما ادريك ما الحاقة واى شئ اعلمك ما هى اى انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان يبلغها دراية احد وما مبتداء وادريك خبره كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التى تفرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة فى وصف شدتها فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة وهى الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اى شديدة الصوت او البرد من الصر او الصر عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا ردها سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استيناف او صفة جئ به لنفى ما يتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب سبع ليال وثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى تقطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهى كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الاخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء اولان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى الثامن فاهلكتها فترى القوم ان كنت حاضرهم فيها فى مهابها او فى الليالى والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز اصول نخل خاوية متاكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية من بقية او نفس او بقاء وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدم وقرئ البصريان والكسائى ومن قبله اى ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه والمؤتفكات قرى قوم لوط والمراد اهلها بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة او الافعال ذات الخطاء فعصوا رسول ربهم اى فعصى كل امة رسولها فاخذهم اخذة رابية زائدة فى الشدة زيادة اعمالهم فى القبح انا لما طغى الماء جاوز حده

حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك فى الطوفان وهو مؤيد من قبله حملناكم اى اباءكم وانتم اصلابهم فى الجارية فى سفينة نوح لنجعلها لكم لتجعل الفعلة وهى انجاء المؤمنين واغراق الكافرين تذكرة عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعى ان تحفظ الشئ فى نفسك والايعاء ان تحفظه فى غيرك اذن واعية عن شابها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكيره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة تسليم وقراء نافع دون بالتخفيف فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة لما بالغ فى تهويل القيمة وذكر المكذبين بها نفخ لشانها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التى عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا لا الذ سبب المتسوية ولذلك قيل لنا ثة دكاء للتى لا سنام لها وارض دكاء للمتسعة المتسوية فيومئذ حينئذ وقعة الواقعة قامت القيمة وانشقت السماء لنزول الملائكة فهى يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك والجنس المتعارف بالملك على ارجائها جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحوالها واذ كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اشر ذلك ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الاجاء او فوق الثمانية لانها فى نية التقديم يومئذ ثمانية ثمانية املاك لما روى مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال يومئذ تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ليعرف احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية سريرة على الله تعالى حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة فى العدل وعلى الناس

كما قال تعالى يوم تبلى السرائر وقراء حمزة والكسائى بالياء والفصل فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ تفصيل للعرض فيقول نجما هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذوفيه لغات اجودها هاء يا رجل وهاء يا امرأة وهاؤما يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث لكن ولها فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل واسجاب الوقف لثباتها فى الامام ولذلك قرئ باثباتها فى الوصل إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ اى علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح فى الاعتقاد ما يحس فى النفس من الخطرات التى لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ذات رضى على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ مرتفعة المكان لانها فى السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قُطُوفُهَا جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر دَانِيَةٌ يتناولها القاعد كُلُوا وَاشْرَبُوا باضمار القول وجمع الضمير لمعنى هَنِيئًا اكلا وشربا هنيا او هنتم هنيا بِمَا أَسْلَفْتُمْ بما قدمتم من الاعمال الصالحة فى الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ الماضية من ايام الدنيا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فيقول لما يرى من فنون العمل وسوء العاقبة يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا يا ليت الموتة التى متها كانت القاضية القاطعة لامرى فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضيت على كانر صادفها امر من الموت فتمناه عندها او يا ليت حيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ مالى من المال والتبع وما نافى والمفعول به محذوف واستفهام انكار مفعول لاغنى هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ملكى وتسلطى على الناس او حجتى التى كنت احج بها فى الدنيا خُذُوهُ يقوله الله لخزنة النار فَغُلُّوهُ ثم الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثم لا تصلوا الا الجحيم وهى النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذراعا اى طويلة فَاسْلُكُوهُ فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقدم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينهما فى الشدة إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ تعليل على طريقة الاستيناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ولا

ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح للقاعد الكفر بالله واشنع من الرذايل البخل وقسوة القلب فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ قريب يحميه وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لا من الخطأ المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها فَلَا أُقْسِمُ لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها إِنَّهُ ان القران لَقَوْلُ رَسُولٍ يبلغه عن الله فان الرسول لا يقول عن نفسه كَرِيمٍ على الله وهو محمد او جبرئيل عليهما السلام وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ كما تزعمون نارة قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ كما تدعون اخرى قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ تتذكرون تذكرا قليلا ولذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنة لان عدم مشابهة القران للشعر امر بين لا ينكره الا المعاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول ومعانى القران المنافية لطريقة الكهنة ومعانى اقوالهم وقراء ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء فيهما تَنْزِيلٌ هو تنزيل رَبِّ الْعَالَمِينَ نزله على لسان جبرئيل وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا بها كانها جمع اقوولة من القول كالاضاحيك لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ بيمينه ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ اى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه باقظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جين وقبل اليمين بمعنى القوة فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس وَإِنَّهُ وان القران لَتَذْكِرَةٌ للمتقين لانهم المنتفعون به وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ فنجازيهم على تكذيبهم وَإِنَّهُ وَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ اذا راوا ثواب المؤمنين وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ البقين الذى لا ريب فيه فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك قال عليه السلام من قراء سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سُورَةُ الْمَعَارِجِ أَرْبَعُونَ وَأَرْبَعُ آيَةً

بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل بعذاب واقع أى دعا داع به
بمعنى استدعاه ولذلك عدى الفعل بالباء والسائل بضرب الحارث فانه قال ان كان
هذا هو الحق عن عندك او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء
او الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل بعذابهم وقراءة نافع وابن عامر سئال وهو اما
من السؤال على لغة قريش قال سألت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت
ولم تصب ومن السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل
كالغور والمعنى سال وادٍ بعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو قتل بدر
وفى الاخرة وهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان
السؤال كان عن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمن سأل معنى اهتم
ليس له دافع بدرء من الله من جهته لتعلق ارادته به ذى المعارج ذى المصاعد
وهى الدرجات التى يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى المؤمنون
فى سلوكهم او فى دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون
فيها تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة استيناف
لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر
قطعها فى زمان لكان فى زمان يقدر بخمسين الف سنة عن سبى الدنيا وقيل معناه
تعرج الملائكة والروح الى عرشه فى يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة
من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لان ما بين اسفل العالم
واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومعقر السما
الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة من السموات السبع والعرش
والكرسى كذلك وحيث قال فى يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم
من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل فى يوم متعلق بواقع او بسال اذا جعل من
السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه
من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبرئيل وافراده لفضله
او خلق اعظم من الملائكة وقراءة الكسائى يعرج بالياء فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه
استجمال واضطراب قلب وهو متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء ونفث
وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء للنصر او بسأل لان المعنى قرب وقوع العذاب
فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيمة بعيدا
من الامكان ونراه قريبا منه او من الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف
لقريبا اى يكون يوم يكون او لمضمر دل عليه واقع او بدل عن فى يومان علق به والمهل

والمهل المذاب فى مهل كالفلزات او درديّ الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف
المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت فى الجو اشبهت
العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسئل حميم حميما ولا يسأل قريب قريبا عن حاله
وعن ابن كثير ولا يسئل على بناء المفعول اى لا يطلب من حميم حميم او لا يسئل منه
حاله يبصرونهم استيناف وحال يدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل دون
الخفاء او ما يغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضمير لعموم
الحميم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد
الضميرين او استيناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدى
باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ بتنوين
عذاب ونصب يوم مثذ به لانه بمعنى تعذيب وقراءة نافع والكسائى بفتح يوم مثذ
وفصيلته وعشيرته الذين فصل عنهم التى تؤويه تضمه فى النسب وعند الشدائد
ومن فى الارض جميعا من الثقلين او الخلايق ثم ينجيه عطف على يفتدى اى ثم لو ينجيه
الافتداء وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم عن الوداده ودلالة على ان الافتداء لا
ينجيه انها الضمير للنار او مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل او للصفة ولظى
ابتداء خبره نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول عن اللظى
بمعنى اللهب وقراءة حفص عن عاصم نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة
او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهى جلدة الرأس
تدعو المدبر وتحضر كقول ذى الرمة تدعو اتفه الريب مجازا من جذبها واحضارها
لمن فرمنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهالك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه
من أدبر عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع فأوعى وجمع المال فجعله فى وعاء وكنزه
حرصا وتأميلا ان الانسان خلق هلوعا شديد الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر
الضر جزوعا يكثر الجزع واذا مسه الخير السعة منوعا يبالغ فى الامساك
والاوصاف الثلثة احوال مقدرة او محققة لانها طبايع جبل الانسان عليها واذا
الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات
المذكورة بعد من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها
من حيث انها دالة على الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء
والخوف من العقوبة وكسر الشهود وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة عن الانهماك
فى حب العاجل وقصور النظر عليها الذين هم على صلاتهم دائمون لا يشغلهم عنها
شاغل والذين فى اموالهم حق معلوم كالزكوات والصدقات الموظفة للسائل

للذى يسئال والمحروم والذى لايسئال فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم
الدين تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا فى المثوبة
الاخروية ولذلك ذكر الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على
انفسهم ان عذاب ربهم غير مامون اعتراض يدل على انه لاينبغى لاحد ان يامن
عذاب الله وان بالغ فى طاعته والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
سبق تفسيره فى سورة المؤمنين والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين
بشهاداتهم قائمون حافظون وقراء ابن كثير لاماناتهم يعنى لايخفون ولاينكرون
ولايخفون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد وقراء يعقوب وحفص بشهاداتهم
لاختلاف الانواع والذين هم على صلوتهم يحافظون فيراعون شرائطها ويكملون
فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا واخرا باعتبارين للدلالة
على فضلها وانافتها على غيرها وفى نظم هذه الصلوة مبالغة لاتخفى اولئك فى جنات
مكرمون بثواب الله فمال الذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين عن
اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان كل
فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول
رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه ايطمع كل امرئ
منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار لقولهم لوصح ما يقوله لنكون
فيها افضل حظا منهم كما فى الدنيا كلا ردع عن هذا الطمع انا خلقناهم
مما يعلمون تعليل له والمعنى انهم مخلوقون من نطفة قذرة لاتناسب عالم
القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية يستعد
دخولها او انهم مخلوقون من اجل ما يعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل
فمن لم يستكملها لم يبوء فى منازل الكاملين واستدلال بالمنشاة الاولى
على امكان النشاة الثانية التى بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم
بعد ردعهم عنه فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على
ان نبدل خيرا منهم اى نهلكهم ونأتى بخلق امثل منهم او نعطى محمدا بدلكم
من هو خير منكم وهم الانصار وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا
فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون مر فى اخر الطور
يوم يخرجون من الاجداث سراعا مسرعين جمع سريع كانهم الى نصب
منصوب للعبادة او علم يوفضون يسرعون وقراء ابن عامر وحفص بضم

بضم النون والضاد والياقون من السبعة نصب بفتح النون وسكون الصاد
وقرئ نصب بالضم على انه تخفيف نصب او جمع خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة
مر تفسيره ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون فى الدنيا عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قراء سورة المعارج اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح عليه السلام ثمانى وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان
انذر اى بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان يكون مفسرا لتضمن الارسال
معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم عذاب
الاخرة هو الطوفان قال يا قوم انى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون
مر فى الشعراء نظيره وفى ان يحمل الوجهان يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم
وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به فى الاخرة ويؤخركم الى اجل مسمى
هو ما قضى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة ان اجل الله ان الاجل الذى قدره
اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول لايؤخر فبادروا
فى اوقات الامهال والتاخير لو كنتم تعلمون لو كنتم من اهل العلم وانتظر لعلمتم ذلك
وفيه انهم لانهماكهم فى حب الحيوة كانهم شاكون فى الموت قال رب انى دعوت
قومى ليلا ونهارا اى دائما فلم يزدهم دعائى الا فرارا عن الايمان والطاعة واسناد
الزيادة الى الدعاء على التسببية كقوله تعالى فزادتهم ايمانا وانى كلما دعوتهم
الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم فى اذانهم سدوا مسامعهم عن
استماع الدعوة والتغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروا نكراهة النظر الى من قرط
كراهة دعوتى ولئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة واصروا
اكبوا على الكفر والمعاصى مستعار من اصرار الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل
عليها واستكبروا عنى اتباعى استكبارا عظيما ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى
اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا هى دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على
اى وجه امكننى وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ
من الافراد او لتنوع بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعى الدعاء
او صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اى مجاهرا به او الحال فيكون مجاهرا
فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا للتائبين وكانهم لما
امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على الحق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا

ويلطف بنا من عصيناه فامرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك
وعدلهم عليه ما هو اوقع فى قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم
حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على
الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار فى
الاستسقاء والسماء يحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدر ودر يستوى
فى هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين مالكم لا ترجون لله وقارا
لا تاملون له توقيرا اى تعظيما لمن عبدكم واطاعه فتكون على حال تاملون فيها تعظيمه
اياكم ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار ولا تعقدون له عظمة فتخافوا عصيانه
دائما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا حال مقدرة
للانكار من حيث انها موجبة للرجاء فانه خلقهم اطوارا اى تارات اذ خلقهم اولا
عناصر ثم مركبات تغذى الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما
ولحوما ثم انشاهم خلقا آخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم
بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من ايات
الافاق فقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا
اى فى السموات وهو فى السماء الدنيا وانما نسب اليهن من الملابسة وجعل الشمس
سراجا مثلها به لانها تنزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله
والله انبتكم من الارض نباتا انشاكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه اول
من الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء
بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقصودين ويخرجكم اخراجا بالحشر واكد
بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لا محالة
والله جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة
جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الايجاء قال نوح رب انهم عصونى فيما امرتهم به
واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم
المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم فى الاخرة وفيه
انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم باموال واولاد اتت بهم الى الخسار
وقراءة ابن كثير وحمزة والكسائى والبصريان وولده بالضم والسكون على انه
لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى
مكرا كبارا كبيرا فى الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم فى الدين

فى الدين وتحريش الناس على اذى نوح وقالوا لا تذرن آلهتكم اى عبادتها ولا تذرن ودا
ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هى اسماء رجال
صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا صور وا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد
انتقلت الى العرب وكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير
وقراءة نافع وابن عامر بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفها للعلمية والعجمة
وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا ولا تزد
الظالمين الا ضلالا عطف على ربنا انهم عصونى ولعل المطلوب هو الضلال فى
ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا فى امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله تعالى ان المجرمين
فى ضلال وسعر مما خطيئاتهم من اجل خطيئاتهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم
وقراءة ابو عمرو مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب الاخرة
والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال اولان المسبب كالمتعقب
للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم اولان المراد
نوع من النيران فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا يقربهم باتخاذ الهة من دون
الله لا تقدر على نصرهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اى احدا
وهو مما يستعمل فى النفى العام فيعال من الدار او الدور اصله ديوار ففعل به
ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك
ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقراء احوالهم الف سنة الا خمسين
عاما فعرف بشيمهم وطباعهم رب اغفر لى ولوالدى لمك بن متوشلخ وشمخا بنت
انوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتى منزلى او مسجدى وسفينتى مؤمنا وللمؤمنين
والمؤمنات الى يوم القيمة ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا عن النبى صلى الله عليه
وسلم من قراء سورة نوح كان من المؤمنين الذين ندد لهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن احدى وثلاثون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحى الى وقرئ احى واصله وحى من وحى
اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحى على الاصل وفاعله انه استمع نفر من الجن
والنفر ما بين الثلثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية
او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة من ابدانها
وفيه دلالة على انه عليه السلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم وانما انفق حضورهم
فى بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله به رسوله فقالوا انا سمعنا قرانا

كتابا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فامنا به بالقران ولن نشرك بربنا احدا علما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد وانه تعالى جد ربنا قراءابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكى بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابوبكر الا في قوله انه لما قام على انه استيناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اى عظمته من جد فلان في عيني اذا عظم او سلطانه او غناه مستعار من الجد الذى هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز وجد بالكسر اى صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القران ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد وهو شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم السفيهة في ذلك بظنهم ان احدا لا يكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يرجال من الجن فان الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فزادوهم رهقا فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا كبرا وعتوا او فزاد الجن والانس عنادا بان اضلوهم حتى استعاذ وابهم والرهق في الاصل غشيان الشئ وايهقهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن او بالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم او استيناف كلام من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به ان لن يبعث الله احدا سادمسد مفعولى ظنوا وانا لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم جمع كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضئ المتولد من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد خالية عن الحرس والشهب وضالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اى شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوى شهاب راصدين

راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في الصافات وانا لا ندرى اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء امر اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا منا الصالحون المؤمنون الابرار ومنا دون ذلك اى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهو المقصود كما طرائق ذوى طرائق اى مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا علما ان لن نعجز الله في الارض كائنين في الارض ايما كنا فيها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا او لن نفوته هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اى القران امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به بخسا ولا رهقا نقصا في الجزاء ولا ان يرهقه ذلة او جزاء نقص لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما لان من حق الايمان بالقران ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا اى ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا على الطريقة المثلى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة وعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القران لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانه ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته او وحيه نسلكه يدخله وقراء غير الكوفيين بالنون عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهى الغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبى مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهى عن السجود لغير الله او ارابه السبعة او السجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله اى النبى وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضى لقيامه يدعوه يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة

وهى ما يلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة
وهى لغة وقرئ لبدا كسبد جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود قل انما ادعوا ربى ولا اشرك
به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتى وقرئ عامم
وحمزة قل على الامر للنبى صلى الله عليه وسلم ليوافق ما بعده قل انى لا املك لكم
ضرا ولا رشدا ولا نفعا اوغيا ولا رشدا غير عن احدهما باشمه وعن الآخر باسم
سببه اومسببه اشعارا بالمعنيين قل انى لن يجيرنى من الله احد ان ارادنى
بسوء ولن اجد من دونه ملتحدا منحرفا وملجاء الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا
املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة
اومن ملتحدا اومعناه ان ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف
على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن كقوله عليه السلام بلغوا عنى ولو آية
ومن يعص الله ورسوله فى الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ
فان على فجزاؤه خالدين فيها ابدا جمعه المعنى حتى اذا رأوا ما يوعدون فى الدنيا
كوقعة بدر او فى الاخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثانى
او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم فسيعلمون
من اضعف ناصرا واقل عددا هو اوهم قل ان ادرى ما ادرى اقريب
ما توعدون ام يجعل له ربى امدا غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون
حتى اذا رأوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا
محالة ولكن لا ادرى وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر
فلا يطلع على غيبه احدا اى على الغيب المخصوص به عليه الا من ارتضى
لعلم بعضه حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن واستدل به على ابطال
الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط
وكرامات الاولياء على المغيبات انما يكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا
على احوال الاخرة بتوسط الانبياء فانه يسلك من بين يديه من بين يديه
المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف
الشياطين وتخاييطهم ليعلم ان قد ابلغوا اى ليعلم النبى الموحى اليه ان قد ابلغ
جبريل والملائكة النازلون بالوحى اوليعلم الله ان قد ابلغ الانبياء بمعنى
ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم كما هى محروسة من التغير واحاط
بما لديهم بما عند الرسل واحصى كل شئ عددا حتى القطر والرمل عن النبى صلى الله
عليه وسلم من قراء سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق محمدا وكذب به عتق رقبة

سورة المزمل عشرون اية وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل
بثيابه اذا تلفف بها ادغم التاء فى الزاى وقد قرئ به وبا لمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها
اى الذى زمله غيره اوزمل نفسه سمى به النبى صلى الله عليه وسلم تعجبا لما كان
عليه لانه كان نائما اومرتعدا مما دهشه بداء الوحى متزملا فى قطيفة اوتحسينا له
اذ روى انه كان يصلى متلففا بمرط مفروش على عايشة فنزل وتشبيها له فى تثاقله
بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد فى قيام الليل اومن تزمل الرمل اذا احتمل الحمل اى الذى
يحمل اعباء النبوة قم الليل اى قم الى الصلوة اودوام عليها وقرئ بضم الميم وفتحها
للاتباع او التخفيف الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه الاستثناء
من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتمييز بين قيام النصف
والزايد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث ونصفه بدل من الليل والاستثناء
منه والضمير فى منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين
وبين الاقل منه والاكثر منه كالنصف والتخيير بين ان يقوم اقل
منه على البت وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل
فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزايد عليه ورتل القران ترتيلا
اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل و رتل
اذا كان مفلجا انا سنلقى عليك قولا ثقيلا يعنى القران فانه لما فيه من التكاليف
الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته والجملة
اعتراض يسهل التكليف عليه بالتهجد ويدل على انه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس
او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد
تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل فى الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تليقه لقول
عائشة رضى الله عنه رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه
وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه
للتعليل مستأنف فان التهجد يعد للنفس ما به تعالج ثقله ان ناشئة الليل
ان النفس التى تنشاء من مضجعها الى العبادة من نشاء من مكانه اذا نهض قال
الخوص برى نيها السرى والصق منها مشرفات القاحد او قيام الليل على ان الناشئة
له والعبادة التى تنشاء بالليل اى تحدث اوساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد
اخرى اوساعاتها الاول من نشاء اذا ابتدأت هى اشد وطأ اى كلفة اوثبات

قدم وقرئ ابو عمرو وابن عامر وطاء اى موطاة القلب للتى لها او فيها او موافقة لما يراد
من الخضوع والاخلاص وَأَقْوَمُ قِيلًا واسد مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب وهدوا
الاصوات إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا تقلبا فى مهماتك واشتغالا بها فعليك بالتهجد
فان مناجاة الحق تستدعى فراغا وقرئ سبخا تفرق قلبك بالشواغل مستعار من سبح
الصوف وهو نفشه ولنشر اجزائه وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر
الله بتنا ولكل ما يذكره من تسبيح وتحميد وتهليل وصلاة وقراءة قرآن ودراسة
علم وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذا الزمة
ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ خبر محذوف او مبتدأ
خبره لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وقراء ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من
ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا مسببا عن
التهليل فان توحد بالالوهية يقتضى ان يوكل اليه الامور وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ
من الخرافات وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافهم وتكل امرهم
الى الله كما قال وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ دعنى واياهم وكل امرهم فان فى غنية عنك
فى مجازاتهم أُولِي النَّعْمَةِ ارباب التنعم يريد صناديد قريش وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا زمانا
او امهالا إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا تنكيلا للامر والنكل القيد الثقيل وَجَحِيمًا وَطَعَامًا
ذَا غُصَّةٍ طعاما يثبت فى الحلق كالضريع والزقوم وَعَذَابًا أَلِيمًا ونوع اخر من
العذاب مولما لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك
فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المتهمكة فى الشهوات تبتغى مقيدة
بجثها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات محرقة بحرقة الفرقة متجرعة
غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلى انوار القدس فسر العذاب بالحرمان
عن لقاء الله تعالى يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ تضطرب وتزلزل ظرف لما
فى لدينا انكالا من معنى الفعل وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا رملا مجتمعا كانه فعيل
بمعنى مفعول من كثيب الشئ اذا جمعته مَهِيلًا منثورا من هيل هيلا اذا نثر
إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا يا اهل مكة شَاهِدًا عَلَيْكُمْ يشهد عليكم يوم القيمة
بالاجابة والامتناع كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا يعنى موسى ولم يعينه لان
المقصود لم يتعلق به فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ عرفه لسبق ذكره فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا
ثقيلا من قولهم طعام وبل لا يستمرئ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم
فَكَيْفَ تَتَّقُونَ انفسكم إِنْ كَفَرْتُمْ بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم يَجْعَلُ
الْوِلْدَانَ شِيبًا من شدة هوله وهذا على الفرض والتمثيل واصله ان الهموم

ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصف اليوم بالطول
السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ منشق والتذكير على تاويل السقف او اضمر شئ به بشدة ذلك اليوم
على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا الضمير لله
عز وجل او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول إِنَّ هَذِهِ اى الآيات الموعدة
تَذْكِرَةٌ عظة فَمَنْ شَاءَ ان يتعظ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا اى يتقرب اليه بسلوك
التقوى إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ استعار
الادنى للاقل لان الاقرب الى الشئ اقل بعدا منه وقراء ابن كثير والكوفيون ونصفه
وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وتقوم ذلك جماعة من
اصحابك وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يعلم مقاديرساعاتهما كما هى الا الله فان
تقديمه اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله عَلِمَ أَنْ
لَنْ تُحْصُوهُ اى لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات فَتَابَ عَلَيْكُمْ
بالترخيص فى ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ
فصلوا ما تيسر عليكم من صلوة الليل غير عن الصلوة بالقراءة كما غير عنها بسائر
اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به
ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرؤا القرآن بعينه كيف ما تيسر عليكم عَلِمَ
أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى استيناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص
والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ
يبتغون من فضل الله والضرب فى الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم وَآخَرُونَ
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ المفروضة وَآتُوا الزَّكَاةَ
الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا يريد به الامر بسائر الانفاقات فى سبيل الخير اوبدأ
الزكوة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به فى قوله وَمَا تُقَدِّمُوا
لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ من اجد تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا من الذى تؤخرونه
الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثانى مفعولى تجدوه وهو تاكيد او فصل
لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر
وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ فى مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ عن
النبى صلى الله عليه وسلم من قرء سورة المزمل دفع الله عنه العسر فى الدنيا والاخرة

سورة المدثر وآياتها ست وخمسون آية ومى مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ اى المتدثر وهو لابس

الدثار روى انه عليه الصلوة والسلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى
فلم ار شيئا فنظرت فى فوقى فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه
فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى فنزل جبرائيل قال يا ايها المدثر ولذلك قيل
هى اول سورة نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا او كان نائما متدثرا
فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المحتفى فانه كان
بحراء كالمحتفى فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر اى الذى دثر هذا الامر وعصب به
قم من مضجعك او قم فنام عزم وجد فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل
عليه قوله فحذا وانذر عشيرتك الاقربين او قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء
عقدا وقولا روى انه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابقن انه الوحى
وذلك لان الشيطان لا يأمر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط
وكانه قال وما يكن من شئ فكبر ربك او الدلالة على ان المقصود الاول من الامر
بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول
ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك فطهر
من النجاسات فان التطهير واجب فى الصلوة مجبوب فى غيرها وذلك بغسلها
وحفظها عن النجاسة كتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من دفض
العادات المذمومة او طهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الدنية فيكون
امرا باستكمال القوة العلمية بعد امره باستكمال القوة النظرية عطف على الاستكمال
الاول والضمير فى اليه عايد اليه والدعاء اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد
والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدى اليه
من الشرك وغيره من القبايح وقراء يعقوب وحفص والزجز بالضم وهو لغة
كالذكر ولا تمنن تستكثر ولا يقطع مستكثرا نهى عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا
طامعا فى عوض اكثر ثم تنزيه او نهيا خاصا به لقوله عليه السلام المستغزر
ثيابات من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن بعبادتك على الله
مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه
وقرئ تستكثر بالسكون للوقف او الابدال من تمنن على انه من من بكذا وتستكثر
بمعنى تجد كثيرا او بالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع
بحذفها وابطال عملها كما روى احضر الوغى بالرفع ولربك ولوجهه او امره فاصبر
فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكليف واذى المشركين فاذا نقر نفسخ

نقر فى الناقور فى الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذى هو سبب
الصوت والفاء للسببية كانه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك
وعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير
على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر
وهو مبتداء خبره يوم عسير غير يسير تاكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه
دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين ذرنى ومن خلقت وحيدا نزل فى الوليد
ابن المغيرة ووحيدا حال من الياء اى ذرنى وحدى معه فانى اكفيكه او من التاء
اى ومن خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه احد او من العايد المحذوف فى زيدا لامال
له ولا ولد او ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله بما به او ارادة انه وحيد ولكن
فى الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا
او ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا معه
بمكة يمنع بلقاءهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا
يحتاج الى ان يرسلهم فى مصالحه لكثرة خدمه او فى المحافل والاندية لوجاهتهم
واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلثة خالد
وعمارة وهشام ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى
لقب ريحانة قريش والوحيد اى باستحقاق الرياسة والتقدم ثم يطمع ان
ازيد على ما اوتيه وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على ما اوتى او لانه
لا يناسب من ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال كلا انه
كان لآياتنا عنيدا فانه رد لطمعه عن الطمع وتعليل للرد على سبيل الاستيناف
بمعاندة الايات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال
بعد نزول الاية فى نقصان ماله حتى هلك سأرهقه صعودا ساغشيه عقبة
شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدايد وعنه عليه الصلوة والسلام الصعود
جبل من النار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل
للوعيد او بيان للعناد والمعنى فكر فيما يختل طعنا فى القران وقدر فى نفسه ما
يقول فيه فقتل كيف قدر تعجب من تقديره استهزاء به او لانه اصاب
اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اى بلغ فى الشجاعة
مبلغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روى انه مر بالنبى صلى الله عليه
وسلم وهو يقراء حم السجدة فاتى قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما
ما هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه

لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبأ الوليد فقال ابن اخيه
ابوجهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فناداهم فقال تزعمون
ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه بنكهن وتزعمون
انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق
بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل
كيف قدر تكرير للبنا لغته وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد
على اصلها ثم نظر اى فى امر القران مرة بعد اخرى ثم عبس فطب وجهه لما لم يجد فيه
طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب فى وجهه
وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او الرسول صلى الله عليه وسلم واستكبر
عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه
لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر ان هذا الا قول
البشر كالتاكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها ساصليه سقر بدل
من سارهقه صعودا وما ادريك ما سقر تفخيم لشانه وقوله لا تبقى ولا تذر
بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقى على شئ
يلقى فيها ولا تذره حتى تهلكه لواحة للبشر مسودة لاعالى الجلد او لايحة للناس
وقرأت بالنصب على الاختصاص عليها تسعة عشر لمكا او صنفا من الملائكة
يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية فى النظر والعمل بسبب
القوى الحيوانية الاثنى عشرة والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات
ستة منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل
انواعا من العذاب بناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف يتولاه وواحد لعصاة
الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا بناسبه ويتولاه ملك او صنف او ان الساعات
اربعة وعشرون خمسة منها مصروفة فى الصلوة فيبقى تسعة عشر قد يصرف فيما يؤاخذ به
بانواع من العذاب يتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالى
الحركات فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اى تسعة
كل عشير جمع يعني نقيبهم او جمع عشر فيكون تسعين وما جعلنا اصحاب النار
الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يسترحوا اليهم ولانهم
اقوى الخلق باسا واشدهم غضبا لله روى ان ابا جهل لما سمع عليها تسعة عشر
قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت وما جعلنا عدتهم
الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عددهم الا العدد الذى اقتضى فتنتهم وهو

وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه لا ينفك منه وافتنانهم به استقلالهم
له واستهزاؤهم به واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد
الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اى ليكتسبوا اليقين
بنبوة محمد عليه الصلوة والسلام وصدق القران لما راوا ذلك موافقا لما فى كتابهم
ويزداد الذين امنوا ايمانا بالايمان بها وبتصديق اهل الكتاب له ولا يرتاب الذين اوتوا
الكتاب والمؤمنون اى فى ذلك وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفى لما يعرض
المتيقن حينما عراه شبهة وليقول الذين فى قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بمكة
عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة والكافرون الجازمون فى التكذيب ماذا اراد الله
بهذا مثلا اى شئ اراد بهذا العدد المستغرب استغرابا المثل وقيل لما استبعدوه وحسبوا
انه مثل مضروب كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء مثل ذلك المذكور من
الاضلال والهدى يضل الله الكافرين ويهدى المؤمنين وما يعلم جنود ربك جموع
خلقه على ما هم عليه الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقايقها
وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة وما هى
وما مقرها وعدة الخزنة او السورة الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن
انكرها او تكاد لان يتذكروا بها والقمر والليل اذ ادبر اذ بر كقبل بمعنى اقبل وقراء
نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذ ادبر على المضى والصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى
الكبر لاحدى البلايا الكبرى البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى
على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما الحقت قاصعاء بقاصعة
فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتاكيد نذيرا
للبشر تمييز اى لاحدى الكبر انذارا او حال عما دلت عليه الجملة اى كبرت منذرة
وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبر المحذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من
للبشر اى نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير والتخلف عنه او لمن شاء خبر لان يتقدم
فيكون فى معنى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة
مرهونة عند الله تعالى مصدر كالشتيمة اطلقت للمفعول كالرهن ولو كانت صفة
لقيل رهين الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل
هم الملائكة او الاطفال فى جنات لا يكتنه وصفها وهى حال عن اصحاب اليمين او ضمير هم
فى قوله يتساءلون عن المجرمين اى ينال بعضهم بعضا او يسالون غيرهم عن حالهم كقولك
تداعيناه اى دعوناه وقوله ما سلككم فى سقر بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤلين و
المجرمين اجابوا بها قالوا لم نك من المصلين الصلوة الواجبة ولم نك نطعم المسكين

ما يجب اعطاؤهم وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وكذا نخوض مع الخائضين
نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اخره لنعظيمه اى وكنا بعد
ذلك كله مكذبين بالقيمة حتى اتانا اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم
شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا فما لهم عن التذكرة معرضين اى معرضين
عن التذكير يعنى القران او ما يعمه ومعرضين حال كانهم حمر مستنفرة فرت من
قسورة شبههم في اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة
اى اسد فعولة من القسر وهو القهر وقراء نافع وابن عامر بفتح الفاء بل يريد كل
امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقراء وذلك انهم قالوا للنبى
صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تاتى كلا منا بكتاب من السماء فيه من الله الى فلان
اتبع محمدا كلا ردع من اقتراحهم الايات بل لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن
التذكرة لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع عن اعراضهم انه تذكرة واى تذكرة
فمن شاء ذكره فمن شاء ان يذكره ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله ذكرهم ومشيتهم
كقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشية الله
وقراء نافع تذكرون بالتاء وقراءهما مشددة هو اهل التقوى حقيق بان
يتقى عقابه واهل المغفرة حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين منهم عن النبى صلى الله عليه
وسلم من قراء سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيمة اربعون اية ومى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية
على فعل القسم للتاكيد شايع في كلامهم قال امرئ القيس لا وابيك ابنة العامرى
لا يدعى القوم انى افر وقدم الكلام فيه في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم ولا
اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المنقية التى تلوم النفوس المقصرة في التقوى
يوم القيمة على تقصيرها او التى تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت في الطاعة او النفس
المطمئنة الامنة للنفس الامارة او بالجنس لما روى انه عليه السلام قال ليس
من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف
لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتنى كنت قصرت او نفس آدم فانها لم تزل تلوم
على ما خرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيمة لان المقصود من اقامتها مجازاتها
ايحسب الانسان يعنى الجنس واسناد الفعل اليه لان فيهم من يحسب والذى
نزل فيه عدى بن ربيعة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر القيمة فاخبره

فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام الن نجمع
عظامه بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول بلى نجمعها قادرين
على ان نسوى بنانه بجمع سلاميانه وضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها
ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوى بنانه الذى هو اطرافها فكيف
بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اى نحن قادرون بل
يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا
بجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام ليفجر امامه ليدوم على
فجوره فيما يستقبله من الزمان يسال ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا او استهزاء
فاذا برق البصر فحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقراء نافع
بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلوق الباب
اى انفتح وخسف القمر وذهب ضوءه وقرئ على بناء المفعول وجمع الشمس والقمر
في ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للحاق ولمن حمل
ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح
الحاسة في الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس
وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اين المفر اين
الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمنى وقرئ بالكسر وهو المكان كلا ردع عن
طلب المفر لا وزر لا ملجاء مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل
الى ربك يومئذ المستقر اليه وحده استقرار العباد الى حكمه استقرارهم
او الى مشيته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبؤا الانسان
يما قدم واخر بما قدم من عمل عمله وما اخر منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمله وبما
اخر من سنة حسنة او سنة عمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به وبما اخر
فخلفه او باول عمله واخره بل الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة على اعمالها
لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء
ولو القى معاذيره ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة
على غير قياس كالمناكير في النكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر لا تحرك
به محمد به بالقران لسانك قبل ان يتم وحيه لتعجل به لتاخذ على عجلة
مخافة ان ينفلت منك ان علينا جمعه في صدرك وقرآنه واثبات قراءته
في لسانك وهو تعليل للنهى فاذا قرأناه بلسان جبريل عليك فاتبع قرآنه قراءته
وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل عليك من

من معاينه وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما
يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور وا صل
الدين فكيف بها فى غيره او بذكر ما انفق فى اثناء نزول هذه الايات وقبل الخطاب
مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته
خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه
من اعمالك وقراءته فاذا قراءناه فاتبع قرآنه بالاقرار والتامل فيه ثم ان علينا
بيان امره بالجزاء عليه كلا ردع للرسول صلى الله عليه وسلم من عادة العجلة
او للانسان عن الاغترار بما لعاجل بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة نعيم
الخطاب اشعارا بان بنى ادم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان
والمراد به الجنس فجمع الضمير المعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين
بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة الى ربها ناظرة تراه مستغرقة
فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا فى كل
الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه وردبان الانتظار
لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل معناه لا يعدى
بالى وقول الشاعر واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتنى نعما
بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطاء ووجوه يومئذ باسرة شديدة
العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب فى الشجاع اذا اسند كلوحه تظن
ان توقع ارديها ان يفعل فاقرة فاقرة داهية تكسر الفقار كلا ردع عن ايثار
الدنيا على الاخرة اذا بلغت التراقى اذا بلغت النفس اعالى الصدر واضدادها
من غير ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل من زاق وقال حاضر واصاحبها من
يرقيه مما به الرقية اوقال ملائكة الموت ترقى بروحه ملائكة الرحمة او
ملائكة العذاب من الرقى وظن انه الفراق وظن المحتضر ان الذى نزل به
فراق الدنيا ومحابها والتفت الساق بالساق والتوت ساقة بساقه فلا يقدر
تحريكها اوشدة فراق الدنيا بشدة خوف الاخرة الى ربك يومئذ المساق
سوقه الى الله تعالى وحكمه فلا صدق ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله
اى فلا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور فى
يحسب الانسان ولكن كذب وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى
يتبختر افتخارا بذلك من المطا فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط اومن
المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الولى واصله اولاك

اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل
من الويل بعد القلب كادنى مزدون اوفعلى من آل يؤل بمعنى عقبك النار
ثم اولى لك فاولى اى يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى ايحسب الانسان
ان يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن نكيرا بانكاره للحشر
والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضى الامر بالمحاسن والنهى عن القباح والتكليف
لا يتحقق الا بالجزاء وهى قد لا تكون فى الدنيا فتكون فى الاخرة الم يك نطفة
منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر
والانثى وهو استدلال اخر بالابداء على الاعادة على امر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله
اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى وعن النبى عليه السلام انه كان اذا قراءها قال سبحانك
بلى وعنه عليه الصلوة والسلام من قراء سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة

سورة الدهر احدى وثلاثون اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان استفهام تقرير
وتقريب ولذلك فسر بقد واصله اهل كقوله اهل رأونا بسفح القاع ذى حين
من الدهر طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا مذكورا بل
كان شيئا منسيا مذكورا بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان
او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله انا خلقنا الانسان
او ادم بين او لا خلقه ثم ذكر خلق بنيه من نطفة امشاج اخلاط جمع مشيج
او مشيج من مشجت الشئ اذا خلطته ووصف النطفة بذلك لان المراد بها مجموع منى
الرجل والمراة وكل منهما مختلفة الاجزاء فى الرقة والقوام والخواص ولذلك
يصير كل جزء منها مادة عضو وقيل مقرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان ماء
الرجل ابيض وماء المراة اصفر فاذا اختلطا احمرا واطوار فان النطفة تصير
علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة نبتليه فى موقع الحال اى مبتلين له بمعنى مريدين اختباره اوناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء فجعلناه سميعا
بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الايات فهو كالمسبب عن الابتلاء
ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه
السبيل اى نصبنا الدلائل وانزال الايات اما شاكرا واما كفورا حالان من
الهاء واما للتفصيل او التقسيم اى هديناه فخالبه جميعا اومقسوما اليهما
بعضهم شاكرا بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفورا بالاعراض عنه اومن

اومن التسبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلوا عن كفران ما. وانما الماخوذ به التوغل فيه انا اعتدنا للكافرين سلاسل بها يقادون واغلولا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تاخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقراء نافع والكسائي وابو بكر سلا لا للمناسبة ان الابرار جمع بركار باب وبارکا شهاد يشربون من كاس من خمر وهي في الاصل لقدح يكون فيه كان مزاجها ما يمزج بها كافورا لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فيكون كالممزوج به عينا بدل من كافورا ان جعل اسم ماء او من محل من كاس على تقدير مضاف اى ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعدها يشرب بها عباد الله اى يلتذ بها او ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب مبتداء منها كما هو يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤا اجراء سهلا يوفون بالنذر استيناف ببيان ما رزقوه لاجله كانه سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله كان اوفى بما اوجبه الله عليه ويخافون يوما كان شره مستطيرا فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي ويطعمون الطعام على حبه حب الله او الطعام اى الاطعام مسكينا ويتيما واسيرا يعني اسارى الكفار فانه عليه الصلوة والسلام كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير المؤمنين ويدخل فيه المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافات المنقصة للاجر وعن عائشة رضي الله عنها انها تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء عاتهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة خالصا عند الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اى شكرا انا نخاف من ربنا فلذلك نحسن اليكم اولا نطلب المكافات منكم يوما عذاب يوم عبوسا يعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في ضراوته قمطريرا شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه من قطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب فوقهم ويحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار وحزنهم وجزاهم بما صبروا بصبرهم

بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاهوال جنة بستانا ياكلون منه وحريرا يلبسونه وعن ابن عباس ان الحسن والحسين رضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولديك فلذ زعلى وفاطمة وفضة جارية لهما صوم ثلثة ان برئا فشفيا وما معهم شئ فاستقرض على من شمعون الخيبري ثلث اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوا بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا وضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبرئيل بهذه السورة وقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك متكئين فيها على الارائك حال عن هم في جزاء هم او صفة لجنة لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يحملها وان يكون حالا من المستكنين في متكئين والمعنى انه يسر عليهم فيها هواء معتدل لا حار ولم ولا بارد موز وقيل الزمهرير القمر في لغة طي قال وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان هواءها مضئ بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها حال او صفة اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة اى وجنت اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انها خبر ظلالها والجملة حال او صفة وذللت قطوفها تذليلا معطوف على ما قبله او حال من دانية وتذليل القطوف ان يجعل سهل التناول لا يمتنع على قطافها كيف شاؤا ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب اباريق بلا عرى كانت قوارير قوارير من فضة اى تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد تنون قوارير من تنون سلاسلا واين كثير الاولى لانها راس الاية وقرئ قوارير من فضة على هي قوارير قدروها تقديرا اى قدروها في انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوا او قدروها بامالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها اى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدر الشئ ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به عينا فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الياء والمراد به ان ينفى عنها الذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت به كانها طلب شرا لانه لا يشرب منها الا من سال سبيلا بالعمل الصالح ويطوف عليهم ولدان مخلدون دائمون اذا رايتهم

حسبتهم لؤلؤا منثورا من صفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالس الجنة وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكثر من ذلك وهو ان ينتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستغني بانوار قدس الجبروت عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ يعلوهم ثياب الحرير الخضر مما رق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم في عليهم او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اي واهل ملك كبير عاليهم وقراءة نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقراءة ابن كثير وابو بكر خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقراءة ابو عمرو وابن عامر بالعكس وقراءة ها نافع وحفص والكسائي بالجر وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ عطف على يطوف عليهم ولا يخالفه قوله اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلى اهل الجنة يختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حلى وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير في عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا يريد به نوعا اخر يعلو على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله عز وجل ووصفه بالطهورية كانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً على اضمار القول والاشارة الى ما عدد من ثوابهم وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا مجازا عليه غير مضيع إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه او للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعي ان يكون المطاوعة في الاثم والكفر مطاوعتهما فيما ليس بالاثم ولا الكفر غير محظور وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ودوام على ذكره ودم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان

فان الاصيل يتناول وقتهما وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وبعض الليل فصل له ولعل المراد به صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلوة الليل من مزيد الكلفة والخلوص وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا وتهجد له طائفة طويلة من الليل إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ويذرون وَرَاءَهُمْ امامهم او خلف ظهورهم يَوْمًا ثَقِيلًا شديدا مستعارا من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في الخلقة وشدة يعني النشاءة الثانية ولذلك جيء باذا وبدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة الاشارة الى السورة والايات القرية فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا تقربا اليه بالطاعة وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وما تشاؤن ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيتهم وقراءة ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤن بالياء إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بما يستأهل كل احد حَكِيمًا لا يشاء الا ما يقتضيه حكمته يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ بالهداية والتوفيق للطاعة وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد اذ كافاء ليطابق الجمل المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قراء سورة هل اتى كان اجره على الله تعالى جنة وحريرا

سُورَةُ وَالْمُرْسَلَاتِ اثْنَانِ وَخَمْسُونَ آيَةً مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله بامره متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال امره ونشرن الشرايع في الارض او نشرن النفوس الموتى بالجهل عما اوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او بايات القران المرسلة بكل عرف الى محمد صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن انوار الهدى والحكم في الشرق والغرب ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين او بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن ذلك في جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شيء هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب والالسنة الا ذكر الله او بارياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن النسيم في الجو ففرقن فالقين ذكرا اي بتسبيتين له فان العاقل اذا شاهد هبوبها واثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا

امّا نقيض النكر وانتصابه على العلّة اى ارسلن الاحسان والمعروف وبمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال عُذْرًا اَوْ نُذْرًا مصدران لعذر اذا محا لان الاساءة والنذر اذا خوّف اوجمعا ن لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاوّلين بالعلّية اى عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدلية من ذكرا على ان المراد به الوحى اما يفهم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحاليه وقراءها ابو عمرو وحمزة والكسائى وحفص بالتخفيف اِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ جواب القسم ومعناه ان الذى توعدونه من مجئ القيمة كائن من محالة فَاِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ محقت واذهب نورها واذا السماء فرجت صدعت وَاِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ كالحب ينسف بالمنسف وَاِذَا الرُّسُلُ اُقِّتَتْ عين لها وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله اوبلغت ميقاتها الذى كانت تنتظر وقراء ابو عمرو وقت على الاصل لِاَىِّ يَوْمٍ اُجِّلَتْ اى يقال لاى يوم اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثانى مفعولى اقتت على انه بمعنى اُعلمت لِيَوْمِ الْفَصْلِ بيان ليوم التأجيل وَمَا اَدْرٰيكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ومن اين تعلم كنهه ولم ترمثله وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ اى بذلك وويل فى الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلك للمدعو عليه ويومئذ ظرفه اوصفته اَلَمْ نُهْلِكِ الْاَوَّلِينَ كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من اهلك بمعنى اهلكه ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْاٰخِرِينَ اى ثم نحن نتبعهم نظراءهم كاهل مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فتكون الاخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كَذٰلِكَ مثل ذلك الفعل نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ بكل من اجرم وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بايات الله وانبيائه فليس تكريرا وكذا ان اطلق التكذيب او حقق من الموضعين بواحد لان الويل الاول للعذاب الاخرة وهذا للاهلاك فى الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شايع فى كلام العرب اَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ نطفة قذرة ذليلة فَجَعَلْنَاهُ فِى قَرَارٍ مَكِينٍ هو الرحم اِلٰى قَدَرٍ مَعْلُومٍ الى مقدار معلوم من الوقت الذى قدره الله تعالى للولادة فَقَدَرْنَا فقدرنا على ذلك او فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائى بالتشديد فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ نحن وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بقدرتنا على ذلك اوعلى الاعادة اَلَمْ نَجْعَلِ الْاَرْضَ كِفَاتًا كافتة اسم لما يكفت اى يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت به او جمع كافت كصايم وصيام اوكفت وهو الوعاء اجرى على الارض باعتبار اظهار

اظهارها اَحْيَاءً وَاَمْوَاتًا منتصبان به على المفعوليه وتنكيرهما للتفخيم اولان احياء الانس واموانهم بعض الاحياء والاموات والحالية من مفعوله المحذوف للعلم وهو الانس اوينجعل على المفعولية وكفاتا حالا والحال فيكون المعنى بالاحياء ما ينبت وبالاموات ما لا ينبت وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِىَ شَامِخَاتٍ جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم واشعار بان فيها ما لم يعرف ولم ير وَاَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا بخلق الانهار والمنابع فيها وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بامثال هذه النعم انْطَلِقُوا اى يقال لهم انطلقوا اِلٰى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ من العذاب انْطَلِقُوا خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار من امتثالهم للامر اضطرارا اِلٰى ظِلٍّ يعنى ظل دخان جهنم كقوله وظل من يحموم ذِى ثَلٰثِ شُعَبٍ يتشعب لعظمته كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم اولان المؤدى الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة فى الدماغ والغضبية التى فى يمين القلب والشهوية التى فى يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لَا ظَلِيلٍ تهكم بهم ورد لها اوهم لفظ الظل وَلَا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا اِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كالقصر اى كل شررة كالقصر فى عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة وهى الشجرة الغليظة وقرئ كالقُصْر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقِصَر جمع قصرة كحاجة وحوج وكالقصر وهى اصل العنق والهاء للشعب كَاَنَّهُ جِمَالَتٌ جمع جمال او جمالة جمع جمل صُفْرٌ فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرئ بضمتين والكسائى وحفص جِمَالَاتٌ وعن يعقوب ورويس جُمَالات بالضم جمع جُمالة وقد قرئ بها وهى الجبل الغليظ من جبال السفينة شبهه بها فى امتداده والتفاته وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ اى بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشئ من فرط الدهشة والحيرة وهذا فى بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اى هذا الذى ذكر واقع يومئذ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفى الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن واوهم ذلك ان لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ بين المحق والمبطل جَمَعْنَاكُمْ وَالْاَوَّلِينَ تقرير ببيان للفصل فَاِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ تقريع عاكيدهم للمؤمنين فى الدنيا واظهار لعجزهم وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ اذ لا حيلة لهم فى التخلص من العذاب اِنَّ الْمُتَّقِينَ من الشرك لانهم

في مقابلة المكذبين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون مستقرون في انواع الترفه
كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون اى مقولا لهم ذلك انا كذلك نجزي المحسنين
في القعيدة ويل يومئذ للمكذبين تخصص لهم العذاب المخلد والخصوص بهم الثواب المؤبد
كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون حال من المكذبين اى الويل ثابت لهم في حال ما يقال
لهم ذلك بذكر اهم مجالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على
النعيم المقيم ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل
واذا قيل لهم اركعوا اطيعوا وافضعوا اوصلوا اوركعوا في الصلوة اذ روى انه
نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلوة فقالوا لا ينجي فانها
سبة وقيل هو يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا تستطيعون لا يركعون
لا يمتثلون واستدل به على ان الامر للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع
ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده اى بعد القران يؤمنون اذ لم
يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة قال
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة النبأ ستون اية وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون اصله عن ما فحذفت الالف
لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شان ما يتساءلون عنه كانه لفخامته خرج عن جنسه
فيسأل عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون من البعث فيما بينهم او يسأل لوفد
الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراؤنهم
اى يدعونهم ويرونهم او للناس عن النبأ العظيم بيان لشان المفخم او صلة يتساءلون
وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه قراءة يعقوب عمة الذي هم فيه مختلفون
يجزم النفي والشك فيه او بالاقرار والانكار كلا سيعلمون ردع عن التساؤل
ووعيد عليه ثم كلا سيعلمون تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد
وقيل الاول عند النزع والثاني في القيمة او الاول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن
عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا
تذكير ببعض ما عاينوا من عجايب صنعه الدالة على كما قدرته ليستدلوا بذلك على صحة
البعث وخلقناكم ازواجا ذكرانا واناثا وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الاحساس والحركة
استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت
للميت واصله القطع ايضا وجعلنا الليل لباسا غطاء يستر بظلمته من اراد الاختفاء

الاختفاء وجعلنا النهار معاشا وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به او جعلناه
تبعثون فيها عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا شدادا سبع سموات اقوياء محكمات لا يؤثر
فيها مرور الدهور وجعلنا سراجا وهاجا متلألئا وقادا من وهج النار اذا اضاءت
او بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس وانزلنا من المعصرات السحائب اذا
اعصرت اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان
يحصد منه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او من الرياح التي حان ان تعصر السحاب
او الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبتداء للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه
ويؤيده انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث
افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وقرئ ثجاجا ومثاجا
الماء مصابه لنخرج به حبا وقبانا يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش وجنات
الفافا ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع فالجث لف وعلش مغدق او لفيف كشريف
او لف جمع لفاء كخضراء وخضر واخضار او ملتفة بحذف الزوائد ان يوم الفصل كان
في علم الله او في حكمه ميقاتا حدا يوقت به الدنيا وينتهي عنده او حدا للخلايق ينتهون اليه
يوم ينفخ في الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتاتون افواجا جماعات من القبور الى
المحشر روي انه عليه الصلوة والسلام سئل عنه فقال يحشر عشرة اصناف من امتي
بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون
على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة
على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم
وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيفة وبعضهم
يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فسرهم بالفتات واهل السحت
واكلة الربا والجاسرين في الحكم والمعجبين بعالمهم والعلماء الذين خالف قولهم
عملهم والمعرضين جيرانهم والسعاة بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات
المانعين حق الله والمتكبرين للجبلاء وفتحت السماء وشقت وقراء الكوفيون
بالتخفيف فكانت ابوابا حصارت من كثرة الشقوق كان الكل ابواب وصار
ذات ابواب وسيرت الجبال اى في الهواء كالسراب فكانت سرابا مثل سراب
اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت اجزائها وابثنائها ان جهنم
كانت مرصادا موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين
ليحرسوهم من قحمها في مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذي يضمر فيه الخيل او مجدة
في ترصد الكفرة ليلا يشذ منها احد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل

لقامة الشاة للطاغين مئابا مرجعا وماوى لابثين فيها وقراء حمزة وروح لبثين
وهو ابلغ احقابا وهو را متتابعة وليس فيه مايدل على خروجهم منها اذ لوصح ان
الحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة فليس فيه مايقتضى تناهى تلك الاحقاب
بجواز ان يكون المراد احقابا متزادفة كلما مضى حقب تبعه حقب اخر وان كان فمن
قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله لابثين
فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا حالا من المستكن فى لابثين او نصب احقابا
بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون
جنسا آخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطاه الرزق
وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله
لا يذوقون تفسيره له والمراد بالبرد مايرد حموهم وينفس عنهم حر النار او
النوم وبالغساق ما يغسق اى يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى
من البرد لانه اخر ليتوافق رؤس الآى وقرئ حمزة والكسائى وحفص
بالتشديد جزاء وفاقا اى جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها
او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فقال من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا
بيان لما وافقه هذا الجزاء وكذبوا بآياتنا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد
شايع فى كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله فصدقتها
وكذبتها والمرء ينفعه كذابه واقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا
فى تكذيبهم والمكابة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين
عندهم فكان بينهم مكاذبة او كانوا مبالغين فى الكذب مبالغة المغاليين
فيه على المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا
وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر اى تكذيبا مفرطا
كذبه وكل شئ احصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر لاحصيناه فان
الاحصاء والكتبة يتشاركان فى معنى الضبط او لفعله المقدر او حال بمعنى
مكتوبا فى اللوح او صحف الحفظة واجملة اعتراض وقوله فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالايات ومجيئه على طريقه
الالتفات للمبالغة وفى الحديث هذه الآية اشد ما فى القران على اهل النار
ان للمتقين مفازا فوزا او موضع فوز حدائق وأعنابا بساتين فيها انواع الاشجار
المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض وكواعب نساء فلك ثديهن
اترابا لذات وكاسا دهاقا ملآنا وادهق الحوض ملأه لا يسمعون فيها لغوا

ولا كذابا وقرئ الكسائى بالتخفيف اى كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا
جزاء من ربك بمقتضى وعده عطاء تفضلا منه اذ لا يجب عليه شئ وهو بدل من
جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به حسابا كافيا من احسبه الشئ اذا كفاه
حتى قال حسبى او على حسب اعمالهم وقرئ حسابا اى محسبا كالدرك بمعنى
المدرك ربّ السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقد رفعه الجحازيان وابو
عمرو على الابتداء الرحمن بالجر صفة له فى قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب وبالرفع
فى قراءة ابى عمرو وفى قراءة حمزة والكسائى بجر الاول ورفع الثانى على انه خبر محذوف
او مبتداء خبره لا يملكون منه خطابا والواو لاهل السموات والارض اى لا يملكون
خطابه والاعتراض عليه فى ثواب وعقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون
عليه اعتراضا وذلك لا ينافى الشفاعة باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا
يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير وتاكيد لقوله تعالى لا يملكون فان
هؤلاء الذين هم افضل الخلايق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون
صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون
او للا يتكلمون والروح ملك موكل على الارواح او جنسها او جبرئيل او خلق
اعظم من الملائكة ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا
بالايمان والطاعة انا انذرناكم عذابا قريبا يعنى عذاب الاخرة وقربه لتحققه
فان كل ما هو آت قريب ولان مبتداه الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يرى
ما قدمه من خير او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله تعالى انا انذرناكم فيكون الكافر
ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية
منصوبة بقدمت اى ينظر اشئ قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا فى الدنيا
فلم اخلق ولم اكلف او فى هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم يرد
الى التراب فيود حالها عن النبى عليه السلام من قرء سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

سورة النازعات اربعون وست اية

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات
سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا هذه صفات الملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح
الكفار من ابدانهم غرقا اى اغراقا فى النزع فانهم ينزعونها من اقاصى الابدان او نفوسا غرقة
فى الاجساد وينشطون اى يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها
ويسبحون فى اخراجها سبح الغواص الذى يخرج الشئ من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار

الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيؤها لادراك
ما اعدلها من الآلام والملذات اوالاولیان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون
مضيها اى يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره اوصفات لنجوم فانها
ينزع من المشرق الى المغرب غرقا فى النزع بان تقطع الفلك حتى تخط فى اقصى المغرب وتنشط
من برج الى برج اى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح فى الفلك فيسبق بعضها
فى السير لكونه اسرع حركة فيدبر امرا تيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور
مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركتها من برج
الى برج ملائمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا اوصفات النفوس الفاضلة حالة
المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اى نزعا شديدا من اغراق النازع فى القوس فتنشط
الى عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى خطائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من
المدبرات اوحال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح
فى مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات اوصفات النفس الغزاة
اذ ايديهم تنزع القسى باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمى ويسبحون فى البر
والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها اوصفات خيلهم فانها تنزع فى
اعنتها نزعها تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر
وتسبح فى جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر المظفر اقسم الله تعالى بها على قيام الساعة
وانما حذف لدلالة ما بعده عليه يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ وهو منصوب به والمراد
بالراجفة الاجرام الساكنة التى يشتد حركتها كالارض والجبال لقوله تعالى يوم
ترجف الارض والجبال اذ الواقعة التى ترجف الاجرام عندها وهى النفخة الاولى
تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ التابعة وهى السماء والكواكب تنشق وتنتثر اوالنفخة الثانية
والجملة فى موضع الحال قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ شديدة الاضطراب من الوجيف وهى
صفة لقلوب والخبر أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ اى ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك
اضافها الى القلوب يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحَافِرَةِ فى الحالة الاولى يعنون
الحيوة بعد الموت من قولهم رجع فلان فى حافرته اى طريقته التى جاء فيها فحفرها
اى اثر فيها بمشيه على المنسية كقوله عيشة راضية اوتشبيه القابل بالفاعل
وقرئ فى الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهى حفرة آبِذَا
كُنَّا وقرئ نافع وابن عامر والكسائى ذا كنا على الخبر عِظَامًا نَاخِرَةً باليه
وقراء الحجازيان وابو عمرو والشامى وحفص ودروح نخرة وهى ابلغ قَالُوا تِلْكَ
إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ذات خسران اوخاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون

خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ متعلق بمحذوف اى لا
تستصعبوها فما هى الا صيحة واحدة يعنى النفخة الثانية فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ فاذا هم احياء
على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا فى بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت
بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة للتى يجرى ماؤها وفى ضدها نائمة
اولان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم جهنم هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى اليس فد اتاك
حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهدد هم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب من هو
اعظم منهم إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى قد مر بيانه فى سورة طه اذْهَبْ إِلَى
فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى على ارادة القول وقرئ اذ اذهب لما فى النداء من معنى القول فَقُلْ هَل لَّكَ
إِلَى أَن تَزَكَّى هل لك الى ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرئ الجازيان وبعقوب
تزكى بالتشديد وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ وارشدك الى معرفته فتخشى باداء الواجبات
وترك المحرمات اذ الخشية انما يكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله تعالى فقولا
قولا لينا فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى اى فذهب وبلغ فاراه المعجزة الكبرى وهى قلب
العصا حية فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها
كالاية الواحدة وتحقق الامر ثُمَّ أَدْبَرَ عن الطاعة يَسْعَى ساعيا فى ابطال
امره اوادبر بعد ما رأى الثعبان مرعوبا مسرعا فى مشيه فَحَشَرَ فجمع السحرة
اوجنوده فَنَادَى فى المجمع بنفسه اومناد فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى على كل من يلى
امركم فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى اخذ منتكلا لمن راه اوسمعه فى الاخرة
بالاحراق وفى الدنيا بالاغراق اوعلى كلمته الاخرة وهى هذه وكلمته الاولى وهو قوله
تعالى فى سورة القصص ما علمت لكم من اله غيرى او للتنكيل فيهما اولهما ويجوز ان
يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ لمن كان من شانه
الخشية ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا اصعب خلقا أَمِ السَّمَاءُ ثم بين كيف خلقها فقال
بَنَاهَا ثم بين البناء فقال رَفَعَ سَمْكَهَا اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض او
تحتها الذاهب فى العلو رفيعا فَسَوَّاهَا فعدلها اوجعلها مستوية اوفتمها
بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان امره اذا
اصلحه وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا اظلمه منقول من اغطش الليل اذا اظلم وانما اضاف اليها
لانه يحدث بحركتها وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وابرز ضوء شمسها كقوله تعالى والشمس وضحيها
بريد النهار وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا بسطها ومهدها للسكنى أَخْرَجَ مِنْهَا
مَاءَهَا بتفجير العيون وَمَرْعَاهَا ورعيها وهو فى الاصل لموضع الرعى وتجريد
الجملة عن العاطف لانها حال باضمار او قد بيان للدحو وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا اثبتها

وقرئ الارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعليته
متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم فاذا جاءت الطامة الداهية التى تطم
اى تعلوا على سائر الدواهى الكبرى التى هى اكبر الطامات وهى القيمة او النفخة الثانية
او الساعة التى يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان
ما سعى بان يراه مدونا فى صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول المدة وهو
بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت لمن يرى
لكل راء بحيث لا يخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن راى ولمن ترى على ان فيه ضمير
الجحيم كقوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد او انه خطاب للرسول صلى الله عليه
وسلم اى لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر او ما
بعد من التفصيل فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد للاخرة
بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم هى المأوى هى مأواه واللام فيه ساد مسد
الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغى وهى فصل او مبتدأ واما من خاف
مقام ربه مقامه بين يدى ربه لعلمه بالمبتدأ والمعاد ونهى النفس عن الهوى
لعلمه بانه مردف الجنة هى المأوى ليس له سواها ماوى يسئلونك عن الساعة
ايان مرسيها متى ارساؤها اى اقامتها واثباتها وانتهاها ومستقرها من
مرسى السفينة وهو حيث تنتهى اليه وتستقر فيه فيم انت من ذكريها
فى اى شئ انت من ان تذكر وقتها لهم اى ما انت من ذكريها لهم وتبيين وقتها فى
شئ فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا ووقتها مما استأثره الله بعلمه وقيل فيم انكار
لسؤالهم وانت فلا ذكريها مستأنف معناه انت ذكر من ذكريها اى علامت
من اشراطها فان ارساله فاتما للانبياء عليهم السلام امارة من امارتها وقيل انه
متصل بسؤالهم والجواب الى ربك منتهاها اى منتهى علمها انما انت منذر من يخشيها انما بعثت
لانذار من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه
المنتفع به وعن ابى عمرو منذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال كانهم
يوم يرونها لم يلبثوا اى فى الدنيا او فى القبور الا عشية او ضحيها اى عشية يوم
او ضحاه كقوله تعالى الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما
من يوم واحد عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قراء سورة النازعات
كان ممن حبسه الله فى يوم القيمة حتى يدخل الجنة قدر الصلوة المكتوبة

سورة الاعمى اربعون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى روى ان ابن
ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى
الاسلام فقال يا رسول علمنى مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره
رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وعنه فنزلت فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا راه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى واستخلفه
على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى وعبس
على اختلاف المذهبين وقراء ان بهمزتين وبالف بينهما بمعنى الان جاءه الاعمى
فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره فى الاقدام على قطع كلام الرسول بالقوم
والدلالة على انه احق بالرأفة والرفق او لزيادة الانكار كانه قال تولى لكونه اعمى
كما الالتفات فى قوله وما يدريك لعله يزكى اى واى شئ يجعلك دارئا بحاله
لعله يتطهر من الاثام بما يتلفف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره
او يذكر فتنفعه الذكرى اى يتعظ فتنفعه موعظتك وقبل الضمير فى لعله للكافر
اى انك طمعت فى تزكيه بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت من عيره
فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقراء عاصم بالنصب جوابا للعل اما من
استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقراء ابن كثير
ونافع تصدى بالادغام وقراء تصدى اى تعرض وتدعى الى التصدى
وما عليك الا يزكى وليس عليك بأس فى ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص
على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى
يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار فى ايتلاقك او كبوة الطريق لانه
اعمى لا فائدة له فانت عنه تلهى تتشاغل بقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل
ذكرى التصدى والتلهى للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه
عن الفقير ومثله لا ينبغى له ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله
انها تذكرة فمن شاء ذكره حفظه واتعظ به والضمير للقران او العتاب المذكور
وتأنيث الاول لتأنيث خبره فى صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان او خبر
محذوف مكرمة عند الله مرفوعة مطهرة منزهة عن ايدى
الشياطين بأيدى سفرة كتبة من الملائكة او الانبياء ينتسخون الكتب من اللوح
او الوحى وسفراء يسعون بالوحى بين الله ورسله او الامة جمع سافر من السفر
او السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها كرام اعزاء
على الله او متعطفين على المؤمنين يكلونهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء

قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه فى الكفران وهو
مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ من اى شئ خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا
من مبتداء حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله من نطفة خلقه
فقدره فهياه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه
ثم السبيل ييسره ثم تسهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينتكس
او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل يفعل يفسره الظاهر للمبالغة فى التيسير
وتعريضه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير
ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله ثم اماته فاقبره ثم
وعد الاماتة والاقبار فى النعم لان الاماتة وصلة فى الجملة الى الحيوة الابدية
واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفى اذا شاء انشاره
بان وقت النشور غير متعين فى نفسه وانما هو موكول الى مشيته كلا ردع للانسان
عما هو عليه لما يقض ما امره لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله
به سره اذ لا يخل احد من تقصير فلينظر الانسان الى طعامه اتباع للنعم الذاتية بالنعم
الخارجية انا صببنا الماء صبا استيناف مبين لكيفية احداث الطعام او قرئ
الكوفيون بالفتح على البدل من يدل الاشتمال ثم شققنا الارض شقا اى
بالنبات او بالكراب واسناد الشق الى نفسه واسناد الفعل الى السبب فانبتنا
فيها حبا كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا يعنى الرطبة سميت بمصدر قضبه
اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصف
به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظه مستعار ووصف
الرقاب وفاكهة وابا ومرعى من اب اذا ام لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيأ له
لانه متهيأ للرعى وفاكهة يابسة نوبت للشتاء متاعا لكم ولانعامكم فان الانواع
المذكورة بعضها طعام بعضها علف فاذا جاءت الصاخة اى النفخة وصف بها
مجازا لان الناس يصخون لها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه
لاشتغاله بشانه وعلمه بانهم لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصر فى حقهم
وتاخير الاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته
وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه يكفيه فى الاهتمام به وقرئ يعنيه اى
يهمه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفار الصبح ضاحكة مستبشرة بما ترى
من النعيم وجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة ترهقها قترة يغشيها سواد
وظلمة اولئك هم الكفرة الفجرة الذين جمعوا الى الكفرة الفجور فلذلك

فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة قال النبى صلى الله عليه
وسلم من قراء سورة عبس جاء يوم القيمة وجهه ضاحك مستبشره

سورة التكوير وتسع عشر اياتها مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت لفت من كورت
العمامة اذا لففتها بمعنى دفعت لان الثواب اذا اريد رفعه لفه او لف
ضوءها فذهب ابساطه فى الافاق وزوال اثره او القيت عن فلكها من
طحنه فكوره اذا القاه مجتمعا ان والتركيب للاجتماع والجمع وارتفاع الشمس
بفعل يفسره ما بعدها او على لان الشرطية تطلب الفعل واذا النجوم انكدرت
انقضت قال ابن عباس رضى الله عنهما جريان فضاء فانكدرا واظلمت من كدرت الماء فانكدر واذا
الجبال سيرت عن وجه الارض او فى الجو واذا العشار النوق اللاتى على حملهن
عشرة اشهر جمع عشراء عطلت تركت مهملة او السحاب عطلت من المطر وقراء
بالتخفيف واذا الوحوش حشرت جمعت من كل جانب وبعثت للقصاص ثم
ردت ترابا او اميت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ
بالتشديد واذا البحار سجرت احميت وملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود
بحرا واحدا من سجر التنور اذا املاه بالحطب ليحميه وقراء ابن كثير وابو عمرو
وروح بالتخفيف واذا النفوس زوجت قرنت بالابدان او كل بشكلها او
بكتابها وعملها او النفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين واذا
الموؤدة مدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق
العار بهن من اجلهن سئلت باى ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت
النصارى بقوله تعالى لعيسى انت قلت للناس وقرئ سالت اى خاصمت
عن نفسها وقتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية واذا الصحف
نشرت يعنى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب ويدل
تنشرت فرقت بين اصحابها وقراء ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى بالتشديد
للمبالغة فى النشر او لكثرة الصحف ولشدة النطاير واذا السماء كشطت
قلعت واذيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب
القاف والكاف كثير واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقراء نافع وابن عامر
وحفص ورويس بالتشديد واذا الجنة ازلفت قربت من المؤمنين عملت نفس
ما احضرت جواب اذا وانما صح والمذكور فى نيافها ثنتا عشرة خصلة ست منها

فى مبادى قيام الساعة قبل فناء الدنيا وستّ بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على اعمالها ونفس فى معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة فلا اقسم بالخنس بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهى ما سوى النيرين من الكواكب السيارات ولذلك وصفها بقوله الجوار الكنس اى السيارات التى تختفى تحت ضوء الشمس من كنس الوحشى اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر والليل اذا عسعس اقبل ظلامه او ادبر وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر والصبح اذا تنفس اذا اضاء عبر به عن اقبال روح ونسيم انه ان القرآن لقول رسول كريم يعنى جبريل فانه قاله عن الله تعالى ذى قوة كقوله تعالى شديد القوى عند ذى العرش مكين عند الله ذى مكانة مطاع فى ملائكته ثم امين على الوحى وثم يحتمل انصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات وما صاحبكم بمجنون كما تبهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم حيث عد فضائل جبريل وافتصر على نفى الجنون عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف اذ المقصوم منه نفى قولهم انما يعلمه بشر فترى على الله كذبا او به جنة لانقياد فضلها والموازنة بينهما ولقد راه ولقد راى رسول الله جبريل بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد على الغيب على ما يخبره من الوحى اليه وغيره من الغيوب بظنين بمتهم من الظنة وهى التهمة وقراء نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين من الضن وهو البخل اى لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد واصل خافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره والظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وما هو بقول شيطان رجيم بقول بعض المسترقة للسمع وهو فى نفى لقولهم انه كهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه فى امر الرسول والقران كقولك لتارك الجادة اين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء منكم ان يستقيم يتحرى الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن الاستقامة بامن يشاؤها الا ان يشاء الله الا وقت ان يشاء الله مشيتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كله قال عليه السلام من قراء سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين ينشر صحيفته

سورة الانفطار تسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب

الكواكب انتثرت تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا واذا القبور بعثرت قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت من عمل او صدقة واخرت من سنة او تركة وبجوز ان يراد بالتاخير التضييع وهو جواب اذا يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اى شئ خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة فى المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضى اهمال الظالم وتسوية الموالى والمعادى والمطيع والعاصى فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول لا فعل ما شئت فربكم كريم لا يعذب احدا ولا بعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعى الجد فى طاعته لا الانهماك فى عصيانه اغتر بكرمه الذى خلقك فسواك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبنية للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مستوية معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة بما تستعدها من القوى وقراء الكوفيون فعدلك بالتخفيف اى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت او صرفك عن خلقه غيرك ومبنى بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات فى اى صورة ما شاء ركبك اى ركبك فى صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله وقوله بل تكذبون بالدين اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلى فى اغترارهم والمراد بالدين الجزاء او الاسلام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون تحقيق لما يكذبون به وردع لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة يكونهم كراما عند الله لتعظيم الجزاء ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم بيان لما يكتبون لاجله يصلونها يقاسون حرها يوم الدين وما هم عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها فى القبور وما ادراك ما يوم الدين تفخيم لشان اليوم اى كنه امره بحيث لا تدركه ودرايته دار يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله تقرير لاشدة وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين او الخبر لمحذوف قال عليه السلام من قراء سوره انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة التطفيف وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين التطفيف النجس في الكيل والوزن لان ما ينجس طفيف اى حقير ودعاء ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفى الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اى اذا اكتالوا من الناس حقوقهم باخذونها وافية وانما ابدل على من اللام للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس واكتيال يتحامل فيه عليهم واذا كالوهم او وزنوهم اى اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يخسرون فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا بمعنى جنيت لك اوكالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تاكيدا للمتصل فانه يخرج الكلام عن مقابله ما قبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم فى الاخذ والدفع لا فى المباشرة وعدمها ويستدعى اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف فى نظائره الا يظن اولئك انهم مبعوثون فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبايح فكيف بمن يتيقنه وفيه انكار وتعجيب من حالهم ليوم عظيم عظه لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس لرب العالمين بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر لرب العالمين لحكمه وفى هذا الانكار والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم وتعظيم وقيام الناس فيه لله والتعبير عنه برب العالمين مبالغات فى المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه كلا ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحسبان ان كتاب الفجار لفى سجين كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم اى مسطور بين الكتابة اومعلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فقيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس اولانه مطروح كما قيل تحت الارضين فى مكان وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين اومحل كتاب مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالجزاء وبذلك الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة اوموضحة اوذامة وما يكذب به الا كل معتد متجاوز عن النظر غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه

وعلمه فاستحال منه الاعادة اثيم منهمك فى الشهوات المخدجة بحيث شغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لا تنفعه دلائل العقل كلا ردع عن هذا القول كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ردا لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصى بالانهماك فيها حتى صار صدأ على قلوبهم فعمى عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقراء حفص بل ران باظهار اللام كلا ردع عن الكسب الراين انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانته من يمنع عن الدخول على الملوك او قدر مضافا مثل رحمة او قرب ربهم ثم انهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويصلون بها ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون يقوله لهم الزبانية كلا تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر ودرع عن التكذيب ان كتاب الابرار لفى عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه مامر فى نظيره يشهده المقربون يحضرونه فيحفظونه اويشهدون على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفى نعيم على الارائك على الاسرة فى الحجال ينظرون الى ما يسرهم من النعم والمتفرجات تعرف فى وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وبريقه وقراء يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع يسقون من رحيق شراب خالص مختوم ختامه مسك اى مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته اوالذى له ختام اى مقطع هو رائحة المسك وقراء الكسائى خاتمه بفتح التاء اى ما يختم به ويقطع وفى ذلك يعنى الرحيق والتعيم فليتنافس المتنافسون فليرغب المرغبون ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت تشبيها لارتفاع مكانه اورفعة شرابها عينا يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله وتمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح اوعلى الحال من تسنيم والكلام فى الباء كما يشرب بها عباد الله ان الذين اجرموا يعنى رؤساء قريش كانوا من الذين امنوا يضحكون كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين واذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين متلذذين بالسخرية منهم وقراء حفص فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون

واذا راوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال وما ارسلوا عليهم على المؤمنين حافظين
يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون
حين يرونهم اذلاء مغلولين فى النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها
فاذا وصلوا اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم على الارائك ينظرون حال من يضحكون
هل ثوب الكفار هل اثيبوا ما كانوا يفعلون وقراء حمزة والكسائى بادغام اللام فى الثاء
قال عليه السلام من قراء سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة

سورة انشقت عشرون وثمان اية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت بالغمام لقوله تعالى
ويوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضى الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها
واستعت له اى انقادت لتاثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذى
باذن للامر ويدعن له وحقت وجعلت حقيقه بالاستماع والانقياد يقال حق
بكذا فهو محقوق وحقيق واذا الارض مدت بسطت بان يزال جبالها واكامها
والقت ما فيها ما فى جوفها من الكنوز والاموات وتخلت وتكلفت فى الخلو اقصى
جهدها حتى لم يبق شئ فى باطنها واذنت لربها فى الالقاء والتخلية وحقت للاذن
وتكريرا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل
بالابهام او الاكتفاء بما مر فى سور التكوير والانفطار او بدلالة قوله يا ايها
الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه عليه وتقدير لاقى الانسان كدحه
اى جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا حدشه او فملاقيه ويا ايها الانسان انك كادح
الى ربك كدحا اعتراض والكدح اليه السعى الى لقاء جزائه فاما من اوتى كتابه
بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه وينقلب الى اهله
مسرورا الى عشيرة المؤمنين او فريق المؤمنين او اهله فى الجنة من الحور واما من
اوتى كتابه وراء ظهره اى يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه
وتجعل يسراه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه
وهو الهلاك ويصلى سعيرا وقرئ للجازيان والشامى والكسائى ويصلى كقوله
تعالى وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كقوله تعالى ونصليه جهنم انه كان فى اهله
فى الدنيا مسرورا بطرا بالمال والجاه فارغا عن الاخرة انه ظن ان لن يحور لن
يرجع الى الله بلى ايجاب لما بعد لن ان ربه كان به بصيرا عالما باعماله فلا يهمل
بل يرجعه ويجازيه فلا اقسم بالشفق الحمرة التى ترى فى افق المغرب بعد الغروب

سورة البروج وفيها عشرون واثنان

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج يعنى البروج اثنى عشر
شبهت بالقصور لانها ينزلها السيارات ويكون فيها الثوابت او منازل القمر
او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل
التركيب للظهور واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد ومشهود ومن يشهد فى ذلك اليوم
من الخلايق وما احضر فيه من العجايب وتنكيرهما للابهام فى الوصف اى وشاهد ومشهود
لا يكتنه وصفهما او المبالغة فى الكثرة كانه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبى
وامته او امته وسائر الامم او كل نبى وامته او الخالق والخلق او عكسه فان الخالق مطلع
على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف ويوم النحر او عرفة والجمعة
او يوم الجمعة والجمع فانه يشهد له او كل يوم واهله قتل اصحاب الاخدود انه جواب القسم

ربك لشديد مضاعف عنقه فان البطش اخذ بعنف انه هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق
ويعيده او يبدئ البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الاخرة وهو الغفور لمن تاب
الودود المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذى العرش
صفة لربك المجيد العظيم فى ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة
وجر حمزة والكسائى صفة لربك او للعرش ومجد علوّ وعظمته فعّال لما يريد لا
يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود ابدل منهما
من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم
فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما اصابهم بل الذين كفروا فى تكذيب لا ترعوون
عنه ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم ورأوا هلاكهم
هلا كهم وكذبوا اشد من تكذيبهم والله من ورائهم محيط لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط
المحيط بل هو قرآن مجيد بل هو الذى كذبوا به كتاب شريف وجد فى النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد
بالاضافة اى قرآن رب مجيد فى لوح محفوظ من التحريف وقراءة نافع محفوظ بالرفع صفة
للقرآن وقرئ فى لوح وهو الهواء يعنى ما فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح عن رسول الله
عليه السلام من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة يكون فى الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق فى سبع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق والكواكب البادى
بالليل وهو فى الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتى ليلا ثم استعمل للبادى فيه
وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب المضئ كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه
او الافلاك والمراد الجنس او معهود بالثقب رهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم
فسره بما يخصه تفخيما لشانه ان كل نفس لما عليها اى ان الشان كل نفس لعليها
حافظ رقيب فان هى المخففة واللام الفاصلة وما زائدة وقراءة ابن عامر وعاصم
وحمزة لما بالتشديد على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب
القسم فلينظر الانسان ثم خلق لما ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبعه بتوصية
الانسان بالنظر فى مبدائه ليعلم صحة اعادته فلا يعلى على حافظه الا ما يسره
فى عاقبته خلق من ماء دافق جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذى دفق وهو
صب فيه دفع والمراد او الممتزج من الماءين فى الرحم لقوله يخرج من بين الصلب
والترائب بين صلب الرجل وترائب المراءة وهى عظام صدرها ولو صح ان النطفة
تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى استعد لان يتولد

على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم ملعونون يعنى كفار
مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم
بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق فى الارض ونحوها بناء ومعنى الحق
والاخقوق روى مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان
فى طريقه راهب فمال قلبه اليه فراءه فى طريقه ذات يوم جبته فحبست الناس فاخذ
حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان
الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفى من الاواء وعمى جليس الملك فابراه
فسأله الملك عمن ابرأه فقال ربى فغضب وعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل
على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف
بالقوم فهلكوا ونجا واجله فى سفينة ليغرقه فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا
ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس وتصلبنى وتأخذ سهما من كنانتى وتقول
بسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه ومات فآمن الناس فامر
باخاديد وقذف فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها
صبى فتقاعست فقال الصبى يا اماه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت وعن على
رضى الله عنه ان بعض ملوك المجوس خطب بالناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات
فلم يقبلوه فامر باخاديد النار فطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر اهل نجران غزاهم
ذونواس اليهودى من حمير فاحرق فى الاخاديد من لم يرتد الشاهد بدل من الاخدود
بدل الاشتمال ذات الوقود صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام فى
الوقود للجنس اذ هم عليها على حافة النار قعود قاعدون وهم على ما يفعلون
بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما امره به او يشهدون
على ما يفعلون يوم القيمة حين تشهد عليهم السنتهم وايديهم وما نقموا وما انكروا
منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير
ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا
منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ
شهيد للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات
بلوهم بالاذى ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق العذاب
الزائد فى الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود ويعذاب الحريق
ما روى ان النار انقلب عليهم فاحرقتهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات
تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه ان بطش ربك

منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فلا شك ان الدماغ اعظم الاعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الافراط فى الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهى النخاع وهو فى الصلب شعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعيته المنى فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهى صالب انه على رجعه لقادر والضمير للخالق ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف وتتميز بين ما طاب من الضمائر وما خبى من الاعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه قابله فما الانسان من قوة من منعة فى نفسه يمتنع بها ولا ناصر يمنعه والسماء ذات الرجع ترجع فى كل دورة الى الموضع الذى تحركت عنه وقيل الرجع المطر سمى به كما سمى اويا لان الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا اولما من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يكون المراد بالسماء السحاب والارض ذات الصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات اوالشق بالنبات والعيون انه ان القران لقول فصل فاصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل فانه جد كله انهم يعنى اهل مكة يكيدون كيدا فى ابطاله واطفاء نوره واكيد كيدا واقابلهم بكيدى فى استدراجى وانتقامى منهم بحيث يحسبون فمهل الكافرين فلا تشتغل يا لانتقام منهم اولا تستعجل باهلاكهم امهلهم رويدا امهلا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين قال النبى عليه السلام من قراء سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات

سورة الاعلى تسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سواء وذكره لاعلى وجه التعظيم وقرئ سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم العظيم قال عليه الصلوة والسلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت الذى خلق فسوى خلق كل شئ فسوى خلقه بان جعل له ما يبقى كماله وتم معاشه والذى قدر اى قدر اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها وقراء الكسائى قدر بالتخفيف فهدى فوجهه الى ما فعاله طبعا او اختيارا كخلق المبول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الايات والذى

والذى اخرج المرعى انبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته غثاء اسود يابسا وقيل احوى حال من المرعى اى اخرجه احوى من شدة خضرته ستقرئك على لسان جبريل او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ مع انك امى ليكون ذلك آية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا من الايات وقيل نهى والالف للفاصلة كقوله تعالى السبيلا الا ما شاء الله نسيانه بان ينسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روى عليه السلام اسقط اية فى قراءته فى الصلوة فحسب انى انها نسخت فسأله فقال نسيتها او نفى النسيان رأسا فان القلة تستعمل للنفى انه يعلم الجهر وما يخفى ما ظهر من احوالكم وما يطن او جهرك بالقراءة مع جبريل وما دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحك من ابقاء وانساء ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة اليسرى فى حفظ الوحى والتدين وتوفيقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسرك عطف على سنقرئك وانه يعلم اعتراض فذكر بعدما استتب لك الامر ان نفعت الذكرى لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس عن البعض لئلا تبعب نفسه ويتهلف عليهم كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار الآية او لان المذكورين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم او للاشعار بان التذكير انما يجب اذا امكن نفعه ولذلك امر بالاعراض عمن تولى سيذكر من يخشى ستيقظ وينتفع بها من يخشى الله فانه لا يتفكر فيها فيعلم حقيقتها وهو بينا ول العارف والمتردد ويتجنبها ويتجنب الذكرى الاشقى الكافر فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغله فى الكفر الذى يصلى النار الكبرى نار جهنم فانه عليه الصلوة والسلام قال نار كم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم او ما فى الدرك الاسفل منها ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة ينفعه قد افلح من تزكى تطهر من الكفر والمعصية او نكثر من التقوى من الزكاء او تطهر للصلوة او ادى الزكوة وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى كقوله تعالى اقم الصلوة لذكرى ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه تكبر يوم العيد فصلى صلاته بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما يسعدكم فى الاخرة والخطاب للاشقين على الالتفات او على اضمار قل والكل فان المسعى للدنيا اكثر فى الجملة وقرئ ابو عمرو بالياء والاخرة خير وابقى فان نعيمها ملذ بالذات خالص من الغوائل لا انقطاع له ان هذا لفى الصحف الاولى الاشارة الى ما سيق من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة صحف ابراهيم وموسى بدل من الصحف الاولى قال عليه السلام من قراء سورة الاعلى اعطاه الله

عشر حسنات بعدد حروف انزله الله على ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام

سورة الغاشية تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتاك حديث الغاشية الداهية التى تغشى الناس بشدائدها يعنى يوم القيمة او النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها فى النار خوض الابل فى الوحل والصعود والهبوط فى تلالها ووهادها او عملت ونصبت فى اعمال لا تنفعها يومئذ تصلى نارا تدخلها وقرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة حامية متناهية فى الحر تسقى من عين ابية بلغت اناها فى الحر ليس لها طعام الا من ضريع يابس شبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهما والمراد طعامهم مما يتحاماه الابل وتتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغنى من جوع والمقصود من الطعام احد الامرين وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة ومنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ثوابه فى جنة عالية علية المحل والقدر لا تسمع يا مخاطب او الوجوه وقراء على بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس وبالتاء نافع فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو ونفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم فيها عين جارية يجرى ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك او القدر واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة بين ايديهم ونمارق مساند جمع نمرقة بالضم والفتح مصفوفة بعضها الى بعض وزرابى وبسط فاخرة جمع زربية مبثوثة مبسوطة أفلا ينظرون نظر اعتبار الى الإبل كيف خلقت خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها بحيث لانتقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتأتى لها قطع البرارى والمفاوز مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الايات المنبثة فى الحيوانات التى هى اشرف الممكنات واكبرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة والى السماء كيف رفعت بلا عمد والى الجبال كيف نصبت فهى راسخة لا تميل والى الارض كيف سطحت بسطت حتى صارت مهادا وترى الانفال الاربعة على بناء الفاعل للتكامل وحذف الراجع المنصوب والمعنى فلا ينظرون الى

الى انواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال فذكر انما انت مذكر فلا عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا انما عليك الا البلاغ لست عليهم بمصيطر بمتسلط وعن هشام بالسين على الاصل وقراءة حمزة بالاشمام الا من تولى وكفر لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر يعنى عذاب الاخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكانه اوعدهم بالجهاد فى الدنيا وعذاب النار فى الاخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر اى فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيده الاول انه قرئ الا على التنبيه ان الينا ايابهم رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها فى ديوان ثم الثانية للادغام ثم ان علينا حسابهم فى المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة فى الوعيد عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر وهى ثلاثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر اقسم بالصبح او خلقه كقوله تعالى والصبح اذا تنفس او بصلاته وليال عشر عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر يوم النحر او عشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر والاشياء كلها شفعها ووترها او الخلق لقوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرها بالعناصر والافلاك او البروج والسيارات او شفع الصلوات ووترها او يوم النحر وعرفة وقد روى مرفوعا او بغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول ما رآه اظهر دلالة على التوحيد او مدخلا فى الدين او مناسبة لما قبلها او اكثر منفعة موجبة للشكر وقراء غير حمزة والكسائى والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالبخل والبخل والليل اذا يسر اذا يمضى كقوله تعالى والليل اذا ادبر والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وابو عمر وبالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسير بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق هل فى ذلك القسم والمقسم به قسم خلوف او مخلوف به لذى حجر يعتبر ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمى به لانه يحجر عما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف

وهو ليفيد بن يدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد يعنى اولاد عاد بن عوص ابن
ارم ابن سام بن نوح قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمى بنو هاشم باسمه ارم عطف
بيان لعاد على تقدير مضاف اى سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل
سمى اوايلهم وهم عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتانيث ذات العماد
ذات البناء الرفيع او القدود الطوال او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد
وشديد فملكا وقهرا ثم شديد تخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها
فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها فى بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم فلما تمت سار اليها
باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن
عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابله فوقع عليها التى لم يخلق مثلها فى البلاد صفة
لاخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة وثمود الذين جابوا الصخر
قطعوه واتخذوه منازل كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا بالواد وادى القرى
وفرعون ذى الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يصربونها اذا نزلوا او
لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا فى البلاد صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون
او ذم منصوب او مرفوع فاكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم فصب عليهم
ربك سوط عذاب ما خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمى به
الجلد المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه
بالسوط ما احل بهم فى الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما اعد لهم فى الاخرة
من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف ان ربك لبالمرصاد المكان الذى
يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاد
العصاة بالعقاب فاما الانسان متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل
انه لبالمرصاد من الاخرة فلا يريد الا السعى لها فاما الانسان فلا يهمه الا الدنيا
ولذاتها اذا ما ابتليه ربه اختبره بالغنا واليسر فاكرمه ونعمه بالجاه والمال
فيقول ربى اكرمن فضلنى بما اعطانى وهو خبر المبتدا الذى هو الانسان والفا
لما فى اما من معنى الشرط والظرف المتوسط فى تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان
فقائل ربى اكرمن وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله واما اذا ما ابتليه فقدر
عليه رزقه اذ التقدير واما الانسان اذا ما ابتليه اى بالفقر والتقتير لبوازن
قسيمه فيقول ربى اهانن لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدى الى كرامة
الدارين والتوسعه قد تفضى الى قصد الاعداء والانهماك فى حب الدنيا ولذلك
ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله كلا مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم

ولم يقل فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال
به لا يكون اهانة وقراء ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء فى الوصل والوقف
وعن ابى عمرو مثله ووافقهم نافع فى الوقف وقراء ابن عامر فقدر بالتشديد
بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين اى بل فعلهم اسوء من قولهم
وادل على تهالكهم بالمال وهوانهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والميرة ولا يحثون
اهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقراء الكوفيون ولا تحاضون وتاكلون
التراث الميراث واصله وراث اكلا لما ذا لمراى جمع بين الحلال والحرام فانهم
كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او ياكلون ما جمعه المورث
من حلال وحرام غالبين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره وقراء
ابو عمرو وسهل ويعقوب ولا يكرمون الى ويحضون بالياء والباقون بالتاء كلا ردع
لهم عن ذلك وانكار وما بعده وعيد عليه اذا دكت الارض دكا دكا
بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثا وجاء ربك
اى ظهرت ايات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان
من آثار هيبة وسياسته والملك صفا صفا حسب مضاف لهم ومراتبهم وجى
يومئذ بجهنم كقوله تعالى وبرزت الجحيم وفى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها
سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها يومئذ من اذا كت
والعامل فيما يتذكر الانسان اى يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم فحينها
فيندم عليها وانى له الذكرى اين منفعة الذكرى لتلاينا قضى ما قبله واستدل
به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة يقول يا ليتنى
قدمت لحياتى اى لحياتى هذه او وقت حيوتى فى الدنيا اعما لا صالحة وليس
فى هذا المتنى دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشئ قد يتمنى
ان كان ممكنا منه فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله
اى لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيمة سواه اذ الامر كله له او الانسان اى لا
يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقراها الكسائى ويعقوب على بناء
المفعول يا ايتها النفس المطمئنة على ارادة القول وهى اطمانت بذكر الله فان
النفس تترقى فى سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر
دون معرفته وتستغنى به عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها شك او الامنة التى
لا يستفز خوف ولا حزن وقد قرئ بها ارجعى الى ربك الخامرة او الموعد بالموت
وبشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة وغالم القدس

او بالبعث راضية بما اوتيت مرضية عند الله فادخلي في عبادي
في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي معهم او في زمرة المقربين فتستضئ
بنورهم فان للجواهر القدسية كالمرايا المقابلة او ادخلي في اجساد عبادي التي فارقت
عنها وادخلي دار ثوابي التي اعددتك عن النبي عليه السلام ومن قراء سورة الفجر
في الليالي العشر غفر له ومن قراءها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيمة

سورة البلد وهي عشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد
اقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول صلى الله عليه وسلم في اظهار
المزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه
كما يستحل تعرض الصيد في غيره او حلال لك ان تفعل فيه اتريد ساعة من النهار
فهو وعد بما احله عام الفتح ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم او ابرهيم
وما ولد ذريته او محمد والتنكير للتعظيم وايثارها على من لمعنى التعجيب كما في قوله
تعالى والله اعلم بما وضعت لقد خلقنا الانسان في كبد تعب ومشقة من كبد
الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال في شدائد مبدؤها
ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول صلى الله
عليه وسلم بما كان يكابده من قريش والضمير في ايحسب لبعضهم الذي كان
يكابد منه اكثر او يغتر بقوتي كابي الاشدين كلدة فانه كان يبسط تحت قدميه
اديم عكاظي ويجذبه عشرة فينقطع ولا يزل قدماه ولكل احد منهما والانسان
ان لن يقدر عليه احد فينتقم منه يقول اي في ذلك الوقت اهلكت مالا
لبدا كثيرا من التلبد الشيء اذا اجتمع والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة او معاداة
للرسول ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق او بعد ذلك فيسأله عنه يعني ان الله
براه فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم فرر ذلك بقوله الم نجعل له عينين يبصر بهما
ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق
والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين طريق الخير والشر او الثديين واصله
المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اي فلم يشكر تلك الايادي باقتحام العقبة وهو
الدخول في امر شديد والعقبة الطريق في الجبل استعارها لما فسرها به من الفك
والاطعام في قوله وما ادريك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة
يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بهما حسن

حسن وقوع لا موقع لم فانها لانكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم
يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغبا ذا جاع وقرب ذا
وترب اذا افتقر وقراء ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك رقبة او اطعم على الابدال
من اقتحم وقوله وما ادريك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها
ثم كان من الذين امنوا عطف على اقتحم او فك بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في
الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به وتواصوا بالصبر واوصى بعضهم بعضا
بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله اولئك
اصحاب الميمنة اليمن او اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على الحق
من كتاب ونحوه او بالقرآن هم اصحاب المشأمة الشمال او الشوم ولتكرير ذكر المؤنث
باسم الاشارة والكفار بالضمير شان لا تخفى عليهم نار موصدة مطبقة من اوصدت
الباب اذا اطبقته واغلقته وقراء ابو عمرو وحفص وحمزة بالهمزة من اصدنه عن البنى
صلى الله عليه وسلم من قراء سورة البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيمة

سورة الشمس وهي عشر او خمس عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها وضوءها اذا اشرقت
وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار
وكاد يتضف والقمر اذا تلاها تلا طلوعه وطلوع الشمس اول الشهر او غروبها ليلة
البدر او في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جلاها جلى الشمس فان الضمير يجلي اذا انبسط
النهار او الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم والليل اذا يغشاها يغشى الشمس
فيغطي ضوءها او الافاق او الارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو والاولى القسمية
الجارة بنفسها الثانية منابة فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربط المجرور
والظروف والظرف المقدمين ربط الواو لما بعدها في قولك ضرب زيدا عمرا وبكرا خالدا
على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بناها ومن بنيها وانثما
اوثرت على من لارادت معنى الوصفية كانه قيل والشئ القادر الذي بنيها ودل على
وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام في قوله والارض وما
طحيها ونفس وما سواها وجعل الماء آت مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل
بنظم قوله فالهمها فجورها وتقويها بقوله وما سواها الا ان يضمر فيها اسم الله
للعلم وتنكير نفس للتكثير كما في قوله علمت نفس او للتعظيم والمراد نفس ادم والهام
الفجور والتقوى افهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما قد افلح من زكيها

انما ها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكانه لما اراد به الحث على تكميل
النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته
وكمال صفاته الذى هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظايم آلائه ليحملهم
على الاستغراق فى شكر نعمائه الذى هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر
بعض احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم
رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد خاب من دسّيها نقصها واخفاها
بالجهالة والفسوق واصل دستى دسسى كتقضى وتقضض كذبت ثمود بطغويها
بسبب طغيانها اوبما اوعدت به من عذابها دنى الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا
بالطاغية واصله طغياها وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ
بالضم كالرجعى اذ انبعث حين قام ظرف لكذبت وطغوى اشقيها اشقى ثمود
وهو قدار بن سالف اوهو ومن مالاه على قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضيفته
صلح للواحد والجمع وفصل شقاوتهم لتوليهم العقر فقال لهم رسول الله ناقة
الله اى ذروا ناقة الله واحذروا عقرها وسقيها فلا تذودوها عنها
فكذبوه فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فاطبق
عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمدمه اذا البسها الشحم بذنبهم بسببه
فسوّيها فسوى الدمدمة بينهم او عليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير او ثمود
بالاهلاك ولا يخاف عقبيها اى عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فبين
بعض الابقا والواو للحال وقراء نافع وابن عامر فلا على العطف عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قراء سورة الشمس فكانما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر

سورة والليل وهى احدى وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى اى يغشى الشمس او
النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين
بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى والقادر الذى خلق صنفى الذكر والانثى
من كل نوع له توالدا وادم وحوى وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى ان مساعيكم
لاشتات مختلفة جمع شتيت فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى تفصيل مبين
لتشتت المساعى والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى
وهى ما دلت على حق ككلمة التوحيد فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخلة التى
تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة من ييسر الفرس اذا هيأه المركوب بالسرج

بالسرج واللجام واما من بخل بما امر به واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى وكذب
بالحسنى بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية الى العسرة والشدة
كدخول النار وما يغنى عنه ماله نفى واستفهام وانكار اذا تردى هلك تفعل من
الردى او تردى فى حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى للارشاد الى الحق بموجب
قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله تعالى وعلى الله قصد
السبيل وان لنا للاخرة والاولى فنعطى فى الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية
للمهتدين او فلا يضرنا تركهم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصلاها لا يلزمها
مقاسيا شدتها الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه
اشقى ووصفه بقوله الذى كذب وتولى اى كذب الحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها
الاتقى الذى اتقى الشرك والمعاصى فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصليها ومفهوم
ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف
الحصر السابق الذى يؤتى ماله يصرفه فى مصارف الخير لقوله يتزكى فانه
بدل من يؤتى او حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد باتيانه
مجازاتها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع او متصل عن محذوف
مثل لا يؤتى الا ابتغاء وجه ربه لانكافاة نعمة ولسوف يرضى وعد بالثواب الذى
يرضيه والآيات نزلت فى ابى بكر حين اشترى بلالا فى جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم
ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قراء سورة الليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة الضحى احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى وقت ارتفاع الشمس وتخصيصه
لان النهار يقوى فيه اولان فيه كلم موسى ربه والتى السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله
تعالى ان يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا والليل اذا سجى سكن اهله وركد ظلامه
من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل فى السورة المتقدمة باعتبار الاصل
وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف ما ودعك ربك ما قطعك قطع الموذع وقرئ
بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم وما قلى وما ابغضك وحذف المفعول
استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روى ان الوحى تأخر عنه اياما فقال
الاستثناء كما فى سورة الكهف ولنجزه سائلا ملحفا او لان جرو ايتا كان تحت
سريره او لغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وللاخرة

خير لك من الأولى فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كانه
لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا وعده ما هى اعلى واجل عن
ذلك فى الاخرة او لنهاية امرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد فى الرفعة والكمال
وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر
واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف
المبتدأ والتقدير ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع
الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة وان
تاخر لحكمة أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما
مضى يحسن فيما يستقبل ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى او المصادفة
ويتيما حال وَوَجَدَكَ ضَالًّا من علم الحكم والاحكام فَهَدَىٰ فعلمك بالوحى والالهام
والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا فى الطريق حين خرج بك ابوطالب الى
الشام او حين فطمتك حليمة وجاءت بك الى جدك فازال ضلالك عن عمك
او جدك وَوَجَدَكَ عَائِلًا فقيرا ذا عيال فَأَغْنَىٰ بما حصل لك من ربح التجارة فَأَمَّا
الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اى فلا تعبس فى وجهه
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ فلا تزجر وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ فان التحدث بها شكر وقيل
المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله بعدد كل يتيم وسائل

سورة الانشراح وهى مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ الم نفسحه حتى وسع
مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائصا حاضرا او لم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم
وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقى الوحى بعد ما كان يشق عليك وقيل انه
اشارة الى ما روى ان جبرئيل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه او يوم
الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق
ومعنى الاستفهام انكار نفى الانشراح مبالغة فى اثباته ولذلك عطف عليه
وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ عباءك الثقيل الذى انقض ظهرك الذى حمله على النقيض
وهو صوت الرحل عند الانقضاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قيل
البعثة او جهل بالحكم والاحكام او حيرته او تلقى الوحى وما كان يرى من ضلال قومه
مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتعذيبهم فى ايذائه حين دعاهم الى الايمان

الايمان وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ بالنبوة وغيرها او اى رفع مثل ان قرن اسمه باسمه فى كلمتى
الشهادة وجعل طاعته وصلى عليه فى ملائكته وامر المؤمنين بالصلوة عليه وخاطبه
بالالقاب وانما ذا دلك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد مبالغة فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ
كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم يُسْرًا كالشرح والوضع
والتوفيق للابتداء والطاعة فلا تياس من روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره
للتعظيم والمعنى بما فى ان مع من المصاحبة المبالغة ومعانقة اليسر للعسر واتصاله
به اتصال المتقاربين إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا تكرير للتاكيد او استيناف وعدة بان
العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الاخرة كقولك ان للصائم فرحة ان للصائم فرحة
اى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه الصلوة والسلام
لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد او الجنس واليسر
منكر فيحتمل ان يراد بالثانى فرد غير ما اريد بالاول فَإِذَا فَرَغْتَ من التبليغ
فَانْصَبْ فانصب فى العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدنا
بالنعم الآتية وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب فى العبادة او فاذا فرغت
من الصلوة فانصب بالدعاء وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ بالسؤال والاستكثار غيره
فانه القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغبا اى رغب الناس الى المطلب ثوابه عن النبى
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الم نشرح فكانما جاءنى وانا مغتم ففرج عنى

سورة التين وهى ثمانى ايات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ خصهما من الثمار
بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير
النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح
سدد الكبد والطحال ويسمن البدن وفى الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس
والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت
حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة او
مسجدا دمشق وبيت المقدس او البلدان وَطُورِ سِينِينَ يعنى الجبل الذى
ناجى عليه موسى عليه السلام ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذى
هو فيه وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ اى الآمن من امن الرجل امانة فهو امين او المامون
فيه يامن فيه من دخله والمراد به مكة لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ يريد به الجنس فى
أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع

خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات ثم رددناه اسفل سافلين بان جعلناه
من اهل النار او الى اسفل السافلين وهو النار وقيل هو ارذل العمر فيكون الا
الذين آمنوا وعملوا الصالحات منقطعا فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع او لا يمن به
عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له فما يكذبك اى فاى
شئ يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بعد بالدين بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل
وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الذى يجعلك
على هذا الكذب اليس الله باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى اليس الذى
فعل ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا او من كان كذلك كان قادرا
على الاعادة والجزاء على ما قرر مرارا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قراء سورة التين
اعطاه الله العافية واليقين ما دام حيا فاذا مات اعطاه من الاجر بعدد من قراء هذه التور

سورة العلق مكية وهى تسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم اقراء باسم ربك اى اقراء القران مفتتحا
باسمه او مستعينا به الذى خلق اى الذى له الخلق او الذى خلق كل شئ ثم افرد ما هو
اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة المقصود من القراءة فقال
خلق الانسان او الذى خلق الانسان فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على
عجيب فطرته من علق جمعه لان الانسان فى معنى الجمع ولما كان اول الواجبات
معرفة الله نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته اقراء تكرير للمبالغة
او الاول مطلق والثانى للتبليغ او فى الصلوة ولعله لما قيل له اقراء باسم ربك
فقال ما انا بقارئ فقيل له اقراء وربك الاكرم الزائد فى الكرم على كل كريم فانه
ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقه الذى علم بالقلم
اى الخط بالقلم وقد قرئ به ليفيد به العلوم ويعلم به البعيد علم الانسان ما لم
يعلم بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الايات فيعلمك القراءة وان لم تكن
قارئا وقد عدد سبحانه مبداء امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان
نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا للربوبية وتحقيقا لا لمسه واشارا اولا
الى ما يدل على ما معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل سمعا كلا ردع لمن كفر بنعمة الله
لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ان راه استغنى
اى رأى نفسه واستغنى مفعوله الثانى لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله
ومفعوله ضميرين لواحد ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا

تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى ارايت الذى ينهى عبدا اذا
صلى نزلت فى ابى جهل قال لو رايت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه
فقيل له مالك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد
وتنكيره للمبالغة فى قبح النهى والدلالة على كمال العبودية المنهى ارايت ان كان على
الهدى او امر بالتقوى ارايت تكرير للاول وكذا الذى فى قوله ارايت ان كذب وتولى
الم يعلم بان الله يرى والشرطية مفعوله الثانى وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب
الشرط الثانى الواقع موقع القسيم له والمعنى اخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته
ان كان ذاك الناهى على هدى فيما ينهى عنه او امر بتقى فيما يأمر به من عبادة الاوثان
كما يعتقده او ان كان على التكذيب للحق والتولى عن الصواب كما تقول الم يعلم بان الله يرى
ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى ارايت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى على
الهدى امر بالتقوى والناهى مكذب متولى فما اعجب من ذا وقيل الخطاب فى الثانية مع الكافر
فانه تعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكانه قال يا كافر
اخبرنى ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى انتهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى
فى التعجيب والتوبيخ ولم يتعرض له فى النهى لان النهى كان عن الصلوة والامر بالتقوى فاقتصر
على ذكر الصلوة لانه دعوة بالفعل اولان نهى العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها
وعامة احواله محصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع للناهى ليئن لم
ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار ولنسفعن القبض على الشئ
وجذبه بالشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولاسفعن وكتبته فى المصحف بالالف على حكم الوقف
والاكتفاء بالالف عن الالف للعلم بان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية
وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطأ وهما
لصاحبها على الاسناد المجازى للمبالغة فليدع ناديه اى اهل ناديه ليعينوه وهو
المجلس الذى ينتدى فيه القوم روى ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يصلى فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اتهددنى وانا اكثر اهل الوادى ناديا فنزلت سندع الزبانية
لنجرده الى النار وهو فى الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن
وهو الدفع او زبنى على النسب واصلها زبانى والتاء معوضة عن الياء
كلا ردع ايضا للناهى لا تطعه واثبت انت على طاعتك واسجد ودم على
سجودك واقترب وتقرب الى ربك وفى الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد
قال النبى عليه السلام من قراء سورة العلق اعطى من الاجر كما قراء المفصل كله

سورة القدر مكية وهي خمس اياتٍ

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذي انزل فيه بقوله وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر وانزاله فيها بان ابتداء بانزاله فيها او انزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه في فضلها وهي في اوتار العشر الاخير من رمضان ولعلها السابعة منها والداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها ليناله كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما روي انه عليه السلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم بيان حاله فضلت على الف شهر وتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين من كل امر من اجل كل امر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت مطلعه اي طلوعه وقراء الكسائي بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قراء سورة القدر اعطي من الاجر كما صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة البينة مدنية وهي ثمان اياتٍ

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله ومن للتبيين والمشركين وعبدة الاصنام منفكين عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع اذا جاءهم الرسول حتى تاتيهم البينة الرسول او القرآن فانه مبين للحق او معجزة الرسول باخلاقه والقرآن بالحامه من تحدى به رسول من الله بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتداء يتلوا صحفا مطهرة صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها وقيل المراد جبريل وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا يأتي ما فيها وانها لا يمسها الا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق

بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه بان من بعضهم او تردد في دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر الا من بعد ما جاءتهم البينة فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى وما امروا اي في كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لا يشركون به حنفاء مائلين عن العقائد ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ولكنهم حرفوا وعصوا وذلك دين القيمة دين الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اي يوم القيمة او في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما اولئك هم شر البرية اي الخليقة وقراء نافع البريئة بالهمزة على الاصل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا في مقابلة ما وضعوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها باضافة ووصفها بما يزيدها يعما وتاكيد الخلود بالتاء بيد رضي الله عنهم استيناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى امانيهم ذلك اي المذكور من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قراء سورة لم يكن يوم القيمة مع خير البرية مسا ومقيلا

سورة الزلزال مدنية وهي ثمان اياتٍ

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او اللائق بها في الحكمة وقراء بالفتح وهو اسم المصدر كالزلزال وليس في الابنية فعلال الا في المضاعف واخرجت الارض اثقالها ما في جوفها من الدفائن او الاموات جمع ثقل وهو متاع البيت وقال الانسان مالها لما يبهرهم من الامر العظيم وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث اخبارها تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر عما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبها تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك اوحى لها اي تحدث بسبب ايجاد ربك لها بان احدث فيها دلالة على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثه كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها في ذلك نفع من العضات يومئذ يصدر الناس عن مخارجهم من القول الى الموقف اشتاتا متفرقين

D 09

بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وقراء بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره لتفصيل الير وا ولذلك قرئ يره بالضم وقرئ
هشام باسكان الهاء ولعل حسنه الكافر وسيئة المجتنب من الكبائر تؤثران
في نقص ثواب العقاب وقيل الاية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة
بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذين والنملة الصغيرة او الهباء
عن النبي صلى الله عليه ومن قراء سورة الزلزلة اربع مرات كان كمن قراء القران كله

سورة العاديات احدى عشر اياة

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة
تعدو فتضبح وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعادت
فانها تدل بالالتزام على الضابحات اوضبحا حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا فالتي
توري النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرات بغير اهلها
على العدو صبحا اى في وقته فاثرن به فهجمن بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا
فوسطن به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اى ملتبسات به جمعا من
جموع الاعداء روى انه عليه السلام بعث خيلا فمضى شهر لم يات خبر فنزلت
ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس الغازية اثر كما لهن الموريات بافكارهن انوار
المعارف والمغيرات على الهوى والعاديات اذا ظهر لهن مبداء انوار القدس فاثرن به
شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ان الانسان لربه لكنود لكفور من كند النعمة
كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة مالك وهو جواب القسم وانه على ذلك وان
الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده
لشهيد فيكون وعيدا وانه لحب الخير المال من قوله تحا ان ترك لشديد لبخيل او لقوى
مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل جمع
محصلا في الصحف او ميز ما في الصدور من خير وشر وتخصيصه لانه الاصل ان
ربهم بهم وهو يوم القيمة لخبير عالم بما اعلنوا وبما اسروا فيجازيهم وانما قال
ما ثم قالبهم لاختلاف شانهم في الحالين وقراء ان وخبير بلا لام عن النبي عليه السلام
من قراء العاديات اعطى من الاجر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جميعا

سورة القارعة احدى عشر اياة

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة

ما القارعة سبق بيانه في الحاقة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث في كثرتهم وذلتهم
وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة وتكون الجبال
كالعهن كالصوف ذي الالوان المنفوش المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها في الجو فاما من
ثقلت موازينه بان ترجحت مقادير انواع حسناته فهو في عيشة في عيش راضية ذات
رضى اى مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنة بعبأ بها او ترجحت سيئاته
على حسناته فامه هاوية فماواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال وما ادريك
ما هيه نار حامية ذات حمى قال النبي عليه السلام من قراء سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مكية وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو
منقول من لهى اذا غفل التكاثر التباهي بالكثرة حتى ذرتم المقابر اذا استوعبتم
عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة
المقابر روى ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال
بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم
وانما حذف اللهي عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه
التكاثر باموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا عما هو
اهم لكم وهو السعي لاخريكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه
على ان العاقل ينبغي له ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك
وبال وحسرة سوف تعلمون خطأ رايكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا
ويتنبهوا من غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وفي ثم دلالة على ان الثاني
ابلغ من الاول او الاول عند الموت وفي القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم
اليقين اى لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم
ذلك عن غيره ولفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون
قوله لترون الجحيم جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد
واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما وقراء ابن عامر والكسائي بضم التاء
ثم لترونها تكرير للتاكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها
او المراد بالاولى المعرفة والثانية الابصار عين اليقين اى الرؤية التي هي نفس
اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين ثم لتسئلن عن النعيم الذي الهيكم
والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة

والنصوص الكثيرة كقوله قل من حرم زينة الله كلوا من الطيبات وقيل يعان اذكل يسئال عن شكره وقيل الاية مخصوصة بالكفار عن النبى صلى الله عليه وسلم من قراء الهيكم لم يحاسبه الله بالنعيم الذى انعم به عليه فى دار الدنيا واعطى من الاجر كانما قراء الفاية

سورة العصر وهى مكية ثلث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر اقسم بصلوة العصر لفضلها او بعض النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفى ما يضاف اليه من الخسران ان الانسان لفى خسر ان الانسان لفى خسران فى مساعيهم وصرف اعمارهم فى مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم اشتروا الاخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق بالثابت الذى لايصح انكاره من اعتقادا وعمل وتواصوا بالصبر عن المعاصى وعلى الحق وما يتلوالله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة اولان يخص العمل بما يكون مقصودا على كماله ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ما عداما عد يؤدى الى خسر ونقص خط وتكرها فان الابهام فى جانب الخسر كرم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قراء سورة العصر غفر الله له وكان ممن يوصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وهى تسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا فى الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة ولمزة بالتسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذى يالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها فى الاخنس بن شريق فانه كان مغتابا اوفى الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جمع مالا بدل من كل اوذم منصوبا ومرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالتشديد للتكثير وعدده وجعله عدة للنوازل وعده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام يحسب انما له اخلده تركه خالدا فى الدنيا فاجبه كما يجب الخلود اوحب المال اغفله من الموت اوطول امله حتى حسبانه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو الساعى للاخرة كلا ردع له عن حسبانه لينبذن ليطرحن فى الحطمة فى النار التى من شانها ان تحطم كل ما يطرح فيها وما ادريك ما الحطمة ما النار التى لها هذه الخاصية نار الله تفسير لها

تفسير لها الموقدة التى اوقدها الله وما اوقد لايقدر ان يطفئه غيره التى تطلع على الافئدة تعلوا وساطا القلوب وتشمل عليها وتخصيصها بالذكر لان النوار اللطف ما فى البدن واشده تالما اولانه محل العقايد الزايغة ومنشاء الاعمال القبيحة انها عليهم مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا طبقته قال لخمن الى جبال مكة نافتى ومن دونها ابواب صنعاء مؤصدة فى عمد ممددة اى موثقين فى اعمدة ممدوة مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص وقراء ابو بكر وحمزة والكسائى بضمتين قال عليه السلام من قراء سورت الهمزة اعطاه عشر حسنات بعدد من استهزاء بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة الفيل مكية وهى خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد اثارها وسمع باالتواتر اخبارها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله فانها من الادهاصات اذ روى انها وقعت فى السنة ولدفيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصتها ابن ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من بنى كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن كعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوى اسمه محمود وقيلة اخرى فلما تهيأ للدخول وعباء جيشه وقدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه اليمن اوالى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا كل منقاره حجر وفى رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فرمتهم فيقع الحجر فى راس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم ترجد فى اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام الم يجعل كيدهم فى تضليل الكعبة وتخريبها فى تضليل فى تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شانها وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها وقيل لا واحد لها كعبابيد وشماطيط ترميهم بحجارة وقرئ بالباء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك من سجيل من طين متحجر معرب سنبك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او السجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون فجعلهم كعصف ما كول كورق الزرع الذى وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقى صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته

عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرء سورة الفيل اعطاه الله اياما حيانه من المسخ والخسف

سورة القريش مكية وهي اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله عليهم لاتحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم رحلة الشتاء والصيف اى الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام يمتارون ويتجرون او يجاهدون مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر اى جعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش ويؤيده انهما في صحف ابي سورة واحدة وقرأ اليالف قريش الفهم رحلتي الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر لاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم وقراء ابن عامر لالاف بغير ياء بعد الهمزة فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع اى بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام وآمنهم من خوف خوف اصحاب الفيل والتخطف في بلدهم ومسائرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرء سورة قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف فيها

سورة الماعون وهي سبع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم ارأيت استفهام معناه التعجيب وقراء ارأيت بلا همزة الحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام سهل امرها وادايتك بزيادة الكاف الذي يكذب بالدين بالجزاء او الاسلام والذي يحمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله فذلك الذي يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه وابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ يدع اى يترك ولا يحض اهله وغيرهم على طعام المسكين لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤن يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون الزكوة او ما يتعاور في العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان

اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل وللسببية على معنى قويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرء سورة الماعون غفر له ان كان مؤديا للزكوة

سورة الكوثر مكية وهي ثلث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك وقرئ اعطيناك الكوثر الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين وروى عنه عليه الصلوة والسلام انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لايظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده واتباعه او علماء امته او القرآن فصل لربك فدم على الصلوة خالصا لوجه الله خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكر الانعام فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسر الصلوة بصلوة العيد والنحر بالتضحية ان شانئك ان من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذي لاعقب له اذ لايبقى منه نسل ولاحسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك واثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الاخرة ما لايدخل تحت الوصف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرء سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد وفي يوم النحر

سورة الكافرون ومي ست اية

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لايؤمنون روى ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون اى فيما يستقبل فان لا لاتدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لاتدخل الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم عابدون ما اعبد اى فيما يستقبل لانه في قران لا اعبد ولا انا عابد ما عبدتم اى في الحال وفيما سلف ولا انتم عابدون ما اعبد اى وما عبدتم في وقت ما انا عابد ويجوز ان يكونا تاكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين

قبل البعث بعبادة الاوثان وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق والمطابقة وقيل انما مصدرية وقيل الاولیان بمعنى الذى والاخريان مصدريتان لكم دينكم الذى انتم عليه لا تتركونه ولى دين الذى انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن فى الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال اللهم الا اذا فسر بالمبارکه وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة وقراءة نافع وحفص وهشام بفتح الياء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورت الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشيطان وبرئ من الشرك

سورة النصر مدنية وهى ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله اظهاره اياك على اعدائك والفتح فتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله للمؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجئ تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على ان رأيت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فتعجب بتيسير الله ما لم يخطر ببالك احمده حامدا له عليه او فصل له حامدا على نعمه روى انه لما دخل مكة بداء بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات وفنزهه عما كانت الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده او فائزا على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه الصلوة والسلام انى استغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله انه كان توابا لمن استغفره خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعى لرسول الله عليه السلام انه لما قرأها بكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك قال نعيت اليك نفسك قال انها كما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهى كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم او لان الامر بالاستغفار نبيه على نوالاجل ولهذا سميت سورة التوديع وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة اذا جاء اعطى من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

سورة تبت مكية وهى خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم تبت هلكت وخسرت والتباب خسران يؤدى الى الهلاك يدا ابى لهب نفسه كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل انما خصتا لانه عليه الصلوة والسلام لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخراه وانما كناه والكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته اولان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره اولانه لما كان من اصحاب النار كان الكنية اوفق بحاله اوليجانس قوله ذات لهب وقرئ ابو لهب كما قيل على بن ابو طالب وقرئ ابن كثير باسكان هاء لهب وتب اخبار بعد اخبار والتعبير بالماضى لتحقق وقوعه كقوله جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه انه قراء وقد تب او الاول اخبار عما كسبت يداه والثانى عن نفسه ما اغنى عنه ماله نفى لاغناء المال عنه حين نزل به التباب استفهام انكار له ومحلها النصب وما كسب وكسبه او مكسوبه يعم ماله من النتايج والارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذى ظن انه ينفعه او ولده عتبة وقد افترسه اسد فى طريق الشام وقد احرق به العير وماتا ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك ثلاثا حتى انتن استجاروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه سيصلى نارا ذات لهب اشتغال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقرئ سيُصلى بالضم مخففا ومشددا وامرأته عطف على المستكن فى سيصلى او مبتداء وفى جيدها الخبر وهى ام جميل اخت ابى سفيان حمالة الحطب يعنى حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بعداوات الرسول صلى الله عليه وسلم وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراء عاصم بالنصب على الشتم فى جيدها حبل من مسد اى مما مسداى فتل ومنه رجل ممسود الخلق اى مجدول وهو ترشيح للمجاز او تصويرها بصورة الحطابة التى تحمل الحزمة وتربطها فى جيدها تحقير الشانها او بيانا لحالها فى نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفى جيدها سلسلة من النار والظرف والظرف فى موضع الحال او الخبر وحيل مرتفع به عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوان لا يجمع بينه وبين ابى لهب فى دار واحدة

سورة الاخلاص وهى اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الضمير للشان كقولك

هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولاحاجة الى العائد لانها هي هو والسائل عنه
اى الذى سألتم عنه هو الله اذ روى ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذى ندعونا اليه فنزلت
واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع الكمال اذ الواحد الحقيقى
ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز
والمشاركة فى الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة
المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لابد منه فى قل يا ايها الكافرون
ولا يجوز فى تبت ولعل ذاك لان سورة الكافرين مشاقة الرسول وموادعته لهم وتبت معاينة
عمه فلا ينا سبان يكون منه واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعوا اليه اخرى
الله الصمد السيد المصمود اليه فى الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق
فانه يستغنى من غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه فى جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بتضمنه
بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية
واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى والدليل عليه لم يكد لانه لم يجانس ولم
يفتقر الى ما بعينه او ينافى عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضى
لورود رد على من قال الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله او لمطابقة قوله ولم يولد
وذلك لانه لا يفتقر الى شئ ولا يسبقه لعدم ولم يكن له كفوا احد اى ولم يكن احد
يكافئه اى يماثله من صاحبة وغيرها وكان اصله او يؤخر الظرف لانه صلة كفوا
لكن لما كان المقصود نفى المكافاة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا
من المستكن فى كفوا او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلثة بالعاطف
لان المراد منها نفى اقسام الاشكال فهى كجملة واحدة مبنية عليها بالجمل وقرا بحمزة ويعقوب
ونافع فى رواية كفوا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال
هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء فى الحديث انها
تعدل ثلث القران فان مقاصده محصورة فى بيان العقايد والاحكام والقصص ومن
عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه
سمع رجلا نقرؤها فقال وجبت قيل يا رسول الله ما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مكية وهى خمس اياتٍ

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق ما يفلق عنه اى يفرق
عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد
عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويخص عرفا

عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لان فيه من تغيير الحال وتبدل وحشة الليل
بسرور والكون ومحاكاة فاتحة يوم القيمة والاشعار بان من قدر ان يزيل به ظلمة الليل عن
هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخاف ولفظ الرب ههنا اوقع من سائر اسمائه لان
الاعاذة من المضار تربية من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه
فان عالم الامر خير كله وشره اختيارى لازم ومتعد كالظلم والكفر وطبيعى كاحراق النار
واهلاك السموم ومن شر غاسق ليل عظيم ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل واصله
الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلات دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب
ظلامه وغسق الليل العين سيلان دمعه اذا وقب دخل ظلامه فى كل شئ وتخصيصه
لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه
يكسف فيغسق ووقوبه دخوله فى الكسوف ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر النفوس
او النساء السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق
وتخصيصه لما روى ان يهوديا سحر النبى صلى الله عليه وسلم فى احدى عشر عقدة فى
وتر وسه فى بئر فمرض صلى الله عليه وسلم ونزلت المعوذتان واخبر جبريل بموضع السحر
فارسل عليا فجاء به فنقرها عليه فكان كلما قرا اية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة
ولا يوجب ذلك صدق الكفرة فى انه مسحور لانهم اراد وا به انه مجنون بواسطة السحر
وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزايم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة
بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل
غاسق وحاسد ومن شر حاسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه
لا يعود ضرره منه فتبقى ذلك الى المحسود بل يخص لاغتمامه بسروره وتخصيصه
لانه العمدة فى اضرار الانسان بل الحيوان عيره ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور
وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد
فى طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث فى العقد الثلاثة وبالحاسد الحيوان فانه انما
يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب
القريبة للمضرة عن النبى صلى الله عليه وسلم لقد انزلت على سورتان ما انزل
مثلهما وانه لن تقراء سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعنى المعوذتين

سورة الناس مدنية ست اياتٍ

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ قراء فى السورتين بحذف
الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس لما كانت الاستعاذة فى السورة المتقدمة

من المضار البدنية وهى نعم الانسان وغيره والاستعاذة فى هذه السورة من الاضرار
التى تعرض النفوس البشرية وخصها بعم الاضافة ثم خصها بالناس ههنا وكانه قيل
اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك امورهم ويستحق عبادتهم ملك
الناس له الناس عطف بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفى
هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاستعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتبهم
الناظر فى المعارف فانه يعلم اولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا
ثم يتغلغل فى النظر حتى يتحقق انه غنى عن الكل وذات كل شئ له ومصارف امره منه
فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لا غير وتدرج فى وجوه الاستعاذة
المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الافة المستعاذ
منها وتكريرا الناس لما فى الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان من شر
الوسواس اى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد
به الموسوس وسمى بفعله مبالغة الخناس الذى عادته ان يخنس اى يتأخر اذا
ذكر الانسان ربه الذى يوسوس فى صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك
كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل فى المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست
واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذى الجر على الصفة او النصب او الرفع على
الذم من الجنة والناس بيان للوسواس او للذى او متعلق بيوسوس اى يوسوس
فى صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم القبيلين
وفيه تعسف الا ان يراد به الناسى كقوله تعالى يوم يدع الداع فان نسيان حق الله تعالى
يعم الثقلين عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرء المعوذتين فكانما قرء الكتب التى
انزلها الله تم انوار التنزيل واسرار التأويل تصنيفا لامام العالم العامل
العلامة ناصر الملة والدين محمد بن عمر البيضاوى مشتملا على
صافى الكشاف من الدقايق وغيرها باوجز لفظ وافصد
عبارة مع زيادات شريفة ونكتة لطيفة شكر الله
سعيه وجعل الجنة مثواه بمنه وكرمه
والحمد لله على التمام والصلوت
والسلام على رسوله محمد عليه
الصلوة والسلام
تمت
م